

سبيل المؤمنين إلى طريقة المعصومين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



منشورات دار الحسين عليه السلام

اسم الكتاب: سبيل المؤمنين الى طريقة المعصومين

تأليف: عبد الرحمن العقيلي

الاخراج الفني: قحطان عامر محمد

عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة

الطبعة: الاولى سنة ١٤٣٧ هـ

الناشر: منشورات دار الحسين عليه السلام

رقم الایداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٥٦٥) لسنة ٢٠١٦ م

سبيل المؤمنين الى طريقة المعصومين

عرض وتحليل لطريقة المعصومين
في إيصال المؤمنين الى معارف الدين، ونقد للطريقة
المعاصرة في الحوزات الدينية

تأليف

عبد الرحمن العقيلي



﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا أَبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾
أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرِيبَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُرْفُوهاً إِنَّا وَجَدْنَا أَبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا
عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾
قَالَ أَوْلَوْ جِئْنُوكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ أَبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا
بِهَا أَرْسَلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾
﴿.....وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾
(سورة الزخرف ٢٢-٢٤)
(سورة يونس ٩٢)

الْأَهْلُكُ

الى صاحب الغيبة.....

إمام زماننا، الحجة بن الحسن (عجل الله له الفرج)

نُهدي هذا العمل

بعض وصايا الأئمة

عن علي بن سويد السائي، قال:

كتب إلى أبو الحسن الأول (موسى بن جعفر عليهما السلام) وهو في السجن:

وأما ما ذكرت يا علي، من تأخذن معالم دينك؟

لا تأخذن معالم دينك عن غير شيعتنا، فإنك إن تعديتهم أخذت دينك عن الخائنين الذين خانوا الله ورسوله وخانواأماناتهم، انهم اؤتمنوا على كتاب الله جل وعلا فحرّفوه وبذلواه، فعليهم لعنة الله ولعنة رسوله ولعنة ملائكته ولعنة آبائي الكرام البررة ولعنتي ولعنة شيعتي إلى يوم القيمة^(١).

وكتب أبو الحسن الثالث (الإمام الهادي) عليه السلام إلى رجلين سألاه عمن يأخذان معالم دينهما: إصدما في دينكم على كل مسن في حبنا، وكل كثير القدم في أمرنا^(٢).

(١) وسائل الشيعة / حديث: ٣٣٤٥٧ .

(٢) هداية الأئمة إلى أحكام الأئمة / ج ٨ ص ٣٨٤ .

أيتها العصابة المرحومة المفلحة:

إِنَّ اللَّهَ أَتَّمَ لَكُمْ مَا آتَكُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ وَلَا مِنْ أَمْرِهِ أَنْ يَأْخُذَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ فِي دِينِهِ بِهَوَى وَلَا رَأْيٍ وَلَا مَقَايِيسَ، قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ الْقُرْآنَ وَجَعَلَ فِيهِ تِبْيَانًا كُلَّ شَيْءٍ وَجَعَلَ لِلْقُرْآنِ وَلِتَعْلِمِ الْقُرْآنِ أَهْلًا لَا يَسْعُ أَهْلَ عِلْمِ الْقُرْآنِ الَّذِينَ آتَاهُمُ اللَّهُ عِلْمَهُ أَنْ يَأْخُذُونَ فِيهِ بِهَوَى وَلَا رَأْيٍ وَلَا مَقَايِيسَ، أَغْنَاهُمُ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ بِمَا آتَاهُمْ مِنْ عِلْمِهِ وَخَصَّهُمْ بِهِ وَوَضَعَهُمْ عِنْدَهُمْ كَرَامَةً مِنَ اللَّهِ أَكْرَمَهُمْ بِهَا وَهُمْ أَهْلُ الذِّكْرِ الَّذِينَ أَمْرَ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِسُوءِهِمْ وَهُمُ الَّذِينَ مَنْ سَأَلُوهُمْ - وَقَدْ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنْ يُصَدِّقُوهُمْ وَيَتَبعَ أَثَرَهُمْ - أَرْشَدُوهُ وَأَعْطَوهُ مِنْ عِلْمِ الْقُرْآنِ مَا يَهْتَدِي بِهِ إِلَى اللَّهِ يَإِذْنَهِ وَإِلَى جَمِيعِ سُبُلِ الْحُقُّ وَهُمُ الَّذِينَ لَا يَرْغُبُ عَنْهُمْ وَعَنْ مَسَالَتِهِمْ وَعَنْ عِلْمِهِمُ الَّذِي أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ بِهِ وَجَعَلَهُمْ عِنْدَهُمْ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ فِي عِلْمِ اللَّهِ الشَّقَاءُ فِي أَصْلِ الْحَقْقِ تَحْتَ الْأَظْلَلَةِ فَأَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَرْغُبُونَ عَنْ سُؤَالِ أَهْلِ الذِّكْرِ وَالَّذِينَ آتَاهُمُ اللَّهُ عِلْمَ الْقُرْآنِ وَوَضَعَهُمْ عِنْدَهُمْ وَأَمْرَ بِسُوءِهِمْ وَأَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ بِأَهْوَائِهِمْ وَآرَائِهِمْ وَمَقَايِيسِهِمْ حَتَّى دَخْلَهُمُ الشَّيْطَانُ^(١).

روي عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام قوله:

((فَمَا مِنْ كَانَ مِنَ الْفُقَهَاءِ صَائِنًا لِنَفْسِهِ، حَفَظَا لِدِينِهِ، مُخَالِفًا عَلَى هُوَاهُ،
مطِيعًا لِأَمْرِ مَوْلَاهُ، فَلِلْعَوْامِ أَنْ يَقْلِدُوهُ، وَذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْضُ فُقَهَاءِ الشِّيَعَةِ
لَا جَمِيعَهُمْ، فَإِنَّهُ مِنْ رَكْبِ الْقَبَايِحِ وَالْفَوَاحِشِ مَرَاكِبُ فَسَقَةِ الْعَامَةِ فَلَا تَقْبِلُوا
مِنَّا عَنِّهِ شَيْئًا، وَلَا كَرَامَةً، وَإِنَّمَا كَثُرَ التَّخْلِيطُ فِيهَا يَتَحَمَّلُ عَنَا أَهْلُ الْبَيْتِ لِذَلِكَ
لِأَنَّ الْفَسَقَةَ يَتَحَمَّلُونَ عَنَا فَيُحِرِّفُونَهُ بِأَسْرِهِ بِجَهَلِهِمْ، وَيَضْعُفُونَ الْأَشْيَاءَ عَلَى
غَيْرِ وَجْهِهَا لِقَلْةِ مَعْرِفَتِهِمْ، وَآخَرُونَ يَتَعَمَّدُونَ الْكَذْبَ عَلَيْنَا لِيَجْرُوا مِنْ عَرْضِ
الْدُّنْيَا مَا هُوَ زَادُهُمْ إِلَى نَارِ جَهَنَّمِ، وَمِنْهُمْ قَوْمٌ نُصَابٌ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْقَدْحِ
فِيهَا، يَتَعَلَّمُونَ بَعْضَ عِلْمِ مَنَا الصَّحِيحَةُ فَيَتَوَجَّهُونَ بِهِ عَنِّ شِعْتَنَا، وَيَتَقْصُّوْنَا
بِنَا عَنِّ نَصَابِنَا، ثُمَّ يَضْيِّفُونَ إِلَيْهِ أَضْعَافَ وَأَضْعَافِ أَضْعَافِهِ مِنَ الْأَكَاذِيبِ عَلَيْنَا
الَّتِي نَحْنُ بِرَاءُ مِنْهَا، فَيَتَقْبِلُهُ الْمُسْتَسِلُمُونَ مِنْ شِعْتَنَا، عَلَى أَنَّهُ مِنْ عِلْمِنَا، فَضَلُّوْنَا
وَأَضَلُّوْنَا وَهُمْ أَضَرُّ عَلَى ضَعْفَاءِ شِعْتَنَا مِنْ جِيشِ يَزِيدِ عَلَى الْحَسِينِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام
وَأَصْحَابِهِ، فَإِنَّهُمْ يَسْلِبُونَهُمُ الْأَرْوَاحَ وَالْأَمْوَالَ، وَهُؤُلَاءِ عَلَمَاءُ السَّوْءِ النَّاصِبُونَ
الْمُتَشَبِّهُونَ بِأَنَّهُمْ لَنَا مَوَالُونَ، وَلَا أَعْدَائُنَا مَعَادُونَ، وَيَدْخُلُونَ الشَّكَ وَالشَّبَهَةَ عَلَى
ضَعْفَاءِ شِعْتَنَا فَيَضْلُّوْنَهُمْ وَيَمْنَعُوْنَهُمْ عَنْ قَصْدِ الْحَقِّ الْمُصِيبِ.))^(١)

الفَصْلُ الْأَوَّلُ

الْمُفَرَّدَةُ

الصراع بين التسليم للوحي الإلهي وبين الخضوع للأنانية وقسوة القلب هو محور الصراع الديني عبر التاريخ، فأول ضحية في التاريخ من بنى البشر - وهو هابيل - كان ضحية الإختيار الخاطيء لأن أخيه قابيل الذي تردد بين التسليم لأمر الله بجعل الوصاية لأن أخيه أو التمرّد والعصيان ومحاولة وراثة منصب أبيه بفعل الأنانية والجشع، فقتل أخاه على ذلك واستمر الشر منذ أول جريمة ترتكب بداعٍ ديني ودافع دنيوي، ولا زالت ابشع الجرائم تحدث نتيجة الداعي والدافع نفسه وبعین ذلك الدافع، فأول وصي في التاريخ قتل، وأخر وصي في التاريخ وهو أمير المؤمنين ﷺ قتل لنفس السبب، واغتصب مقامه ومقام ولده إلى يوم خروج المطالب بذحول الأنبياء.

إذ يقول تعالى:

﴿بَيْنَ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ (الحجر ٤٩-٥٠)

فأشارة لنفسه بـ(أنا) ولعذابه بـ(هو)! فكل هدى يجب أن يكون منه هو سبحانه

ويقول تعالى:

﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ - مِنِّي - هُدًى﴾ البقرة ٣٨

﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ - مِنِّي - هُدًى﴾ طه ٢٣

لذا فلا تستغرب ان يكون الحق على الدوام في تقية ف((ما زال العلم مكتوماً منذ بعث الله نوحًا ﷺ))^(١)، ومن لوازم ذلك أن يكون صاحب الحق غريباً حتى في دياره ف((المؤمن غريب، المؤمن غريب))^(٢) وعندما يُسأل الإمام ﷺ: جعلت فداك فأين أطلب هؤلاء؟ قال: في أطراف الأرض، أولئك الخفيض عيشهم، المتنقلة ديارهم، إن شهدوا لم يُعرفوا وإن غابوا لم يُفتقدوا.^(٣)

وهؤلاء هم الذين سلموا للمعصوم، شخصاً ومنهجاً، لذا لا يعرفهم أحد ولا يفتقدهم أحد، لأنهم ليس لهم (أنا)! هذه الورiqات التي بين يديك هي محاولة لتلمس طريق الرجوع إلى سبيل المعصوم بعد الف عام من التيه في سُبل الرجال، أسأل الله الهدایة والدوام عليها، وان يعفو ويصفح عن عبده الحقير الذي كتب هذه الورiqات امثلاً لقول المعصوم ((إذا ظهرت البدع فعلى العالم^(٤)* أن يُظهر علمه فإن لم يفعل سُلِّب نور الإيمان)).^(٥).

(١) البرهان في تفسير القرآن - هاشم البحرياني - ج ٤ ص ٧٥٥.

(٢) حديث الإمام الباقر عليه السلام / المحسن - احمد بن محمد البرقي - ج ١ - ص ٢.

(٣) الكافي ٢٣٩ / باب المؤمن وعلماته ح ٢٧.

(٤) *بتقدير ((فعلى العالم بشيء ان يُظهر علمه بذلك الشيء)) لوضوح ان التكليف هنا غير مختص بالمعصوم.

(٥) عيون أخبار الرضا عليه السلام - ج ١ - ص ١٠٤.

الفِقَهُ وَالْتَّفْقِهُ وَالْفَقِيهُ:

الفقه هو الفهم، و التفقه هو التفهم والتعلم: يقول تعالى:

﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لَيُنِفِّرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَعَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوَا فِي الدِّينِ وَلَيُنِدِّرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ التوبة (١٢٢)

وقد مدح الله تعالى أهل الفقه في قوله جل وعلا ﴿قَدْ فَصَلَنَا الْأَيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُوْنَ﴾ الأنعام (٩٨).

وروى في (المحاسن) عن إسحاق بن عمار قول أبي عبد الله عليه السلام ((ليت السياط على رؤوس أصحابي حتى يتفقهوا في الحلال والحرام))^(١)

وروى في (المحاسن) عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ((حديث في حلال وحرام تأخذه من صادق خير من الدنيا وما فيها من ذهب أو فضة))^(٢)

وروى (الصفار) بسنده عن علي عليه السلام قال: طالب العلم يشيعه سبعون الف ملك من مفرق السماء يقولون رب صل على محمد وآل محمد.

و عن عبد الرحمن بن الحجاج عن أبي عبد الله عليه السلام قال: طالب العلم يستغفر له كل شيء والحيتان في البحار والطير في جو السماء.^(٣)

ولما كان طلب العلم فرضة كما قال صادقهم عليه السلام ((طلب العلم فريضة على

(١) المحاسن - أحمد بن محمد البرقي - ج ١ ص ٢٢٩.

(٢) المحاسن - أحمد بن محمد البرقي - ج ١ - ص ٢٢٩.

(٣) بصائر الدرجات - محمد بن حسن الصفار - (الروايات الثلاث) ص ٢٦.

كل مسلم، ألا وإن الله يحب بُغاة العلم))^(١)

وقد أرشد سبحانه لم يحب أن يسأل الناس ومنه يأخذون دينهم في قوله جلَّ
وعلا ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ سورة النحل (٤٣)
وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أطِيعُوا اللَّهَ وَأطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِي الْأَمْرِ
مِنْكُمْ﴾ النساء (٥٩)

فحصر الطاعة في الله ومن فرض الله طاعته ، وأوجب اخذ الدين من
المنصوبين من قبله سبحانه وتعالى .

وقد ورد عنهم ﷺ مستفيضاً أنهم أهل الذكر وأولي الأمر وأئمَّة الصادقون
والمتقون والمسلِّمون ، ولم يأذنوا بالمخالفة لأمرهم والذهب لغيرهم ، روي عن
الإمام الرضا ﷺ انه قال:

((إنما شيعتنا من تابعنا ولم يخالفنا، فإذا خفنا خاف وإذا أمناً أمن، قال الله:))
﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ النحل (٤٣) ﴿فَوَلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ
فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾ التوبة ١٢٢ ، فقد فرضت عليكم المسألة والرد إلينا ، ولم
يفرض علينا الجواب))^(٢)

وروى (الصفار) عن محمد بن عيسى العبيدي يرفعه قال: ((قال أبو عبد
الله ﷺ: أبي الله أن يجري الأشياء إلا بالأسباب، فجعل لكل شيء سبباً وجعل
لكل سبب شرحاً، وجعل لكل شرح مفتاحاً، وجعل لكل مفتاح علمًا، وجعل

(١) المحسن - أحمد بن محمد البرقي - ج ١ ص ٢٢٥ .

(٢) تفسير العياشي - ج ٢ - ص ١١٧ .

لكل علم باباً ناطقاً من عرفه عرف الله ومن أنكره أنكر الله، ذلك رسول الله ونحن)).^(١)

فعلمُ الدين يؤخذ من القرآن والنبي فقط، وبعد النبي يؤخذ من العترة فإنهم المستحفظون على القرآن، كما يقول الموصوم ((ويحك - يا قتادة - إنما يعرف القرآن من خوطب به)).^(٢)

روى السيد هاشم البحرياني حديث أبي عمر السعدي، أن رجلاً قال له أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ: ((إياك أن تفسر القرآن برأيك حتى تفقهه عن العلماء، فإنه رب تنزيل يشبه كلام البشر، وهو كلام الله، وتأويله لا يشبه كلام البشر، كما ليس شيء من خلقه يشبهه، كذلك لا يشبه فعله تبارك وتعالى شيئاً من أفعال البشر، ولا يشبه شيء من كلامه كلام البشر، وكلام الله تبارك وتعالى صفتة، وكلام البشر أفعاهم، فلا تشبه كلام الله بكلام البشر فتهلك وتُضل)).
و((العلماء)) بحقيقة العلم هم الموصومون فقط، يقول أمير المؤمنين ﷺ: ((أما الذي فلق الحجة. وبرأ النسمة لو لا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر. وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كِفَّة ظالم ولا سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس أولها)).^(٣) فطبق صفة (العلماء) على نفسه الشريفة.

(١) الراوي - الفيض الكاشاني - ج ٢ - ص ٨٦.

(٢) تفسير البرهان - السيد هاشم البحرياني - ج ١ - ص ٤٠.

(٣) نهج البلاغة - جمع الشريف الرضي - ج ١ - ص ٣٧.

ويقول الإمام الباقر عليه السلام ((أثبتوا على القرآن الثابت، وكونوا في حزب الله تهتدوا، ولا تكونوا في حزب الشيطان فتضلوا، يهلك من هلك ويحيى من حي، وعلى الله البيان، بين لكم فاهتدوا، وبقول العلماء فانتفعوا، والسبيل في ذلك إلى الله، فمن يهدى الله فهو المهتدى، ومن يضلله فلن تجد له ولية مرشدًا)).^(١)

فعدل القرآن بالعلماء وهم العترة هنا.

يقول الإمام الصادق عليه السلام ((يغدوا الناس على ثلاثة عالم ومتعلم وغثاء - فسألوه عن ذلك - فقال: نحن العلماء، وشيعتنا المتعلمون، وسائر الناس غثاء)).^(٢)

وورى الشيخ البرقي في (المحاسن) ((أن رجلا سأله عبد الله عليه السلام رجلان تدارئا في شيء فقال أحدهما أشهد أن هذا كذلك وكذا برأيه فوافق الحق، وكف الآخر فقال: القول قول العلماء؟ - فقال: هذا أفضل الرجلين أو قال: أورعهما)).^(٤)

نعم، قد تأتي (العلماء) ومعها قرينة بانها ليست بصدق المقصود وهذا موجود في الحديث عنهم عليهم السلام.

وورى في (البصائر) عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي إن الحكم

(١) المحاسن - أحمد بن محمد البرقي - ج ١ ص ٢٦٨.

(٢) * غثاء الناس: أرذالهم وسقطهم / النهاية في غريب الحديث والأثر - ابن الأثير - ج ٣ - ص ٣٤٣.

(٣) بصائر الدرجات - محمد بن حسن الصفار - ص ٢٩.

(٤) المحاسن - أحمد بن محمد البرقي - ج ١ - ص ٢١٢.

بن عتيبة من قال الله (ومن الناس من يقول آمنا بالله وبالاليوم الآخر وما هم بمؤمنين) فليشرق الحكم ولغيره ألم والله لا يصيب العلم إلا من أهل بيت نزل عليهم جبرئيل ﷺ^(١)

ولما جعلهم الله عتيبة علمه فقط وخصّهم بإفاضته كما روی عن الإمام الصادق ع في (المحاسن):

((وأما ما سألت من القرآن فذلك أيضاً من خطراتك المتفاوتة المختلفة، لأن القرآن ليس على ما ذكرت، وكل ما سمعت فمعناه غير ما ذهبت إليه، وإنما القرآن أمثال لقوم يعلمون دون غيرهم، ولقوم يتلونه حق تلاوته، وهم الذين يؤمّنون به ويعرفونه، فأما غيرهم فما أشد إشكاله عليهم وأبعده من مذاهب قلوبهم، ولذلك قال رسول الله ﷺ: ليس شيء بأبعد من قلوب الرجال من تفسير القرآن، وفي ذلك تحير الخلائق أجمعون إلا من شاء الله، وإنما أراد الله بتعظيمه في ذلك أن يتبعوا إلى بابه وصراطه وأن يعبدوه ويتهموا في قوله إلى طاعة القوم بكتابه والناطقين عن أمره وأن يستنبطوا ما احتاجوا إليه من ذلك عنهم لا عن أنفسهم ثم قال:

﴿.... لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَئِكُمْ الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْطِعُونَهُ مِنْهُمْ....﴾ النساء (٨٣)

فأما غيرهم فليس يعلم ذلك أبداً ولا يوجد، وقد علمت أنه لا يستقيم أن

يكون الخلق كلهم ولاة الأمر إذ لا يجدون من يأتمرون عليه، ولا من يبلغونه أمر الله ونفيه، فجعل الله الولاية خواص ليقتدى بهم من لم يخصصهم بذلك فافهم ذلك إن شاء الله، وإياك وإياك وتلاوة القرآن برأيك، فإن الناس غير مشتركين في علمه كاشتراكهم فيما سواه من الأمور، ولا قادرين عليه ولا على تأويله إلا من حده وبابه الذي جعله الله له فافهم إن شاء الله واطلب الامر من مكانه تجده إن شاء الله^(١)

فأرجع الناس إلى العترة في فهم الكتاب، وهو الثقل الأكبر، وأرجع الناس إليهم في فهم السنة وهم الثقل الأصغر، وبالتالي حصر التفقه فيهم ﷺ لمن أراد علم الكتاب والسنة.

ولما كان الشيعة في الغيبة الكبرى على صاحبها الصلاة والسلام في معرض التغيير والتبديل لأمر الله سنة الله التي خلت في الناس، كما أخبر صادق العترة عليه السلام:

((أما إنكم لن تروا ما تحبون وما تأملون - يا معاشر الشيعة - حتى يتفل بعضكم في وجوه بعض، وحتى يسمّي بعضكم ببعضًا كذابين، وحتى لا يبقى منكم على هذا الأمر إلا كالكحل في العين، أو كالملح في الطعام، وهو أقلُّ الزاد. وسأضرب لكم في ذلك مثلاً: وهو كمثل رجل كان له طعام قد ذراه وغربه ونقاوه وجعله في بيت وأغلق عليه الباب ما شاء الله، ثم فتح الباب عنه فإذا

السوس قد وقع فيه، ثم أخرجه ونقاوه، ثم جعله في البيت وأغلق عليه الباب ما شاء الله، ثم فتح الباب عنه فإذا السوس قد وقع فيه، وأخرجه ونقاوه وذرأه، ثم جعله في البيت وأغلق عليه الباب، ثم أخرجه بعد حين فوجده قد وقع فيه السوس، ففعل به كما فعل مرارا حتى بقيت منه رزمة كرزمة الأندر الذي لا يضره السوس شيئاً، وكذلك أنتم تُحْصُكُم الفتنة حتى لا يبقى إلا عصابة لا تضرها الفتنة شيئاً) (١)

ومن الجميل أن الإنجيل يتضمن نصاً يكاد أن يتطابق مع ما يذكره الإمام  إذ جاء فيه:

((٢٤) قدم لهم مثلا آخر قائلاً. يشبه ملکوت السماوات إنسانا زرع زرعاً جيداً في حقله. ٢٥ وفيما الناس نيا م جاء عدوه وزرع زواناً في وسط الحنطة ومضى. ٢٦ فلما طلع النبات وصنع ثمراً حينئذ ظهر الزوان أيضاً. ٢٧ فجاء عبيد رب البيت وقالوا له يا سيد أليس زرعاً جيداً زرعت في حقلك. فمن أين له زوان. ٢٨ فقال لهم. إنسان عدو فعل هذا. فقال له العبيد أتريد أن نذهب ونجمعه. ٢٩ فقال لا. لئلا تقلعوا الحنطة مع الزوان وأنتم تجمعونه. ٣٠ دعوهما ينميآن كلّا هما معاً إلى الحصاد. وفي وقت الحصاد أقول للحصادين اجمعوا أولاً الزوان وأحرزموه حزماً ليحرق. وأما الحنطة فاجمعوها إلى مخزني ٣١ قدم لهم مثلا آخر قائلاً. يشبه ملکوت السماوات حبة خردل أخذها إنسان وزرعها في حقله. ٣٢

وهي أصغر جميع البذور. ولكن متى نمت فهي أكبر البقول. وتصير شجرة حتى إن طيور السماء تأتي وتتآوى في أغصانها ٣٣ قال لهم مثلا آخر. يشبه ملوكوت السموات خميرة أخذتها امرأة وخبأتها في ثلاثة أكيال دقيق حتى اختمر الجميع. ٣٤ هذا كله كلام به يسوع الجموع بأمثال. وبدون مثل لم يكن يكلمهم. ٣٥ لكي يتم ما قيل بالنبي القائل سأفتح بأمثال فمي وأنطق بمكتومات منذ تأسيس العالم. ٣٦ حينئذ صرف يسوع الجموع وجاء إلى البيت. فتقدم إليه تلاميذه قائلين فسر لنا مثل زوان الحقل. ٣٧ فأجاب وقال لهم. الزارع الزرع الجيد هو ابن الإنسان. ٣٨ والحقل هو العالم. والزرع الجيد هو بنو الملوكوت. والزوان هو بنو الشرير. ٣٩ والعدو الذي زرعه هو إبليس. والخصاد هو انقضاء العالم. والخصادون هم الملائكة.

٤٠ فكما يجمع الزوان ويحرق بالنار هكذا يكون في انقضاء هذا العالم. ٤١ يرسل ابن الإنسان ملائكته في جمعون من ملوكته جميع المعاشر وفاعلي الإثم. ٤٢ ويطرحوهم في أتون النار. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان. ٤٣ حينئذ يضيئ الأبرار كالشمس في ملوكوت أبيهم. من له أذنان للسمع فليسمع. (١)

فالتنقية واجبة على المؤمنين الثابتين على طريقتهم ﷺ لما يدخل على طريقتهم من تبديل من غيرهم من طرائق غير صحيحة ومذاهب مذمومة ((وقع فيها السوس)) حتى تبقى الرُّزمة التي لا يضرّها السوس شيئاً!

لذا كان لزاماً علينا من باب نصيحة المؤمن أن نوضح لكل من يريد التعلم على منهج أهل البيت الطريقة المُثلَّى للتفقه والوصول إلى معارف الدين من عقيدة وشريعة وأخلاق، والتي يريدها الله ورسوله وحججه عليهم السلام.
من هو الفقيه:

اعتقد الناس أن يسموا (الفقهاء)^(١): علماء! وهو صفة علمنا أنها لا تكون إلا للأوصياء عليهم السلام - على الأقل من باب التأدب أمامهم - لذلك وضع أهل البيت عليهم السلام علامات لمن أراد أن يتعرّف على الفقيه ويتعلّم منه، فمن وجدنا عنده بعض هذه العلامات حاز بعض صفات الفقهاء ومن لم تكن عنده لم يكن فقيها، ومن هذه العلامات:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

إن أبا جعفر عليه السلام سُئل من مسألة فأجاب فيها فقال الرجل: إن الفقهاء لا يقولون هذا، فقال له أبي: وحى! إن الفقيه: الزاهد في الدنيا، الراغب في الآخرة، المتمسّك بسنة النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه (٢).

قلت: فمع أن مصطلح (الفقهاء) كان شائعاً في زمان الإمامين الصادقين عليهم السلام ويتسّمى به الآلاف من يطلب العلوم (الشريعة!) إلا أن الإمام الباقر عليه السلام وضع حدوداً لتسمية الفقيه لا تنطبق إلا على من تعلّم من أهل البيت عليهم السلام، المتمسّك

(١) * في المدارس الدينية وغيرها (عند الشيعة والسنّة سواء!).

(٢) المحاسن - أحمد بن محمد البرقي - ج ١ ص ٢٢٣.

بِسْنَةَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ وَآلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالزَّهْدُ فِي الدُّنْيَا وَالرُّغْبَةُ بِالآخِرَةِ، وَلِمَا
كَانَ (الْفَقَهَاءُ!) الْمُخَالِفُونَ لِطَرِيقِهِمْ يَتَدَافِعُونَ عَلَى أَبْوَابِ السَّلَاطِينَ وَهُمْ
أَهْلُ بَدْعَةٍ وَرَأْيٍ وَقِيَاسٍ لَمْ يَرْتَضِ الْإِمَامُ الْبَاقِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَسْمِيهِمْ (بِالْفَقَهَاءِ).

وَفِي لَفْظِ آخِرٍ لِلْحَدِيثِ نَفْسَهُ:

((فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنَّ الْفَقَهَاءَ لَا يَقُولُونَ هَذَا، فَقَالَ الْإِمَامُ الْبَاقِرُ: يَا وَيْحَكَ وَهَلْ
رَأَيْتَ فَقِيهَا قَطْ؟!)).^(١)

وَقَالَ الْإِمَامُ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

((الْفَقِيهُ كُلُّ الْفَقِيهِ مِنْ لَمْ يَقْنُطْ النَّاسُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَلَمْ يُؤْيِسْهُمْ مِنْ رُوحِ اللَّهِ،
وَلَمْ يُؤْمِنُهُمْ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ)).^(٢)

وَفِي خُطْبَةِ الْأَمِيرِ الْمُؤْمِنِيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

((أَلَا أَخْبَرْكُمْ بِالْفَقِيهِ حَقُّ الْفَقِيهِ؟ مِنْ لَمْ يَقْنُطْ النَّاسُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَلَمْ يُؤْمِنُهُمْ
مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، وَلَمْ يَرْخُصْ لَهُمْ فِي مَعَاصِيِ اللَّهِ، وَلَمْ يَتَرَكْ الْقُرْآنَ رَغْبَةً عَنْهُ إِلَى
غَيْرِهِ، أَلَا لَا خَيْرٌ فِي عِلْمٍ لَيْسَ فِيهِ تَفْهُمٌ، أَلَا لَا خَيْرٌ فِي قِرَاءَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَدْبُرٌ، أَلَا
لَا خَيْرٌ فِي عِبَادَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَفْكُرٌ)، وَفِي رِوَايَةِ أُخْرَى ((أَلَا لَا خَيْرٌ فِي عِلْمٍ لَيْسَ
فِيهِ تَفْهُمٌ، أَلَا لَا خَيْرٌ فِي قِرَاءَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَدْبُرٌ، أَلَا لَا خَيْرٌ فِي عِبَادَةٍ لَا فَقْهٌ فِيهَا، أَلَا

(١) الْوَافِي - الْفَيْضُ الْكَاشَانِي - ج١ - ص١٦٤.

(٢) نَهْجُ الْبَلَاغَةِ - جَمِيعُ الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ - ج٤ - ص٢٠.

لا خير في نسك لا ورع فيه.)^(١)

وعن أبي عبد الله ﷺ انه قال:

((ولا يكون الرجل منكم فقيهاً حتى يعرف معاريض كلامنا. وان الكلمة من كلامنا لتنصرف على سبعين وجهًا، لنا من جميعها المخرج))^(٢).

وفي معاني الأخبار للصدوق بسنده عن داود بن فرقد، قال: سمعت أبا عبد

الله ﷺ يقول:

((أنت أفقه الناس إذا عرفت معاني كلامنا، إنَّ الكلمة لتنصرف على وجوه فلو شاء إنسان لصرف كلامه كيف يشاء ولا يكذب))^(٣).

فهذا هو الميزان، فمن يطابق شروط الإمام فهو فقيه ومن لا تتوفر به الشروط فلا يُعد فقيها.

ومن يتأمل بهذه الأحاديث وغيرها يجد إن هذه الصفات التي ذكرها الأئمة ﷺ لا تكون إلا لفقيه تفقه على أئمة أهل البيت ﷺ بشكل خالص وبالمصطلح المعصومي هو: مسلم، قد سلم اليهم أمره وقبل بها أتوه من عقيدة وحلال وحرام وتوقف عند ذلك ولم يتعدّهم لغيرهم.

ففقهاء الضلالة عند العامة رخصوا في المعاصي من حيث يشعرون أو لا

(١) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - ج ١ - ص ٣٦.

(٢) معاني الأخبار - محمد بن علي بن الحسين الصدوق - ص ٢.

(٣) معاني الأخبار - محمد بن علي بن الحسين الصدوق - ص ١.

يشعرون فمنهم من رَّحْص في النبيذ ومنهم من رَّحْص في الاستمناء ومنهم من رَّحْص في خلافة الظالمين، بل وأوجبها! إلى غيرها من ضلالاتهم الكثيرة.

لذا تجد أن الروايات تكلمت عن حبة إبليس لموت الفقيه بشكل خاص!

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال:

((ما من أحد يموت من المؤمنين أحب إلى إبليس من موت فقيه)).^(١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال:

((إذا مات المؤمن الفقيه ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدُّها شيء)).^(٢).

فسيّاه (المؤمن الفقيه) فكل مؤمن يمكن أن يكون فقيها باتّباع القرآن والعترة، وليس كما يرُوّج له البعض من وجوب دروس علوم الغرب والشرق (من فلسفة وعرفان وأدلة عقلية وأصول للفقه عامية) مما يؤدّي غالباً إلى ترك القرآن والسنة وعزلها عن الحياة الشرعية وأن يأخذ الطالب - عندهم - هذه العلوم - المستوردة من الملل الكافرة ومن مذاهب الضالّين - طوال عشرات السنين حتى يكون فقيها! فالفقيه عند أهل البيت يختلف عن الفقيه عند العامة من المخالفين والخاصّة منتبعهم بطرقهم (مع شديد الأسف).

(١) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - ج ١ - ص ٣٨.

(٢) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني (الروايات) ج ١ ص ٣٨.

فدين الله أَجْلٌ من أن يكون ألغازاً ومتاهات و(دين للنخبة) كما صنعوا منه!

إذ يروى عن النبي عليه وآلـه الصلاة والسلام:

((قد تركتكم على البيضاء، ليالها كنها رها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك))^(١)
وسماها عليه وآلـه الصلاة والسلام ((الحنيفية السمحـة)).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: خطب رسول الله عليه السلام في حجة الوداع فقال:

أيها الناس والله ما من شيء يقربكم من الجنة ويبعادكم من النار الا وقد
أمرتكم به، وما من شيء يقربكم من النار ويبعادكم من الجنة الا وقد نهيتكم
عنه.^(٢)

فهل نحتاج لشيء من غير المقصوم فنأتي به بحجـج واهـية؟! سواء أساليـب في
الاستنباط او علوم آلـية او عقلـية او مبانـ أصولـية!

وروى عنه عليه وآلـه الصلاة والسلام:

((أيها الناس إني قد جاءني من أمر ربـ ما الناس إليه صـائرـون، وإنـي قد
تركـتـكم على الحـجـة الواضـحة ليـلـها كـنـها رـها، فلا تـخـتـلـفـوا مـنـ بـعـدي كـمـ اـخـتـلـفـ
مـنـ كـانـ قـبـلـكمـ مـنـ بـنـي إـسـرـائـيلـ أـهـلـها النـاسـ: إـنـه لـأـحـلـ لـكـمـ إـلـاـ مـاـ أـحـلـهـ الـقـرـآنـ،
وـلـأـحـرـمـ عـلـيـكـمـ إـلـاـ مـاـ حـرـمـهـ الـقـرـآنـ، إـنـي مـخـلـفـ فـيـكـمـ التـقـلـيـنـ مـاـ إـنـ تـمـسـكـتـ بـهـاـ

(١) كمال الدين وتمام النعمة - محمد بن علي بن الحسين الصدوق - ص ٢ / بحار الأنوار - محمد باقر المجلسـي - ج ٢٨ - ص ١١١.

(٢) الكافي - محمد بن يعقوب الكلينـي - ج ٢ - ص ٧٤.

لَنْ تَضْلُّوا وَلَنْ تَرْلُوا: كِتَابُ اللَّهِ وَعَرْقِي أَهْلُ بَيْتِي هُمَا الْخَلِيفَاتُ فِيهِمْ، وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرُوا حَتَّى يَرِدَا عَلَى الْحَوْضِ، فَأَسْأَلُكُمْ بِمَا ذَا خَلْفَتُمُونِي فِيهِمَا؟^(١).

(١) بحار الأنوار - محمد باقر المجلسي - ج ٢٨ - ص ١١١.

وضوح طريقة المعصومين وغموض طريقة الفقهاء:

فدين الله سبحانه وتعالى حجّة واضحة على الناس وهو حنيفة سمحاء ليله
كنهاره! وعروته الوثقى ودليل عدم الضلال عنه وأهللة فيه هما الثقلان، لا
غير، وليس إلى غيره، وليس من غيره.

فأين هما الثقلان الآن؟ الأول يفسره كل الناس! بمناهج مختربة لم تركن إلى
ركن وثيق، وليس لديها أثر من معصوم، وقد بدأ الأمر من المخالفين ثم دخل
الخاصة مدخلهم ، فبدأوا يفسرونها باللغة والفلسفة والباطن وشاركوا من نزل
عليهم بعلمه وباطنه وتأوילه!!

وأما الثاني فلا تدرّس علومه في المدارس الدينية، بل حلّت بدل كثير منه
علوم عقلية نتاج عقول ناقصة وأراء باطلة! .

وهذا الذي حصل معنا هو مصدق لقوله تعالى ﴿لَتَرْكُبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ سورة الانشقاق ١٩ ، ولقوله عليه وآله الصلاة والسلام ((لتركين سنن
من كان قبلكم... حذو القذّة بالقذّة، حتى اذا دخلوا جحر ضب دخلتم فيه..
شبرا بشبر.. باعا بباع.. حتى لو زنى احدهم بأمه فعلتم، حتى لو زنا احدهم
بأخته فعلتم...)) الى الفاظ عديدة كلها تؤدي الى العلم بأن الأغلبية العظمى
من المجتمع المسلم سيمراً بما مررت به الأديان قبلهم^(١).

والذي حصل في اليهودية إن بعض حاخامتهم لما رأوا أن الكثير من اليهود

(١) (راجع كتابي أمّة على خطى الأمم).

دخلوا في النصرانية احتالوا للأمر فاجتمعوا في بلدة (جامينا) ^(١) في فلسطين وبعد اجتماع مطول أقرّوا خطوات معينة جعلت من الدين اليهودي دين نُخبة ليمنعوا على الناس التفكير المستقل، وليجعلوا أنفسهم الناطقين عن الله، ومن ي يريد الاستعلام عن الدين لا يحق له القراءة في التوراة بل تكون التوراة للتبرك فقط وضمن دائرة أوسع قليلاً من الحاخامات، وقاموا بالنهي عن القراءة بالتوراة بشكل مباشر لذا دبّروا لذلك تدبيراً وهو أن تُمنع (التوراة السبعينية) والتي كُتبت باللغة اليونانية، تُمنع من التداول بقرار رسمي وان تُترجم التوراة إلى اللغة العبرية القديمة والتي يُحسن قراءتها النخبة الدينية فقط، ثم تُشرح في كتاب أسموه (المشنا) ثم يفسّر كتاب (المشنا) في قالب آخر وسموه (الجامارا) وسمّوا هذين الكتابين (المشنا والجامارا): التلمود، ووضعوا التلمود لمن يحتاج إلى درجات العلمية الموضوعة للوثوق بمن يسلّمونه نسخة منه! فتحول دينهم إلى دين (قطّعان الغنم) تتبع أفراداً معينين يصلون إلى مراتب معينة وضعوها لأنفسهم، وعندما يصلون هذه المراتب الدينية المعينة يُصبحون ناطقين عن الله وظلّه على مخلوقاته ووكلاه في الأرض !

والذي حصل في النصرانية امر مشابه لما في اليهوديّة، ففي القرن الرابع الميلادي بدأ القس (آريوس الاسكندرى) بإحياء أمر التوحيد العيسوي على منهجه القديم، فواجهه رّذات فعل قوية إذ أتمّ منعوا من تداول آراءه التوحيدية وطردوا من ينشر بها من الكنائس بأمر سلطاني صدر من الإمبراطور قسطنطين

بعد مجمع (نيقية) الشهير عام ٣٢٥ للميلاد ومنذ ذلك الوقت بدأ الباباوات بصنع دين آخر يقوم على فهمهم هم للدين، بما انهم وكلاء الله في أرضه وظلّه على مخلوقاته، ونواب المسيح ﷺ في ملکوت الأرض! فمنعوا كل من يتبع القس آريوس الموحد من التواجد في الكنائس وحرموهم من كل امتياز مادي ومنعوا كل إنجيل فيه إشارة إلى كون المسيح كان إنساناً نبياً وأمّة صديقة واقتصروا على الأناجيل الأربعه!!

والذي حصل عند المسلمين هو ما حصل عند اليهود والنصارى، وهذا من معجزاته عليه وآلله الصلاة والسلام، بعد أن عقدت سقيفة بنى ساعدة، احتاج الحكّام الجدد إلى حاشية تعيد إنتاج دين جديد يعزل المعارضة المتمثلة بالبيت العلوى ومن معهم من بنى هاشم ومن الصحابة، فاستبعدوا قرآن أمير المؤمنين ﷺ، وجمعوا القرآن بمعزّل عنه، ولما كان العمل البشري يبقى ناقصاً مهما بلغ من الكمال دائمًا أعادوا ترتيب القرآن في زمان عثمان ومع ذلك بقيت معضلة القراءات إلى اليوم قائمة ولا يستطيع أحد الجزم بأمرها ومن أين جاءت وكيف اكتسبت شرعيتها وهي تضرب قدسيّة القرآن في الصميم! فهم يقرّون بأن هذه القراءات متواترة إلى أصحابها وليس إلى النبي عليه وآلله الصلاة والسلام وهذا ما يجعلنا امام معضلة النص الرسمي النازل من السماء في أي قراءة هو؟!

فضلاً عن معضلة ما أسموه(نسخ التلاوة) إذ وجدوا أن العديد من الصحابة يرون آياتٍ غير موجودة في المصحف فأظهروا بدعة أن هذه الآيات منسوبة التلاوة وقد أسقطها النبي عليه وآلله الصلاة والسلام من المصحف كل

هذا حتى يصحّحوا عمل الصحابة!

ووضع عمر ابن الخطاب رجلاً يرجع اليهم الرجال لأنّهم منهم! ببعضهم للفرائض وببعضهم للقضاء وببعضهم للقصص! حتى يرسخوا في أذهان الناس دينهم الجديد، فهو فقه وعقيدة غريبان تماماً عن تعاليم النبي عليه وأله الصلاة والسلام، وهذا الذي حصل عند العامة حصل مع الشيعة بعد ذلك بثلاثة قرون! .

ففي زمان الشيخ المفيد (رحمه الله) ولكونه في بغداد وفي وقت انحّلت فيه السلطة العباسية وضعفـت وخلال حكم البوهـيين الشـيعة للـعراـق صـار الاختـلاط واـضـحاـ بين الشـيعـة وغـيرـهـم من العـامـة في المـدارـس الـديـنـيـة وـفيـ بلاـطـ السـلاـطـينـ معـ ماـ يـقـتضـيـهـ ذـلـكـ منـ مـجاـملـاتـ وـغـيرـهاـ، وـدـرـسـ هـؤـلـاءـ عـلـىـ يـدـ هـؤـلـاءـ وبـالـعـكـسـ، فـتـأـثـرـ الشـيعـةـ وـأـثـرـواـ فـيـ غـيرـهـمـ فـدـخـلـ إـلـىـ مـذـهـبـهـمـ (ـعـلـمـ الـأـصـولـ) الـذـيـ اـخـتـرـعـهـ الشـافـعـيـ ثـمـ تـسـرـيـتـ الـفـلـسـفـةـ الـيـونـانـيـةـ، ثـمـ التـرـهـبـ النـصـرـانـيـ وـهـوـ التـصـوـفـ النـصـرـانـيـ وـبـعـدـهـاـ وـفـيـ زـمـنـ الـعـلـمـةـ الـحـلـيـ دـخـلـ (ـعـلـمـ الرـجـالـ) وـبـدـأـ فـقـهـاءـ الشـيعـةـ يـقـعـدـونـ القـوـاعـدـ عـلـىـ وـفـقـ الـعـلـومـ الـجـدـيـدـةـ! فـنـشـأـ جـوـ غـرـيبـ عـماـ تـرـكـهـ أـهـلـ الـبـيـتـ عـلـىـهـ اللـهـ. وـهـذـاـ الـأـمـرـ بـدـاـ فـيـ نـهـاـيـةـ الـقـرـنـ الثـالـثـ الـهـجـرـيـ وـاشـتـدـ بـعـدـ دـخـولـ الـبـوـهـيـينـ إـلـىـ بـغـدـادـ عـامـ ٣٣٤ـهـ وـإـظـهـارـهـمـ نـصـرـةـ الـطـرـيقـةـ الشـيـعـيـةـ، لـكـنـهـ وـمـعـ اـسـتـقـرـارـ الـسـيـخـ الطـوـسيـ فـيـ النـجـفـ بـعـدـ دـخـولـ السـلاـجـقةـ بـغـدـادـ وـإـحـرـاقـ مـكـتبـةـ الـطـوـسيـ وـهـرـوبـهـ إـلـىـ النـجـفـ عـامـ ٤٤٩ـهـ بـدـاـ بـتـأـسـيـسـ حـلـقـاتـ الـدـرـاسـيـةـ فـيـ النـجـفـ وـبـذـرـتهاـ هـوـ الـعـلـومـ الـتـيـ اـكـتـسـبـوـهـاـ مـنـ الـعـامـةـ بـعـدـ التـلـاقـ وـالـأـخـذـ

والإعطاء مع العامة، لذا بدأ الشيخ الطوسي رحمه الله بتأليف بعض الدروس على منهج العامة، مثل موسوعة فقهية في التفريع الفقهى (المبسوط) وتفسير ليس على وفق الروايات وهو (التبیان) وكتاب في أصول الفقه (العَدَة) وكل هذه الفنون سبقنا إليها العامة فتبعهم الشيخ الطوسي سعياً في إثبات علو كعب مدرسة أهل البيت في قبال ضلالات العامة، لكن هذا النهج التأليفي لم ينته مع وفاة الطوسي بل استمر إلى يومنا هذا وترك المنهج القديم.

ولما كانت السنن البشرية تتشابه حصل في اليهودية أن بعض البسطاء المتدينين أراد إرجاع الدين الموسوي إلى حيث كان بلا بدع وزيادات كما تركهم عليه الأنبياء فقرروا اعتماد التوراة في كل بيت والأخذ من أحكامها مباشرة بلا رجوع للحاخامات المتنفعين والمتطلفين على أموال الناس وسمّوا أنفسهم (القراءين) فهم يأخذون طريقتهم الشرعية من قراءة الكتب النبوية مباشرة، ولكن الأمر كان قد فات فاندثروا تحت وقع الضغط الحاخامي المستعين بالسلطات الزمنية من قمع وإرهاب وتقتيل وتشريد.

وبعدهم ولما كان الدين النصراوي وصل درجة خطيرة في الانحراف على يد (بولس) ومن بعده جاء القس (آريوس الاسكندرى) ليعيد الأمر إلى نصابه، ويعيد دين النصرانية إلى التوحيد فلم يفلح، واستمرت ثورته سنوات عديدة ولكن الأمر قد فات إذ عُقد مجمع نيقية وتم إخماد ثورته بالأساليب نفسها.

والأمر نفسه حصل عند المسلمين، إذ بعد أن صارت مدرسة الرأي والقياس

والاستحسان مدرسة كبيرة وطغت بمبادئها البشرية الصرفة على باقي المدارس عندهم ظهرت الحركة السلفية الحنبلية في القرن الثالث الهجري، وظل هذا الخط الحنبلي محافظاً على منهجه السلفي الأثري الحديثي حتى انتج المدرسة الوهابية في القرون المتأخرة فاتّخذوا من السلف الأموي الناصبي قدوة لهم في الفهم والعمل.

وفي الوسط الشيعي صارت ردة الفعل قوية بعودة المنهج الحديثي على يد الأمين الاسترابادي بعد أن ظل منهج المحدثين حبيس الزوايا المظلمة منذ القرن الخامس الهجري ولم ينذر، وصار الصراع علنياً بعد أن تصدى للوقوف في وجه مدرسة الأصول والرجال، وبعد قرنين من الجدال العنيف اتخذ الصراع طريق الدم والسيف فأفتى بعض الفقهاء الأصوليين بقتل زعيم الأخباريين المحدثين في وقتها السيد (محمد عبد النبي الأخباري)^(١) فُقتل هو وولده وُحرَّرت رقابهما والقيت في الكاظمية وسط هياج الغوغاء وزغردة النساء والاحتفالات بقتل ((ذلك السيد الجليل!!)) ومن يومها أخذ المَّدْ الحديثي الذي حاول الرجوع بالتفقّه إلى المنهج الأصيل، والذي هو منهج أهل البيت ومنهج الشيعة في الغيبة الصغرى وببداية الغيبة الكبرى إلى الانحسار بعد أن امتلك الخصم سلاح المال والسلطة!.

(١) إقرأ تفاصيل تلك المرحلة وكيفية صدور الفتوى وتفاصيل القتلة البشعة في كتاب حفيظ صاحب الفتوى التي أباحت دمه وعنوانه: العبقات العنبرية في طبقات الجعفرية. بعد ص ١٠٠ للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء.

كيف يكون المؤمن فقيهاً؟

الجواب: بسيط ، وسريع ، وشافٍ: عند تعلّم حديث المعصومين عليهم السلام يكون المؤمن فقيهاً !.

فأهل البيت عليهم السلام تكلموا عن الغيبة الكبرى - عصرنا الحالي - بما فيه من فتن وعقبات، وجعلوا لذلك علاجات من استعملها نجى ومن تركها غرق، ومن ذلك: قوله عليهم السلام عن الغيبة الكبرى:

عن الأصبع بن نباتة قال: أتيت أمير المؤمنين عليه السلام فوجده ينكت في الأرض، فقلت له: ((يا أمير المؤمنين مالي أراك مفكراً تنك في الأرض، أرغبة منك فيها؟). فقال: لا؛ والله ما رغبت فيها، ولا في الدنيا يوماً قط؛ ولكنني تفكرت في مولود يكون من ظهري الحادي عشر من ولدي، هو المهدي الذي يملأها عدلاً وقسطاً، كما ملئت جوراً وظلماً؛ يكون له حيرة وغيبة، تضل فيها أقوام، ويهدى فيها آخرون)).^(١)

وروى الصدوق (رحمه الله) عن الإمام الصادق عليه السلام قال: ((كيف أنتم إذا بقيتم بلا إمام هدىً، ولا علم يبرا بعضكم من بعض، فعند ذلك تميزون وتحصّون وتغربلون..)).^(٢)

وروى الصدوق بإسناده عن المفضل بن عمر عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

(١) راجع: الغيبة - محمد بن الحسن الطوسي - ص ١٦٥ - ١٦٦ .

(٢) راجع: كمال الدين و تمام النعمة - محمد بن علي بن الحسين الصدوق - ج ٢ - ص ٣٤٨ / ح ٣٦ .

سمعته يقول: ((إياكم والتنويه، أَمَا وَاللَّهُ لَيَغِيْبَنَ إِمَامُكُمْ سَنِيْنًا مِنْ دَهْرِكُمْ، وَلَتُمْحَصِّنَ حَتَّى يُقَالُ: مات، أو هلك، بأَيِّ وَادٍ سَلَكَ؛ وَلَتَدْعُنَ عَلَيْهِ عَيْوَنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَتَكْفَأَنَّ كَمَا تَكَفَّأُ السُّفَنَ فِي أَمْوَاجِ الْبَحْرِ، وَلَا يَنْجُو إِلَّا مِنْ أَخْذِ اللَّهِ مِثْاقَهُ، وَكَتَبَ فِي قَلْبِهِ إِيمَانًا، وَأَيَّدَهُ بِرُوحٍ مِنْهُ، وَلَتُرَفَعَنَّ اثْنَا عَشَرَةِ رَأْيَةً مُشْتَبِهَةً، لَا يَدْرِي أَيِّ مِنْ أَيِّهِ قَالَ: فَبَكَيْتُ. قَالَ لِي: مَا يَبْكِيكَ يَا أَبا عَبْدِ اللَّهِ؟ قَلَّتْ: وَكَيْفَ لَا أَبْكِي وَأَنْتَ تَقُولُ: تُرْفَعُ اثْنَا عَشَرَ رَأْيَةً مُشْتَبِهَةً لَا يَدْرِي أَيِّ مِنْ أَيِّهِ فَكَيْفَ نَصْبِعُ؟ قَالَ: فَنَظَرَ إِلَى شَمْسٍ دَاخِلَةٍ فِي الصَّفَةِ؛ قَالَ: يَا أَبا عَبْدِ اللَّهِ! تَرَى هَذِهِ الشَّمْسُ؟ قَلَّتْ: نَعَمْ. قَالَ: وَاللَّهِ، لَأُمْرِنَا أَبْيَانُ مِنْ هَذِهِ الشَّمْسِ)).^(١)

وروى الطوسي في غيبة بإسناده عن محمد بن منصور عن أبيه قال: كنا عند أبي عبد الله عليه السلام جماعة نتحدث فالتفت إلينا فقال: ((لا والله لا يكون ما تمدون إليه أعينكم حتى تميزوا لا والله لا يكون ما تمدون إليه أعينكم حتى يمحضوا لا والله لا يكون ما تمدون إليه أعينكم إلا بعد إياس، لا والله لا يكون ما تمدون إليه أعينكم حتى يشقى من شقي ويسعد من سعد))^(٢).

فمع علمهم عليه السلام بكل هذه الفتن والمحن والعقبات والهزاهز فهل تركوا لشيئتهم ما يكتفون به من تكليف ينجيهم منها؟

(١) راجع: كمال الدين و تمام النعمة - محمد بن علي بن الحسين الصدوق - ج ٢ - ص ٣٤٧ - ح ٣٥.

(٢) الغيبة - محمد بن الحسن الطوسي - ص ٣٣٥ - ح ٢٨١.

الجواب: نعم بالطبع، وإنّا لم يكونوا كما وصفوا أنفسهم بأنّهم حجاج على العباد؟

فحتى يكونوا حججاً على من يحاجج، تركوا منهاجا لشق أمواج الفتنة في عصر الغيبة الكبرى. والطريق الموصل لذلك: هو السؤال! لذا أمررنا بالسؤال:

فقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال لحرمان بن أعين في شيء سأله: إنما يهلك الناس لأنّهم لا يسألون^(١).

وعن عبد الله بن ميمون القداح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال: إن هذا العلم عليه قفل ومفتاحه المسألة.^(٢)

وبعد السؤال، يأتي دور التسليم والعمل، يروى عن أمير المؤمنين عليه السلام: ((ألا أن هذه الأمة لابد متفرقة كما افترقت الأمم قبلهم فنعود بالله من شر ما هو كائن، ثم عاد ثانية فقال: إنه لابد مما هو كائن أن يكون وان هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقا شرعا فرقا تنتهي ولا تعمل بعملي))^(٣)

قال أمير المؤمنين عليه السلام: افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقا سبعون منها في النار وواحدة في الجنة وهي التي اتبعت يوشع بن نون وصي موسى، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقا إحدى وسبعين فرقا في النار وواحدة في

(١) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - ج ١ - ص ٤٠ .

(٢) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - ج ص ٤٠ (الخدیثان).

(٣) مصباح البلاغة مستدرك نهج البلاغة - جمع الشریف الرضی - خطبة ٣٧

الجنة وهي التي اتبعت شمعون وصي عيسى ﷺ وتفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة اثنان وسبعين فرقة في النار وواحدة في الجنة وهي التي اتبعت وصي محمد ﷺ وضرب بيده على صدره ثم قال:

ثلاث عشرة فرقة من الثلاث والسبعين كلها تتحول مودتي وحبي، واحدة منها في الجنة واشتتا عشرة منها في النار) ^(١)

فشرّ الفرق من تعلم بالحق ولكنها لا تعمل به!

فالعمل يكون بالاقتداء بالعصوم فقط، ولا يكفي انتحال المحبة دون الطاعة والعمل بعملهم وما يريدون والتسليم لهم ﷺ، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام.

لذا تراهم يوقفون نجاة شيعتهم في حضورهم وغيابهم ﷺ على الالتزام بحديثهم، قال محمد بن علي بن الحسين بن موسى ابن بابويه رضي الله عنه: قال الصادق عليه السلام: ((حاجوا الناس بكلامي، فإن حاجوكم كنت أنا المحجوج لا أنتم)) ^(٢).

فهل هناك أصرح من هذا الكلام؟! فكلامهم هو الذي يمحظ المخالفين.

وروى الكليني ((عن يزيد بن عبد الملك، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: تزاوروا فإن في زيارتكم إحياء لقلوبكم وذكرة الأحاديث، وأحاديثنا تعطف بعضكم على بعض فإن أخذتم بها رشدتم ونجوتكم وإن تركتموها ضللتم وهلكتم، فخذلوا

(١) كتاب سليم بن قيس - تحقيق محمد باقر الأنصاري - الصفحة ٣٣٢.

(٢) تصحيح الاعتقاد - محمد بن محمد بن النعيم المفيد - ص ٧٠.

بها وأنا بإنجاتكم زعيم)).^(١)

فباتابع حديثهم نجاتنا مضمونة بإذنه تعالى على الإمام.

وعن الفضيل بن يسار قال ((دخلت على أبي عبد الله ﷺ أنا و محمد بن مسلم فقلنا ما لنا وللناس، بكم والله نأتكم ، وعنكم نأخذ، ولكم والله نسلم ، ومن وليتكم والله تولينا ومن برئتم منه برئنا منه، ومن كففتم عنه كففنا عنه، فرفع أبو عبد الله ﷺ يده إلى السماء فقال: والله هذا هو الحق المبين))^(٢)

وعن زيد الرّزّاد قال حدثنا جابر بن يزيد الجعفي قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول:

((إن لنا أوعية نملؤها حكماً وعلماً، وليس لها بأهل، فما نملؤها إلا لتنقل إلى شيعتنا، فانظروا إلى ما في الأوعية فخذوها ثم صفوها من الكدوره تأخذونها بيضاء نقية صافية، وإياكم والأوعية فإنها وعاء سوء فتنكبواها))^(٣).

وهذه التصفيه من الكدوره بآليات وضعها أهل البيت بلا أن يحتاج الى المذاهب الضالة لتأخذ منهم علوماً ما أنزل الله بها من سلطان.

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

((إذا أردت العلم الصحيح فعندينا فنحن أهل الذكر الذين قال الله عز وجل

(١) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - ج ٢ - ص ١٨٦ .

(٢) مختصر بصائر الدرجات - محمد بن حسن الصفار - ص ٧٦ .

(٣) الأصول الستة عشر - أصل زيد الرّزّاد - ص ٤ .

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٤٣) (النحل) ^(١)

وقال: أما إنه شر علىكم أن تقولوا بشيء ما لم تسمعواه منا ^(٢)

ويقول ﷺ: كل علم لم يخرج من هذا البيت فهو باطل ^(٣)

فهل يجوز بعد هذا أن ندعى أن العلوم الآلية التي تقوم عليها العلوم الشرعية والتي تدرس في الحوزات مثل: علم الرجال والأصول والفلسفة هي مثال لحكمة خرجت من فم المنافق)!!!.

وروي عنهم عليهم السلام:

ذر الناس فإن الناس أخذوا عن الناس وإنكم أخذتم عن رسول الله ﷺ
وعليه صَلَوةُ الرَّحْمَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ولا سواه، إني سمعت أبي يقول: إن الله إذا كتب على عبد أن يدخل في
هذا الأمر كان أسرع إليه من الطير إلى وكره ^(٤).

وعن جابر قال: قال أبو جعفر عليه السلام: إنما شيعتنا من تابعنا ولم يخالفنا وإذا خفنا
خاف وإذا أمننا أمن فأولئك شيعتنا حقا ^(٥).

وعن الإمام الصادق عليه السلام أيضا: اعرفوا منازل شيعتنا بقدر ما يحسنون من
رواياتهم عنا، فانا لا نعد الفقيه منهم فقيها حتى يكون محدثا، فقيل له: أو يكون

(١) كفاية الأثر - علي بن محمد الخراز القمي - ص ٢٥٨.

(٢) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - ج ٢ - ص ٤٠٢.

(٣) الحق المبين في كيفية التفقه في الدين - الفيض الكاشاني (وما قبلها أيضا).

(٤) المحسن - أحمد بن محمد البرقي - ج ١ ص ٢٠١.

(٥) الأصول الستة عشر - ص ٦٦.

المؤمن محدثاً؟ قال: يكون مفهّماً، والمفهّم المحدث^(١).

وعن المفضل بن عمر: لا تأكلوا الناس بآل محمد، فإني سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: افترق الناس فينا على ثلاث فرق: فرقة أحبونا انتظار قائمنا ليصيروا من دنيانا، فقالوا وحفظوا كلامنا وقصروا عن فعلنا، فسيحشرهم الله إلى النار. وفرقة أحبونا وسمعوا كلامنا ولم يقصروا عن فعلنا، ليستأكلوا الناس بنا فيما لا يطون لهم نارا يسلط عليهم الجوع والعطش. وفرقة أحبونا وحفظوا قولنا وأطاعوا أمراً لنا ولم يخالفوا فعلنا فأولئك منا ونحن منهم^(٢)

وعن الإمام الرضا عليه السلام: يا ابن أبي محمود: إذا أخذ الناس يميناً وشمالاً فاللزم طريقتنا، فإنه من لزمنا لزمناه، ومن فارقنا فارقناه، فإن ذكرنا أهل البيت شفاء من الواقع والأسقام ووسواس الريب، وإن محبتنا رضا رب والأخذ بأمرنا وطريقتنا معنا غداً في حظيرة القدس^(٣).

وهذه هي دعوتنا: الرجوع للأخذ بأمرهم عليه السلام وطريقتهم في التفقه، فليس المهم أن يصبح دارس العلوم الشرعية (حجّة للإسلام والمسلمين)! أو (آية الله) وغيرها من المصطلحات الرنانة التي ضرّها أقرب من نفعها، بل المهم أن يخرج الإنسان من الدنيا بوجه أبىض امام الله سبحانه وهذا لا يكون إلا بأنّ تتبع المعصومين عليهم السلام ونسّلهم كما فعل الشيعة في الغيبة الصغرى تحت أعين

(١) وسائل الشيعة - الحرج العاملية - ج ٢٧ - ص ١٤٩.

(٢) تحف العقول - المحسن بن علي ابن شعبة الحتراني - ص ٥١٤.

(٣) الفوائد الطوسيّة - الحرج العاملية - ص ٢٥٠.

السفراء رَحِمَهُمُ اللَّهُ وَإِنَّمَا يُطَاعُ اللَّهُ مَنْ حَيْثُ يَرِيدُ لَا مَنْ حَيْثُ نَرِيدُ! .

وعن أمير المؤمنين ﷺ :

((يا كميل إنما المؤمن من قال بقولنا، فمن تخلف عننا قصر عنا، ومن قصر عنا لم يلحق بنا، ومن لم يكن معنا ففي الدرك الأسفل من النار))^(١)

وروى جعفر الحضرمي عن خيثمة الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام قال:

أردت أن أودّعه فقال: يا خيثمة:

أبلغ موالينا السلام وأوصهم بتقوى الله وأوصهم أن يعود غنيمهم على فقيرهم وقويمهم على ضعيفهم وأن يشهد حيئهم جنازة ميتهم وأن يتلاقوا في بيوتهم فإن لقاء بعضهم ببعض في بيوتهم حياة لأمرنا، رحم الله عبداً أحى أمرنا.

يا خيثمة: أبلغ موالينا أنا لسنا نعني عنهم من الله شيئاً إلا بعمل، وإنهم لن ينالوا ولا يتنا إلا بورع وإن أعظم الناس حسرة يوم القيمة من وصف عدلاً ثم خالفه إلى غيره^(٢).

وهذا الذي نحن فيه اليوم! فنحن نصف العدل للناس بانه اتباع للثقلين، ولكن مدارسنا الدينية خالية من تدريس الثقلين! والتفقة يقوم على مذاكرة أصول الفقه العامية والعلوم العقلية والرجال ويتبارزون بينهم في النوادي العلمية بالأبرع في ذلك!

(١) تحف العقول - المحسن بن علي ابن شعبة الحرااني - الحرااني - ص ١٧٤ .

(٢) الأصول ستة عشر - أصل جعفر الحضرمي - ص ٧٩ .

فالتفقه على منهجهم عليهم السلام لا يكون بالدعوى الخالية من المضمون، بل بالتمسك الحقيقى، والغريب أنا نبَّكت العامة انهم لا يكفيهم حب أهل البيت بلا أن يتمسكون بهم بالشكل والمضمون مع الثقل الأكبر، ومصداق التمسك هو التسليم لهم بكل شيء! لكننا نترك علومهم في الحديث ونأتي بقواعد ليست من حديثهم وعلوم ليست من الإسلام في شيء لتدرس في مدارسنا الدينية!

مبادئ التفقة على المنهج العلوي:

يقوم التفقة العلوي على أنَّ الأخذ والتلقى يكون عن أهل البيت عليهم السلام قرآنًا وسنة، فقط، بلا تنطع على غيرنا من مذاهب الضلال والبدع لأنَّه لا يأخذ منهم (العلم) الفلاسي أو القاعدة الفلانية.

فقد قسم الله (الحكم) في القرآن إلى قسمين: حق وباطل، ونسب الحكم الحق إليه سبحانه والباطل إلى الناس فقال تعالى:

﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقْصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ الأنعام (٥٧)

وقال تعالى:

﴿ثُمَّ رُدُوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ الأنعام (٦٢)

وقال تعالى:

﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يوسف (٤٠)

وقال تعالى:

﴿إِنَّ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ يوسف (٦٧)

وقال تعالى:

﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ القصص (٧٠)

وقال تعالى:

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقَنُونَ﴾
المائدة (٥٠)

فالحكم لله فقط وهو يؤتى من يشاء، وحكمه لا يؤتى إلا للمعصوم:

كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آتَيْنَاكُمُ الْحُكْمَ صَبِّرُوا﴾ مريم (١٢)

وقال عن حكم الناس:

﴿قُلْ هَلْ مِنْ شَرِّ كَائِنُوكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحُقْقَ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحُقْقِ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ يومن (٣٥)

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (١٥٤) الصافات

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (٣٦) القلم

فحكم الناس وبشكل مستمر لا يرضي الله تعالى، لكونه نابع منهم، وهم مخلوقات قاصرة ناقصة، لا تستطيع أن تأتي بالخير لأنفسها إن هي خلقت

ونفسها فكيف تأتي بالخير لغيرها ومجتمعاتها؟!

روى الشيخ الكليني في الكافي: عن عبد العزيز بن مسلم، عن الإمام الرضا عليه السلام - في حديث - قال فيه:

((إن الأنبياء والأئمة (صلوات الله عليهم) يوفقهم الله ويؤتىهم من مخزون علمه وحكمه ما لا يؤتى به غيرهم، فيكون علمهم فوق علم أهل زمانهم في قوله تعالى: (أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْنَ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ))^(١)

ويقول معصومهم عليه السلام:

((الحكم حكمان: حكم الله، وحكم الجاهلية، فمن أخطأ حكم الله حكم بحكم الجاهلية))^(٢).

وحيثما يصدق بعضه ببعض، يقول عليه السلام:

((كُلُّ عِلْمٍ لَمْ يُخْرُجْ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ فَهُوَ باطِلٌ))^(٣)

الدين مفوض للمعصوم فقط:

فكل علم شرعي خرج من غير المسلمين أو من المسلمين سنة وشيعة ليس منسوباً بصلة واضحة اليهم عليهم السلام فهو باطل كائناً من كان الآتي به! وهذا يعني

(١) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني ج ١ ص ٢٠٣.

(٢) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني ج ٧ ص ٤٠٧.

(٣) المحتضر - حسن بن سليمان الحلبي - ص ١٥.

انهم تركوا من الحكم ما يستغني به الناس بلا ريب، ولو لا ذلك لم يحصروا العلم بهم، لذلك تراهم:

أمرؤنا بعدم التكذيب بالحديث المنسوب لهم، بل بردّه اليهم إذا لم نحتمله:

فقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام: ((إن حديثنا صعب مستصعب لا يؤمن به إلا ملك مقرب أونبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان فما عرفت قلوبكم فخذوه وما أنكرت فردوه إلينا))^(١)

ويقول المعصوم عليه السلام: ((إذا سمعتم من حديثنا مالا تعرفون فردوه إلينا وقفوا عنده، وسلموا حتى يتبين لكم الحق، ولا تكونوا مذاييع عجلة، إلينا يرجع الغالي وبيننا يلحق المقصّ الذي يقصر بحقنا. من تمسّك بنا لحق، ومن سلك غير طريقتنا غرق. لمحبينا أفواج من رحمة الله، ولبغضينا أفواج من غضب الله، وطريقنا القصد وفي أمرنا الرشد.))^(٢).

وروى عن عبيد بن زرار، عن رجل لم يسمّه أنه سأّل أبا عبد الله عليه السلام: رجالن تدارئا في شيء فقال أحدهما: أشهد أن هذا كذا وكذا برأيه، فوافق الحق، وكف الآخر فقال: القول قول العلماء؟ - فقال: هذا أفضل الرجالين أو قال: أورعهما.^(٣)

(١) الأصول الستة عشر - أصل جعفر الخضرمي - ص ٦١.

(٢) الخصال - محمد بن علي بن الحسين الصدوق - ص ٦٢٧.

(٣) المحسن - أحمد بن محمد البرقي - ص ٢١٢.

وعن سدير قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: إني تركت مواليك مختلفين يتبرأ بعضهم من بعض قال: فقال: وما أنت وذاك، إنما كُلُّ الناس ثلاثة: معرفة الأئمة، والتسليم لهم فيما ورد عليهم، والرد إليهم فيما اختلفوا فيه ^(١).

و عن جميل بن دراج عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن من قرّة العين التسليم إلينا، وأن تقولوا الكل ما اختلف عنا: أن ترددوا إلينا ^(٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: تدرى بما أمروا؟! أمروا بمعرفتنا والرد إلينا والتسليم لنا ^(٣).

وعن أبي الصباح الكناني الخيري قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: إننا نتحدث عنك بحديث فيقول بعضنا: قولنا، قوله. قال: فما تريده؟! أتريد أن تكون إماما يقتدى بك؟! من ردّ القول إلينا فقد سلم ^(٤).

وعن زيد الشحام عن عبد الله عليه السلام قال: قلت له: إن عندنا رجلا يقال له كليب، لا يجيء عنكم شيء إلا قال: أنا أسلم، فسمّيَناه كليب تسليم.

قال: فترحّم عليه، (ثلاثا) ثم قال: أتدرون ما التسليم؟ فسكتنا، فقال: هو والله الإِخْبَات، يقول الله عزوجل: ((الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأختبوا إلى ربهم)) ^(٥).

(١) الأنوار الساطعة في شرح الزيارة الجامعة - عباس الكربلائي - ج ٤ - ص ٣٨٨.

(٢) بصائر الدرجات - محمد بن حسن الصفار - ص ٥٤٥.

(٣) الرواية وسابقتها: بصائر الدرجات - محمد بن حسن الصفار - ص ٧٦.

(٤) بصائر الدرجات - محمد بن حسن الصفار ص ٥٤٥.

(٥) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني ج ١ ص ٣٩١ باختلاف يسير.

و عن عبد الرحمن بن كثير قال كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل عليه مهزّم، فقال له: جعلت فداك أخبرني عن هذا الأمر الذي نتظر، متى هو؟ فقال: يا مهزّم كذب الواقتون وهلك المستعجلون ونجا المسلمين^(١).

عن عبدالله الكاهلي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: لو أن قوما عبدوا الله وحده لا شريك له وأقاموا الصلاة وآتوا الزكوة وحجّوا البيت وصاموا شهر رمضان ثم قالوا الشيء صنع الله أو صنعه رسول الله عليه السلام: ألا صنع خلاف الذي صنع؟! أو وجدوا ذلك في قلوبهم لكانوا بذلك مشركين، ثم تلا هذه الآية ﴿فَلَا وَرَبَّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء ٦٨) ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: عليكم بالتسليم.^(٢)

وروى الصفار عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال:

الفضل لمحمد صلوات الله عليه وآله وسلامه وهو المقدم على الخلق جميعا لا يتقدمه أحد، وعلى عليه السلام المتقدم من بعده والمتقدم بين يدي علي عليه السلام كالمتقدم بين يدي رسول الله عليه السلام وكذلك يجري للأئمة من بعده واحدا بعد واحد جعلهم الله أركان الأرض أن تميد بأهلها ورابطيه على سبيل هداه لا يهتدى هادٍ من ضلاله إلا بهم ولا يصل خارج من هدى إلا بتقصير عن حقهم، وأمناء الله على ما اهبط الله من علم أو عذر أو نذر، وشهاداته على خلقه والحجّة البالغة على من في الأرض، جرى لأخرهم من الله مثل الذي أوجب لأولهم، فمن اهتدى بسبيلهم وسلم لأمرهم فقد استمسك

(١) الإمامية والتبصرة من الحيرة - علي بن الحسين القمي - ص ٣٩.

(٢) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - ج ١ - ص ٣٩١ باختلاف يسير.

بحبل الله المتي وعروة الله الوثقى ولا يصل إلى شيء من ذلك إلا بعون الله^(١).

وعن إبراهيم بن أبي محمود، عن الرضا^{عليه السلام}. في حديث طويل - قال: أخبرني أبي، عن آبائه، عن رسول الله^{صلوات الله عليه وسلم}، قال: من أصغى إلى ناطق فقد عبه، فإن كان الناطق عن الله فقد عبد الله، وإن كان الناطق عن إبليس فقد عبد إبليس - إلى أن قال: - يا ابن أبي محمود! إذا أخذ الناس يميناً وشماً لا فالزم طريقتنا، فإنه من لزمنا لزناه، ومن فارقنا فارقناه، فإن أدنى ما يخرج به الرجل من الإيمان أن يقول للحصاة: هذه نواة، ثم يدين بذلك، ويبراً من خالقه، يا ابن أبي محمود! احفظ ما حدثتك به، فقد جمعت لك فيه خير الدنيا والأخرة^(٢).

فهذا خير الدنيا والآخرة! وهو ما كنا نبغى! ((إذا أخذ الناس يميناً وشماً لا فالزم طريقتنا)) فهل لزمنا طريقتهم؟! أم قمنا بتغييرها والإدخال عليها من أصول الشافعي وفلسفة أفلاطون وابن سينا ورجال البخاري والرامهرمزي وغيرهم من الصالحين؟!

و عن أبي إسحاق النحوي قال: دخلت على أبي عبد الله^{عليه السلام} فسمعته يقول: إن الله عز وجل أدب نبيه على محبته فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (سورة القلم ٤) ثم فوض إليه فقال عز وجل: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَأَنْتُهُوا﴾ (سورة الحشر ٧) وقال عز وجل: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (سورة النساء ٨٠) قال: ثم قال وإن نبي الله فوّض إلى عليٍّ وائتمنه فسلمتكم

(١) بصائر الدرجات - محمد بن حسن الصفار - ص ٢٢٠.

(٢) وسائل الشيعة - الحرس العاملية - ج ٥ - ص ١٢٩.

وجحد الناس، فوالله لنحربكم أن تقولوا إذا قلنا، وأن تصمتو إذا صمتنا، ونحن فيما بينكم وبين الله عز وجل، ما جعل الله لاحد خيرا في خلاف أمرنا.^(١)

فانتبه لقوله ﷺ: ((فوالله لنحربكم أن تقولوا إذا قلنا، وأن تصمتو إذا صمتنا، ونحن فيما بينكم وبين الله عز وجل، ما جعل الله لاحد خيرا في خلاف أمرنا)) فهل الخير فيمن خالفهم من ابتدعوا علم الرجال والفلسفة والمنطق والأصول العقلية؟ وهل الخير في اتباع المخالفين في هذه الآراء المخترعة وترك أهل البيت ﷺ؟

فالواجب: ان نصمت إذا صمتو وأن نقول إذا قالوا.

و عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ يَقْرِفْ حَسَنَةً نَّرِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ (سورة الشورى ٢٢) قال: الاقتراف التسليم لنا والصدق علينا وألا يكذب علينا^(٢).

وعن كامل التمار قال: قال أبو جعفر عليه السلام ((قد أفلح المؤمنون)) أتدرى من هم؟ قلت: أنت أعلم!

قال: قد أفلح المؤمنون المسلمين، إن المسلمين هم النجباء، فالمؤمن غريب فطوبى للغرباء.

(١) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - ج ١ - ص ٢٦٥ .

(٢) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - ج ١ - ص ٣٩١ .

وفي لفظ آخر: يا كامل: إن المسلمين هم النجباء، يا كامل: إن الناس أشباه
الغنم إلا قليل من المؤمنين، والمؤمنون قليل^(١).

فهل التسليم لهم هو ترك طريقهم واتباع طرائق غريبة على منهجهم طالما
عاصرها المعصوم وحذر منها ومن حملتها ووصفهم بالضلال والمرور؟!

فلما كان الناس أشباه الغنم! وهذا يقتضي انهم سيكونون سهلي الانقياد
للرايات الضالة، قام أهل البيت عليهم السلام بترك تراث كبير حول ضرورة التسليم
لهم لا لغيرهم، لكون الناس تتبع كل من رفع راية (هدى أو ضلال)
فكـل هذه الوصايا بالتسليـم لهم لا لغيرـهم لكونـ الأمر كما قـالت الصـديـقة
الزـهرـاء عليـها السلام ((وـطـاعـتـنا نـظـاماً لـلـمـلةـ، وـإـمـامـتـنا لـمـا لـلـفـرـقـةـ))^(٢) لـذـلـكـ فيـ كـلـ زـمانـ
إـمامـ وـاحـدـ لـكـنـ لـوـ لمـ يـسـلـمـ النـاسـ وـجـعـلـواـ طـاعـتـهـمـ لـغـيرـ المـعـصـومـ فـسـتـكـونـ
المـعـادـلـةـ كـمـ قـالـتـ الصـدـيقـةـ الزـهرـاء عليـها السلام ((وـإـلاـ فـأـبـشـرـوـ بـمـا تـجـنـيـ أـيـديـكـمـ، وـبـسـخـطـ
صـاحـبـ الزـمـانـ عـلـيـكـمـ))^(٣) وـهـذـاـ مـاـ حـصـلـ بـشـكـلـ دـقـيقـ!

الفقهاء و تيه الشيعة في عصر الغيبة الطويلة:

والتنطّع على المذاهب الضالة والأخذ منهم من قبل (المتشيعة) ما أخبر عنه
المعصومون في روایات عديدة:

(١) الأصول ستة عشر - أصل عاصم الحنّاط.

(٢) دلائل الإمامة - محمد بن جرير الطبرى (الشيعي) - ص ١١٣.

(٣) مختصر مفيد - مرتضى العاملى - ج ١١ - ص ٢١٣.

ففي رواية السيد عبد العظيم بن عبد الله الحسني رضي الله عنه، عن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، عن أبيه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال:

لللقاء منا غيبة أمدها طويل كأني بالشيعة يحولون جولان النعم في غيته،
يطلبون المرعى فلا يجدونه، ألا فمن ثبت منهم على دينه ولم يقس قلبه لطول أمد
غيبة إمامه فهو معه في درجتي يوم القيمة....⁽¹⁾

فلم هذا ((الجولان)) وهو البحث عن المراعي والمغضوم يصرّح بانه زعيم بنجاتهم إن ثبتوا على ما هم عليه من الاخذ بحديثهم! الم يتذكرنا النبي عليه وآل الصلاة والسلام على السمححة الحنفية البيضاء ليتها كنها رها؟! نعم عند غيرنا فالجولان امر طبيعي لأنهم بنوا أمرهم على غير أساس فصار منه الالتباس! ثم قارن بين هذا الحديث الذي يتكلم عن جوّلان النّعْم وبين ما رواه عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول:

((كل من دان الله عز وجل بعبادة يجهد فيها نفسه ولا إمام له من الله فسيعيه غير مقبول، وهو ضال متحير والله شانع لأعماله، ومثله كمثل شاة ضلت عن راعيها وقطيعها، فهجمت ذاهبة وجائمة يومها، فلما جنها الليل بصرت بقطيع غنم مع راعيها، فحنت إليها واغترت بها، فباتت معها في مربضها فلما أُنكرت راعيها وقطيعها، فهجمت متحيرة تطلب راعيها ساق الراعي قطيعه))

وقطيعها، فبصرت بعنم مع راعيها فحنت إليها واغترت بها فصاح بها الراعي:
الحقي براعيك، وقطيعك فأنت تائهة متحيرة عن راعيك وقطيعك، فهجمت
ذعرة، متحيرة، تائهة، لا راعي لها يرشدها إلى مرعاها أو يردها، فيينا هي كذلك
إذا اغتنم الذئب ضياعتها، فأكلها.....))^(١)

فهل هو الجَوَانِ لنفس القطيع التائه؟!

وهو جَوَانِ التائهيْنِ الذي جعل البعض يترك علومهم بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ فصاروا
يرقّعون كلامهم بالرأي والاستحسان واستيراد علوم الكفرة من الفلسفة
والتصوّف والآراء الباطلة والمقاييس وغيرها مما احتاجوا إليه كون سلاطينهم
منعوهم من كتابة السنة لقرن ونيف، أمّا أمرُنا ف مختلف، فأصحاب النبي من
شيعة علي كانوا يكتبون وعلي عَلٰى اللّٰهِ تَعَالٰى أَعْلَمُ بِمَا يَنْهٰى وأصحابه كانوا يكتبون، لذا فهم نصحوا
لشيعتهم وفي وقت مبكر لكتابه الكتب والحفظ عليها بخلاف العامة الضالّة
الذين نهى طواغيتهم عن كتابة الحديث:

فعن عبيد بن زرار قال: قال أبو عبد الله عَلٰى اللّٰهِ تَعَالٰى أَعْلَمُ بِمَا يَنْهٰى: احتفظوا بكتبكم فإنكم سوف
تحتاجون إليها.^(٢)

فبدأت مسيرة كتابة العلم منذ عهد النبي عليه وآلـهـ الصلاة والسلام فترى أن
علي عَلٰى اللّٰهِ تَعَالٰى أَعْلَمُ بِمَا يَنْهٰى كتب الجامعة في زمانه:

(١) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - ج ١ - ص ٣٧٥.

(٢) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - ج ١ - ص ٥٢.

فعن الحسين بن أبي العلاء قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: عندي الجفر الأبيض، قال: قلنا: وأي شيء فيه؟

قال: فقال لي: زبور داود وتوراة موسى وإنجيل عيسى وصحف إبراهيم والحلال والحرام ومصحف فاطمة ما أزعم أن فيه قرآنًا، وفيه ما يحتاج الناس إلينا ولا نحتاج إلى أحد حتى أن فيه الجلد، ونصف الجلد، وثلث الجلد وربع الجلد وأرش الخدش.^(١)

وعن أبي بصير قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت له: اني أسئلك جعلت فداك عن مسألة ليس فيها أحد يسمع كلامي؟! فرفع أبو عبد الله عليه السلام سترا بياني وبين بيت آخر فاطلع فيه ثم قال: يا أبا محمد: سل عما بدا لك، قال: قلت: جعلت فداك إن الشيعة يتحدثون ، أن رسول الله عليه السلام علم علياً عليه السلام بابا يفتح منه الف باب، قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا أبا محمد علم - والله - رسول الله عليا الف باب يفتح له من كل باب الف باب.

قال: قلت له: والله هذا لعلم!

فنكست ساعة في الأرض ثم قال: إنه لعلم وما هو بذلك، ثم قال يا أبا محمد: وإن عندنا الجامعه وما يدرهم ما الجامعه؟!

قال: قلت: جعلت فداك ، وما الجامعه؟

قال صحيفه طولها سبعون ذراعا بذراع رسول الله عليه السلام، وإملاء من فلق فيه

(١) بصائر الدرجات - محمد بن حسن الصفار - ص ١٧١.

وخطٌ على يمينه فيها كل حلال وحرام وكل شيء يحتاج الناس إليه حتى الأرش في الخدش وضرب بيده إلى فقال: تأذن لي يا أبا محمد؟

قال: قلت: جعلت فداك إنما أنا لك أصنع ما شئت.

قال فغمزني بيده فقال: حتى أرشن هذا كأنه مغضب.

قال: قلت: جعلت فداك هذا والله العلم!

قال: إنه لعلم وليس بذلك ثم سكت ساعة

قال: إن عندنا الجفر وما يدرىهم ما الجfer مسك شاة أو جلد بعير

قال قلت جعلت فداك ما الجfer؟

قال: وعاء أحمر أو ادم أحمر فيه علم النبيين والوصيين.

قلت هذا والله هو العلم.

قال: إنه لعلم وما هو بذلك، ثم سكت ساعة.

ثم قال وان عندنا لمصحف فاطمة ﷺ وما يدرىهم ما مصحف فاطمة؟

قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلت مرات والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد إنما هو شيء أملأها الله وأوحى إليها.

قال قلت: هذا والله هو العلم!

قال إنه لعلم وليس بذلك، قال ثم سكت ساعة.

ثم قال إن عندنا لعلم ما كان وما هو كائن إلى أن تقوم الساعة.

قال قلت جعلت فداك هذا والله هو العلم قال إنه لعلم وما هو بذاك قال
قلت جعلت فداك فأي شيء هو العلم؟

قال ما يحدث بالليل والنهار الأمر بعد الأمر والشيء بعد الشيء إلى يوم
القيمة.^(١)

لذا، ولكونهم كانوا يُرون بعض خواصهم كتبهم التي ورثوها عن أمير المؤمنين ﷺ بإملاء رسول الله ﷺ وأمرهم لهم بجمع الحديث وكتابته وحفظه وبمعاهدته وغريبلته عند الحاجة بقيت من هذه الكتب التي أُلْفَت في زمن المتصوّفين عليهم السلام أربعين كتاب، قال الشهيد الثاني - في شرح دراية الحديث -:

((قد كان استقر أمر المتقدمين على أربعين مصنف لأربعين مصنف، سُمِّوها أصولاً) فكان عليها اعتمادهم ثم تداعت الحال إلى ذهاب معظم تلك الأصول ولحصها جماعة في كتب خاصة تقريراً على المتناول، وأحسن ما جمع منها (الكافي) و (التهذيب) و (الاستبصار) و (من لا يحضره الفقيه)).^(٢).

(١) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - ج ١ - ص ٢٣٩.

(٢) وسائل الشيعة - الحز العاملی - ج ٣٠ ص ٢٠١.

ويقول الشيخ الصدوق:

((((لا يكون الإيمان صحيحاً من مؤمن إلا من بعد علمه بحال من يؤمن به كما قال الله تبارك وتعالى ﴿إِلَّا مَنْ شَهَدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(١) فلم يوجب لهم صحة ما يشهدون به إلا من بعد علمهم ثم كذلك لن ينفع إيمان من آمن بالمهدي القائم ﷺ حتى يكون عارفاً بشأنه في حال غيبته و ذلك أن الأئمة عليهم السلام قد أخبروا بغيبته عليه السلام وصفوا كونها لشيعتهم فيما نقل عنهم واستحفظ في الصحف ودون في الكتب المؤلفة من قبل أن تقع الغيبة بهاتي سنة أو أقل أو أكثر فليس أحد من أتباع الأئمة عليهم السلام إلا وقد ذكر ذلك في كثير من كتبه وروياته ودونه في مصنفاته وهي الكتب التي تعرف بـ((الأصول)) مدونة مستحفظة عند شيعة آل محمد عليه السلام من قبل الغيبة بما ذكرنا من السنين وقد أخرجت ما حضرني من الأخبار المسندة في الغيبة في هذا الكتاب في مواضعها فلا يخلو حال هؤلاء الأتباع المؤلفين للكتب أن يكونوا علموا الغيب بما وقع الآن من الغيبة فألفوا ذلك في كتبهم ودونوه في مصنفاتهم من قبل كونها وهذا محال عند أهل اللب و التحصيل أو أن يكونوا قد أنسسوها في كتبهم الكذب فاتفق الأمر لهم كما ذكروا و تحقق كما وضعوا من كذبهم على بعد ديارهم و اختلاف آرائهم و تباهي أقطارهم و محالهم و هذا أيضاً محال كسبيل الوجه الأول فلم يبق في ذلك إلا أنهم حفظوا عن أنفسهم المستحفظين للوصية عليه السلام عن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه من ذكر الغيبة و صفة كونها في مقام بعد مقام إلى آخر المقامات ما دونوه في كتبهم و

أَلْفُوهُ فِي أَصْوَلِهِمْ وَبِذَلِكَ وَشَبَهِهِ فَلَجَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا
وَإِنْ خَصُومُنَا وَمُخَالِفُنَا مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ الْمُضَلَّةِ قَصَدُوا لِدُفْعِ الْحَقِّ وَعَنَادُهُ بِمَا
وَقَعَ مِنْ غَيْرِهِ صَاحِبُ زَمَانِنَا الْقَائِمُ ﷺ وَاحْتِجَابُهُ عَنْ أَبْصَارِ الْمُشَاهِدِينَ لِيُلْبِسُوا
بِذَلِكَ عَلَىٰ مَنْ لَمْ تَكُنْ مَعْرِفَتُهُ مُتَقْنَةً وَلَا بَصِيرَتُهُ مُسْتَحْكَمَةً.)^(١)

فَالشِّيَعَةُ لَدِيهَا ((الأَصْوَل)) مَتَوَارِثَةُ جِيلٍ بَعْدِ جِيلٍ مِنْذِ عَصْرِ الْأَئِمَّةِ عليهم السلام
وَأَغْلِبُهَا كَتَبَتِ فِي زَمَانِ الْإِمَامِينَ الْبَاقِرِ وَالصَّادِقِ عليهما السلام.

(١) كمال الدين وقام النعمة ص ١٩.

رواة الحديث وعلم المقصوم:

ولما كان هؤلاء الأصحاب متورّعين فقد كانوا يعرضون كتبهم على المقصومين إماماً بعد إمام خشية دخول الخطأ والاشتباه وغير ذلك من آفات الكتابة وخشية الدس والتغيير، فعن أبي حمزة الشمالي قال: قرأت صحيفه فيها كلام زهد من كلام علي بن الحسين عليهما السلام، وكتب ما فيها، ثم أتيت علي بن الحسين عليهما السلام، فعرضت ما فيها عليه فعرفه وصحّحه^(١).

و عن إسماعيل ابن الفضل الهاشمي قال: سألت أبا عبد الله ع عن المتعة فقال: إلَّق عبد الملك بن جريج فسله عنها، فإنْ عنده منها علمًا، فلقيته فأملأ على منها شيئاً كثيراً في استحلالها، فكان فيما روى لي ابن جريج قال: ليس فيها وقت ولا عدد إنما هي بمنزلة الإمام يتزوج منها كم شاء، وصاحب الأربع نسوة يتزوج منها ما شاء بغير ولي ولا شهود، فإذا انقضى الأجل بانت منه بغير طلاق ويعطىها شيءيسير وعدتها حيستان وإن كانت لا تخيض فخمسة وأربعون يوماً، فأتيت بالكتاب أبا عبد الله ع فعرضت عليه فقال: صدق وأقر به قال ابن أذينة: و كان زرارة بن أعين يقول هذا ويختلف أنه الحق ، إلا أنه كان يقول: إن كانت تخيض فحيضة وإن كانت لا تخ媪 فشهر ونصف^(٢).

(١) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - ج ٨ - ص ١٤.

(٢) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - ج ٥ - ص ٤٥١.

و عن الحسن ابن محمد بن الوجناء قال: كتبنا إلى أبي محمد ﷺ نسأله أن يكتب
أو يخرج لنا كتابا نعمل به، فأخرج لنا كتاب عمل، قال الصفواني: تَسْخِّطُه، فقابل
به كتاب ابن خانبه زيادة حروف و نقصان حروف يسيرة، و ذكر النجاشي أن
كتاب عبيد الله بن علي الحلبي عرض على الصادق ﷺ فصَحَّحَه واستحسنه.^(١)

لذلك ولما كان العامة قد منعوا من كتابة الحديث بأمر الطاغية عمر ابن
الخطاب، ومن ثم في زمانبني أمية درجوا على محاولة نقض كلام أهل
البيت ﷺ بكل صورة أمكنتهم، ولما كانت طريقة أصحابهم ﷺ بالعمل بما
في الكتب، أمرتهم بمباينة العامة في طرقيهم بل وجعلوا من مرجحات قبول
الحديث المختلف مخالفته له! وأوصوا وأكثروا في ذلك ومن ذلك:

ما روي عن أبي عبد الله ﷺ في سؤال لأحد أصحابه يقول: قلت: يرد علينا
حديثان: واحد يأمرنا بالأخذ به، والآخر ينهانا عنه؟

قال: لا تعمل بواحد منها حتى تلقى صاحبك فتسأله.

قلت: لا بد أن نعمل بواحد منها!

قال: خذ بما فيه خلاف العامة.^(٢)

وعلة هذا الأمر بمخالفة العامة في الروايات العديدة وردت عن الإمام

الصادق عليه السلام:

(١) راجع تفاصيل ذلك في كتاب (أصحاب الإجماع) من الوسائل - ج ٣٠.

(٢) وسائل الشيعة - المحر العاملي - ج ٢٧ - ص ١٢١.

ففي حديث الأرجاني: يقول الإمام عليه السلام: أتدرى لم أمرتم بالأخذ بخلاف ما تقول العامة؟ فقلت: لا أدرى ، فقال: إن عليها السلام لم يكن يدين الله بدين ، إلا خالفت عليه الأمة إلى غيره، إرادةً لإبطال أمره، وكانوا يسألون أمير المؤمنين عليه السلام عن الشيء الذي لا يعلمهونه، فإذا أفتاهم، جعلوا له ضدًا من عندهم، ليلبسوا على الناس^(١).

وعن محمد بن إسماعيل بن بزيع قال: سألت الرضا عليه السلام عن صلاة طواف التطوع بعد العصر فقال: لا.

فذكرت له قول بعض آبائه إن الناس لم يأخذوا عن الحسن والحسين عليهما السلام إلا الصلاة بعد العصر بمكة؟

فقال: نعم، ولكن إذا رأيت الناس يقبلون على شيء فاجتبه.

فقلت: إن هؤلاء يفعلون فقال، لستم مثلهم.^(٢)

نعم فنحن لسنا مثلهم، فلنا أئمة الهدى وهم أئمة الضلال، فلم نقصد إلى مائتهم الآجن؟!

لذا فالروايات الواردة عنهم أشارت إلى كون بعض المسلمين يظهرون بصورة الخنازير في الحقيقة وما هو إلا لأثر ترك الهدى واتّباع الضلال! فعن أبي بصير قال:

(١) علل الشرائع - محمد بن علي بن الحسين الصدوق - ج ٢ - ص ٥٣١.

(٢) الوافي - الفيض الكاشاني - ج ١٣ - ص ٩١١.

حجّجت مع أبي عبد الله ﷺ فلما كنا في الطواف، قلت له جعلت فداك يا بن رسول الله يغفر الله لهذا الخلق؟

فقال يا أبا بصير إن أكثر من ترى قردة وخنازير!

قال: قلت: له أرنهم؟

قال: فتكلم بكلمات ثم أمر يده على بصري فرأيتهم قردة وخنازير فهالني ذلك! ثم أمر يده على بصري فرأيتهم كما كانوا في المرة الأولى.

ثم قال يا أبا محمد:

أنت في الجنة تُحبرون وبين أطباق النار تُطلبون فلا تُوجدون، والله لا يجتمع في النار منكم ثلاثة، لا والله ولا اثنان، لا والله ولا واحد^(١).

اختلاف المناخ الفكري بين مدرسة المعصوم ومدارس الضلال المخالفة:

ولما كان العامة محضور عليهم الكتابة إلى بداية القرن الهجري الثاني ووجود الوضع الكبير في الروايات التي يروونها وجود النصارى المسلمين واليهود المنافقين تاهت مدرسة العامة في متأهات وضع السلاطين ومن قربوهم من فقهائهم وأذنابهم، وعندما بدأوا يقيّدون الحديث في الكتب اخترعوا بعض العلوم لسد الفجوة الضخمة بين الحاجة إلى الأحكام الشرعية وبين حجم الحديث المتناقض المختلف وما بين النقص في الأدلة الشرعية، إضافة لكثره

(١) بصائر الدرجات - محمد بن حسن الصفار - ص ٢٩٠

الاتجاهات الفكرية في القرن الثاني الهجري فوضعوا علوماً لتمييز ما يظنونه صحيحاً عن غيره، وهذه العلوم قائمة طبعاً على حاجتهم الضيقة المؤطرة بمخالفة أئمة أهل البيت عليهم السلام، ومن لم يرق له هذا المسلك منهم، ابتدع مبدأ الرأي كأبى حنيفة وربيعة الرأي، ولما كان الدين يأتي بالتلقي ولا شيء أخطر عليه من القول بالرأي، ترك أهل البيت لشيعتهم تراثاً كبيراً ينهى عن القول بالرأي بشكل يتناسب مع خطورة الموقف الذي سلكته مدارس الضالين ومنذ عصر غاصبي الخلافة الأوائل، ومن هذه الأحاديث:

وقال أمير المؤمنين عليه السلام:

((يا معاشر شيعتنا المنتحلين لموتنا إياكم وأصحاب الرأي، فإنهم أعداء السنن تفلّت منهم الأحاديث أن يحفظوها، وأعیتهم السنة أن يعوها، فاتّخذوا عباد الله خولاً، وما له دُولاً، فذلت لهم الرقاب، وأطاعهمخلق أشباه الكلاب، ونازعوا الحق أهله وتمثلوا بالأئمة الصادقين عليهم السلام، وهم من الكفار الملائين، فسئلوا فأنفوا أن يعترفوا بأنهم لا يعلمون فعارضوا الدين بآرائهم، فضلوا وأضلّوا، أما لو كان الدين بالقياس لكان باطن الرجلين أولى بالمسح من ظاهرهما)).^(١).

وما ورد عن معاوية بن شريح، قال: شهدت أبا عبد الله عليه السلام في مسجد الخيف وهو في حلقة فيها نحو من مائتي رجل فيهم عبد الله بن شُبرمة فقال: يا أبا عبد الله إنا نقضي بالعراق فنقضي ما نعلم من الكتاب والسنة وترد

علينا المسألة فنجهد فيها بالرأي ! قال: فأنصت الناس جميع من حضر للجواب وأقبل أبو عبد الله عليه السلام على من على يمينه يحدثهم، فلما رأى الناس ذلك أقبل بعضهم على بعض وتركوا الإنصات.

قال: ثم تحدثوا ما شاء الله، ثم إن ابن شبرمة قال: يا أبا عبد الله إِنَّا قضاة العراق وإنَّا نقضي بالكتاب والسنَّة وإنَّه ترد علينا أشياء نجهد فيها بالرأي !

قال: فأنصت جميع الناس للجواب وأقبل أبو عبد الله عليه السلام على من على يساره يحدثهم، فلما رأى الناس ذلك أقبل بعضهم على بعض وتركوا الإنصات، ثم إن ابن شُبَرْمَةَ مَكَثَ مَا شاءَ اللَّهُ ثُمَّ عَادَ لِمُثْلِ قَوْلِهِ، فَأَقْبَلَ أَبُو عبدَ اللَّهِ عليه السلام فَقَالَ: أَيْ رَجُلٌ كَانَ عَلَيْ بْنَ أَبِي طَالِبٍ؟ فَقَدْ كَانَ عِنْدَكُمْ بِالْعَرَاقِ وَلَكُمْ بِهِ خَبْرٌ، قَالَ: فَأَطْرَاهُ ابْنُ شُبَرْمَةَ وَقَالَ فِيهِ قَوْلًا عَظِيمًا، فَقَالَ لَهُ أَبُو عبدَ اللَّهِ عليه السلام: إِنَّ عَلِيًّا أَبِي أَنْ يُدْخِلَ فِي دِينِ اللَّهِ الرَّأْيِ وَأَنْ يَقُولَ فِي شَيْءٍ مِّنْ دِينِ اللَّهِ بِالرَّأْيِ وَالْمَقَائِيسِ.

فَقَالَ أَبُو سَاسَانَ: فَلِمَا كَانَ اللَّيلَ دَخَلَتْ عَلَيْ أَبِي عبدَ اللَّهِ عليه السلام فَقَالَ لَيْ: يَا أَبَا سَاسَانَ لَمْ يَدْعُنِي صَاحِبُكُمْ ابْنُ شُبَرْمَةَ حَتَّى أَجْبَتْهُ، ثُمَّ قَالَ: لَوْ عَلِمَ ابْنُ شُبَرْمَةَ مِنْ أَيْنَ هَلَكَ النَّاسُ مَا دَانَ بِالْمَقَائِيسِ وَلَا عَمِلَ بِهَا ^(١).

وَعَنْ طَلْحَةِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَبِي عبدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: لَا رَأْيَ فِي الدِّينِ ^(٢).

(١) المحسن - أحمد بن محمد البرقي - ج ١ - ص ٢١١.

(٢) وسائل الشيعة - الحرس العاملية - ج ٢٧ - ص ٥١.

وعن محمد بن حكيم، قال: قلت لأبي عبد الله ﷺ: إن قوماً من أصحابنا قد تفهوا وأصابوا على ورووا أحاديث غير عليهم شيء فيقولون فيه برأيهم؟

فقال: لا، وهل هلك من مضى إلا بهذا وأشباهه ^{(١)؟!}.

و عن محمد بن حكيم، قال: قلت لأبي الحسن موسى بن جعفر ع: جعلت فداك فقهنا في الدين وأغنانا الله بكم عن الناس حتى أن الجماعة منا لتكون في المجلس ما يسأل رجل صاحبه يحضره المسألة ويحضره جوابها منا، من الله علينا بكم، فربما ورد علينا شيء لم يأتنا فيه عنك ولا عن آبائك شيء فننظر إلى أحسن ما يحضرنا وأوفق الأشياء لما جاءنا عنكم فنأخذ به؟

فقال: هيئات هيئات! في ذلك والله هلك من هلك يا ابن حكيم ثم قال: لعن الله أبا حنيفة يقول: قال علي وقلت، وقال محمد بن حكيم لهشام بن الحكم: والله ما أردت إلا أن يرخص لي في القياس ^{(٢)!}.

و عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله ﷺ: يرد علينا أشياء ليس نعرفها في كتاب ولا سنة فننظر فيها؟ فقال: لا، أما إنك إن أصبت لم تؤجر، وإن أخطأت كذبت على الله ^(٣).

و عن محمد بن حكيم قال: قلت لأبي الحسن ع: إنا نتلاقى فيما بيننا فلا يكاد يرد علينا شيء إلا وعندنا فيه شيء وذلك شيء أنعم الله به علينا بكم، وقد

(١) المحسن - أحمد بن محمد البرقي - ج ١ - ص ٢١٢.

(٢) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - ج ١ - ص ٥٦.

(٣) المحسن - أحمد بن محمد البرقي - ج ١ - ص ٢١٣.

يرد علينا الشيء وليس عندنا فيه شيء وعندها ما يشبهه فنقيس على أحسنها؟
 فقال: لا، وما لكم وللقياس، ثم قال: لعن الله أبا فلان، كان يقول: قال علي
 وقلت، وقالت الصحابة وقلت، ثم قال: كنت تجلس إليه؟ - قلت: لا ولكن
 هذا قوله، فقال أبو الحسن عليه السلام: إذا جاءكم ما تعلمون فقولوا، وإذا جاءكم ما لا
 تعلمون فيها (ووضع يده على فمه) فقلت: ولم ذاك؟ - قال: لأن رسول الله صلوات الله عليه وسلم
 أتى الناس بها اكتفوا به على عهده وما يحتاجون إليه من بعده إلى يوم القيمة ^(١).

وعن محمد بن بشر الأسلمي قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام وورقة يسأله
 فقال له أبو عبد الله عليه السلام: أنتم قوم تحملون الحلال على السنة ونحن قوم نتبع على
 الأثر. ^(٢)

و عن علي بن جعفر قال: حدثني معتب أو غيره قال: بعث عبد الله ابن
 الحسن إلى أبي عبد الله عليه السلام يقول لك أبو محمد: أنا أشجع منك، وأنا أسخن
 منك، وأنا أعلم منك. فقال لرسوله: أما الشجاعة: فوالله ما كان لك موقف
 يعرف فيه جبنك من شجاعتك.

وأما السخاء: فهو الذي يأخذ الشيء من جهته فيضعه في حقه.

وأما العلم: فقد أعتق أبوك علي بن أبي طالب عليه السلام ألف مملوك، فسمّ لنا خمسة
 منهم، وأنت عالم؟.

(١) المحسن - أحمد بن محمد البرقي - ج ١ - ص ٢١٣.

(٢) المحسن - أحمد بن محمد البرقي - ج ١ - ص ٢١٤.

فعاد إليه، فأعلمته، ثم عاد إليه فقال له: يقول لك: أنت رجل صحفي.

قال له أبو عبد الله ﷺ: قل له: أي والله، صحّف إبراهيم وموسى وعيسى،

ورثتها عن آبائي عليهما السلام^(١).

وعن معاوية ابن عمّار قال: قلت لأبي عبد الله ﷺ: رجل راوية لحديثكم بيت ذلك في الناس، ويُشده في قلوبهم وقلوب شيعتكم، ولعل عابدا من شيعتكم ليس له هذه الرواية أية أفضّل؟ قال: الرواية لحديثنا يشد به قلوب شيعتنا أفضّل من ألف عابد^(٢).

ولكن الأمر ليس بهذه السهولة عند الناس! فكون الأمر نقاًلاً ورواية وعملاً ((بالصحّف)) هو شيء لا يقبله الناس! فكلّ ي يريد أن يكون رأساً!^(٣)

(١) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - ج ٨ - ص ٣٦٤.

(٢) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - ج ١ - ص ٣٣.

(٣) - رجال الكشي: ابن قولويه، عن سعد، عن ابن أبي الخطاب، عن محمد بن سنان، عن المفضل قال: سمعت أبا عبد الله ﷺ يوماً - ودخل عليه الفيض بن المختار فذكر له آية من كتاب الله عز وجل يأوّلها أبو عبد الله ﷺ - فقال له الفيض: جعلني الله فداك ما هذا الاختلاف الذي بين شيعتكم؟ قال: وأي اختلاف يا فيض؟ فقال له الفيض: إني لأجلس في حلقهم بالكوفة فأكاد أن أشك في اختلافهم في حديثهم حتى أرجع إلى المفضل ابن عمر فيوقني من ذلك على ما تستريح إليه نفسي وتطمئن إليه قلبي، فقال أبو عبد الله ﷺ: أجل هو كما ذكرت يا فيض إن الناس أولعوا بالكذب علينا، إن الله افترض عليهم لا يريد منهم غيره، وإنني أحدث أحدهم بال الحديث فلا يخرج من عندي حتى يتأنله على غير تأويله، وذلك أنهم لا يطلبون بحديثنا وبحبنا ما عند الله، وإنما يطلبون الدنيا وكل يحب أن يُدعى رأساً!!، إنه ليس من عبد يرفع نفسه إلا وضعه الله، وما من عبد وضع نفسه إلا رفعه الله وشرفه، فإذا أردت حديثنا فعليك بهذا الجالس - وأوّلما بيده إلى رجل من أصحابه - فسألت أصحابنا عنه، فقالوا: زراة بن أعين.(بحار الأنوار - محمد باقر المجلسي ج ٢ ص ٢٤٦).

لذلك مدح الأئمة عليهم السلام التسليم، يقول المعصوم عليه السلام:

((ولكن الرجل، كل الرجل، نعم الرجل هو الذي جعل هواه تبعاً لأمر الله، وقواه مبذولة في رضي الله، يرى الذل مع الحق أقرب إلى عز الأبد من العز في الباطل، ويعلم أن قليل ما يحتمله من ضرائهما يؤديه إلى دوام النعيم في دار لا تبيد ولا تنفد، وإن كثير ما يلحقه من سرائهما إن اتبع هواه يؤديه إلى عذاب لا انقطاع له ولا يزول، فذلكم الرجل نعم الرجل، فيه فتمسکوا، وبستته فاقتدوا، وإلى ربكم به فتوسلوا، فإنه لا ترد له دعوة، ولا تخيب له طلبة.))^(١)

والغريب من فقهائنا الذين ألفوا كتاباً بلا أن يضطرهم التفقه والمنهج العلوي إلى ذلك وما هي إلا لدفع شبه العامة وتعيرهم لهم ! فأسسوا لمناهج اتّبعهم عليها الناس ، ومن ذلك الفقه التفريعي الذي اضطربهم إلى أصول الفقه والآراء والقياس ، وكل هذا ليثبتوا أن مذهب أهل البيت لا يقلُّ قوة عن مذاهبهم !! وكان بإمكانهم أن يتأسّوا بقول المعصوم عندما عَيْرَه ابن عمّه بقوله: أنت رجل صحفي.

فقال عليه السلام ردًا عليه: أي والله، صحّف إبراهيم وموسى وعيسى، ورثتها عن

آبائي عليهم السلام !

فما أجمل هذا الرد، وما أيسره، وأقل كلفته!

فهل ترى الله جلّ وعلا وأهل البيت عليهم السلام وهم يعلمون علم اليقين صفات

(١) بحار الانوار - محمد باقر المجلسي - ج ٢ - ص ٨٥.

الإِنْسَانُ وَهُوَ الْمُوْصَوْفُ فِي الْقُرْآنِ بِأَنَّهُ ((جَهُولٌ، ضَعِيفٌ، يَئُوسٌ، كَفُورٌ، ظَلَمٌ، كَفَّارٌ، خَصِيمٌ مُبِينٌ، عَجُولٌ، مُعْرَضٌ، قَتُورٌ، جَدِيلٌ، يَئُوسٌ، قَنُوطٌ، كَفُورٌ مُبِينٌ، هَلْوَعٌ، جَزُوعٌ، فِي خَسْرٍ)) وَيَفْوَضُونَهُ بِاخْتِرَاعِ الْآيَاتِ يُسْتَنبَطُ مِنْ خَلَالِهَا الْأَحْكَامُ وَيُوصَلُ بَعْضُهُ بَعْضًا إِلَى النَّجَاهَةِ؟!

فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ الرُّسُلَ وَجَعَلَ وَالْأَوْصِيَاءِ إِذْنَ؟!

التَّحْرِيفُ عَلَى يَدِ النَّخْبَةِ دَائِمًا!

لَذَا، فَلَمْ تَخْلُ دُعَوةُ نَبِيٍّ مِنْ تَحْرِيفٍ مِنْ بَعْدِهِ يَقُولُ بِهَا الْفَقَهَاءُ، وَهَذَا الْأَمْرُ بِلَا إِسْتِنَاءٍ وَفِي كُلِّ الْأَدِيَانِ وَالْمَذاَهِبِ، يُحْرِفُ بَعْضُهُمُ عَنْ عَمَدٍ وَبَعْضُهُمُ عَنْ غَيْرِ عَمَدٍ، وَلَا كَانَتِ الْمَكَانَةُ الْمُدَعَّاةُ لِشَرِيْحَةِ الْفَقَهَاءِ مَكَانَةً سَامِيَّةً فَهُوَ يَكُونُ بِهَا وَكِيلًا عَنِ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ - كَمَا يَعْبُرُونَ هُمْ - تَرَى أَقْسَى الْخَلَافَاتِ وَأَكْثَرُهَا بِؤْسًا وَبِشَاعَةٍ تَدُورُ هُنَا وَسَبِبُهَا الْأَوَّلُ الْحَسْدُ! وَهَذَا لَيْسُ بِغَرِيبٍ فَقَدْ وَرَدَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَعْذِبُ السَّتَّةَ بِالسَّتَّةِ، الْعَرَبُ بِالْعَصِبِيَّةِ، وَالدَّهَاقِنَةُ بِالْكَبْرِ، وَالْأَمْرَاءُ بِالْجُحُورِ، وَالْفَقَهَاءُ بِالْحَسْدِ، وَالْتَّجَارُ بِالْخِيَانَةِ، وَأَهْلُ الرَّسْتَاقِ بِالْجَهَلِ^(۱)!.

لَذَا حَسَدَ فَقَهَاءُ الْمُسْلِمِينَ أَهْلَ الْبَيْتِ عَلَى مَكَانَتِهِمْ، إِذْ جَاءَ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ الْقُرَآنِيَّةِ ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (سُورَةُ النِّسَاءِ ۵۸) قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﷺ (نَحْنُ النَّاسُ الْمَحْسُودُونَ) ^(۲).

(۱) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - ج ۸ - ص ۱۶۳ .

(۲) الأصول ستة عشر - أصل محمد الحضرمي .

ولم يقل من الذي يحسدهم !!

لذا فأمرهم ﷺ صعب على من يتحمله فيجب عليه التسليم والاتباع فقط لا غير، وأئنّى للإنسان الضعيف أن يتحمل أن يكون متّبعاً! فكلُّ ي يريد أن يصبح رأساً!! لذا قال ﷺ: ((إن أمرنا صعب مستصعب، لا يتحمله إلا عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، ولا يعني حديثنا إلا صدور أمنية وأحلام رزينة))^(١).

- وعن جابر: سمعته -والظاهر أن الصمير راجع على الإمام الباقر عليه السلام - يقول: ((إن أمرنا صعب مستصعب على الكافرين لا يقر بأمرنا إلا نبي مرسل أو ملك مقرب أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان))^(٢).

وإذا كان أصحابهم عليهم السلام كل منهم يريد أن يكون رأساً على الباقين والإمام موجود بين ظهرانيهم فكيف بهذا الباب إذا فتح والإمام غائب! لذا لو وجدوا عليهم السلام آلية أخرى للتتفقّه خيراً من الاتباع للمعصوم والأخذ منه - فقط - لأمرها.... ولكن هيهات! فهم يعلمون أن الإنسان ضعيف أمام شهواته، أمام نفسه، لذا فطريقه الوحيد في الارتقاء هو في اتباع الإنسان الكامل وهو المعصوم، وأي طريقة يخترعها الإنسان للارتفاع ستبوء بالفشل.

وإذا كانت الغيبة الكبرى عظيمة الفتنة دقيقة المسار حتى ورد فيها عن الإمام الصادق عليه السلام: ((ولتكفّأن كما تكفّأ السفينة في أمواج البحر، لا ينجو إلا من أخذ

(١) نهج البلاغة - جمع الشريف الرضي - ج ٢ - ص ١٢٩ .

(٢) الأصول ستة عشر - أصل جعفر الحضرمي .

الله ميثاقه وكتب الإيمان في قلبه وأيده بروح منه ولترعن اثنتي عشرة راية
مشتبهة لا يدرى أى من أى))^(١)

وإذا كانت الفتنة إلى هذه الدرجة حتى قالوا عنها ((إنه لابد من أن تكون فتنة يسقط فيها كل بطانة ووليفة حتى يسقط فيها من كان يشق الشعر بشعرتين حتى لا يبقى إلا نحن وشيعتنا))^(٢)

ولما كانت الفتنة تبدأ من الرجال وتنتهي بهم كما قال أمير المؤمنين ﷺ :
((نما بدء وقوع الفتنة أهواء تُسع. وأحكام تُبتعد. يخالف فيها كتاب الله.
ويتولى عليها رجالٌ رجالاً على غير دين الله))^(٣)

ولما كانت الفتنة عبارة عن خلط حق بباطل كما قال ﷺ ((فلو أن الباطل خلص من مزاج الحق لم يخف على المرتادين. ولو أن الحق خلص من لبس الباطل لانقطعت عنه ألسن المعاندين ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان، فهناك يستولي الشيطان على أوليائه وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنة))^(٤)

فقوتهم (شيعتنا) وهم (من سبقت لهم من الله الحسنة) وأحدهم (عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، ولا يعي حديثنا إلا صدور أمينة وأحلام رزينة) فهو أمر

(١) الإمامة والتبصرة من الحيرة - علي بن الحسين القمي - ص ١٢٦ .

(٢) الغيبة - محمد بن إبراهيم النعmani - ص ٢١٠ .

(٣) نهج البلاغة - جمع الشريف الرضي - ج ١ - ص ٩٩ .

(٤) نهج البلاغة - جمع الشريف الرضي - ج ١ - ص ٩٩ .

معصوم وحديث منقول عن معصوم ومع ذلك لا يحتمله إلا هؤلاء فكيف اذا
ترك المرء لنفسه! وتبعه الناس سواء نقل عن المعصوم أم لم ينقل!
الهلاك يكون في طلب الرئاسة الباطلة:

يقول أمير المؤمنين ﷺ: ((أهلك الناس اثنان: خوف الفقر، وطلب
الفخر.))^(١)

قلت: ومن من الناس يترك لنفسه ولا يريد الفخر على أقرانه!! وبالتالي كيف
سيحفظ الشريعة التي بين يديه من أهوائه وحب استعلائه على غيره؟!

ويقول أمير المؤمنين ﷺ: إنما أهلك الناس خصلتان، هما أهلكتا من كان
قبلكم، وهما مهلكتان من يكون بعدهم،أمل ينسى الآخرة، وهو يُضل عن
السبيل، ثم نزل))^(٢)

قلت: ومن كان معرضاً للهوى فهو معرض الانحراف والزلل! اليس كل
الناس كذلك؟!

إذا علمنا كيف أن الإنسان - غير المعصوم - مخلوق ضعيف جمع كل
الصفات الذميمة التي لا تؤهله لأن يتولى اختراع آليات يوصل الناس بها إلى
الله وإذا ضممنا إلى ذلك النهي عن الترأس وطلب الرئاسة ((ملعون من ترأس،
ملعون من هم بها، ملعون من حدث بها نفسه))^(٣)

(١) الخصال - محمد بن علي بن الحسين الصدوق - ص .٦٩

(٢) مستدرك الوسائل - حسين التورى الطبرسى - ج ٢ - ص ١٠٨

(٣) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - الشیخ الكلینی ج ٢ ص ٢٩٨

فكيف بالرئاسات الدينية وهي صارت اليوم كما أمر الإمامة، يوجبون الطاعة المطلقة على الناس ومن ثم توري ثها للأبناء! فهل يصبر البشر غير المعصوم من غير فتنة؟

روي أبي الحسن عليه السلام أنه ذكر رجلاً فقال: إنه يجب الرئاسة، فقال: ما ذئبان

ضاريان في غنم قد تفرق رعاوتها بأضرر في دين المسلم من الرئاسة ^(١)!

وعن عبد الله بن مسakan قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إياكم وهؤلاء الرؤساء الذين يتّأسون، فوالله ما خفت النعال خلف رجل إلا هلك وأهلك ^(٢).

وعن أبي حمزة الشمالي قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: إياك والرئاسة وإياك أن تطأ أعقاب الرجال، قال: قلت: جعلت فداك أما الرئاسة فقد عرفتها وأما أن أطأ أعقاب الرجال فما في يدي إلا مما وطئت أعقاب الرجال فقال لي: ليس حيث تذهب، إياك أن تنصب رجلاً دون الحجة، فتصدقه في كل ما قال ^(٣).

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: قال لي: ويحك يا أبا الربيع لا تطلبين الرئاسة ولا تكن ذئباً (ذبنا)! ولا تأكل بنا الناس فيفقرك الله ولا تقل علينا ما لانقول في أنفسنا فإنك موقف ومسؤول لا محالة فإن كنت صادقاً صدقناك وإن كنت كاذباً كذبناك ^(٤).

وعن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: أترى لا أعرف

(١) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - ج ٢ - ص ٢٩٧.

(٢) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - ج ٢ - ص ٢٩٧.

(٣) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - ج ٢ - ص ٢٩٨.

(٤) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - ج ٢ - ص ٢٩٨.

خياركم من شراركم؟ بلى والله وإن شراركم من أحب أن يوطأ عقبه، إنه لا بد من كذاب أو عاجز الرأي^(١).

لذا فكل ما مررت به اليهودية قبلنا من انحرافات كان من قبل الأخبار والحاخامات وكل ما مررت به النصرانية من انحراف كان من قبل الرهبان والقساوسة وكل ما مررت به المسلمين كان بسبب السلاطين ومن يقتات على موائدهم من فقهاء السوء، لذا جاء التغليظ بالعقاب لهم إن فعلوها! فعن يونس بن طبيان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: إن الله عز وجل يقول: ويل للذين يختلرون الدنيا بالدين، وويل للذين يقتلون الذين يأمرؤون بالقسط من الناس، وويل للذين يسير المؤمن فيهم بالتقية، أبي يغترون أم علي يجترون، فببي حلفت لأتيحن لهم فتنة ترك الحليم منهم حيران^(٢).

لذا جاءت الوصية عنهم عليهم السلام:

أوحى الله إلى داود عليه السلام: لا تجعل بيني وبينك عالما مفتونا بالدنيا فيصدقك عن طريق محبتي، فإن أولئك قطاع طريق عبادي المریدین، إن أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة مناجاتي عن قلوبهم^(٣).

فكم هم هؤلاء الواصلون - من الفقهاء - لدرجة شبه العصمة، وهل وجد منهم على مر التاريخ؟ ولو وجدته فهل تلقاه في غير المسلمين، الذين في

(١) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - ج ٢ - ص ٢٩٩.

(٢) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني ج ٢ - ص ٢٩٩.

(٣) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني ج ١ - ص ٤٦.

أمرهم عليهم السلام وعلومهم بلا مزج منهم ومن غيرهم!

الطريقة البيضاء:

لذا فأهل البيت رحمة من رحمة، ونور من نور، تركوا طريقة لا تشوبه شائبة ولو شابتة فهي بسوء منها لا منه، وهو طريق اتباع حديثهم فقط ففيه القرآن وفيه السنة لذلك ورد كثيراً عنهم نصيحتهم لشيعتهم بحفظ الحديث، كما في:

حديث الإمام الصادق عليه السلام: اكتبوا فإنكم لا تحفظون حتى تكتبوا^(١)

وحيث أن الإمام الصادق عليه السلام: احتفظوا بكتبكم فإنكم سوف تحتاجون إليها^(٢).

وعن المفضل بن عمر، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: اكتب وبيث علمك في إخوانك، فإن مت فأورث كتبك بنiek، فإنه يأتي على الناس زمان هرج لا يأنسون فيه إلا بكتبهم^(٣).

وعن محمد بن الحسن بن أبي خالد شينولة قال: قلت لأبي جعفر الثاني عليه السلام: جعلت فداك إن مشايخنا رروا عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهم السلام - وكانت التقية شديدة - فكتموا كتبهم ولم تُرو عنهم فلما ماتوا صارت الكتب إلينا فقال: حدثوا بها فإنها حق.^(٤)

(١) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني ج ١ - ص ٥٢.

(٢) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني ج ١ - ص ٥٢.

(٣) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني ج ١ ص ٥٢.

(٤) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني ج ١ ص ٥٣.

وقال أبو عبد الله ﷺ: إياكم والكذب المفترع، قيل له: وما الكذب المفترع؟

قال: أن يحدثك الرجل بالحديث فتتركه وترويه عن الذي حدثك عنه^(١).

هذا فهم ﷺ لم يتركوا أثرا في اتباع غير الحديث، ولو كان: لبانا! لأن النظام العلمي لهم ﷺ قائم على أنهم ملقون، وعلى الناس الاتّباع، فالتلقي من المعصوم فقط هو الحل في نظرهم الشريف - وهو ما يصدقه الواقع المعاش - لاجتياز مخاطر وفتن الغيبة الكبرى، وأي حياد عن طريقتهم ستدخل الناس في نفق مظلم والتباس لا خلاص منه! ولما كان البديل عن الاتّباع لهم هو أن نصب رجالاً يتحكمون في قواعد مخترعة ليست منهم، ولما كان هذا يتنافى مع وصاياتهم العديدة وجذناهم ﷺ تركوا لنا تراثاً لا يأس به يوضح مخاطر ذلك ويأمر باجتنابه ومن ذلك:

ما ورد عن محمد بن عبيدة قال: قال لي أبو الحسن ﷺ، يا محمد أنتم أشد تقليداً أم المرجئة؟ قال: قلت: قلّدنا وقلّدوا!

فقال: لم أسألك عن هذا، فلم يكن عندي جواب أكثر من الجواب الأول!

فقال أبو الحسن ﷺ: إن المرجئة نصبت رجلاً لم تفرض طاعته وقلدوه وأنتم نصبتם رجلاً وفرضتم طاعته ثم لم تقلدوه فهم أشد منكم تقليداً^(٢).

وعن أبي حمزة الشمالي قال: قال لي أبو عبد الله ﷺ: إياك والرئاسة وإياك أن تطأ

(١) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني ج ١ ص ٥٢.

(٢) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني ج ١ ص ٥٣.

أعصاب الرجال، قال: قلت: جعلت فداك أاما الرئاسة فقد عرفتها وأما أن أطا
أعصاب الرجال فما ثلثا ما في يدي إلا مما وطئت أعصاب الرجال فقال لي: ليس
حيث تذهب، إياك أن تنصب رجلا دون الحجة، فتصدقه في كل ما قال^(١).

يقول الشيخ المفید في (تصحیح الاعتقاد): ((والتقليد مذموم باتفاق العلماء
ونص القرآن والسنة... وقال الصادق عليه السلام: ((من أخذ دینه من أفواه الرجال
أزالته الرجال، ومن أخذ دینه من الكتاب والسنة زالت الجبال ولم يزل)).
وقال عليه السلام: (إياكم والتقليد، فإنه من قلد في دینه هلك).

وقال عليه السلام: (من أجب ناطقا فقد عبده، فإن كان الناطق عن الله تعالى فقد
عبد الله، وإن كان الناطق عن الشيطان فقد عبد الشيطان)).^(٢)

والتقليد في الدين يكون في الأخذ برأي غيره غير المستند إلى سماع بشكل
كامل، إذن فالتقليد لا يكون الا للرجل المفترض طاعته من الله وليس من
الناس لذا فقولهم عليه السلام في تفسير الآية القرآنية ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ
أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (التوبه ٣١):

أما والله ما دعوه إلى عبادة أنفسهم، ولو دعوه ما أجابوهم، ولكن أحلووا
لهم حراما، وحرموا عليهم حلالا فعبدوهم من حيث لا يشعرون^(٣).

(١) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني ج ٢ ص ٢٩٨.

(٢) تصحیح الاعتقاد - محمد بن محمد بن النعمان المفید - ص ٧٢.

(٣) المحسن - أحمد بن محمد البرقي - ج ١ ص ٢٤٦.

وفي لفظ آخر ((والله ما صاموا لهم ولا صلوا لهم ولكن أحلوا لهم حراما
وحرموا عليهم حلالا فاتبعوهم))^(١)

يقول المولى المازندراني (رحمه الله تعالى) في شرح حديث الأخبار والرهبان:

((وفيه ذمٌ وتقريع لمن اتَّبع من لم يحكم بما أنزل الله، وقلَّد من لم يكن مؤيًدا
بنور إلهي وموَّفقاً بإلهام رباني، فانظر رحمك الله هل يدخل فيه المجتهد المخطيء
ومن قلَّده ألم لا؟ ومن ذهب إلى الثاني لا بد له من الإتيان بنصٍّ يوجب إخراجهما
عن هذا الحكم))^(٢)

وهذا ما نريد قوله هنا فمن يتبع الفقيه الراوي عن المعصوم لا يتوجه عليه
الإشكال لأنَّه ناطق عن الله - بشرطه وشروطه طبعاً - المشكلة في من يأتي
بطرائق لاستنباط الأحكام الشرعية من الشرق والغرب ثم يقول: هذا من عند
الله!!

فعن جابر بن يزيد عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال ((من دان الله بغير سماع عن
صادق ألممه الله التيه إلى يوم القيمة))^(٣)
ومن هو الصادق؟

هو الذي قال تعالى فيهم:

(١) نفس المصدر.

(٢) شرح أصول الكافي - محمد صالح المازندراني - ج ٢ - ص ٢٣٠.

(٣) وسائل الشيعة - الحرس العاملية - ج ٢٧ - ص ٧٥.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبه ١١٩)

وهم الصادقون بدليل قوله تعالى ﴿نَحْنُ الصَّادِقُونَ﴾ (١) ومن يدخل معهم غيرهم يحتاج الى دليل... وأتى له به؟!!
إلا أن يدين بغير ديننا أو يتبع غير ملتنا!

يقول الشيخ الكليني ((...لأن الشرط عليه من الله أن يؤدي المفروض بعلم وبصيرة ويقين، كيلا يكونوا من وصفه الله فقال تبارك وتعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنَّ أَصَابَهُ خَيْرٌ أَطْمَانَّ بِهِ وَإِنَّ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِين﴾) (١١) لأنه كان داخلاً فيه بغير علم ولا يقين، فلذلك صار خروجه بغير علم ولا يقين، وقد قال العالم رحمه الله:

من دخل في الإيمان بعلم ثبت فيه، ونفعه إيمانه، ومن دخل فيه بغير علم خرج منه كما دخل فيه.

وقال رحمه الله: من أخذ دينه من كتاب الله وسنة نبيه صلوات الله عليه وآلله زالت الجبال قبل أن يزول، ومن أخذ دينه من أفواه الرجال ردّته الرجال.

وقال رحمه الله: من لم يعرف أمرنا من القرآن لم يتنكب الفتن.

ولهذه العلة انبثقت على أهل دهرنا بشوق هذه الأديان الفاسدة، والمذاهب المستشنة التي قد استوفت شرائط الكفر والشرك كلها، وذلك بتوفيق الله

تعالى وخذلانه، فمن أراد الله توفيقه وأن يكون إيمانه ثابتاً «مستقراً»، سبب له الأسباب التي توديه إلى أن يأخذ دينه من كتاب الله وسنة نبيه صلوات الله عليه والآله بعلم ويقين وبصيرة، فذاك أثبت في دينه من الجبال الرواسي، ومن أراد الله خذلانه وأن يكون دينه معاراً مستودعاً - نعوذ بالله منه - سبب له أسباب الاستحسان والتقليد والتأويل من غير علم وبصيرة، فذاك في المشيئة إن شاء الله تبارك وتعالى أتم إيمانه، وإن شاء سلبه إيمانه، ولا يؤمن عليه أن يصبح مؤمناً ويسمى كافراً، أو يسمى مؤمناً ويصبح كافراً، لأنه كلما رأى كبيراً من الكُبراء مال معه، وكلما رأى شيئاً استحسن ظاهره قبله، وقد قال العالم رحمه الله:

إن الله عز وجل خلق النبيين على النبوة، فلا يكونون إلا أنبياء، وخلق الأووصياء على الوصيّة، فلا يكونون إلا أووصياء، وأغار قوماً إيماناً فإن شاء تَمَّمَ لهم، وإن شاء سلبهم إيمانه. قال: وفيهم جرى قوله: ﴿فَمُسْتَقْرٌ وَمُسْتَوْدِعٌ﴾.^(١) لذا فكل حديث ورد في اتباع غير المعصوم - كما يدعون - لم يكن الأمر باتباعه لرأيه وقوله وشخصه، وإنّا فلا قيمة لما يقوله منها كان قوله عظيماً، بل الحجّة كل الحجّة بما ينقله عن المعصوم صلوات الله عليه بلا تأويل وخطب، فيما جاء في التوقيع الشريف الأخير من الإمام الحجّة عجل الله فرجه الشريف ((وأما الحوادث الواقعـة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنـهم حجـتي عليـكم وأنا حـجة الله عليهم)).^(٢)

(١) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - خطبة الكتاب.

(٢) كمال الدين وقام النعمة - محمد بن علي بن الحسين الصدوق - ص ٤٨٤.

فحججيتهم في التوقيع متأتية لكونهم رواة حديث فقط. أي نقلة أخبار فقط ينقلونها ويفهمونها ويدرون عامتها من خاصها وناسخها من منسوخها ومحكمها من مشابهها وذلك حسب ما تركه أهل البيت عليهم السلام في ذلك.

وقوله عليه الصلاة السلام ((أيها الناس قد بيّنت لكم مفزعكم بعدي وإمامكم ودليلكم وهاديكم وهو أخي علي ابن أبي طالب، وهو فيكم بمنزلي ففيكم فقلدوه دينكم وأطیعوه في جميع أموركم ، فإن عنده جميع ما علمني الله تبارك وتعالى وحكمته، فسلوه وتعلّموا منه ومن أوصيائه بعده، ولا تعلّموهم ولا تقدموهم ولا تختلفوا عنهم، فإنهم مع الحق والحق معهم لا يزايلونه ولا يزايلهم))^(١)

(١) كمال الدين وقام النعمة - محمد بن علي بن الحسين الصدوق - ص ٢٧٨ .

التقليد الحق

فهذا هو التقليد الحق، والعلة ذكرها النبي عليه وآلـه الصلاة والسلام ((فقلدوه دينكم وأطیعوه في جميع أموركم)) فالتقليد يستلزم الطاعة في جميع الأمور التي يتکلم فيها المقلد، وهذا ما علمنا انه لا يجوز إلا للمعصوم شخصاً أو أثراً.

وقول المعصوم ﷺ ((فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه مخالفًا على هواه، مطيناً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه، وذلك لا يكون إلا بعض فقهاء الشيعة لا كلهم، فإن من ركب من القبائح والفواحش مراكب علماء العامة فلا تقبلوا منهم عنا شيئاً ولا كرامة، وإنما كثر التخليل فيما يتحمل عنا أهل البيت لذلك، لأن الفسقة يتحملون عنا فيحرفونه بأسره لجهلهم ويضعون الأشياء على غير وجهها لقلة معرفتهم، وأخرون يعتمدون الكذب علينا الحديث))^(١)

قال الشيخ الحر العاملي بعد إيراده الحديث الشريف ((أقول: التقليد المرخص فيه هنا إنما هو قبول الرواية لا قبول الرأي والاجتهاد والظن، وهذا واضح، وذلك لا خلاف فيه)).

فهنا التقليد لمن كانت فيه هذه الصفات واهمها ((مخالفاً هواه)) وهو لا يكون إلا في من اتَّبع النصوص وترك رأيه وسلم لأمرهم ونفيهم، والتزم حدودهم

التي حدّوها ((ما خلق الله حلالا ولا حراما إلا وله حدود كحدود الدار،
فما كان من حدود الدار فهو من الدار، حتى أرش الخدش فما سواه، والجلدة
ونصف الجلدة))^(١)

وحدود هذه الدار لا يعلمها بشكل كامل، ويقول بها بشكل كامل، إلا
المعصوم ﷺ، فمن شاركهم فقد هلك وأهلك.

وقوله ﷺ ((مطينا لأمر مولاهم)) في كل شيء ومنها اتباع الحديث فقط لا
استحداث الرئاسات معهم ﷺ، والتشبّه بهم في القابهم التي اختصّهم الله
بها^(٢).

وقوله ﷺ ((فللعمام أن يقلدوه)) فهو إجازة لمن أراد أن يقلد من يروي
الحديث فقط عنهم ﷺ، وإجازة لاتّباع من يقتضي أثراً لهم فقط ﷺ، لا من
يأتي بآليات وقواعد من الشرق والغرب ليقيم عليها شريعتهم ﷺ!
وهذه الإجازة (للعمام) فلو استطاع المؤمن أن يأخذ حديثهم بشكل مباشر

من المصادر التي يشق بها فلا يقلد أحدا.

وما خلاف ذلك من القاب فزخرف.

(١) النوادر - أبو عيسى الأشعري - ص ١٦١ .

(٢) ك(آية الله العظمى) وهي من مختصات المعصوم في زيارة الإمام أمير المؤمنين ﷺ((السلام عليك
أيها الآية العظمى)) / بحار الأنوار - محمد باقر المجلسي ج ٩٩ ص ٢١ ووردت في زيارة الإمام الباقي
ولقب(حجّة الإسلام) وهي لأمير المؤمنين ﷺ / بحار الأنوار - محمد باقر المجلسي ج ٩٩ ص ٢١ ولقب
(الإمام) وهو من مختصات من يؤمه الناس في كل شيء، وهو مقام المعصوم فقط.

فقوله عليه الصلاة والسلام:

فمن قال: أنا عالم، فهو جاحد^(١).

وما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: من ادعى من العلم غايته، فقد أظهر من جهله

نهايته^(٢)

فهو واضح في اختصاص العلم بهم عليهم السلام ولا يجوز إطلاق صفة (عالم) بشكل مطلق إلا على من يعلم بشكل مطلق، لا على من يعلم شيئاً ويجهل أكثر مما يعلم، كما هم عامة البشر ومنهم الفقهاء، فبمجرد أن يكون الإنسان غير معصوم فستكون عوامل النقص معه شاء أم أبي ووضع أمام اسمه القابا كبيرة أم كتبه مجرداً!

وهذا أمر لا خلاف فيه لذا ترى أن من جمعوا الأصول الأربععائة في كتبهم كلّهم صرّح بصحة ما جمع والخلاف بينهم بعد عملهم بالترجيح المروي عنهم عليهم السلام قليل جداً مبرئ للعامل لكونه عنهم عليهم السلام فقط.

نظرة في مقدمة كتاب (الكافي):

لذا قال صاحب (الكافي) وهو أجل الكتب التي ألفها الشيعة في زمن السفراء الاربعة رضوان الله عليهم:

وقلت: إنك تحب أن يكون عندك كتاب كاف يجمع فيه من جميع فنون علم

(١) مُثْيَةُ الْمَرِيدِ - زَيْنُ الدِّينِ بْنِ عَلِيِّ الْعَامِلِيِّ - ص ١٣٧ .

(٢) الْحَدِيثَانِ: فِي مِيزَانِ الْحِكْمَةِ - الرِّيشَهْرِيِّ - ج ٣ - ص ٢٠٨٩ .

الدين، ما يكتفي به المتعلم، ويرجع إليه المسترشد، ويأخذ منه من يريد علم الدين والعمل به بالآثار الصحيحة عن الصادقين عليهم السلام والسنن القائمة التي عليها العمل، وبها يؤدي فرض الله عز وجل وسنة نبيه صلوات الله عليه وآله، وقلت: لو كان ذلك رجوت أن يكون ذلك سبباً «يتدارك الله تعالى بمعونته وتوفيقه إخواننا وأهل ملتنا ويقبل بهم إلى مراسدهم..... وقد يسر الله - وله الحمد - تأليف ما سألت، وأرجو أن يكون بحث توخيت فمهما كان فيه من تقصير فلم تقتصر نيتها في إهداء النصيحة، إذ كانت واجبة لإخواننا وأهل ملتنا، مع ما رجونا أن تكون مشاركين لكل من اقتبس منه، وعمل بما فيه دهرنا هذا، وفي غابرته إلى انقضاء الدنيا، إذ الرب عز وجل واحد والرسول محمد خاتم النبيين - صلوات الله وسلامه عليه وآلـه - واحد، والشريعة واحدة وحلال محمد حلال وحرامه حرام إلى يوم القيمة»^(١)

وهو صريح في صحة ما نقله في كتابه وتحمّله مسؤوليته أمام الله وهو عمل كتابه في عشرين سنة وجاور متأخر عمره في بغداد للسفير الرابع وبيته يبعد عن بيته عدة مئات من الأمتار! .

وبعمليّة بسيطة نعلم أنّ الشيخ الكليني قد تفرغ يوماً ونصف اليوم لكل حديث واحد نقله وتحقق من ألفاظه، وكونه عموماً به في زمانه تحت أنظار السفراء الأربع لكونه ولد - على الأرجح - في بداية الغيبة الصغرى وتوفي مع

(١) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - خطبة الكتاب.

نهايتها فهو يقول ((مع ما رجونا أن نكون مشاركين لكل من اقتبس منه، وعمل بما فيه دهرنا هذا، وفي غابرته إلى انقضاء الدنيا، إذ رب عز وجل واحد والرسول محمد خاتم النبيين - صلوات الله وسلامه عليه وآله - واحد، والشريعة واحدة وحلال محمد حلال وحرامه حرام إلى يوم القيمة))

فالشيخ الكليني نقل ما عليه عمل الشيعة في زمانه وهو زمان الغيبة الصغرى وجود السفراء الأربع ووجود الكتب المصنفة تحت أنظار الأئمة المعصومين والمسيّاة (الأصول) فهو كتب في كتابه ((السنن القائمة التي عليها العمل، وبها يؤدي فرض الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ وهي شهادة على نقله ما عليه السفراء الأربع افسهم وكل المؤمنين الذين يسرون على خطهم وهو خط الإمام المعصوم لكونه موجود ظاهر لبعض شيعته - وهم السفراء هنا - غائب عن آخرين وكانت أحداث الغيبة الصغرى وسائلات الناس تأتيه ويحكم بها، ويواصل عمل الظاهرين من الأئمة علیهم السلام من تصحيح الكتب الرائجة عند الشيعة فقوله في نهاية الخطبة ((مع ما رجونا أن نكون مشاركين لكل من اقتبس منه، وعمل بما فيه دهرنا هذا، وفي غابرته إلى انقضاء الدنيا، إذ رب عز وجل واحد والرسول محمد خاتم النبيين - صلوات الله وسلامه عليه وآله - واحد، والشريعة واحدة وحلال محمد حلال وحرامه حرام إلى يوم القيمة)) يحكم بأن العمل بكتابه قاطع للعذر لكونه نقل في كتابه فنون الدين من عقيدة وشريعة وهو في زمان السفراء، وبما انه لا تغيير لكتاب الله ولا لنبي جدید بعد خاتم الأنبياء عليه وآلـة الصلاة والسلام ولكون الإمام المهدى عـلـيـهـ السـلامـ سـيـظـلـ منـ عـصـرـهـ

إلى آخر عصر الغيبة الكبرى إذن لا تغيير في السنن القائمة التي عليها العمل!
وهو كلام رائع.

نظرة في مقدمة كتاب (من لا يحضره الفقيه):

والرجل الثاني الذي كتب الكتاب الأهم الثاني هو الشيخ الصدوق وقد قال في خطبة كتابه ((...فذاكريني بكتاب صنفه محمد بن زكرياء المطبي الرازي وترجمه بكتاب «من لا يحضره الطبيب» وذكر أنه شاف في معناه، وسألني أن أصنف له كتاباً في الفقه والحلال والحرام، والشرع والأحكام، موافقاً على جميع ما صنفت في معناه وأترجمه به «كتاب من لا يحضره الفقيه» ليكون إليه مرجعه وعليه معتمده، وبه أخذته، ويشتراك في أجره من ينظر فيه، وينسخه ويعمل بمودعه، هذا مع نسخه لأكثر ما صحبني من مصنفاتي وسماعه لها، وروايتها عنني، ووقفه على جملتها، وهي مائتا كتاب وخمسة وأربعون كتاباً. فأجبته - أadam الله توفيقه - إلى ذلك لأنني وجده أهلاً له، وصنفت له هذا الكتاب بحذف الأسناد لئلا تکثر طرقه وإن کثرت فوائدده، ولم أقصد فيه قصد المصنفين في إيراد جميع ما رأوه، بل قصدت إلى إيراد ما أفتني به وأحكام بصحته وأعتقد فيه أنه حجة فيما بيني وبين ربِّي - تقدس ذكره وتعالى قدرته - وجميع ما فيه مستخرج من كتب مشهورة، عليها المعول وإليها المرجع))^(١)

(١) فقيه من لا يحضره الفقيه - محمد بن علي بن الحسين الصدوق - خطبة الكتاب.

فلاحظ قوله (رحمه الله) ((بل قصدت إلى إيراد ما أفتني به وأحكم بصحته وأعتقد فيه أنه حجة فيما بيني وبين ربِّي - تقدس ذكره وتعالى قدرته - وجميع ما فيه مستخرج من كتب مشهورة، عليها المعلول وإليها المرجع)) فكتاب (من لا يحضره الفقيه) هو كتاب رسالة عملية عن أهل البيت عليهم السلام كما ينقل صاحبها لأنَّه نقل فيه ((جميع ما فيه مستخرج من كتب مشهورة، عليها المعلول وإليها المرجع)) وهي الكتب التي كانت تعرض على الأئمَّة عليهم السلام جيلاً بعد جيل لتصحِّحها والتيقن من مضمونها، وحسبك أنَّ الشِّيخ الصدوق قد ولد ببركة دعاء الإمام المهدي عليه السلام فقد ((روى الشِّيخ الطوسي أنَّ أباه علي بن الحسين بن بابويه لم يُرْزَق من بنت عمِّه ولَدًا، فكتب إلى الحسين بن روح أن يسأل الإمام المهدي عليه السلام أن يدعوه الله له أن يرزقه أولاداً فقهاء، فجاء الجواب: إنَّك لا تُرْزَق من هذه، وستملِّك جارية دِيلمِيَّةً وتُرْزَق منها ولَدَين فقيهيَّن)).^(١))

فهما - الكليني والصدوق - جمعاً ما عليه العمل في زمن الغيبة الصغرى وما بعدها بقليل إلى زمن الاختلاط بال العامة في زمن الشِّيخ المفید وبعده بقليل وهو عصر البوهيمين (السلاطين الشيعة) ابتداءً من عام ٣٣٤ هـ إلى دخول السلاغقة بغداد ٤٤٧ هـ أو العام الذي يليه وهذه المائة عام من الاختلاط دفعت ضريبيته الشيعة من عقيدتها فتنازلت عن خصوصياتها الدينية لغيرها من الضالين وانفتح باب الشرِّ الذي جاء إلينا من كتب الفلسفه والمتكلمين والأصوليين والمنظقيين والرجاليين وكلها علوم عامة اخترعواها هم ولم يدع أحد سماعها من حجَّة.

(١) خاتمة المستدرك - حسين النوري الطبرسي - ج ٣ ص ٢٥٨.

ونحن مكلّفون بالبحث عن مصدر ما نأخذه من علم، روى في المحسن عن زيد الشّحام عن بي جعفر عليه السلام ((في قول الله: (فلينظر الانسان إلى طعامه). قال: قلت: ما طعامه؟ – قال: علمه الذي يأخذه من يأخذه)).^(١) (لاحظ الملحق)

وقد ورد في البراءة من أعدائهم عليهم السلام ما هو أشمل من القول باللسان فعن الإمام الرضا عليه السلام: كمال الدين ولايتنا والبراءة من عدونا.^(٢)

وقيل للإمام الصادق عليه السلام: إنَّ فلاناً يواليكم إلا آنَه يضعف عن البراءة من عدوكم فقال عليه السلام: هيئات كذب من ادعى محبتنا ولم يتبرأ من عدونا.^(٣) وقول أمير المؤمنين عليه السلام:

أما إنه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب البلعوم مندحق البطن يأكل ما يجد ويطلب ما لا يجد. فاقتلوه ولن تقتلوه. ألا وإنه سيأمركم بسيءٍ والبراءة مني. فأما السب فسيبني فإنه لي زكاة ولكم نجاة. وأما البراءة فلا تتبرأوا مني فإني ولدت على الفطرة، وسبقت إلى الإيمان والهجرة.^(٤)

فلو كانت البراءة باللسان كافية لكان السب أبلغ منها فكيف يحيى الإمام عليه السلام السب للتقية ولا يحيى التبري باللسان للتقية أيضاً؟! إلا أن نقول ان التبرؤ هنا التبرؤ العملي من المنهج العلوي، فهو هنا غير جائز. ومنه نعلم ان التبري أعم

(١) المحسن - احمد بن محمد بن خالد البرقي - ج ١ - ص ٢٢٠ .

(٢) - بحار الأنوار - محمد باقر المجلسي - ج ٢٧ - ص ٥٨ - ح ١٩ .

(٣) بحار الأنوار - محمد باقر المجلسي - ج ٢٧ - ص ٥٨ - ح ١٩ .

(٤) نهج البلاغة - جمع الشريف الرضي - ج ١ - ص ١٠٦ .

من السب واللعن بل هو الابتعاد ظاهراً وباطناً من كل ما يؤدي إلى الأخذ عن غيرهم، فـ((الأخذ عن غيرهم مساوق لإنكارهم)) كما ينقل عن بعضهم، وهو كلام جميل.

فأتباعهم لا يكون نظرياً بالتلوي والتبرير فقط بل يكون عملياً باتباع علومهم وترك غيرها.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال:

إنا لا نعد الرجل مؤمناً حتى يكون لجميع أمرنا مُتَّبِعاً مُرِيداً.....^(١)

وعن أبي عبد الله عليه السلام أن أباه قال:

يا بني إنك إن خالفتني في العمل لم تنزل معي غداً في المنزل ثم قال: أبي الله عز وجل أن يتولى قوماً يخالفونهم في أعمالهم ينزلون معهم يوم القيمة كلام رب الكعبة.^(٢)

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال:

يأتي على الناس زمان يغيب عنهم إمامهم، فيا طوبى للثابتين على أمرنا في ذلك الزمان.....^(٣)

فلو كانت ولايتهم كافية لمن يقول بها باللسان فلم يتركهم ويأتي بعلوم

(١) وسائل الشيعة - الحرج العاملية - ج ١٥ - ص ٢٤٣ .

(٢) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - ج ٢ - ص ٢٥٣ .

(٣) كمال الدين وتمام النعمة - محمد بن علي بن الحسين الصدوق - ص ٣٣٠ .

واليات لاستنباط الفتوى والحكم الشرعي من غيرهم! بل من اعدائهم!.

إذ روي في الاحتجاج عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام:

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشَرِّعُوا بِهِ ثُمَّاً قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُمْ إِمَّا كَتَبْتُ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ إِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (٧٩) سورة البقرة

هذا: القوم اليهود، كتبوا صفة زعموا أنها صفة محمد صلوات الله عليه وسلم، وهي خلاف صفتة، وقالوا للمستضعفين منهم: هذه صفة النبي المعموت في آخر الزمان أنه: طويل عظيم البدن والبطن، أهدف، أصحاب الشعر، ومحمد صلوات الله عليه وسلم بخلافه، وهو يجيء بعد هذا الزمان بخمسين سنة، وإنما أرادوا بذلك أن تبقى لهم على ضعفائهم رياستهم، وتذوق لهم إصاباتهم، ويكتفوا أنفسهم مؤنة خدمة رسول الله صلوات الله عليه وسلم وخدمة علي عليه السلام وأهل بيته وخاصته، فقال الله عز وجل: ﴿فَوَيْلٌ لَّهُمْ إِمَّا كَتَبْتُ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ إِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ من هذه الصفات المحرفات والمخالفات لصفة محمد صلوات الله عليه وسلم وعلى عليه السلام: الشدة لهم من العذاب في أسوء بقاع جهنم، ووويل لهم: الشدة في العذاب ثانية مضافة إلى الأولى، بما يكسبونه من الأموال التي يأخذونها إذا ثبتو عوامهم على الكفر بمحمد رسول الله صلوات الله عليه وسلم، والحججة لوصيه وأخيه علي بن أبي طالب عليه السلام ولي الله.

ثم قال عليه السلام: قال رجل للصادق عليه السلام: فإذا كان هؤلاء القوم من اليهود لا يعرفون الكتاب إلا بما يسمعونه من علمائهم لا سبيل لهم إلى غيره، فكيف ذمهم

بتقليلهم والقبول من علمائهم، وهل عوام اليهود إلا كعوامنا يقلدون علماءهم؟

فقال ﷺ: بين عوامنا وعلمائنا وعوام اليهود وعلمائهم فرق من جهة وتسوية من جهة. أما من حيث استروا: فإن الله قد ذمَّ عوامنا بتقليلهم علمائهم كما ذمَّ عوامهم. وأما من حيث افترقوا فلا.

قال: بِينَ لِي يَا بْنَ رَسُولِ اللَّهِ!

قال ﷺ: إن عوام اليهود كانوا قد عرفوا علمائهم بالكذب الصراح، وبأكل الحرام والرشاء، وبتغيير الأحكام عن واجبها بالشفاعات والعنایات والمصانعات، وعرفوهم بالتعصب الشديد الذي يفارقون به أديانهم، وأنهم إذا تعصبوا أزالوا حقوق من تعصبوا عليه وأعطوا ما لا يستحقه من تعصبوا له من أموال غيرهم، وظلموهم من أجلهم، وعرفوهم يقارفون المحرمات، واضطروا بمعرف قلوبهم إلى أن من فعل ما يفعلونه فهو فاسق لا يجوز أن يصدق على الله ولا على الوسائل بين الخلق وبين الله، فلذلك ذمهم لما قلدوا من قد عرفوه ومن قد علموا أنه لا يجوز قبول خبره ولا تصديقه في حكايته، ولا العمل بما يؤدبه إليهم عمن لم يشاهدوه ووجب عليهم النظر بأنفسهم في أمر رسول الله ﷺ، إذ كانت دلائله أوضح من أن تخفي، وأشهر من أن لا تظهر لهم.

وكذلك عوام أمتنا إذا عرفوا من فقهائهم الفسق الظاهر، والعصبية الشديدة والتكالب على حطام الدنيا وحرامها، وإهلاك من يتغصبوه عليه وإن كان لإصلاح أمره مستحقا، وبالترف بالبر والإحسان على من تعصبوا له وإن

كان للإذلال والإهانة مستحansa، فمن قلد من عوامنا مثل هؤلاء الفقهاء فهم مثل اليهود الذين ذمهم الله بالتقليل لفسقة فقهائهم، فأما من كان من الفقهاء صائنا لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفًا على هواه، مطيناً لأمر مولاه، فللعام أن يقلدوه، وذلك لا يكون إلا بعض فقهاء الشيعة لا جياعهم، فإنه من ركب من القبائح والفواحش مراكب فسقة العامة فلا تقبلوا منها عنه شيئاً، ولا كرامة، وإنما كثر التخلص فيها يتحمل علينا أهل البيت لذلك لأن الفسقة يتحملون علينا فيحرفونه بأسره بجهلهم، ويضعون الأشياء على غير وجهها لقلة معرفتهم، وأخرون يتعمدون الكذب علينا ليجرروا من عرض الدنيا ما هو زادهم إلى نار جهنم، ومنهم قوم نصاب لا يقدرون على القدر فيما، يتعلمون بعض علومنا الصحيحة فيتوجهون به عند شيعتنا، ويتقصون بنا عند نصابنا، ثم يضيفون إليه أضعاف وأضعاف أضعافه من الأكاذيب علينا التي نحن براء منها، فيتقبله المستسلمون من شيعتنا، على أنه من علومنا، فضلوا وأضلوا وهم أضر على ضعفاء شيعتنا من جيش يزيد على الحسين بن علي ﷺ وأصحابه، فإنهم يسلبونهم الأرواح والأموال، وهؤلاء علماء السوء الناصبون المتشبهون بأنهم لنا مواليون، ولأعدائنا معادون، ويدخلون الشك والشبهة على ضعفاء شيعتنا فيضلونهم ويمنعونهم عن قصد الحق المصير، لا جرم أن من علم الله من قلبه من هؤلاء القوم أنه لا يريد إلا صيانة دينه وتعظيمه ولم يتركه في يد هذا المتليس الكافر، ولكنه يقيض له مؤمناً يقف به على الصواب، ثم يوقفه الله للقبول منه، فيجمع الله له بذلك خير الدنيا والآخرة، ويجمع على من أضلته لعنا في الدنيا وعذاب الآخرة.

ثم قال: قال رسول الله: أشرار علماء أمتنا: المضلون عنا، القاطعون للطرق إلينا، المُسمّون أضدادنا بأسئلنا، الملقبون أضدادنا بألقابنا، يصلون عليهم وهو لعن مستحقون، ويلعنونا ونحن بكرامات الله مغمورون، وبصلوات الله وصلوات ملائكته المقربين علينا عن صلواتهم علينا مستغنوون.^(١)

والعوام وغير العوام من الشيعة يعرفون يقيناً بوجود بعض هؤلاء الفقهاء المنحرفين في الحوزات بدليل أن كل قوم يقلدون مرجعاً ينبعون من لا يقلد مرجعيهم أو من يزاحم مرجعيهم على التقليد بمختلف العباري الدامة! ويبدأ التنقص منه منهجاً وشخصاً واتباعاً! وما هذا إلا باتباعنا لطرق غيرنا مما أدخلنا مدخلهم في النزاع والشقاق، فأهل البيت عليهم السلام أردو أنساً (مسلمين) لهم ولم يُرِيدوا أنساً طامحين للمناصب والزعamas، وعلومهم عليهم السلام تريدهم من سلم أن يصبح تابعاً لهم فقط لا أن يتعلم ليصبح نذراً لهم عليهم السلام كما تُسب له ﷺ ((فاما من كان من الفقهاء صائنا لنفسه، حافظاً لدینه، مخالفًا على هواه، مطيناً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه، وذلك لا يكون إلا بعض فقهاء الشيعة لا جييعهم، فإنه من ركب من القبائح والفواحش مراكب فسقة العامة فلا تقبلوا منا عنه شيئاً، ولا كرامة، وإنما كثر التخليط فيما يتحملون عن أهل البيت لذلك لأن الفسقة يتحملون عنا فيحرفونه بأسره بجهلهم، ويضعون الأشياء على غير وجهها لقلة معرفتهم، وأخرون يتعمدون الكذب علينا ليجروا من عرض الدنيا ما هو زادهم إلى نار جهنم، ومنهم قوم نُصّاب لا يقدرون على القدر

(١) الاحتجاج - أحمد بن علي الطبرسي - ج ٢ ص ٢٦٥.

فيما، يتعلمون بعض علومنا الصحيحة فيتوجهون به عند شيعتنا، ويقتصون بما عند نصابنا، ثم يضيفون إليه أضعاف وأضعاف أضعافه من الأكاذيب علينا التي نحن براء منها، فيتقبله المستسلمون من شيعتنا، على أنه من علومنا، فضلوا وأضلوا وهم أضر على ضعفاء شيعتنا من جيش يزيد على الحسين بن علي ﷺ وأصحابه، فإنهم يسلبونهم الأرواح والأموال، وهؤلاء علماء السوء الناصبون المتشبهون بأنهم لنا موالون، ولأعدائنا معادون، ويدخلون الشك والشبهة على ضعفاء شيعتنا فيضلونهم ويمعنونهم عن قصد الحق المصير، لا جرم أن من علم الله من قلبه من هؤلاء القوم أنه لا يريد إلا صيانة دينه وتعظيمه ولم يتركه في يد هذا المتلبس الكافر، ولكنه يقىض له مؤمنا يقف به على الصواب، ثم يوقفه الله للقبول منه، فيجمع الله له بذلك خير الدنيا والآخرة، ويجمع على من أضلها لعنا في الدنيا وعداب الآخرة.

ثم قال: قال رسول الله: (أسرار علماء أمتنا: المضلون عنا، القاطعون للطرق إلينا، المسئون أضدادنا بأسمائنا، الملقبون أضدادنا بألقابنا، يصلون عليهم وهم للعن مستحقون، ويلعنوننا ونحن بكرامات الله مغمورون، وبصلوات الله وصلوات ملائكته المقربين علينا عن صلواتهم علينا مستغنوون).^(١))

وهذا ما تكلم عنه أحد فقهاء الحوزة قائلا ((إن من أعظم المشاكل وأخطرها جميعا: أن يرينا العلماء وجه الدين من خلائهم، لا من خلال القرآن والسنة

الشريفة المنضبطة بالقرآن، وهذا الأمر لا يدّعى أحد، فكل عالم ديني يرى دينه من خلال القرآن والسنة الشريفة فهو لا يصدق مع نفسه، إنه أمّام دينٍ شخصي وليس أمّام دينٍ قرآنـي))^(١)

وهذا الكلام صحيح ودقيق، فما دام الدين تابع للفقهاء لا للتلقلين فهو دين ممزوج من نصوص ووجهات نظر لذا فأنت ((تجد الكثير من العلماء يغضبون الطرف عن تصرات غير شرعية قد الصقت بالدين زوراً وبهتاناً فإذا ما سُئلوا عن ذلك يحيطون بعموميات أو بقيود تكشف - إلى حد كبير - حجم الخشية التي يعيشونها، كما أن البعض منهم يجامِل كثيراً في تأييد هذه التصرفات طمعاً بجاه وجلباً لمال))^(٢)

اقرأ بتمعّن هذا الحديث الصادر عن أحد حواشـي السيد كمال الحيدري - وهو طلال الحسن - وقارنه بقول الإمام عليه السلام الذي نقله الطبرسي في (الاحتجاج):

((وكذلك عوام أمتنا إذا عرفوا من فقهائهم الفسق الظاهر، والعصبية الشديدة والتکالب على حطام الدنيا وحرامها، وإهلاك من يتعصبون عليه وإن كان لإصلاح أمره مستحقاً، وبالترفرف بالبر والإحسان على من تعصبوه وإن كان للإذلال والإهانة مستحقاً، فمن قلد من عوامـنا مثل هؤلاء الفقهاء فهم مثل اليهود الذين ذمـهم الله بالتقليل لفسقة فقهائهم))

(١) من محورية إسلام الحديث إلى محورية إسلام القرآن - طلال الحسن - ص ١٩.

(٢) من محورية إسلام الحديث إلى محورية إسلام القرآن - طلال الحسن - ص ٨٥.

وهو المرض الذي انسَلَّ علينا لا تُباعنا طرائقهم في التفقة والتي تجعل الدين دين أشخاص وفقهاء وحواشي لا دين مقصور على مخصوصين يتبعهم الناس ويسلّمون اليهم.

والغريب أنهم يعترفون بأن التفقة عندهم لكونه تابع لفقهاء فإنه قابل للتغيير والتبديل حسب تغير العقول !! يقول طلال الحسن ((إنه لا يمكن لأي مجتهد - مهما بلغ من النبوغ والقوة العقلية والعلمية - أن يغطي بآرائه ونظرياته القرون اللاحقة إلى مئات السنين فضلاً عن الآلاف، نظراً لتغير الموضوعات وتجدد المستحدثات وهذه هي طبيعة الحياة القائمة على أساس التجدد والتطور الذي يعيشه العقل الإنساني))^(١)

قلت: قارن بين هذا الكلام وبين ما قاله الشيخ الكليني في مقدمة كتابه الجليل (الكافي) إذ يقول:

((مع ما رجونا أن نكون مشاركين لكل من اقتبس منه، وعمل بما فيه دهرنا هذا، وفي غابرته إلى انقضاء الدنيا، إذ رب عز وجل واحد والرسول محمد خاتم النبيين - صلوات الله وسلامه عليه وآلها - واحد، والشريعة واحدة وحلال محمد حلال وحرامه حرام إلى يوم القيمة))^(٢)

واحكِم بنفسك !! .

(١) من محورية إسلام الحديث إلى محورية إسلام القرآن - طلال الحسن - ص ١٠٢ .

(٢) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - خطبة الكتاب .

يقول الشيخ يوسف البحرياني في تحول الدين الى دين فقهاء يسعون وراء الرئاسات والزعamas ((وبالجملة فان الامر في علماء هذه الاذمان قد بلغ الى مبلغ لا يحتاج الى الشرح والبيان من حبّهم للدنيا وحبّ الرئاسة والتقدّم في الامور والحسد والغيبة وامثالها ما هو ظاهر مشهور ومتعارف غير منكور، والسبب في ذلك كله هو الاغترار بهذه العلوم الرسمية التي حصلواها، والغفلة عن ملاحظة تلك العلوم الاصلية والاصول الحقيقية، لأنها قد صارت مهجورة في اكثر الاذمان وغير معمول عليها في كل مكان، بل نظر الناس من عالم وغيره انما هو الى تحصيل هذه العلوم الرسمية، ودقة النظر فيها، وجودة الفكر واستخراج معانيها، فمن كان أطول يدا في ذلك صار هو المشار اليه، المعتمد عليه و، ان كان عاريًّا من ذلك بالكلية، وهذه البليّة في الدين هي أصل كل بليّة، بل ربّما أدى منهم الحرص على هذه العلوم الرسمية وشدة الرغبة في تحصيلها الى التهاون بالعبادات والصلوات وتأخيرها عن أوقاتها او الإتيان بها على غير ما هو حقّها، وترك بعض السنن المرغب فيها.... وقد أخبرني من أثق به عن بعض مشايخنا الذي رجعت اليه في وقته رياضة البلاد، وعكف عليه جملة من في غيرها من العباد، انه بعد ان كان مواظباً على صلاة الليل تركها اشتغالا بالطالعة للعلوم محتاجا بها ورد من فضل العلم على العبادة وفضل العالم على العابد، وهو ما يقتضي منه العجب من مثل ذلك العلامة الذي اذعن له في وقته

(العجم والعرب))^(١)

(١) الدرر النجفية من الملتقطات اليوسفية - يوسف البحرياني - ج ٢ - ص ٦٦.

والسبب الأكبر عند الشيخ البحرياني في تكالب هؤلاء الفقهاء على الدنيا هو تلك العلوم الرسمية التي تركوا لأجلها علوم أهل البيت عليهم السلام.

ولو تأملنا بالعلوم التي تدرّس الآن (لاستنباط) الفتاوي (الشرعية) للاحظنا أن الشيعة ومنذ اختلاطهم بغيرهم من الضالين اخذوا يرددون الفعل العامي بمثله، وكلهم طمع في نصرة المذهب) كما يقال! لكنهم غفلوا عن الزام أهل البيت عليهم السلام لشيعتهم بالاقتصار على ما سمعوه منهم.

فعن عبد الملك بن عمرو قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا عبد الملك: مالي لا أراك تخرج إلى هذه الموضع التي يخرج إليها أهل بلادك؟
قال: قلت: وأين؟

فقال: جدة وعبادان والمصيصة وقزوين؟

فقلت: انتظاراً لأمركم والاقتداء بكم.

فقال: أي والله لو كان خيراً ما سبقونا إليه؟

قال: قلت له: فإن الرديدية يقولون: ليس بيننا وبين جعفر خلاف إلا أنه لا يرى الجهاد، فقال: أنا لا أرآه؟! بل والله إني لأرآه ولكن أكره أن أدع علمي إلى جهنم ^(١).

المعنى:

فكذلك من يقف في عمله على عمل أهل البيت فيقول: لو كان خيراً ما سبقنا الشافعي إلى الأصول، وأفلاطون إلى الفلسفة، وأرسطو إلى المنطق، والبخاري إلى الرجال!

ففي علم الأصول يقرّ أحد أكابر الأصوليين بأنّ مباني الأصوليين هي عامة في الأساس! إذ يقول: ((عمدة المباني الأصولية - عند الأصوليين من الشيعة - موجود جذورها في كتابي الرسالة للشافعي والمستصفى للغزالى))^(١) الشيخ الطوسي تحت مجهر الشيخ التستري:

وأمّا شجرة العلوم العامتة فقد جاء بها الشيخ الطوسي رحمه الله إلى الشيعة إذ يقول التستري في قاموس الرجال في ترجمته:

((إلاّ أنّ تأليفه لتهذيبه واستبصاره صار سبباً لخلط الأخبار الأحادية المجرّدة عن القرائن بالأخبار المحفوفة بها، فانّ قبله كانوا لا يرون في كتب العمل إلاّ المشتهرة، وأمّا الأخبار النادرة فكانوا يذكرونها في كتب الرواية، وعليه جرى الكليني والصدق... وأول من خلط بينها الشيخ في كتابيه، فعل ذلك لأجل دفع الطعن عن اختلاف الأخبار المرويّة عنهم ﷺ والمتأخرن لم يتقطّعوا للقضية فعاملوها معاملة واحدة وجعلوا المعيار مجرّد السنّد، مع أنه كم من شاذٌ قويٌّ السنّد ومشهور ضعيف المستند. مع أنّ الشيخ وإن جمع الجميع في محلٍ واحد، إلاّ أنّه نبه على الحقيقة بأنّ ما يورده أولاً هو الصحيح وما يذكره

أخيراً بلفظ «فَأَمّا مَا رواه فلان» غير الصحيح. كما أن تأليف مبسوطه - وإن كان لغرض دفع الطعن عن الإمامية بقلة فروعهم الفقهية - صار سبباً لخلط فقه العامة بفقه الخاصة؛ وقد اعترف هو بأنّ ما فعله فيه مخالف لسيرة الإمامية، وأنّ فقههم ليس إلاً متون الأخبار، دون ما استند فيه إلى نوع اعتبار.

كما أنّ كتبه بالجملة لتبويتها وجماعيتها صارت سبباً لأندرس كتب المتقدمين عليه وحصول الحرمان عن كثير من فوائدها.

كما أنّ متابعة أكثر من جاء بعده له - لحسن ظنّهم به - حصلت شهارات بل إجماعات منتهية إليه كما نبهنا عليه كراراً في تعليقاتنا على الروضة.

كما أنّ اختلاف نظره في كتبه الفقهية - فنهايته كتاب أخبار، ومبسوطه وخلافه كتاب اعتبار - أوجب انقلاب طريقة المتقدمين مع م坦تها إلى طريقة المتأخرین مع مفاسدها.

كما أنّ استناده إلى نسخة الكثيي المصححة واعتماده على ابن النديم المحرّف أوجياً أوهاماً كثيرة، كما عرفت وتعرف في تعليقاتنا هذه.)^(١) ..

فانتبه لقول الشيخ التستري في طريقة الشيخ الطوسي رحمه الله)) أوجب انقلاب طريقة المتقدمين مع م坦تها إلى طريقة المتأخرین مع مفاسدها))

وكما يقال زلّة العالم، زلّة العالم! فقد صارت كتب ومنهجية وطريقة الشيخ الطوسي قاعدة للعمل عليها، وطبعت طريقة الشيعة بالعمل إلى يومنا هذا!

(١) قاموس الرجال - محمد تقى التستري - ج ٩ - ص ٢٠٨.

يقول التستري في قاموسه عن الشيخ الطوسي:

((وعلى كتبه صار بعده المدار في جميع الأعصار والأدوار.))^(١)

لذلك، ولو جود جسر يربط بين العامة والشيعة وهو شخص الشيخ الطوسي الذي كان عامياً فتشيع ولم يكن لديه تلك النفرة من الاختلاط بال العامة فلا زالت العلوم العامية تؤثر حتى النخاع في الوسط الشيعي، فرسالة الشافعي تؤثر في علم الأصول (الشيعي) إلى اليوم! وإلى اليوم لا زال التصوف الذي كتب فيه الغزالى وابن عربى يؤثر في ما يسمى (العرفان الشيعي)!

بل لن نستطيع التعرّف على عمق التأثير العامي في الوسط الشيعي ولن نحيط بحجمه الحقيقى بعد اختلاط الأمر واللجوء إلى الحديث الشيعي هنا وهناك لإضافته مشروعية على المباني الأصولية والفلسفية والعرفانية والرجالية والفقهية!

يقول التستري في قاموسه عن الشيخ الطوسي ((إلا أنه لحرصه على الاستكثار ينقل الغث والسمين كما مر في ترجمته في الأسماء.

وممّا أتى به من الغث قوله في مصباحيه: «ويستحب أن يزاد الدعاء في الوتر إلى أن قال: - (اللّهم وقد عاد فيئنا دولة بعد القسمة وإمارتنا غلبة بعد المشورة وعدنا ميراثاً بعد الاختيار للأمة).»

فإنّ الظاهر أنّه أخذه من كتب العامة غفلة، فإنّ إمارة المشورة إنّما كانت إمارة

(١) قاموس الرجال - محمد تقى التستري - ج ٩ - ص ٢٠٨.

عثمان بشورى عمر، و اختيار الأُمّة إنما كان بزعمهم نصب أبي بكر في السقيفه.

وقد ذكر في المقنعة قنوتاً أطول من قنوت المصباحين للوتر وليس فيه تلك الفقرات، مع أنّ فيه ما قبلها: اللّهم وقد شملنا زيع الفتنه... الخ.

كما أنّ له في مبسوطه وخلافه فتاوى مأخوذة من أخبار العامة، فأفتى في المبسوط في صلاة الخوف بجواز الإتيان بها كما اختاره الشوري، استناداً إلى خبر أبي عيّاش الزرقى أنّه (عليه السلام) صلّى كذلك بعسفان ويوم بنى سليم، وهو أن يصيروا صفين ولا يسجد الصف الثاني مع النبي (عليه السلام) بل يقومون ويحرسون ثم يسجدون بعد قيام النبي (عليه السلام) إلى الثانية، ويتبديل الصفان ويفعل الصف الثاني الجديد كالأول، يؤخرون سجودهم ثم يسلّم بهم جميعاً. أو كما اختاره البصري استناداً إلى خبر أبي بكرة أنّ النبي (عليه السلام) كذلك صلّى بيطن النخل وهو أن صلّى (عليه السلام) بهم صلاتين والأولى له فرض والثانية نفل روى الخبرين سنن أبي داود، وله فيهما الاختلاف في الفتوى، فأفتى في أول فصل زكاة غلال مبسوطه باستثناء المؤنة، وفي أواسطه بعدم الاستثناء.

وقد ينقل في (خلافه) أخباراً من الخاصة، لكن ليس اعتبارها مثل اعتبار أخبار تهذيبه، حيث إنّه فيهما يراجع الأصول وينقل، وأمّا فيه فالظاهر أنّه ينقل عن الخارج على ما بباله فيقع الوهم، ففي المسألة ١٣٩ من طهارتة نسب إلى ابن أبي يعفور ما رواه أبو إسحاق النحوي وإلى ابن سنان ما رواه الحلبي....))^(١)

فهذا الامتزاج في التأليف و((الحرص على الاستكثار)) أدخل الطرائق والمباني والعلوم والفتاوی العامّية بالتباسها وضعفها وتناقضاتها الى وسط الشيعة، وهي امور طالما تحرّز منها الشيعة المسلمين لكونها واحدة من ثلاثة: أمّا أن تكون علوماً ومبانٍ ضروريّة: وهذا باطل بداعه، والقول في ذلك طعن بإماماة أهل البيت ﷺ، وحرصهم على هداية شيعتهم وعدم تقصيرهم في تسليحهم بالعلم بكل ما هو ضروري.

وإمّا أن تكون علوماً ومبانٍ لها أهميّة ما: فهي فضل ولا عبرة بها، ولو كان لها عبرة لعلّمها الأئمة شيعتهم.

وإمّا أن تكون علوماً ومبانٍ ضارّة، إمّا في نفسها وإمّا بما تستلزمها من لوازم ضررها أكثر من نفعها، وبالتالي لا حاجة لها على الفرضين.

لذلك تركها الأئمة ﷺ وهي كانت تؤلّف وتدرّس عند أهل الضلال تحت أعينهم، وبجوارهم وهم كانوا يهملونها ويتعلّمون شيعتهم الحديث وأاليات غربلته فقط.

لكننا كما قال تعالى:

﴿أَلمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَّلَ مِنَ الْحُقُّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمْدُ فَقَسَطْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ الحديد (١٦)

فطول الأمد - على ضعاف الإيمان - في الغيبة أجهام إلى ما نهاهم عنه أهل البيت عليهما السلام ! وهو الاستعجال ومحاولة ملأ الفراغ المزعوم بأفكارنا وهو أمر طالما حذرنا منه المعصومون إذ ورد في التوقيع الأخير للإمام المهدي عجل الله له الفرج :

((بسم الله الرحمن الرحيم يا علي بن محمد السمرى أعظم الله أجر إخوانك فيك فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة الثانية فلا ظهور إلا بعد إذن الله عز وجل وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جورا، وسيأتي شيعتي من يدعى المشاهدة، ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كاذبٌ مفترٌ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.))^(١)

فقوله ﴿وَذَلِكَ بَعْدَ طُولِ الْأَمْدِ وَقَسْوَةِ الْقُلُوبِ﴾ يشير بها إلى الشيعة وليس إلى غيرهم بدليل سؤال زراره للمعصوم عن قول الشيطان الذي نقله القرآن الكريم ﴿قَالَ فِيمَا أَغْوَيْتَنِي لَا قُعْدَنَّ لَهُمْ صَرَاطُكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَا تَتَّيَّمُهُمْ مِنْ يَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ الأعراف (١٦-١٧) ^(٢)

فقال أبو جعفر عليه السلام : يا زرارة إنها صمد لك ولأصحابك فأما الآخرين فقد

فرغ منهم .^(٢)

(١) كمال الدين وتمام النعمة - محمد بن علي بن الحسين الصدوق - ص ٥١٦.

(٢) المحسن - أحمد بن محمد البرقي - ج ١ ص ١٧١.

فالشيطان كان قد بايع القوم في يوم السقيفة الاسود كما رواه سليم في كتابه:

((....فقال الإمام: إني لست أأسألك - لسلمان ﷺ - عن هذا ولكن تدري من أول من بايده حين صعد منبر رسول الله؟

قلت: لا أدرى لكن رأيت شيخاً كبيراً متوكلاً على عصاه بين عينيه سجادة شديدة التشمير قد صعد إليها وهو يبكي ويقول: الحمد لله الذي لم يمتنن ولم يخرجني من الدنيا حتى رأيتك في هذا المكان ابسط يدك أبايعك، فبسط يده فبايعه ثم نزل فخرج من المسجد!

فقال لي علي عليه السلام: يا سلمان هل تدري من هو؟

قلت: لا ولكنني ساءنتي مقالته كأنه شامت بموت رسول الله عليه السلام.

فقال لي علي: إن ذلك إبليس لعنه الله أخربني رسول الله إن إبليس ورؤسائه أصحابه شهدوا انصب رسول الله إياي يوم غدير خم بأمر الله تعالى، وأمرهم أن يبلغ الشاهد الغائب فأتاه أبالسة ومردة أصحابه فقالوا: إن هذه الأمة مرحومة معصومة، وما لنا ولا لك عليهم من سبيل، قد علموا إمامهم ومفزعهم بعد نبيهم فانطلق إبليس كئيناً حزيناً فأخربني رسول الله عليه السلام أن لو قبض أن الناس سيبايعون أبا بكر في ظلة بني ساعدة بعد أن تخاصمهم بحقك وحجتك ثم يأتون المسجد فيكون أول من يبايعه على منبري إبليس لعنه الله في صورة شيخ كبير مستبشر يقول: كذا وكذا، ثم تجتمع شياطينه وأبالسته فينخر ويكسع ثم يقول لهم: كذا زعمتم أن ليس علي عليهم سبيل فكيفرأيتمني صنعت بهم

حين تركوا أمر من أمرهم الله بطاعته وأمرهم رسوله؟)).^(١)

فمن ترك أهل بيته سقط في فخ الشيطان من يومه، بل من ساعته! وهذا ما لم يحصل عند الشيعة حتى انتهاء الغيبة الصغرى، فباتنهائها وانقطاع خبر السماء وغيبة المقصوم عناً اختلفت آراء الناس وبذلوا يتذرون طريقة المقصوم الى ما يستحسنونه، نعم الذي حصل مع العامة من أول يوم بعد فقدتهم للمقصوم استغرق من الشيطان قرابة القرن من الزمن مع أتباع أهل البيت، وما ذلك إلا لطول زمان وجود المقصوم بين الشيعة، بخلاف غيرهم.

والشيطان سيمارس كل ما يلزم لكي يحاول دفع الشيعة عن الطريق القويم الذي تركهم المقصوم عليه الا ترى الى الروايات التي ذمت الاستعجال فالـ((عجلة من الشيطان))^(٢):

فقد ورد عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: ((هلك أصحاب المحاضير، ونجا المقربون، وثبت الحصن على أوتادها، إن بعد الغم فتحاً عجيبة))^(٣) و عن أبي المرهف، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ((الغرة على من أثارها، هلك المحاضير قلت: جعلت فداك وما المحاضير قال: المستعجلون أما إنهم لن يريدوا إلا من يعرض لهم، ثم قال: يا أبو المرهف أما إنهم لم يريدوك بمصحفة إلا عرض الله عز وجل لهم بشاغل، ثم نكت أبو جعفر عليه السلام في الأرض ثم قال:

(١) كتاب سليم بن قيس - ص ١٤٥.

(٢) منهاج البراعة - قطب الدين الرواندي - ج ٢٠ - ص ٣١٦.

(٣) الغيبة - محمد بن إبراهيم النعmani - ص ٢٠٥.

يا أبا المرهف! قلت: لبيك قال: أترى قوما حبسوا أنفسهم على الله عز ذكره لا يجعل الله لهم فرجا؟ بل والله ليجعلن الله لهم فرجا)).^(١)

وفي حديث مهزم الأسدى مع المقصوم: ((جعلت فدالك أخبرنى عن هذا الأمر الذى ننتظره متى هو فقال يا مهزم: كذب الوقاتون، هلك المستعجلون، ونجا المسلمين، وإلينا يصيرون))^(٢)

في حديث الإمام الجواد وسؤال الصقر ((فقلت له: يا ابن رسول الله لم سُمِّي القائم؟

قال: لأنَّه يقوم بعد موت ذكره وارتداد أكثر القائلين بإمامته.

فقلت له: ولم سُمِّي المنتظر؟

قال؟ لأنَّه غيبة يكثر أيامها ويطول أمدها فيتضرر خروجه المخلصون وينكره المرتابون ويستهزئ بذكره الجاحدون، ويكذب فيها الوقاتون، ويهلk فيها المستعجلون، وينجو فيها المسلمين)).^(٣)

وهذا الذي يفسر النصائح المتكررة من المقصومين بالبقاء على ما تركهم عليه المقصوم والتحذير من الاستعمال الشيطاني والانحراف عن طريقتهم بحجة التطور والزمان والمكان!

(١) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - ج ٢ - ص ٢٧٣ .

(٢) الإمامة والتبرقة - علي بن الحسين القمي - ص ٣٩ .

(٣) كمال الدين وتمام النعمة - محمد بن علي بن الحسين - ص ٣٧٨ .

فَكَمَا كَانَ الْأَئِمَّةُ (صُحْفِيُّونَ) أَرَادُوا لَنَا أَنْ نَبْقَى (رَوَاةُ أَخْبَارٍ) نَنْقُلُ مِنْهُمْ فَقْطًا، وَنَسْلِمُ لَهُمْ فَقْطًا، وَنَرْدِّدُ مَا جَاءَ عَنْ غَيْرِهِمْ فِي عِلْمِ الدِّينِ.

أَهمِيَّةُ البقاءِ عَلَى طَرِيقِهِمْ ﷺ فِي الغَيْبَةِ الطَّوِيلَةِ:

لَذَا تَرَكَ الْأَئِمَّةُ ﷺ حَدِيثًا كَثِيرًا فِي وجوبِ البقاءِ عَلَى مَا تَرَكُونَا عَلَيْهِ حِينَ فَقَدَ الْحَجَّةَ وَغَيْبَتِهِ عَنِ النَّاسِ:

كَمَا فِي قَوْلِ الْمَعْصُومِ:

((فَالزَّمُوا السَّنَنَ الْقَائِمَةَ وَالآثَارَ الْبَيِّنَةَ ، وَالْعَهْدَ الْقَرِيبَ الَّذِي عَلَيْهِ بَاقِي النَّبُوَةِ. وَاعْلَمُوا أَنَّ الشَّيْطَانَ إِنَّمَا يُسْنِي لَكُمْ طَرِيقَهُ لِتَتَّبِعُوهُ عَقبًا))^(١)

فلزوم السنن القائمة يكون بعد أن نتيقن من كونها (سنن قائمة) وهي فقط التي كانت في زمان المعصوم بحضوره المباشر أو غير المباشر وهي التي أشار إليها الشيخ الكليني في قوله ((من يريد علم الدين والعمل به بالآثار الصحيحة عن الصادقين ﷺ، والسنن القائمة التي عليها العمل، وبها يؤدي فرض الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ)) وهي التي جمعها في كتابه الجليل (الكافي) في زمن وجود المعصوم بشكل غير مباشر من خلال السفراء رضوان الله عليهم.

وفي حديث زرارة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يأتي على الناس زمان يغيب عنهم إمامهم.

فقلت له: ما يصنع الناس في ذلك الزمان؟

قال: يتمسّكون بالأمر الذي هم عليه حتى يتبيّن لهم. ^(١)

قلت: هو واضح في كون علوم الدين التي ستكون في أيدي الناس كافية للعمل بها والنجاة من النار بها والواجب التمسّك بها حتى يظهر الإمام عليه السلام، وهو ما لم يلتزم به الشيعة!

وفي حديث عبد الله بن سنان قال: دخلت أنا وأبي على أبي عبد الله عليه السلام، فقال: فكيف أنت إذا صرتم في حال لا ترون فيها إمام هدى؟ ولا علما يرى؟ ولا ينجو منها إلا من دعا دعاء الغريق؟

فقال له أبي: إذا وقع هذا ليلاً فكيف نصنع؟

فقال: أما أنت فلا تدركه، فإذا كان ذلك، فتمسّكوا بما في أيديكم، حتى يتَّضح لكم الأمر. ^(٢)

وفي حديث أبان بن تغلب، عن أبي عبد الله عليه السلام، أنه قال: يا أبان، يصيب العالم سبطه يأْرُز العلم بين المسجدين كما تأْرُز الحياة في جحرها.

قلت: فما السبط؟

(١) الإمامة والتبصرة - علي بن الحسين القمي - ص ١٢٥ .

(٢) الإمامة والتبصرة - علي بن الحسين القمي - ص ١٢٧ .

قال: دون الفترة، فيينا هم كذلك إذ طلع لهم نجمهم.

فقلت: جعلت فداك، فكيف نصنع وكيف يكون ما بين ذلك؟

فقال لي: كونوا على ما أنتم عليه حتى يأتيكم الله ب أصحابها. ^(١)

وكذلك نصيحة الامام الصادق عليه السلام لعمر ابن عبد العزيز (أحد اصحابه):
إذا أصبحت وأمسيت، لا ترى إماماً تأتم به، فاحبب من كنت تحب، وابغض
من كنت تبغض حتى يظهره الله عز وجل. ^(٢)

قلت: وهو أمر بالبقاء على ما هو عليه من الهدى بلا تغيير ولا زيادة ونقية
حتى يظهر إمامه.

و عن علي بن الحارث بن المغيرة، عن أبيه، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام:
يكون فترة لا يعرف المسلمون فيها إمامهم؟

فقال: يقال ذلك.

قلت: فكيف نصنع؟

قال: إذا كان ذلك فتمسكون بالأمر الأول حتى يتبين لكم الآخر ^(٣).

و عن محمد بن منصور الصيقلي، عن أبيه منصور، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:

(١) الغيبة - محمد بن إبراهيم النعmani - ص ١٣٦ .

(٢) الإمامة والتبصرة - علي بن الحسين القمي - ص ١٢٧ .

(٣) الغيبة - محمد بن إبراهيم النعmani - ص ١٦١ .

إذا أصبحت وأمسيت يوما لا ترى فيه إماما من آل محمد فأحبب من كنت تحب،
وابغض من كنت تبغض، ووال من كنت توالي، وانتظر الفرج صباحا ومساء.^(١)

وروى الشيخ الصدوق: بسنده عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر^{عليه السلام} قال:
سمعته يقول: إن أقرب الناس إلى الله عز وجل وأعلمهم به وأأفههم بالناس
محمد^{صلوات الله عليه وسلم} والأئمة ^{عليهم السلام}، فادخلوا أين دخلوا وفارقو ما فارقو (عنى بذلك
حسيناً وولده ^{عليهم السلام}) فإن الحق فيهم وهم الأوصياء ومنهم الأئمة فلينما
رأيتموهم فاتبعوهم وإن أصبحتم يوماً لا ترون منهم أحداً فاستغثوا بالله
عز وجل وأنظروا السنة التي كنتم عليها واتبعوها وأحبوا من كنتم تحبون و
بغضوا من كنتم تبغضون فما يأتكم الفرج^(٢).

بعد كل هذه النصائح التي تعقب بالشفقة والرحمة وتصرّح بأن ما عند الشيعة
كافٍ شافٍ للنجاة إن هم تمسّكوا به خلال الغيبة فما قيمة نصٍ يخالفه من فقيه
هنا او هناك بحجّة طول الزمن بين الغيبة والشيعة، وخفاء القرائن التي كانت
تحتف بالأخبار، وتتطور العقول، وجود المستحدثات! وكلها وجهات نظر
ضعيفة لا تصمد أمام نور كلامهم^{عليهم السلام}.

بل هو قد يكون الذي يشير إليه النص القرآني:

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَّلَ مِنَ الْحُقْقِ وَلَا

(١) الغيبة - محمد بن إبراهيم النعmani - ص ١٦١.

(٢) كمال الدين وقام النعمة - ص ٣٢٨.

يَكُونُوا كَالَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمْدُ فَقَسْتُ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿الْحَدِيدِ ١٦﴾

فِي ﴿الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ﴾ ليس هم ﴿الَّذِينَ أَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ فالله سبحانه
آتى كتابه للعصومين لكن من يحيىء من بعدهم يدعى إن الله آتاه الكتاب وكونه
الحلقة الموصلة بين المعصوم والكتاب وبين الناس، فيأتي بهم من هنا ونظر من
هناك وختلط العلوم البشرية القاصرة مع العلوم المعصومية الكاملة، وهذا ما
يشير إليه أمير المؤمنين ﷺ:

((إِنَّمَا بَدَءَ وَقْعَ الْفَتْنَ أَهْوَاءَ تَبَعَّ. وَأَحْكَامٍ تَبَدَّعَ. يَخَالِفُ فِيهَا كِتَابُ اللَّهِ.
وَيَتَوَلِّ عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالًا عَلَى غَيْرِ دِينِ اللَّهِ. فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مَزَاجِ
الْحَقِّ لَمْ يَخْفَ عَلَى الْمُرْتَادِينَ. وَلَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لِبَسِ الْبَاطِلِ لَانْقَطَعَتْ عَنْهُ
أَلْسُنُ الْمَعَانِدِينَ وَلَكِنَّ يَؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضَغْثٌ وَمِنْ هَذَا ضَغْثٌ فَيَمْزِجُهُ، فَهَنَالِكَ
يَسْتَوِي الشَّيْطَانُ عَلَى أُولَائِهِ وَيَنْجُو الَّذِينَ سَبَقْتُ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ الْحَسَنِي))

فَمَادَمَ الْمَعَصُومُ غَيْرُ مُوْجُودٍ لَا بدَ مِنْ اخْتِلاطِ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ، وَمَنْ يَقُولُ بِغَيْرِ
هَذَا فَهُوَ إِمَّا مُلْبِسٌ وَإِمَّا جَاهِلٌ لَا يَعْلَمُ بِسِنَنِ الْبَشَرِ وَالتَّارِيخِ، الَّتِي لَا تَتَبَدَّلُ.

انظُرْ مثلاً مَا حَدَثَ بَعْدَ نَبِيِّ اللَّهِ إِسْمَاعِيلَ بْنَ ابْرَاهِيمَ ﷺ فَعَنِ الْإِمَامِ الْبَاقِرِ ﷺ:

((لَمْ يَزِلْ بْنُ إِسْمَاعِيلَ وَلَةَ الْبَيْتِ وَيَقِيمُونَ لِلنَّاسِ حَجَّهُمْ وَأَمْرُ دِينِهِمْ
يَتَوَارَثُونَهُ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ حَتَّىٰ كَانَ زَمْنَ عَدْنَانَ بْنَ أَدَدَ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمْدُ فَقَسْتَ

قلوبهم، وأفسدوا وأحدثوا في دينهم، وأخرج بعضهم بعضاً) ^(١)
وهذا ما حصل في جميع الرسالات بعد رحيل المقصوم.

(١) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - ج ٤ - ص ٢١٠

الفَصْلُ الثَّانِي

الفِتْنَ وَالْمِحْنَ فِي الْغَيْبَةِ الطَّوِيلَةِ:

(طول الأمد) (قسوة القلب) هما الأمران اللذان يؤديان إلى (الاستعجال) وهو الأمر الذي طالما حذر منه المقصوم بقوله (هلكت المحاضير)! وهذا هو الذي حصل عندنا وعند غيرنا.

والغريب أن بعضهم يتوقف في هذا! بينما كل الروايات تصرّح به، فمثلاً لو كان المنهج الذي بقيت عليه الشيعة في الغيبة الكبرى - منهج الحوزات الحالية - هو عبارة عن مواصلة لمسيرة المقصوم (كما يصوروه) فلمَ أخبر عنه المقصوم ﷺ بأنهم كالنعم يحولون بحثاً عن المرعى في رواية السيد عبد العظيم بن عبد الله الحسني رضي الله عنه، عن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي - طالب عليه السلام، عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال:

للقائم منا غيبة أمدها طويل كأني بالشيعة يحولون جولان النعم في غيتيه،
يطلبون المرعى فلا يجدونه، ألا فمن ثبت منهم على دينه ولم يقُسْ قلبه لطول أمد
غيته إمامه فهو معي في درجتي يوم القيمة ثم قال ﷺ: إن القائم منا إذا قام لم
يكن لأحد في عنقه بيعة فلذلك تخفي ولادته و يغيب شخصه.^(١)

(١) كمال الدين وقام النعمة - محمد بن علي بن الحسين الصدوق - ص ٣٠٣

وفي حديث سدير الصيرفي عن الإمام الصادق عليه السلام:

ويحكم إني نظرت صيحة هذا اليوم في كتاب الجفر المشتمل على علم البلايا والمنايا وعلم ما كان وما يكون إلى يوم القيمة الذي خصَ الله تقدس اسمه به محمداً والأئمة من بعده عليهم السلام، وتأملت فيه مولد قائمنا عليه السلام وغيبته وإبطاءه وطول عمره وبلوى المؤمنين من بعده في ذلك الزمان، وتولد الشكوك في قلوب الشيعة من طول غيبته، وارتداد أكثرهم عن دينه، وخلعهم ربقة الإسلام من أعناقهم التي قال الله عز وجل: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنْقِهِ﴾ (الإسراء) (١٣) يعني الولاية.

وروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: والله لتمحَّصن والله لتطيرون يميناً وشمالاً حتى لا يبقى منكم إلا كل امرئ أخذ الله ميثاقه، وكتب الإيمان في قلبه وأيداه بروح منه.

وفي رواية أخرى، عنهم عليهم السلام: حتى لا يبقى منكم على هذا الأمر إلا الأندر فالأندر. (٢)

قلت:

فانتبه لقولهم عليهم السلام ((كأني بالشيعة يجولون جولان النعم في غيبته، يطلبون المرعى فلا يجدونه))

(١) الغيبة - محمد بن إبراهيم النعmani - ص ١٦٧ .

(٢) الغيبة - محمد بن إبراهيم النعmani - ص ٣٣ .

وقوله ﷺ ((أَلَا فَمَنْ ثَبَتَ مِنْهُمْ عَلَى دِينِهِ وَلَمْ يَقُسْ قَلْبُهُ لِطُولِ أَمْدِ غَيْبَةِ إِمَامِهِ
فَهُوَ مَعِيٌّ فِي درجتي يوم القيمة))

وقوله ﷺ ((وَبِلُوِي الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَعْدِهِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَتَوْلُدُ الشُّكُوكِ فِي
قُلُوبِ الشِّيَعَةِ مِنْ طُولِ غَيْبَتِهِ، وَارْتِدَادُ أَكْثَرِهِمْ عَنِ دِينِهِ))

وقوله ﷺ ((وَاللَّهُ لَتَمْحَصُّنَ وَاللَّهُ لَتَطْيِرُنَ يَمِينًا وَشَمَائِلًا))
وقوله ﷺ ((حَتَّى لَا يَقِنُوكُمْ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ إِلَّا الْأَنْدَرُ فَالْأَنْدَرُ))

فَالْأَخْبَارُ الْمُخْيِفَةُ هَذِهِ تَخْبِرُ عَنْ ارْتِدَادِ أَكْثَرِ الشِّيَعَةِ عَنْ مَنْهَجِهِمْ ! فَأَيْنَ
مَصْدَاقُ ذَلِكَ ؟ وَأَيْنَ الَّذِينَ تَرَكُوا مَنْهَجَ الْأَئمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ؟ وَمَنْ الَّذِي بَقَى عَلَيْهِ ؟
وَلِمَا يَصِرُّ الْخَطَابُ الرَّسُومِيُّ الْحَوزَوِيُّ عَلَى أَنَّ التَّشِيعَ (مَحْفُوظ) عِنْدَ الْفَقَهَاءِ !!
وَأَنَّ لَا تَغْيِيرَ حَصُولَهُ عَلَى الْمَنْهَجِ بَلْ هِيَ (ضَرُورَاتُ الْمَرْجَلَةِ) !! وَهُوَ خَطَابٌ
يَتَلَقَّفُهُ بِشَكْلِ مَقْدَسِ السَّدْجَ وَالْبَسْطَاءِ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَنِرُوا بِنُورِ كَلَامِهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ .

وَمَعَ كُلِّ هَذِهِ التَّحْذِيرَاتِ مِنْ فَتْرَةِ الْغَيْبَةِ وَالتَّحْذِيرِ مِنِ الإِحْسَاسِ بِطُولِ
الْأَمْدِ وَمِنْ قَسْوَةِ الْقُلُوبِ وَمِنْ اخْتِلاطِ عِلْمِهِمْ بِغَيْرِهِ ، فَقَدْ كَانَ الْمَعْصُومُ
يَعْلَمُ بِوُجُودِ الْانْهِرَافِ عَنِ الْمَنْهَجِ الْمَعْصُومِيِّ الْمُوْضُوعِ لِلتَّفْقِهِ وَذَلِكَ فِي الْغَيْبَةِ
الْكَبِيرَى فَقَالَ :

((أَمَا إِنْكُمْ لَنْ تَرَوْا مَا تَحْبُّونَ وَمَا تَأْمَلُونَ - يَا مَعْشِرَ الشِّيَعَةِ - حَتَّى يَتَفَلَّ
بَعْضُكُمْ فِي وُجُوهِ بَعْضٍ ، وَحَتَّى يُسَمَّى بَعْضُكُمْ بَعْضًا كَذَابِينَ ، وَحَتَّى لَا يَقِنُوكُمْ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ إِلَّا كَالْكَحْلِ فِي الْعَيْنِ ، أَوْ كَالْمَلْحِ فِي الْطَّعَامِ ، وَهُوَ أَقْلَى الزَّادِ .

وسأضرب لكم في ذلك مثلاً: وهو كمثل رجل كان له طعام قد ذراه وغربه
ونقاوه وجعله في بيت وأغلق عليه الباب ما شاء الله، ثم فتح الباب عنه فإذا
السوس قد وقع فيه، ثم أخرجه ونقّاه وذرّاه، ثم جعله في البيت وأغلق عليه
الباب ما شاء الله، ثم فتح الباب عنه فإذا السوس قد وقع فيه، وأخرجه ونقّاه
وذراه، ثم جعله في البيت وأغلق عليه الباب، ثم أخرجه بعد حين فوجده قد
وقع فيه السوس، ففعل به كما فعل مراراً حتى بقيت منه رزمة كرزة الأندر
الذي لا يضره السوس شيئاً، وكذلك أنتم تحصّنكم الفتنة حتى لا يبقى إلا
عصابة لا تضرها الفتنة شيئاً))^(١)

فانتبه لهذا الطعام الذي كلما نقّاه صاحبه السوس!! فالمعصوم يخبر عن
تسوس الطعام (وهو الحنطة) والفقهاء يقولون بل هو محفوظ ولا تسوس في
الطعام! والمعصوم يخبر عن خروج وارتداد أكثر الناس عن هذا المنهج والفقهاء
يقولون بأن المنهج هو نفسه وأن الفقهاء يواصلون حفظه ليوصلونه للإمام
المهدي (عجل الله فرجه) ((غضّا طریّا كما نزل))!! وهذا تعبير قاله أحد الفقهاء
نصّا!

لذا فالذين سيقولون على الأمر الأول هم القليل دائمًا فانتبه لقوله ﷺ ((وحتى
لا يبقى منكم على هذا الأمر إلا كالكحل في العين، أو كالملح في الطعام، وهو
أقل الزاد)) وقوله ﷺ ((شيعتنا من لا يعدو صوته سمعه، ولا شحناوه بدنه

ولا يمتدح بنا معلنا ولا يجالس لنا عائبا ولا يخاصل لنا قاليا، إن لقي مؤمنا
أكرمه وإن لقي جاهلا هجره، قلت: جعلت فداك فكيف أصنع بهؤلاء المتشيّعة
قال: فيهم التمييز وفيهم التبديل وفيهم التمحيص، تأقى عليهم سنون تفنيهم
وطاعون يقتلهم واختلاف يبددهم.....))^(١)

فمهزِّم كان يرى كثرة الشيعة لكن صفات الامام تدل على قُلْتَهُم فتعجب من
ذلك فأخبره المعصوم ان الذين هم شيعة لهم سيكونون الاقل دائما! ولما كنا نرى
المتشيّعة تزداد عددها بشكل كبير علمنا ان الامام ع يشير الى قَلَةَ المتمسّكين
بمنهجهم دائما.

فاستعجال الفرج ومحاولة التشبيه بالعامّة الضالة جَرَّنا الى الفوضى التي
يعيشها اليوم الشيعة، والبديل هو البقاء كما تركنا المعصوم عام ٣٢٩ للهجرة،
لا بمسابقة الضالين في علومهم. بل بالبقاء كما كان المعصوم ع: (صحُّفيّا)!
وفيه النجاة من مخاطر الغيبة، وفيه اليقين بالعمل، وفيه راحة الضمير.

فبدل ان نأخذ بكلام المعصوم الذي يصرّح بترك موافقة العامّة الضلال بقوله
((خذ بما خالف القوم، وما وافق القوم فاجتنبه))^(٢)
أخذنا بالعكس تماما!

فعندما كتب العامّة في الفلسفة، تسرّبت إلينا وصارت في الدروس الشرعية!

(١) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - ج ٢ - ص ٢٣٨ .

(٢) وسائل الشيعة - الحرس العالمي - ج ٢٧ - ص ١١٨ .

وصار اسمها ((فلسفة إسلامية))!

ويرددون في المدارس الدينية: من ليس له فلسفة لا أصول له! لأن علم الأصول فيه دقة ولا يمكن الوصول إلى بعض معانٍ الأصوليين بدون دراسة الفلسفة!

وعندما تancock المخالفونأخذنا منهم وصيروناه في الدروس الشرعية وصار العمود الفقري للفهم عند الدارسين في الدروس الشرعية!
وعندما اخترعوا الفقه التفريعي المبني على الخيارات والتشقيق بالرأي أخذنا منهم اسمه وقلنا انه على ((النهج الشيعي))!

وعندما الفوا في الرجال لأجل غربلة الحديث عندهم (وكثير منه لتمييز رواة الشيعة من غيرهم وتضعيف روایاتهم عندهم بدليل أخذهم عن الراوي الخارجي وتركهم للراوي الرافضي) أخذنا منهم وارتکزنا على كتب ألفت غالباً لغير هذا الغرض!

وفي القرن العشرين عندما قام العاّمة الضالّة بتأسيس أحرافهم السياسية للوصول الى الحكم والحكم بغير ما انزل الله! أخذوا بفکرهم وطريقتهم وأسسوا (حزب الدعوة) الذي أخذوه من مؤسس الحزب السنّي(الإخوان المسلمين) الذي ألف كتاب: (مذكرات الدعوة والداعية)!!!

ولا غرابة في هذا فاثنان من خمسة أشخاص أسّسوا هذا الحزب كانوا أعضاء في حزب (التحرير الإسلامي) ولهـم علاقـة وطـيدة مع تنظـيات (الإخـوان

المسلمين) في العراق والشام.

وحزبا التحرير والإخوان هدفهم المعلن غير المخفى الوصول إلى إقامة خلافة إسلامية على منهاج (الخلافة الراشدة)! كما يدعون أي على منهاج خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية لعنهم الله!! والغريب ان الهيكل التنظيمي لحزب الدعوة الإسلامية أخذوه من تنظيم (الحزب الشيوعي)!

ف فهو عامي والمنهج عامي والخلافة عامية^(١)! والهيكل شيوعي!
حقا هم يحولون جolan النَّعْمَ يبحثون عن المرعى، ولو كان لهم مرعى ما
رعوا في مراعي القوم!

(١) إقرأ عن الزوبعة التي اثارها الشيخ علي الكوراني في عام ٢٠٠٢ م بعدما صدر كتابه (حق اليقين في معرفة المتصوفين) بمقدمة اعترف فيها بأنه كان متاثراً بمنهج استاذه السيد محمد باقر الصدر والمتأثر بمنهج العامة! وأنه لم يتعرف الى اهل البيت ﷺ بشكل حقيقي حتى درس عند الشيخ وحيد الخراساني!، وهو يصرح في مذكراته انه يزري على حزب الدعوة عدة أمور منها ((تقليد الدعوة للإخوان المسلمين في ثقافتهم وتقليدها لحزب التحرير في تحليله السياسي. وتقليلها للحزب الشيوعي في شكله التنظيمي))! وبالظاهر ان هذا التأثير السنوي جاء من قبل الشيخ عارف البصري والأستاذ محمد هادي حسن عبدالله السبيسي (رحمهما الله) وللذان يشاع عنهم بأوساط حزب الدعوة انهم كانوا متمييان الى حزب التحرير ، والى وجود السيد طالب الرفاعي وهو صاحب العلاقة القوية مع الإخوان المسلمين! فثلاثة من ثمانية مؤسسين كانوا معجبين او منظمين في أحزاب سنوية! (هذا لو غضضنا النظر عن السيد محمد باقر الصدر الذي أسهب الشيخ الكوراني في الكلام عنه في مذكراته!) راجع مذكرات الشيخ علي الكوراني على شبكة هجر الثقافية / http://hajrnet.net/hajrvb/showthread.php?t=٤٠٣٠٢٨٦٦٠.

المجتهد... المرجع... الأعلم: العويس والمحيّر!

المجتهد عند الأصوليين هو القادر على استنباط الأحكام الشرعية من الأدلة الأربع (الكتاب، السنة، الإجماع، العقل).

وتعرّيف (الاجتهاد) مختلف بين العديد من أركان المدرسة الأصولية والباحثين فيها، ومن تلك التعرّيفات:

تعريف الشيخ علي كاشف الغطاء ((الاجتهاد: هو تحصيل الظن بالوظيفة الإلهية))^(١)

ومنها تعريف عبد النبي النجفي العراقي ((الاجتهاد: الملكة القدسية الحاصلة في بعض النفوس القدسية يقتدر بها على معرفة ما جاء به الشريعة من أصول الدين وفروعه وبيان نشأت القبيل ونشأت البعد وما فيها حتى بها يقتدر على بيان وظائف المكلفين فيما جاء به الشرعية من الأصول والفروع وغيرها))^(٢)

ومنها تعريف السيد المرعشبي ((تحصيل الحجّة على الحكم الشرعي أو الحجّة على الوظيفة في مقام العمل))^(٣)

ومنها تعريف الشيخ المتظري ((الاجتهاد: استخراج أحكام الله - تعالى - وإحرازها. و المنابع لها هي الأدلة الأربع من الكتاب، والسنة، والعقل،

(١) النور الساطع في الفقه النافع - علي كاشف الغطاء - ج ١ ص ٩٠

(٢) المعلم الزلفي في شرح العروة الوثقى - عبد النبي النجفي العراقي - ص ٣١

(٣) القول الرشيد في الاجتهاد والتقليل - شهاب الدين المرعشبي النجفي - ج ١ - ص ٥٩

والإجماع على القول به.)^(١)

ومنها تعريف الشيخ جعفر سبحاني ((الاجتهاد: هو استنباط الحكم من الأدلة الشرعية، كالكتاب والسنّة ببذل الجهد والتفكير))^(٢)

و منها تعريف عبد الكريم الموسوي ((الاجتهاد: هو القدرة على استنباط الأحكام الشرعية عن أدلةها التفصيلية بالطرق المألوفة.))^(٣)

و منها تعريف الشيخ علي الغروي ((استفراغ الوسع لتحصيل الظن بالحكم الشرعي))^(٤)

و منها تعريف رسول عجفريان ((الاجتهاد: هو تحصيل الظن من اتصف بشرط الاجتهاد بحكم شرعيٍّ من الأدلة التي ثبت بالدليل وجوب العمل بها))^(٥)

وغيرها الكثير من التعريفات، ولكل لفظ من هذه التعريفات بحوث طويلة لإثباته ونقض غيره، والخلاف في تعريف الاجتهاد الاصطلاحي طويل وعميق بعمق الخلاف على أصل المصطلح بين فقهاء الشيعة!

وللتهرّب من النقض الذي طالما أثبته فقهاء الشيعة الأوائل والذي اقتروا

(١) دراسات في ولاية الفقيه - علي متضوري - ج ٢ - ص ٨١.

(٢) موسوعة طبقات الفقهاء - جعفر السبحاني - ج ١ - ص ١١٢ .

(٣) فقه القضاء - عبد الكريم الارديلي - ج ١ - ص ٦٧ .

(٤) شرح العروة الوثقى - علي الغروي - ج ١ - ص ٩ .

(٥) رسالة فقهية في صلاة الجمعة - رسول عجفريان - ص ٤٤٥ .

به أثر المقصودين عليهم السلام على هذا المبدأ العامي في التوصل للأحكام الشرعية الذي هو نتيجة بذل الجهد بالتفكير الشخصي أو بالتدخل بالتفكير الشخصي فيها و بالآيات اخترعوا لها لكي يصلوا للحكم الشرعي المراد ، للتهرب من ذلك ومن ان يلحقهم ذم الفقهاء الأوائل الذين اتفقوا على النهي عن العمل بالاجتهاد وعزلوا من عمل به واقتفي العامة مثل ابن الجنيد وابن أبي عقيل، لذا قال الفقهاء المتأخرة بأن الخلاف لفظي بين فقهاء الشيعة! لأن الاصطلاح الحديث للاجتهاد مختلف عن الاجتهاد العامي القائم على التفكير الشخصي فقط، لأن فقهاء الشيعة يجتهدون في النصوص لا في مقابل النصوص او بلا نصوص، والأمر ليس بهذه الدقة وإن كان في الغالب هو ذلك،وإلا فمفخرة الفقهاء المجتهدين وساحة المبارزة بينهم هو العمل على المستحدثات مما لم ترد في الثقلين لها نصوص، فهل هذه يشملها الاجتهاد في النصوص؟!!

لذا فمؤسس الاجتهاد في الوسط الشيعي هو المحقق الحلي يعترف بان التعريف عنده يوافق ما عند العامة ما عدى القول بالقياس! إذ يقول في الاجتهاد ((وهو في عرف الفقهاء: بذل الجهد في استخراج الأحكام الشرعية، وبهذا الاعتبار يكون استخراج الأحكام من أدلة الشرع اجتهادا، لأنها تبني على اعتبارات نظرية ليست مستفادة من ظواهر النصوص في الأكثر، وسواء كان ذلك الدليل قياساً أو غيره، فيكون القياس على هذا التقرير أحد أقسام الاجتهاد.

فإن قيل: يلزم على هذا أن يكون الامامية من أهل الاجتهاد. قلنا: الأمر كذلك، لكن فيه إيهام من حيث أن القياس من جملة الاجتهاد، فإذا استثنى القياس كنا من أهل الاجتهاد في تحصيل الأحكام بالطرق النظرية التي ليس أحدها القياس.^(١)

فانتبه لقوله ((لأنها تبني على اعتبارات نظرية ليست مستفادة من ظواهر النصوص في الأكثر))

فهذه الاعتبارات النظرية الظنية المؤدّى والإنتاج ليست مستفادة من ظواهر النصوص غالباً! بل هي مخترعة من قبل الفقهاء والأصوليين ولم ترد عن معصوم غالباً، فهي وبالتالي تتوافق مع العامة ما عدى القول بالقياس! وهذا لا يحتاج لشرح لولا المكابرة!.

(١) معارج الأصول - جعفر بن الحسن الحلي - ص ١٨٠ .

الإجتهداد في التاريخ... رؤية السيد محمد باقر الصدر

وفي استعراض تاريخي لمصطلح الإجتهداد يعترف السيد محمد باقر الصدر بأن المصطلح عند الشيعة كان مذموماً حتى القرن السابع! إذ يقول ((وتتبع كلمة الإجتهداد يدل على أن الكلمة حملت هذا المعنى وكانت تستخدم للتعبير عنه منذ عصر الأئمة إلى القرن السابع، فالروايات المأثورة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام تزعم الإجتهداد وتريد به ذلك المبدأ الفقهي الذي يتخذ من التفكير الشخصي مصدراً من مصادر الحكم..))^(١)

وزيدة الفرق بين المعنين ما قبل القرن السابع وما بعده يقرره السيد محمد باقر الصدر في قوله ((والفرق بين المعنين جوهرى للغاية، إذ كان للفقيه على أساس المصطلح الأول للإجتهداد أن يستنبط من تفكيره الشخصي وذوقه الخاص في حالة عدم توفر النص، فإذا قيل له: ما هو دليلك ومصدر حكمك هذا؟ استدل بالاجتهداد وقال: الدليل هو اجتهادي وتفكيري الخاص وأما المصطلح الجديد فهو لا يسمح للفقيه أن يبرأ أي حكم من الأحكام بالاجتهداد، لأن الإجتهداد المعنى الثاني ليس مصدر الحكم بل هو عملية استنباط الأحكام من مصادرها، فإذا قال الفقيه (هذا اجتهادي) كان معناه أن هذا هو ما استنبطه من المصادر والأدلة، فمن حقنا أن نسأله ونطلب منه أن يدلنا على تلك المصادر والأدلة التي استنبط الحكم منها.))^(٢)

(١) المعلم الجديدة للأصول - محمد باقر الصدر - ص ٢٤.

(٢) المعلم الجديدة للأصول - محمد باقر الصدر - ص ٢٧.

ولنا ان نسأل: هل كان المجتهدون العامة يفتون بالتفكير الخاص الشخصي
بلا رجوع الى آليات أو جدوها هم كعلم الأصول واللغة؟

بالطبع: لا، وبالتالي فحصر الاجتهد بالتفكير الشخصي هو حصره بمدرسة الرأي وهي التي اشتهرت عن ربعة الرأي وأبي حنيفة، وهذا خطأ لكون مالك بن انس استعمل آليات أصول الفقه كالمصالح المرسلة وسد الذرائع وهي اليوم ما تسمى بـ(منطقة الفراغ التشريعي) أو دور الزمان والمكان في تغير الأحكام ومواضيعاتها، وأما الشافعی فهو مخترع علم أصول الفقه، وبالتالي فالاجتهد في الوسط العامي ليس تفكيرا شخصيا فقط حتى نفرز الاجتهد الشيعي عنه فنذم الأول ونمدح الثاني، بل هما سیان في كثير من مفاصيلهما، والقول بالفرق بعد هذا تحكم بلا دليل.

وكان السيد الصدر غفل عن ان الاجتهد عند الإمامية ومنذ بذرته الأولى التي زرعها المحقق الحلي قائم على ((اعتبارات نظرية ليست مستفاده من ظواهر النصوص في الأكثر)) وبالتالي لا أحد ينكر إطلاق الاجتهد اللغوي على الحكم بما جاءت به النصوص بعد بذل الوسع في التوصل للمراد منها، وفقهاء الشيعة ومنذ الغيبة الكبرى يفتون وفق ما يفهمونه ويبذلون فيه الجهد من ظاهر النصوص، ولكن الامر تغير مع المحقق الحلي وبعد هذا لا يستطيع أحد مهما زوّق في الألفاظ أن يقنع الناس بأن الاجتهد الشيعي بعيد عن الاجتهد السنّي، إذ ان الطرفين يستعملان آليات نظرية اخترعها الفقهاء ولم تأت عن معصوم، وقد نظروا بذلك بأنه للتفریع وتكثیر الفتاوی والتعامل مع المستحدثات، وهو

أمر تعامل معه فقهاء العامة منذ القرن الأول.

والسيد محمد باقر الصدر رحمه الله ولما كان في صدد الرد على المحدثين كان مضطراً للكلام بهذه الطريقة والإصرار على كون مصطلح الاجتهاد الشيعي مختلف عن الاجتهاد العامي، أما من لم يكن في صدد التصدي والرد على المحدثين فيعترف بهذه الحقيقة بلا مواربة ، يقول الشيخ علي الغروي ((وأماماً في الاصطلاح فقد عرّفوه: باستفراغ الوسع لتحصيل الظن بالحكم الشرعي وتعريف الاجتهاد بذلك وإن وقع في كلمات أصحابنا (قدس الله أسرارهم) إلا أن الأصل في ذلك هم العامة، حيث عرّفوه بذلك لذهبهم إلى اعتبار الظن في الأحكام الشرعية، ومن هنا أخذوه في تعريف الاجتهاد ووافقهم عليه أصحابنا مع عدم ملائمته لما هو المقرر عندهم من عدم الاعتبار بالظن في شيء، وأن العبرة إنما هي بما جعلت له الحجية شرعاً سواء أكان هو الظن أو غيره))^(١)

وهو اعتراف صريح منه باتباعهم في هذا التعريف وانه غير راض بذلك؟! وبذلك تندفع محاولات السيد الصدر وبذله الجهد في سبيل ابعاد التعريف عن المصطلح العامي !

يقول السيد محمد باقر الصدر في ذم الاجتهاد المبني على التفكير الشخصي وهو المعمول به عند العامة ((في أواخر القرن الرابع يجئ الشيخ المفید فيسیر على نفس الخط ويهجم على الاجتهاد، وهو يعبر بهذه الكلمة عن ذلك المبدأ الفقهي

الآنذكر ويكتب كتابا في ذلك باسم (النقض على ابن الجنيد في اجتهاد الرأي). ونجد المصطلح نفسه لدى السيد المرتضى في أوائل القرن الخامس إذ كتب في الذريعة يذم الاجتهاد ويقول: (إن الاجتهاد باطل، وإن الامامية لا يجوز عندهم العمل بالظن ولا الرأي ولا الاجتهاد) وكتب في كتابه الفقهى (الانتصار) معرضا بابن الجنيد - قائلا «إنما عول ابن الجنيد في هذه المسألة على ضرب من الرأي والاجتهاد وخطأ ظاهر» وقال في مسألة مسح الرجلين في فصل الطهارة من كتاب الانتصار: (إنما لا نرى الاجتهاد ولا نقول به).

واستمر هذا الاصطلاح في الكلمة الاجتهاد بعد ذلك أيضا، فالشيخ الطوسي الذي توفي في أواسط القرن الخامس يكتب في كتاب العدة قائلا: (أما القياس والاجتهاد فعندنا أنها ليسا بدللين، بل محظور في الشريعة استعمالهما). وفي أواخر القرن السادس يستعرض ابن إدريس في مسألة تعارض البيتين من كتابه السرائر عددا من المرجحات لاحدى البيتين على الأخرى، ثم يعقب ذلك قائلا: (ولا ترجح بغير ذلك عند أصحابنا، والقياس والاستحسان والاجتهاد باطل عندنا).

وهكذا تدل هذه النصوص بتعاقبها التاريخي المتتابع على أن الكلمة الاجتهاد كانت تعبرا عن ذلك المبدأ الفقهي المتقدم إلى أوائل القرن السابع، وعلى هذا الأساس اكتسبت الكلمة لونا مقينا وطابعا من الكراهة والاشمئزاز في الذهنية

الفقهية الإمامية نتيجة لمعارضة ذلك المبدأ والآيمان ببطلانه...))^(١)

ثم يُقرُّ السيد الصدر بأن أول من استعمل المصطلح وسط الشيعة هو المحقق الحلي ، ويواافقه الشيخ واعظ زاده الخراساني في ذلك فيقول ((والظاهر أن المحقق الأول، أو المحقق الحلي نجم الدين جعفر بن الحسن الحلي - وهو من كبار فقهاء الإمامية في القرن السابع - أول من أطلق لفظ (الاجتهاد) من الإمامية على استنباط الأحكام في كتابه (معارج الوصول في علم الأصول).))^(٢)

وهذه المرحلة الحساسية - وهي مرحلة المحقق والعلامة - هي العامل الأكبر في الانعطافة الكبيرة في عملية التفقه على مستوى المصطلحات والمصامن، وتحوله إلى شكل ومضمون وآليات عامة في كثير من مفاصلها.

ويظهر إن الأساس الذي تركه الشيخ الطوسي - بعد شيء من المحاولات على أبيدي ابن أبي عقيل وابن الجنيد والمفيد - بإدخاله الفقه التفريعي واحتياج ذلك التفريغ إلى آليات الاجتهاد العامة أثمرت في القرن السابع والثامن على يد الشيختين المحقق والعلامة، يقول الشيخ واعظ زاده ((ثم نهض في القرن الرابع فقيه معاصر للشيخ الصدوق باسم (محمد بن أحمد بن الجنيد الإسکافی) المتوفى عام ٣٨١هـ (نفس العام الذي توفي فيه الصدوق) بتأليف كتب استدلالية في الفقه الإمامي، على طراز ما كان عند أهل السنة من ذي قبل، ولكن كتبه - مع

(١) المعلم الجديد للأصول - محمد باقر الصدر - ص ٢٦ .

(٢) <http://iranarab.com/Default.asp?Page=ViewArticle&ArticleID=425>

الأسف - لم تصلنا، بل وصلنا بعض فتاويه متفرقة في الكتب المتأخرة من زمانه. ويبدو أنها تركت وأعرض عنها حين ظهورها من قبل العلماء، لأنها كانت مظنة الرأي والقياس - وقد نسب إلى ابن جنيد العمل بالقياس - وحينئذ قام تلميذه وتلميذ الصدوق معاً الشيخ المفيد (م ١٣٤ هـ) أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان، بتأليف الفقه والأصول بنفس الأسلوب مع الاحتراز عن القياس. وتبعه أصحابه في هذه الطريقة، ولا سيما الشرييف المرتضى علم المدى (م ٤٣٦ هـ) وأبو جعفر الطوسي وغيرهما، فألف المرتضى كتاب (الذرية) والطوسي كتاب (العدة) كلاهما في علم الأصول وهما لحد الآن من أفضل وأقدم المؤلفات في هذا العلم عند الإمامية. ولم يكتف السيد والشيخ بتأليف علم الأصول بل قاما بتفريع الفروع على طراز ما شاع بين المذاهب الأخرى قبل ذلك. - كما قاما بتأليف الكتب في مسائل الخلاف في الفقه - فللطوسي كتاب كبير باسم (المبسوط) في الفقه التفريعي، وقد نص في أوله على أن أصحابنا الإمامية كانوا حتى ذلك الحين يكتفون بالفقه المنصوص مجتنبين التوسع في الفروع حذراً من الوقوع في القياس والرأي. وقال: إني أطرح كل مافرّع الفقهاء حسب قواعدهم في التعويل على القياس، وأعالجهما من دون القياس تعويلاً على أصولنا. وهذا الكتاب يُعدّ أول كتاب في الفقه التفريعي عند الإمامية.)

ولما كان كلام الشيخ واعظ زاده ورد في سياق نشره في قضية (التقريب بين المذاهب)! وكونه المندوب الإيراني الشيعي في اتحاد علماء المسلمين تراه يتأسف على ضياع تلك التأليفات التي هي على ((على طراز ما كان عند أهل السنة من

ذى قبل)) وبخصوص الطوسي والمرتضى يقول ((بل قاما بتفريع الفروع على طراز ما شاع بين المذاهب الأخرى قبل ذلك)) وهو اعتراف بان هذا التأليف غريب في وسطنا الشيعي وهو الذي جرّ فيها بعد طريقة التفقه إلى ما هي عليه الآن.

والغريب فعلاً ان هناك اتفاق على ان الشيخ الطوسي خالف من قبله ومن بعده و الى القرن السابع في نسبة جوازه ما يفضي الى الظن في استنباط الحكم الشرعي، يقول يحيى محمد: ((فهناك إختلاف فيما تفضي إليه آلية فهم النص في عملية إستنباط الحكم الشرعي. فبعض العلماء يعتقد بأن هذه الآلية تفضي إلى القطع أو العلم، بما يجعل التطابق بين الفهم والنص تماماً، كما هو الحال مع رأي الشريف المرتضى وابن ادريس الحلي وإن زهرة والمحدث محمد أمين الإسترابادي وأتباعه. بل لا يستبعد القول ان هذا هو مسلك جميع المتقدمين من الامامية حتى مجيء المحقق الحلي، او ابن اخته الملقب بالعلامة الحلي، خلال القرنين السابع والثامن الهجريين، باستثناء البعض كالشيخ الطوسي.))^(١)

((ويؤيده ان الأمدي الشافعى (المتوفى سنة ٦٣١هـ) كان يضع الامامية ضمن الاتجاهات التي لا ترى للمخطئ في الاجتهاد عذرًا يسامح عليه، بتبرير مفاده انه ما من مسألة الا والحق فيها متعين وعليه دليل قاطع، فمن أخطأه فهو آثم غير كافر ولا فاسق، وهو الرأي المنسوب إلى بعض المعتزلة مثل بشر المرisi

وابن علیه وابی بکر الاصم، كذلك نفاة القياس كالظاهرية والامامية))^(١)

ومع ذلك فقد استمرت مسيرة آليات العامة التي زرعت في وسطنا الشيعي بل لقد سبق بعض أصولي الشيعة غيرهم في هذا المجال! يقول الشيخ واعظ زاده ((ولالأصوليين الذين تأخروا عن الوحد البهبهاني آراء وإبداعات في علم الأصول لم يسبق لها نظير من ذي قبل، لا في الإمامية، ولا في غيرهم من أتباع المذاهب الفقهية الأخرى)).^(٢)

واستمرت الطريقة الأصولية القائمة على الآليات العامتة الى اليوم وبها صار يتوصل الى مقام الاجتهاد، ومنه يحاول الكثير من المجتهدين أن يصل الى مقام المرجعية ومنه يحاول الوصول الى مقام الولاية العامتة أو زعامة المرجعية ولن يقف الامر عند حدود معينة بل ستظل المنافسة مستمرة طالما هناك مجتهدون آخر في الساحة!.

(١) راجع: الإحکام في اصول الأحكام - علي بن أبي علي الأمدي - ج ٤ - ص ١٨٢ .

(٢) <http://iranarab.com/Default.asp?Page=ViewArticle&ArticleID=425>

الاجتهاد... الغموض والخط الأحمر!

ومرحلة الاجتهاد مرحلة غامضة لا يعلم احد كيف يتتأكد منها صاحبها بل كيف يتتأكد منها غيره! والغريب انهم يضعون سياقات وضوابط اخترعوها ليعرف المجتهد من غيره ولكنهم لا يعترفون بها عند التطبيق!

يقول السيد أبو الحسن الاصفهاني ((يثبت الاجتهاد بالاختبار وبالشیاع المفید للعلم وبشهادة العدلين...وكذا الأعلمية))^(١) وبعضهم يضيف (الخبرين) بعد: العدلين.

لكن المجتهدين لا يتصدرون لاختبار غيرهم ولا يجيزون لاحد اختبارهم إذا علموا بذلك! واما الشیاع فلا قيمة عندهم له فكلّ يقيسه بمقاييس معین، واما العدلين فمهما كان هذان العدلان مجتهدين كبيرين فشهادتها لا توازي شيئاً إذا أراد مجتهد ما ان يشكك باجتهاد غيره، وما اکثره! لذا تجد كل مجتهد يحيط به مجموعة من يسميهم هو (أهل الخبرة) ويشكك الآخرون بخبرتهم! ويعذّبونهم من صغار الطلبة، والمحيطون به يقولون بأعلميته وكونه نائباً للمعصوم، وليس مجتهداً فقط! ومن النادر جداً ان يعطي مجتهد غيره إجازة اجتهاد! ومن النادر جداً ان يصلّي احد المجتهدين خلف غيره! ومن النادر جداً ان يعتمد احد المجتهدين على شهادة غيره من المراجع في قضية ثبوت الملال مهما كان هذا المرجع مشهوراً بالتورّع! وكأنهم فقهاء لأديان مختلفة وليسوا من اتجاه فقهى

(١) وسيلة النجاة - أبو الحسن الاصفهاني - ص ١٢ / والشروط عينها تقريباً عند باقي المجتهدين.

تابع لنفس الأئمة! والامثلة اكثُر من ان نأتي بها!

وعلى سبيل المثال:

السيد كاظم الحائري، المرجع الأصولي المعروف، نال الاجتهاد من المرجع الشهير محمود الشاهرودي المتوفى عام ١٩٧٣ م ، ولكنَّه عندما درس البحث الخارج عند السيد محمد باقر الصدر اخبره السيد الصدر بأنَّ عليه أن يحضر على الأقل خمس سنوات لينال الاجتهاد على المستوى المقبول عند السيد الصدر ! وقد حصل ذلك ، ولكن ! وفي عام ٢٠٠٣ م وعندما بدأ السيد كاظم الحائري بإصدار الفتاوى والتوجيهات للعراقيين اخبرنا رجل مقرب من مكتب السيد علي السيستاني بان السيد السيستاني لا يعدّ الحائري مجتهدا بل هو (فاضل) من فضلاء الحوزة !

ألا يُعدُّ السيد الشاهرودي المتوفى عام ١٩٧٣ م والسيد محمد باقر الصدر من الخبراء العدول في هذا المجال ؟

والامر نفسه بالنسبة للشيخ محمد اليعقوبي، فهو قد نال الاجتهاد من الشيخ محمد الكَرامي (والكرامي نال الاجتهاد من قبل الشيخ علي متضري) والشيخ محمد الصادقي الطهراني (الذي نال الاجتهاد من قبل السيد الخوئي) وبالتالي لا يستطيع أحد ان يشكك بإحرازهما الاجتهاد حسب الضوابط الأصولية، ولكن اجتهاد هذين الرجلين لم يشفع لهما ! ولم ينفع الشيخ اليعقوبي عندما قالا باجتهاده بعد عام ٢٠٠٤ م، فاصدر أكثر من مجتهد ومنهم السيد كاظم الحائري

والشيخ محمد إسحاق الفياض بشكل رسمي ومن غيرهم باشكال غير رسمي
بيانات بأن الشيخ محمد اليعقوبي ليس بمجتهد! بل وقد كان أقرب الناس إليه
يقول: أن الرجل مشتبه ويظن أنه مجتهد! .

وبينما كان المجتهدون يمتنعون عن إعطاء إجازة الاجتهاد لأحدهم من
عاصرهم، تراهم - وب مجرد ان يموت - يصدرون بيانات التعزية وهي
مصدرة بـ ((آية الله العظمى...)) وهي ما يصفون به المجتهد عادة، بل ويعددون
مناقبه وحسناته (رحمه الله)!! .

وهي من نتائج ما تسمى بـ (عقدة المعاصرة) عند الفقهاء، فكل متعاصرين
سواء كانوا بقاليين أو حامين أو فقهاء تراهم يتحاسدون ويتباغضون وفي أحسن
الأحوال يتلقاطون فقط! ولا يُنصف أحدهم الآخر حتى يموت! وهذا ليس
بغائب عن المقصوم الذي يقول:

((ان الله يعذّب الفقهاء بالحسد)).^(١)

فهل يتركنا المقصوم بين أيدي وآراء ووجهات نظر أناس يمكن ان يتزلوا الى
هذه المنزلة؟!

مع حفظ المقامات للفقهاء المتورّعين المحاطين.

ولو رجعنا لشبة التوهم في الاجتهد التي يتهم فيها الفقهاء بعضهم بعضاً،
فما المائز بين هذا التوهم وبين يقينية الاجتهد؟

(١) جامع احاديث الشيعة - حسين البروجردي - ج ١٣ - ص ٥٥٤

وهل هناك يقينية في تحصيل هذا الاجتهاد أصلاً؟ وهل له حدود يعرف بها
المجتهد من غيره؟!

كما هو شأن المقصوم وطريقته، إذ يقول:

ما خلق الله حلالا ولا حراما إلا وله حدود كحدود الدار، فما كان من حدود
الدار فهو من الدار. ^(١)

فهل لهذا الاجتهاد من حدود يعرف بها حتى لا يكون للحاسد والبغض
والعدو من قول قباليه؟!

والملفت انهم يدرجون شرائط للتعرف على المجتهد والاعلم ولكن عندما
يأتي مكلف لأحد المجتهدين ويقول له: إني قلتلك بلا نظر إلى الشرائط التي
تدرجوها للتقليد، فيكون الجواب: هذا رزق ساقه الله إليك! ولا يقول له
اذهب وطبق القواعد ثم انظر!

فلماذا كتب هؤلاء الفقهاء تلك الضوابط إذا كانوا هم لا يعملون بها؟!!
وما هذا الغموض الذي يلفّ ما يسمّى بـ(الاجتهاد) والذي يسقط صاحبه في
فح التوهّم والظن في مسألة خطيرة كالإفتاء! من حيث لا يشعر، بينما هو بقصد
الإفتاء بعظام الأمور!

بل وكونه أمر بشري لم يرد فيه وبحدوده وشرائطه وتعريفه أي نصّ عن

معصوم فتراه كالكرة بين الاقدام يركلها من يريد ويحملها من يريد وينكرها على غيره من يريد! بل صار في زماننا من الابتذال بمكان حتى رأينا احد المتصدّين والذي يقول باجتهاد نفسه وبأعلميته على جميع الموجودين من الفقهاء يعطي لخمسة من طلبه إجازات الاجتهاد بينما هو لم ينل الاجتهاد من أحد الفقهاء، وكل دعواه انه يتحداهم بالنقاش حول درسه الأصولي وهم يرفضون!

بل نقل بعض المؤلفين - وهو محمد بن سليمان التنكابني - في كتابه قصص العلماء إن الشيخ محمد حسن النجفي الجواهري أعطى لأحد هم إجازة اجتهاد مقابل بيت تنازل عنه له في النجف!

لذا ولعدم التركيز على مستوى التشيع العقدي عند الفقيه وتركيزهم على الفروع التي فرّعوها هم وكثروها، فقد أجاز بعض الفقهاء تقليد الكافر في الفقه إذا كان ((ثقة))!! وكان أعلم من غيره^(١)! وهذه نتيجة القواعد التي يتوجهها العقل الناقص! في بينما ينهى الإمام عن الرجوع لغير ((شيعتنا)) يحيز الفقهاء الرجوع الى الكافر الثقة الأعلم!!

وبعد الاجتهاد تأتي مرحلة السير الطويل نحو المرجعية! ومن الملفت ان نرى كل هذه النصوص المعصومة التي تحذر من الرئاسة ومن فتنة خفق النعال وراء الإنسان ومع كل هذا فكثير من يصل الى الاجتهاد يطمح بالوصول الى المرجعية وان يرجع له الناس بعباداتهم ومعاملاتهم وان يسلمه الخمس وان يأمر بأمره

(١) نص مفرّغ للسيد كمال الحيدري بصوته <https://www.youtube.com/watch?v=SffMXx12UjI>

وينتهي بنهاية!

وكان كل حديث المقصود حول الزهد بالدنيا وحطامها موجّه لغيرهم؟!

والله سبحانه يقول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانَ لَيُكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ
بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ.....﴾ (٣٤) التوبة

وقد اخبر النبي ﷺ بوقوع كل ما وقع في الأمم السابقة في هذه الأمة.

وقال ﷺ: أوحى الله إلى داود عليه السلام: لا تجعل بيني وبينك عالماً مفتوناً بالدنيا
فيصدقك عن طريق محبيه، فإن أولئك قطاع طريق عبادي المربيدين، إن أدنى ما
أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة مناجاتي عن قلوبهم ^(١).

وعن حفص بن غياث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا رأيتم العالم محبًا للدنياه
فاتهموه على دينكم، فإن كل محب لشيء يحوط ما أحب ^(٢).

فهل كل هؤلاء الفقهاء الذين يحاربون ويخاصمون على رئاستهم الدينية هم
مخلصون وكلهم يريد إبراء ذمته من المسؤولية! كما يروج الحواشى والأتباع؟!

ألا يكون جزء من إبراء الذمة هو الحفاظ على شيعة أهل البيت من التشرذم
والتفرق والضعف بسبب هذه الخصومات والعداوات والأموال الجليلة التي
تذهب في ((فيافيبني سعد)) بسبب ذلك، كما وصفها أحد الفقهاء المعاصرين

(١) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - ج ١ - ص ٤٦.

(٢) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - ج ١ - ص ٤٦.

اما الأعلمية عند الفقيه فهي عويصة الدهر!

فالاعلم بماذا؟ بالأصول ام الفقه ام الرجال أم بكل تلك إضافة للأمور
الحياتية العامة؟ أم بها كلها إضافة لـ(تفسير القرآن)! والعقيدة؟

وما الدليل على القول به بأي نطاق قيلت به؟

وكيف تركت مسألة خطيرة كهذه بلا بيان من المقصود؟

ولو كان المجتهد ليس بأعلم فكيف يجوز له العمل باجتهاد نفسه بينما هو
يعلم بوجود الأعلم منه والدليل عنده بوجوب الرجوع للأعلم؟

وهل التزموا بالشروط والضوابط التي يضعونها في كتبهم؟

فهل يقبلون بـ(الاختبار) الذي يُدرجوه في الرسائل العملية كأحد طرق
معرفة الأعلم^(١)؟

أما شهادة أهل الخبرة فهي الأخرى من الغواصات! فلا حد معروف لأهل
الخبرة! وكل مجموعة محيطة بمرجع ما وتدرس عنده لفترة ما يعتبرهم هذا
المرجع أهل خبرة وهم يعتبرون أنفسهم أهل خبرة، وأما باقي المراجع فينكرون

(١) * صاحب هذه السطور يراسل المراجعات باستمرار عن طريق البريد الإلكتروني، وفي خصوص
الاختبار العلمي راسلهم وعرض عليهم عدة أسئلة فقهية وأصولية وطلب منهم الإجابة وأخبرهم أن
الأسئلة للتمييز لغرض تعيين الأعلم، وكانت الرسالة مرسلة لثلاثة مراجع معروفي، فلم يجب عن
الرسالة واحد منهم! مع أنهم واصلوا الإجابة عن أسئلة ابتلائية أرسلت لهم لاحقاً!

عليهم ذلك والطلبة من المراجعات الأخرى ينكرون عليهم ذلك!

ونظراً لأسلوب تمويل الطلبة من المراجع فكل طلبة لمرجع ما يشهدون بأعلميته على غيره! إضافة للتأثير العاطفي من الطلاب الذين يبهرهم شكل المرجع وعبادته وزهده! فلا يرون غيره، وكل هذا امر طبيعي جداً نظراً لضعف شخصية البشر بشكل عام وخضوعهم لأضعف العوامل المادية او النفسية، بل وخضوعهم لأبنائهم وأصهارهم وحواشيهم التي تحوطهم وتعزّهم عن الناس!.

كل هذه الإشكالات على هذا (الكهنوت) الشيعي والرئاسة المختربة والحرص عليها والضوابط التي لم ينزل بها النص تجعل من العسير القول بأن أهل البيت عليهم السلام قد تركوا لنا هذا الهيكل بهذا التراتب المدعى وبهذه الضوابط التي وضعها الفقهاء ولم يراعوها، بل الواقع أن التراث المعصومي كله ينفي هذه الرئاسة وتشريعها بل ورد التحذير منها لأن ادعاء الرئاسة تكون معها لزوم الوجاهة الباطلة والسلطة الغاشمة والحرص على المال وصرفه في غير مصارفه - إِلَّا مَنْ رَحْمَ اللَّهَ - وتبييد حقوق الفقراء والمساكين، لذا فأنت ترى في العراق - وهو بلد المرجعية الأقدم والأعرق - ترى الفقراء يملئون البلاد طولاً وعرضًا، من أرامل ويتامى ومبتوبي الأطراف وغيرهم مما لا يحصيهم العد وهم لا يجدون من يلتفت إلى وضعهم واقتصر ما يمكن أن يناله أحدهم بعد أن يسلك كل الطرق في سبيل تحصيل التزكيات الالزمة - هو مبلغ لا يسد الرمق، بينما يرفل غيرهم من له وكالة لأحد المراجع أو صلة قرابة أو صلة

بمكتب لأحد المراجع فهو باستطاعته ان ينال من الدنيا بما لا يستطيعه غيره - إلّا
من رحم الله - !

أما شبهة أن المرجعية أصلها حديث الإمام الحجّة عجل الله فرجه ((وأما
الحوادث الواقعـة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنـهم حجـتي عليـكم وأنا حـجة
الله عليهم))^(١)

ويقولون بأن الإمام أرجع الناس إلى رواة الحديث وبالتالي فهم المرجعية التي
يرجع إليها الناس ! والأمر ليس كذلك !

فالإمام أمر بالرجوع إلى رواة الحديث فقط ! فمن يفتـي في قضايا المستـحدثات
يقرـّ بـأنـه يـفتـي بالـأدـلةـ الـاجـتـهـادـيـةـ وـبـلـ اـنـصـوـصـ وـبـلـ حـدـيـثـ بلـ بـالـأـصـوـلـ الـعـمـلـيـةـ
وـبـالـقـيـاسـ وـبـالـتـالـيـ لـاـ يـجـوزـ اـتـبـاعـهـ وـرـجـوعـ إـلـيـهـ فـيـ ذـلـكـ !

ثم إن الرجوع إلى رواة الحديث جاء في ((الحوادث الواقعـة)) لكونـ الحـوـادـثـ
المـاضـيـةـ فـيـهاـ أـخـبـارـ صـرـيـحةـ وـتـرـكـ اـهـلـ الـبـيـتـ كـتـبـهاـ اـصـحـاـبـهـمـ فـيـ هـذـاـ المـجـالـ،ـ
لـكـنـ حـوـادـثـ الـوـاقـعـةـ قـدـ تـخـفـىـ عـلـىـ بـعـضـ مـنـ لـمـ يـهـارـ سـ وـيـتـفـقـهـ عـلـىـ حـدـيـثـهـمـ
سـلـامـ اللـهـ عـلـيـهـمـ فـهـنـاـ يـأـتـيـ دـورـ رـوـاـةـ الـحـدـيـثـ وـحـمـلـةـ رـاـيـتـهـ فـيـ كـلـ عـصـرـ لـيـعـرـضـوـاـ
هـذـهـ الـوـقـائـعـ عـلـىـ حـدـيـثـهـمـ وـهـوـ بـذـلـ الـوـسـعـ فـيـ بـيـانـ أـحـكـامـهـمـ بـيـانـ السـلـاـمـ.

نصيحة من الإمام الرضا عليه السلام تُكتب بماء الذهب!

روى في الوسائل ((باب وجوه الجمع بين الأحاديث المختلفة))^(١)

عن أحمد بن الحسن الميسمى أنه سأله الرضا عليه السلام يوماً وقد اجتمع عنده قوم من أصحابه، وقد كانوا يتنازعون في الحديثين المختلفين عن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه في الشيء الواحد فقال :

إن الله حَرَم حِرَاماً، وأحْلَّ حَلَالاً، وفرض فرائض فما جاء في تحليل ما حرم الله، أو في تحريم ما أحل الله أو دفع فريضة في كتاب الله رسَّمها بين قائم بلا ناسخ نسخ ذلك، فذلك ما لا يسع الأخذ به، لأن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه لم يكن ليحرِّم ما أحل الله، ولا ليحلل ما حرم الله ولا ليغير فرائض الله وأحكامه، كان في ذلك كله متبعاً مسلماً مؤدياً عن الله، وذلك قول الله: (إِن تَبِع إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيْكُمْ)

فكان عليه السلام متبعاً لله، مؤدياً عن الله ما أمره به من تبليغ الرسالة.

قلت: فإنه يرد عنكم الحديث في الشيء عن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه ما ليس في الكتاب، وهو في السنة، ثم يرد خلافه؟

قال: كذلك قد نهى رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه عن أشياء، نهى حرام فوافق في ذلك نهيه نهي الله، وأمر بأشياء فصار ذلك الأمر واجباً لازماً كعدل فرائض الله، فوافق في ذلك أمره أمر الله، فما جاء في النهي عن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه نهى حرام ثم جاء خلافه لم يسع استعمال ذلك، وكذلك فيما أمر به، لأننا لا نرِّخص فيما لم يرِّخص فيه رسول

(١) وسائل الشيعة - المحر العاملی - ج ٢٧ - ص ١١٣ .

الله عَلَيْهِ الْحَمْدُ وَلَا نَأْمِرُ بِخَلَافٍ مَا أَمْرَبِهِ رَسُولُ الله عَلَيْهِ الْحَمْدُ إِلَّا لِعَلَةٍ خَوْفٍ ضَرُورَةٍ، فَأَمَّا أَنْ

نَسْتَحْلِلُ مَا حَرَّمَ رَسُولُ الله عَلَيْهِ الْحَمْدُ أَوْ نَحْرِمُ مَا اسْتَحْلَلَ رَسُولُ الله عَلَيْهِ الْحَمْدُ فَلَا يَكُونُ ذَلِكُ

أَبْدًا، لَأَنَّا، تَابُعُونَ لِرَسُولِ الله عَلَيْهِ الْحَمْدُ مُسْلِمُونَ لَهُ، كَمَا كَانَ رَسُولُ الله عَلَيْهِ الْحَمْدُ تَابِعًا لِأَمْرِ

رَبِّهِ، مُسْلِمًا لَهُ، وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخَذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ

فَانْتَهُوا) وَإِنَّ اللَّهَ نَهَىٰ عَنِ الْأَشْيَاءِ لِيُسَمِّنَ حِرَامًا، بَلْ إِعْافَةً وَكُراْهَةً، وَأَمْرَ بِالْأَشْيَاءِ

لِيُسَمِّنَ بِأَمْرٍ فَرْضٍ وَلَا وَاجْبٍ بَلْ أَمْرًا فَضْلًا وَرِجْحَانًا فِي الدِّينِ، ثُمَّ رِخْصَنَ فِي

ذَلِكَ لِلْمَعْلُولِ وَغَيْرِ الْمَعْلُولِ، فَمَا كَانَ عَنْ رَسُولِ الله عَلَيْهِ الْحَمْدُ نَهَىٰ إِعْافَةً، أَوْ أَمْرَ فَضْلًا

فَذَلِكَ الَّذِي يَسْعُ اسْتِعْمَالَ الرِّخْصَةِ فِيهِ، إِذَا وَرَدَ عَلَيْكُمْ عَنِ الْخَبَرِ فِيهِ بِالْتَّفَاقِ يَرْوِيهُ

مِنْ يَرْوِيهِ فِي النَّهَىٰ وَلَا يَنْكِرُهُ، وَكَانَ الْخَبَرُ صَحِيحَيْنِ مَعْرُوفَيْنِ بِالْتَّفَاقِ النَّاقِلَةِ

فِيهِمَا، يَجِبُ الْأَخْذُ بِأَحَدِهِمَا أَوْ بِهِمَا جَمِيعًا أَوْ بِأَيِّهِمَا شَئْتُ وَأَحَبَبْتُ مَوْسِعَ ذَلِكَ لَكَ

مِنْ بَابِ التَّسْلِيمِ لِرَسُولِ الله عَلَيْهِ الْحَمْدُ وَالرِّدِّ إِلَيْهِ وَإِلَيْنَا وَكَانَ تَارِكُ ذَلِكَ مِنْ بَابِ الْعِنَادِ

وَالْإِنْكَارِ وَتَرْكِ التَّسْلِيمِ لِرَسُولِ الله عَلَيْهِ الْحَمْدُ مُشَرِّكًا بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، فَمَا وَرَدَ عَلَيْكُمْ مِنْ

خَبَرِيْنِ مُخْتَلِفِيْنِ فَاعْرَضُوهُمَا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ، فَمَا كَانَ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَوْجُودًا حَلَالًا

أَوْ حَرَامًا فَاتَّبَعُوا مَا وَافَقُوا فِي الْكِتَابِ، وَمَا لَمْ يَكُنْ فِي الْكِتَابِ فَاعْرَضُوهُ عَلَى سُنْنَةِ

رَسُولِ الله عَلَيْهِ الْحَمْدُ، فَمَا كَانَ فِي السُّنْنَةِ مَوْجُودًا مِنْهَا عَنْهُ نَهَىٰ حِرَامًا، وَمَأْمُورًا بِهِ عَنْ

رَسُولِ الله عَلَيْهِ الْحَمْدُ أَمْرًا إِلَزَامًا فَاتَّبَعُوا مَا وَافَقُوا نَهَىٰ رَسُولُ الله عَلَيْهِ الْحَمْدُ وَأَمْرَهُ، وَمَا كَانَ فِي

السُّنْنَةِ نَهَىٰ إِعْافَةً أَوْ كُراْهَةً، ثُمَّ كَانَ الْخَبَرُ الْأَخِيرُ خَلَافَهُ فَذَلِكَ رِخْصَةٌ فِيهَا عَافَهُ

رَسُولُ الله عَلَيْهِ الْحَمْدُ وَكُرِهَهُ وَلَمْ يُحِرِّمْهُ، فَذَلِكَ الَّذِي يَسْعُ الْأَخْذُ بِهِمَا جَمِيعًا، وَبِأَيِّهِمَا

شَئْتُ وَسَعْكَ الْاِخْتِيَارِ مِنْ بَابِ التَّسْلِيمِ وَالْاِتَّبَاعِ وَالرِّدِّ إِلَى رَسُولِ الله عَلَيْهِ الْحَمْدُ، وَمَا

لم تجدوه في شيء من هذا الوجه فرددوا إلينا علمه فنحن أولى بذلك، ولا تقولوا فيه بآرائكم وعليكم بالكف والثبت والوقوف، وأنتم طالبون باحثون حتى يأتيكم البيان من عندنا)).

فهل يا ترى تكون فناوى (المستحدثات) في (وسائل الإخ hacab الصناعي)
التي يعمل بها الفقهاء اليوم وافقت ما يقوله أهل البيت عليهما السلام؟
كيف نعرف الحق في أي جانب؟!

يقول النبي عليه وآلـه الصلاة والسلام ((عليـ مع الحق والحق معـه، لا يفترـ قـانـ حتى يرـدا علىـ الحـوض))^(١) فـكل قضـية ثـبتـ انـ عـلـيـ ﷺ سـلـكـها أوـ نـصـحـ بهاـ فـهيـ حـقـ لـا مـرـيـةـ فـيهـ، وـمـنـ ذـلـكـ: المـيزـانـ فـيـ مـعـرـفـةـ الصـحـيـحـ مـنـ الـخـطـأـ، فـقـدـ وـرـدـ عـنـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ ﷺ مـيزـانـ يـسـتـطـيـعـ كـلـ مـؤـمـنـ أـنـ يـسـتـعـمـلـهـ لـلـتـوـصـلـ إـلـىـ تـرـجـيـحـ الجـانـبـ الـأـقـرـبـ لـلـهـ، وـاتـبـاعـ سـبـيلـ الـمـعـصـومـينـ فـيـ ذـلـكـ.

فقدروي إن الحارث بن حوط أتاه فقال: أتراني أظن أصحاب الجمل كانوا على ضلاله؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا حارث، إنك نظرت تحتك ولم تنظر فوقك، فحررت. إنك لم تعرف الحقّ فتعرف من أتاها، ولم تعرف الباطل فتعرف من أتاها.

فقال الحارث: فإني أعتزل مع سعيد بن مالك وعبد الله بن عمر. فقال عليه السلام:

إِنَّ سَعِيداً وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ لَمْ يَنْصُرَا الْحَقَّ وَلَمْ يَخْذُلَا الْبَاطِلَ.)^(١)

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام ((لا تنظر إلى من قال، وانظر إلى ما قال)).^(٢)

قال أمير المؤمنين عليه السلام للحارث الهمداني لما أخبره أن الناس يختصمون به وبالثلاثة من قبله (أبو بكر وعمر وعثمان) فقال أمير المؤمنين عليه السلام:

((إِنَّ خَيْرَ شِيعَتِي النِّمطُ الْأَوْسَطُ، إِلَيْهِمْ يَرْجِعُ الْغَالِيُّ، وَبَهُمْ يَلْحُقُ التَّالِيُّ.
وَإِنَّكَ امْرُؤٌ مُلْبُوسٌ عَلَيْكَ. إِنَّ دِينَ اللَّهِ لَا يُعْرَفُ بِالرِّجَالِ، فَاعْرُفْ الْحَقَّ تَعْرُفْ
أَهْلَهُ).^(٣))

فدين الله لا يعرف بالرجال، فما وجدناه فارق الكتاب والعترة فارقناه، ومن
لزمهما لزمانه، وهذا واضح كما قال الإمام الصادق عليه السلام:

((.....أَمْرُنَا أَئِيْنَ مِنْ هَذِهِ الشَّمْسِ))^(٤)

وفي مقام التفريق بين منهج الشيعة الأوائل المأخوذ عن المعصومين عليهم السلام
نرى أنهم كانوا يتبعون العترة باعاً بداع وشبراً بشبر لا يسبقونهم ولا يتأنرون
عنهم، فلا تجد فتاوى بلا أدلة شرعية من الثقلين، وهذا ما نرى فقدانه عند
 أصحاب المنهج الأصولي بشكل واضح، فعلى سبيل المثال:

(١) نهج البلاغة ص ٥٢١.

(٢) تصنيف نهج البلاغة ، لبيب بيضون ص ٤٨٢ .

(٣) خاتمة المستدرك ج ٢ ص ٢٢١ .

(٤) الكافي ج ١ ص ٣٣٩ .

حرمة اللعب بالشطرنج عند المقصومين، وحلّيته عند السيد روح الله الحسيني!:

ورد عن المقصومين روایات عديدة في حرمة اللعب بالشطرنج حتى جعل لها الشیخ الکلینی بابا مستقلا في كتابه الجلیل (الکافی) سماه ((باب النرد والشطرنج)) جاء فيه:

١ - محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن معمر بن خلاد، عن أبي الحسن عليه السلام قال: النرد والشطرنج والأربعة عشر بمنزلة واحدة وكل ما قومناه عليه فهو ميسر.

٢ - محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن خالد، والحسين بن سعيد جميعا، عن النضر بن سويد، عن درست، عن زيد الشحام قال: سألت أبي عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: «فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور» فقال: الرجل من الأوثان: الشطرنج، وقول الزور: الغناء.

٣ - عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن ابن أبي نجران، عن مثنى الحناط، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: الشطرنج والنرد هما الميسر.

٤ - علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حفص بن البختري، عمن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الشطرنج من الباطل.

٥ - ابن أبي عمير، عن محمد بن الحكم أخي هشام بن الحكم، عن عمر بن

يزيد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله في كل ليلة من شهر رمضان عتقاء من النار إلا من أفطر على مسکر أو مشاحن أو صاحب شاهين، قال: قلت: وأي شيء صاحب شاهين؟ قال: الشطرنج.

٦ - محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن علي بن عقبة، عن ابن بكر، عن زرار، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سئل عن الشطرنج وعن لعبة شبيب التي يقال لها: لعبة الأمير وعن لعبة الثلاث فقال: أرأيتك إذا ميز الحق من الباطل مع أيهما يكون؟ قال: قلت: مع الباطل، قال: فلا خير فيه.

٧ - علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: ((فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور)) قال: الرجس من الأوثان هو الشطرنج وقول الزور الغناء.

٨ - محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن سنان، عن عبد الملك القمي قال: كنت أنا وإدريس أخي عند أبي عبد الله عليه السلام فقال إدريس: جعلنا الله فداك ما الميسر؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: هي الشطرنج، قال: فقلت: أما إنهم يقولون: إنها النرد، قال: والنرد أيضا.

٩ - عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن محمد بن عيسى، عن عبد الله بن عاصم، عن علي بن إسماعيل الميثمي، عن ربعي بن عبد الله، عن الفضيل قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن هذه الأشياء التي يلعب بها الناس النرد والشطرنج حتى انتهيت إلى السدر فقال: إذا ميز الله بين الحق والباطل في أيهما يكون؟ قلت:

مع الباطل، قال: فمالك وللباطل.

١٠ - سهل، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن الحسين بن عمر بن يزيد، عن أبي عبد الله ﷺ قال: يغفر الله في شهر رمضان إلا لثلاثة صاحب مسكر أو صاحب شاهين أو مشاحن.

١١ - عنه، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن أبي أويوب، عن عبد الله بن جندب، عمن أخبره، عن أبي عبد الله ﷺ قال: الشطرنج ميسر وال nerd ميسر.

١٢ - علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى قال: دخل رجل من البصريين على أبي الحسن الأول ﷺ فقال له: جعلت فداك إني أقعد مع قوم يلعبون بالشطرنج ولست ألعب بها ولكن أنظر فقال: مالك ول المجلس لا ينظر الله إلى أهله.

١٣ - علي بن إبراهيم، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن زياد، عن أبي عبد الله ﷺ أنه سئل عن الشطرنج فقال: دعوا المجوسية لأهلهما لعنها الله.

١٤ - محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن موسى بن القاسم، عن محمد بن علي ابن جعفر، عن الرضا ﷺ قال: جاء رجل إلى أبي جعفر ﷺ فقال: يا أبو جعفر ما تقول في الشطرنج التي يلعب بها الناس؟ فقال: أخبرني أبي علي بن الحسين، عن الحسين ابن علي، عن أمير المؤمنين ع ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: من كان ناطقاً فكان منطقه لغير ذكر الله عز وجل كان لاغياً ومن كان صامتاً فكان صمته لغير ذكر الله كان ساهياً ثم سكت فقام الرجل وانصرف.

١٥ - عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن ابن محبوب، عن ابن رئاب

قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت: جعلت فداك ما تقول في الشطرنج؟

قال: المقلب لها كالمقلب لحم الخنزير؟ فقلت: ما على من قلب لحم الخنزير؟ قال
يغسل يده.

١٦ - سهل بن زياد، عن علي بن سعيد، عن سليمان الجعفري، عن أبي الحسن

الرضاء عليه السلام قال: المطلع في الشطرنج كالمطلع في النار.

١٧ - علي بن إبراهيم، عن أبيه عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد

الله عليه السلام قال: نهى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن اللعب بالشطرنج والند.

وجاء في كتاب الخصال للشيخ الصدوق:

حدثنا محمد بن الحسن رضي الله عنه قال: حدثنا أحمد بن إدريس، عن محمد

بن أحمد بن حبيبي بن عمران الأشعري بسانده رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال:

نهى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يسلّم على أربعة: على السكران في سكره، وعلى من يعمل

التماثيل، وعلى من يلعب بالنرد، وعلى من يلعب بالأربعة عشر، وأنا أزيدكم

الخامسة أنهاكم أن تسلّموا على أصحاب الشطرنج.

ويقول الشيخ الصدوق في كتابه الجليل (من لا يحضره الفقيه):

((فاما الشطرنج فإن اخاذها كفر، واللعب بها شرك، وتعليمها كبيرة موبقة،

والسلام على اللاهي بها معصية، ومقلبها كمقلب لحم الخنزير، والناظر إليها

كل هذه نصوص عن المعصومين عليهم السلام، حتى كلام الشيخ صدوق فهو عبارة عن مضمون عدة نصوص، ولكن نجد بعض الفقهاء من ترك كل هذه النصوص ومعناها الواضح وضوح الشمس وأوّلها باهتًا ذاهبة إلى تحريره مع الرهان لا لكونه تسلية، وهو استنباط ظني لا يحصل العلم به لوجود قرينة هنا أو هناك استنبطها الفقيه لبنيّة فكرية خاصة يظن أنه يتمتع بها!^(٢)

نموذج آخر لفتاوي الرأي:

ورد في كتاب (أجوبة الاستفتاءات)^(٣) الأسئلة والأجوبة التالية:

التلقيح الصناعي:-

((س ١٩١: أ - هل يجوز التلقيح الأنبوبي فيما إذا كانت النطفة والبويضة من زوجين شرعاً؟ (هناك تفصيلات في السؤال ليس لها دخل في الجواب)

ج: لا مانع من العمل المذكور في نفسه، ولكن يجب الاجتناب عن المقدمات المحرمة شرعاً، فلا يجوز للرجل الأجنبي أن يتولى هذه العملية فيما لو كانت مستلزمة للنظر أو اللمس الحرام.))

قلنا: موضع التوقف في هكذا فتوى: إن العلاقة الشرعية التي يتبع عنها

(١) ج ٤ ص ٥٩.

(٢) حللها السيد روح الله الخميني في حال عدم كونها من مع الرهان / راجع (منية السائل) للسيد الخوئي (رحمه الله) وردّه على تلکم الفتوى في (باب الات للهو والقمار).

(٣) الاستفتاءات - علي الخامنائي - ج ٢ - ص ٦٩.

الطفل المسلم المؤمن ليست علاقة مختبرية، حتى يجاز الذهاب إلى المختبر لإيجاد الطفل لكونه لا يأتي بالطريق الطبيعي، بل هي عملية روحية قبل أن تكون مادية، لذا فالآئمة عليهم السلام أحاطوا بها بمستحبات قبلها ونواهٍ ونصائح خلاها، إلى أن تتم وتوضع النطفة في الرحم، وهي عملية تسبقها البسمة والتعوذ من الشيطان، وبعد الحمل يكون تعاهد الجنين من خلال أكل الحلال والوضوء والابتعاد عن المعاصي وعمل القربات، وكتب حديثهم عليهم السلام مليئة بهذه الروايات، فالواجب في أمثال هذه الأسئلة ردّ الأمر إلى صاحب الأمر عليه السلام وهو إمام زماننا عجل الله فرجه الشريف والتوقف بلا تحليل أو تحريم، لكونها قضية تتعلق بمستقبل طفل سيaci إلى هذه الحياة لا نعلم هل جنينا عليه بهذا الفعل أم ماذا؟!

روى الشيخ الصدوق عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: ((ما ترك الله الأرض بغیر عالم ينقص ما زادوا ويزيد ما نقصوا، ولو لا ذلك لاختلطت على الناس أمرهم)).^(١) فلو لا وجود المعصوم لاختلطت أحوال الناس وزادوا ونقصوا، فغيبته ملازم لاختلاط أحوالهم إلا إذا توقفوا في الشبهات التحريرية واحتاطوا لدينهم.

((س ١٩٢: بعض الأزواج بسبب عدم امتلاك الزوجة للبويبة التي هي ضرورية لعمل اللقاح يضطرون أحياناً إلى الانفصال أو يواجهون مشكلات زوجية ونفسية بسبب عدم إمكانية علاج المرض وعدم الإنجاب، فهل تجوز

الاستفادة من بويضة امرأة أخرى بالطريق العلمي لعمل اللقاح بنطفة الزوج في
خارج الرحم ثم نقل النطفة الملقة إلى رحم الزوجة؟

ج: العمل المذكور وإن لم يكن فيه في نفسه إشكال شرعا إلا أن الطفل
المتولد عن هذا الطريق يلحق بصاحب النطفة والبويضة ويشكل الحاقدة بالمرأة
صاحبة الرحم، فينبغي لها مراعاة الاحتياط بالنسبة للأحكام الشرعية الخاصة
بالنسب.). قلنا: لا حول ولا قوّة إِلَّا بالله العلي العظيم! وما الدليل الشرعي
على هكذا فتاوى؟!

((س ١٩٣: لو أخذت النطفة من الزوج وبعد وفاته لقحت بها بويضة
الزوجة ثم وضعت في رحمها، فأولاً: هل يجوز هذا العمل شرعا؟ وثانياً: هل
يكون المولود من ذلك ابنا للزوج وملحقا به شرعا؟ وثالثاً: هل المولود يرث من
صاحب النطفة؟

ج: لا بأس في العمل المذكور في نفسه، ويلحق الولد بصاحب البويضة
والرحم ولا يبعد الحاقدة بصاحب النطفة ولكن لا يرث منه.).

قلنا: لا حول ولا قوّة إِلَّا بالله العلي العظيم، وما الدليل الشرعي على هكذا
آراء؟!

((س ١٩٤: هل يجوز تلقيح زوجة الرجل الذي لا ينجذب بنطفة رجل أجنبي
عن طريق وضع النطفة في رحمها؟

ج: لا مانع شرعاً من تلقيح المرأة بنطفة رجل أجنبي في نفسه،^(١)* ولكن يجب الاجتناب عن المقدمات المحرمة من قبيل النظر واللمس الحرام وغيرهما، وعلى أي حال فإذا تولد طفل عن هذه الطريقة، فلا يلحق بالزوج بل يلحق بصاحب النطفة وبالمرأة صاحبة الرحم والبويضة، ولكن ينبغي في هذه الموارد مراعاة الاحتياط في مسائل الإرث ونشر الحرمة.)

قلنا: لا حول ولا قوّة إِلَّا بالله العلي العظيم! بنطفة رجل أجنبي !!

((س ١٩٥ : ١ - المرأة ذات البعل إذا كانت لا تنزل منها بويضة لكونها يائسة أو لغير ذلك، فهل يجوز أن ينقل إلى رحمها بويضة من زوجة بعلها الثانية بعد تلقيحها بنطفة الزوج؟ وهل هناك فرق بين أن تكون هي أو الزوجة الثانية دائمية أو منقطعة؟

٢ - من ستكون أم الطفل من هاتين المرأةتين؟ صاحبة البويضة أو صاحبة الرحم؟

٣ - هل يجوز هذا العمل فيها إذا كانت الحاجة إلى بويضة الزوجة الأخرى من أجل ضعف بويضة صاحبة الرحم إلى درجة يخاف من لقاح نطفة الزوج بها أن يولد الطفل مشوهاً؟

ج: ١ - لا مانع شرعاً في أصل العمل المذكور، ولا فرق في الحكم بين أن

(١) * للعلم فقط: الفاتيكان أصدر بياناً يعلن تحريمه للعمل المزبور!! لكن في حوزاتنا ((التي تعاصر الحداثة والتطور ومواكبة الدين لتطورات الحياة!)) فهو جائز، حلال، زلال!!.

يكون نكاحهما دائمين أو منقطعين أو مختلفين.

٢- الطفل ملحق بصاحب النطفة والبوبيضة، ويشكل الحاقه بصاحبة الرحم أيضا، فينبغي مراعاة الاحتياط في ترتيب آثار النسب بالنسبة إليها.

٣ - قد تقدم جواز هذا العمل في نفسه مطلقاً.

قلنا: لا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم، أعن الله قلبك يا إمام الزمان!

((س ١٩٦: هل يجوز تلقيح الزوجة بماء زوجها الميت في الحالات التالية:

أ- بعد وفاته ولكن قبل انتهاء العدة؟

ب - بعد وفاته وبعد انتهاء العدة؟

د - لو تزوجت زوجاً آخر بعد وفاة زوجها الأول، فهل يجوز أن تلقي نفسها بباء زوجها الأول؟ وهل يجوز لها أن تلقي نفسها بباء زوجها الأول بعد وفاة الزوج الثاني؟

ج: لا مانع من ذلك في نفسه بلا فرق بين ما قبل انتهاء العدة وما بعدها ولا
بين ما لو تزوجت أو لم تتزوج، وعلى الأول لا فرق أيضاً بين أن يكون اللقاء
بماء زوجها الأول بعد وفاة الزوج الثاني أو في حياته، ولكن لو كان زوجها الثاني
حي لا بد أن يكون ذلك بإجازة وإذن منه.))

فِيمَا دَامَتِ الْقَضِيَّةُ (مُسْتَحْدَثَةٌ) وَلَا دَلِيلٌ عَلَيْهَا مِنْ قُرْآنٍ وَلَا سُنْنَةً، فَكَيْفَ كَانَ

الجواب ((لا مانع شرعاً من تلقيح المرأة ببنطفة رجل أجنبي في نفسه))؟!!
ليست هذه الفتوى شاذة، بل هي وليدة مدرسة تؤمن بأن الإسلام كدين
 فهو: مرنٌّ، سمحٌّ، فيه حلول لكل شيء ، معرض ومشكل ، وبالتالي وبما أن
الفقيه نائب للإمام فله أن يتوصل إلى الأحكام الفقهية حتى ولو لم ترد في كتاب
أو سنة ! نعم تتبع العمومات والقواعد العامة وأصالة البراءة ! وهذا قواعد

أخذناها من العامة صارت قواعد هكذا فتاوى!

((وإنكم لن تعرفوا الحق ، حتى تعلموا من تركه !))

أوصى الأئمة عليهم السلام بتفاصيل دقيقة من المستحبات في شتى المجالات حتى قال أحدهم ((لو جمعنا ما ورد في باب الخلاء لكان منه كتاباً كبيراً)) ! فهل أغفل الأئمة ذكر بعض الآليات التي يقوم عليها الاستنباط - كما يسمونه - كعلم المنطق وأصول الفقه أو الرجال أو الفلسفة التي لها دخل بتعقل بعض مطالب أصول الفقه؟ والتي يصرّح الفقهاء بأنه لو لاها لما امكن الوصول الى أحكام الأئمة والاجتهاد فيها (زعموا !!).

فأصول الفقه بدأت على يد الشافعي المتوفى عام ٢٠٤ للهجرة وقد عاصر الإمام موسى بن جعفر والإمام الرضا عليهم السلام ومع ذلك لم يذكر أهل البيت عليهم السلام هذا (العلم) ! في شيء من أحاديثهم - على أهميته المدعاة - وقد جاء الأئمة المتأخرّون الجواب والمادي والعسكري والمهدى عليهم السلام ثم السفراء الأربع ثم أجلاً فقهائنا كالكليني والصدوق ولم يذكره أحد ولا وأشار اليه من قريب أو بعيد !! فكيف صار هكذا و لا يمكن أن يسمى الرجل فقيها حتى يدرسّه ويبرع فيه ويترك من أجله دراسة القرآن والحديث ^(١) ؟

(١) * يقول الشيخ محمد باقر الأيواني - أستاذ البحث الخارج المعاصر في المدرسة الأصولية في النجف الأشرف -(لم أقلأ خلال دراستي للسطوح أحاديث أهل البيت عليهم السلام لا في الصوم ولا في الصلاة ولا في الطهارة فضلاً عن الديات والحدود والتعزيرات،...، إنني أقول عن تجربة: لم أعرف روایات أهل البيت عليهم السلام في مختلف الأبواب الفقهية إلا من خلال حضوري بحث الخارج، وواجهت آنذاك طفرة جديدة، وللمرة الثانية».)) دروس تمهيدية في القواعد الرجالية: التقديم، ص ٦

وقد يقول قائل: أنه لم ينفع وجود هذه الدروس بل هو قال إنه لم يقرأها وهذا ذنبه وليس ذنب المؤسسة الدينية! فأقول: حتى لو كان هذا الفرض صحيحًا فظاهراً عدم الاهتمام بالقرآن والحديث أبى ان إهمال الحديث والقرآن صار شخصية مجتمعية شاب عليها الصغير وهرم فيها الكبير! .

فأصول الفقه ومن لدن ولادته المشؤومة على يد الصال (محمد بن إدريس الشافعي) مرّ بفترة مائة وسبعين عاماً والمعصومون موجودون منها مائة عام وهو ظاهر و^{عليهم السلام} وسبعون عاماً وهم يتصلون بشيعتهم عبر السفراء ، إلا تستغرب كيف لم يسألهم أصحابهم عن هذا (العلم) وهو بهذا القدر من الأهمية؟!

والفرض في هذه المسألة لا تتعدي ثلاثة:

الفرض الأول: أن علم الأصول جاء أصلاً من أهل البيت ^{عليهم السلام} وعمل به أصحابهم في زمانهم ^{عليهم السلام} لذا لا تستغرب أن أصحابهم لم يسألوا المعصوم عنه فهو معهوم به ملقي منهم إلى أصحابهم فكيف يسأل أصحابهم عنه وهو متلقى منهم ^{عليهم السلام}؟

الفرض الثاني: إنه موجود في زمانهم وقد اخترعه بعضهم ولكنهم ^{عليهم السلام} ولكتلة تحذيرهم من كل ما يحيىء من غيرهم -في ما يخص الأمور الشرعية وما يتعلق بها - لم يعيروا هذا (العلم) أهمية تذكر، بل ولكونهم أو صوا بالبدليل الذي لا يضل من تمسّك به، لم تكن هناك حاجة لإفراده بالذكر، فهو منهي عنه بالمضمون. بل وبالغوا بالنهي عنه بالمضمون.

الفرض الثالث: أن (علم الأصول) جاء بعدهم وهو علم مستحدث لذا لم يتركوا فيه رواية واحدة تذكر!

والواضح أن الفرضين الأول والثالث باطلان عند الجميع، فلم يبق غير

الفرض الثاني، وهنا يجب على من يدّعى أن علم الأصول - وبالخصوص مباحث الدليل العقلي - يمثل قاعدة العلوم الشرعية ولا استغناء عنها أن يأتي بما يقنع العاقل، كيف يقول المقصوم (لو كان خيراً ما سبقونا اليه) ويترك هذا (الخير) العظيم للشافعي !! ولكي يكون فقهاء الشيعة إلى يوم القيمة عيالاً على الشافعي !

وهذا يسري على باقي (العلوم) التي ادعوا أنها لا محيص عنها للمتفقه في المدارس الدينية.

لذا فأهل البيت ﷺ هم الذين بادروا بإلقاء العلوم لشيعتهم ولم يعملوا على ردود الأفعال وانتظار فتاوى الضالّين ! فترأهـم ﷺ يقولون ((علينا إلقاء الأصول وعليكم التفريع))^(١) وهذه الأصول وهي القواعد العامة التي تدرج تحتها الأفراد لا غير ، مثل :

حديث الإمام الصادق ﷺ: كل من السمك ما كان له فلوس ، ولا تأكل منه ما ليس له فلس ^(٢).

فهذه قاعدة عامة طبّقها أصحاب الأئمة ﷺ أفضل تطبيق فانظر لحرiz (رحمه الله) كيف أسكـت أبا حنيفة بكلام بسيط شافـ كافـ بلا علوم عقلية ولا فلسفة ولا تفريع بل بقاعدة استلـها من روایة !

(١) الحق المبين في كيفية التفقـه في الدين - الفيـض الكاشـاني - ص ٧.

(٢) فقيـه من لا يحضرهـ الفـقيـه - محمد بن عليـ بن الحـسين الصـدـوق - ج ٣ ص ٣٢٣ .

فعن حَرِيزَ قَالَ: دَخَلَتْ عَلَى أَبِي حَنِيفَةِ وَعِنْهُ كَتَبْ كَادَتْ تَحُولُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنِي
فَقَالَ لِي: هَذِهِ الْكِتَبُ كُلُّهَا فِي الطَّلاقِ وَالْيَمِينِ، فَأَقْبَلَ يَقْلُبُ بِيْدِيهِ.

قَالَ: فَقُلْتُ: نَحْنُ نَجْمِعُ هَذَا كَلْهَ فِي كَلْمَةٍ وَاحِدَةٍ فِي حَرْفٍ!

قَالَ: وَمَا هُوَ؟

قَلْتُ: قَوْلُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوْا
الْعِدَّةَ﴾ سُورَةُ الطَّلاقِ (١)

فَقَالَ لِي: فَأَنْتَ لَا تَعْمَلُ شَيْئًا إِلَّا بِرَوَايَةٍ؟

قَلْتُ: أَجَلُ.

فَقَالَ لِي: مَا تَقُولُ فِي مَكَاتِبٍ كَانَتْ مَكَاتِبَهُ أَلْفَ درَاهِمٍ وَأَدِي تِسْعَمَائَةٍ وَتِسْعَةٍ
وَتِسْعَيْنَ ثُمَّ أَحَدَثَ - يَعْنِي الزَّنَى - كَيْفَ تَحْدِهُ؟

فَقُلْتُ: عَنِّي بِعِينَهَا حَدِيثُ حَدِيثِي مُحَمَّدٌ بْنُ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرِ عليه السلام أَنَّ
عَلَيْهَا عليه السلام كَانَ يَضْرِبُ بِالسُّوْطِ وَبِثُلَّهِ وَبِنَصْفِهِ وَبِعَضِهِ بِقَدْرِ اسْتِحْقَاقِهِ.

فَقَالَ لِي: أَمَا إِنِّي أَسْأَلُكَ عَنْ مَسْأَلَةٍ لَا يَكُونُ عَنْدَكَ فِيهَا شَيْءٌ! مَا تَقُولُ فِي جَمْلَةٍ
أَخْرَجَ مِنَ الْبَحْرِ؟

فَقُلْتُ: إِنْ شَاءَ فَلِيَكُنْ جَمْلًا «وَإِنْ شَاءَ فَبَقْرَةٌ إِنْ كَانَتْ عَلَيْهِ فَلُوسٌ أَكْلَنَاهُ وَإِلَّا
فَلَا ^(١)!.

(١) الاختصاص - محمد بن محمد بن النعمان المفيد - ص. ٧.

فانتبه لقول أبي حنيفة ((أما إني أسألك عن مسألة لا يكون عندك فيها شيء)) وهو يشير هنا إلى ما أسموها (المسائل المستحدثة) وانظر إلى جواب حريز (رحمه الله) وكيف أجابه إجابة شافية بقاعدة من روایة فقط !^(١)

وكلام أبي حنيفة يكشف عن وجود الفقر عندهم في النصوص الشرعية بسبب تركهم أهل البيت عليهم السلام واتباعهم فقهاء بنى أمية الذين لم يكتبوا في الفقه والسنّة حتى بداية القرن الهجري الثاني تقريراً! وهو ما استغنى به الشيعة عنهم بوجودهم قرب الأئمة، الذين كانوا يأمرونهم بالكتابة وينصحونهم بها ويعددون فوائدها منذ زمان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا ما أحوج هؤلاء المخالفين إلى التفريع الفقهي وإلى اختراع القواعد الأصولية وهو بعينه ما أغنانا عنها وعن باقي ضلالاتهم.

ولو رجعنا إلى رسالة الإمام المهدي عجل الله فرجه إلى الشيخ المفيد - لو صحّت - ألا ترى أنه يُفهم منها التبكيت للشيعة في هذه الفترة عندما يقول له ((إِنَّا نحْيِطُ عَلَيْهَا بِأَبْنَائِكُمْ وَلَا يَعْزِزُ عَنَا شَيْءٌ مِّنْ أَخْبَارِكُمْ وَمَعْرِفَتُنَا بِالذَّلِّ الَّذِي أَصَابَكُمْ مَذْجَنْحٌ كَثِيرٌ مِّنْكُمْ إِلَى مَا كَانَ السَّلْفُ الصَّالِحُ عَنْهُ شَاسِعًا وَنَبَذُوا الْعَهْدَ الْمَأْخوذَ مِنْهُمْ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)).

فلو كان الفقهاء في عصر الشيخ المفيد لم يغيروا إطلاقاً من طريقتهم عليهم السلام فما هذا العهد الذي نبذه الشيعة ابتداء بعصر الشيخ المفيد؟! وهو ما كان

(١) راجع كتاب (الفصول المهمة في أصول الأئمة) للشيخ الجليل الحر العاملي ، وانظركم ترك أهل البيت من أصول شرعية روائية للتطبيق على الأفراد.

بل والذي يقصم الظهر في الحوزات العلمية أنه لا يمكن للطالب أن يترقى إلا بامتحان الأصول والفلسفة والمنطق! بينما ليس هناك امتحان بدرس القرآن ولا حديثهم ﷺ! لماذا؟ لكونهما لا يدرسان أصلاً! وإذا درسهما البعض فلا يمتحن بهما الطلبة لكونهم غير مطالبين بها كدروس أساسية!! يقول السيد الطبطبائي صاحب تفسير الميزان في نقهه لطريقة الدرس والمنهج في الحوزات العلمية ((ولعل المتراءى من أمر الأمة لغيرهم من الباحثين كما ذكره بعضهم: أن أهل السنة أخذوا بالكتاب وتركوا العترة، فالذل إلى ترك الكتاب لقول النبي ﷺ وسلم: ((انهم لن يفترقا)) وأن الشيعة أخذوا بالعترة وتركوا الكتاب، فالذل ذلك منهم إلى ترك العترة لقوله ﷺ وسلم: ((انهم لن يفترقا)) فقد تركت الأمة القرآن والعترة (الكتاب والسنة) معاً)). وهذه الطريقة المسلوكة في الحديث أحد العوامل التي عملت في انقطاع رابطة العلوم الإسلامية وهي العلوم الدينية والأدبية عن القرآن مع أن الجميع كالفروع والثمرات من هذه الشجرة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، وذلك أنك إن تبصرت في أمر هذه العلوم وجدت أنها نظمت تنظيماً لا حاجة لها إلى القرآن أصلاً حتى أنه يمكن لتعلمها جميعاً: الصرف والنحو والبيان واللغة والحديث والرجال والدرایة والفقه والأصول فيأتي آخرها، ثم يتضلع بها ثم يجتهد ويتمهر فيها وهو لم يقرأ القرآن، ولم يمس مصحفاً قط، فلم يبق للقرآن بحسب الحقيقة إلا التلاوة لكسب الثواب أو التخاذل تميمة للأولاد تحفظهم عن

طوارق الحدثان! فاعتبر إن كنت من أهله))^(١)

فكيف يكون المهدى بدرس المنطق اليوناني والأصول العامية والفلسفة اليونانية ولا يكون بالتلقيين!! وكيف يكون الأمر هكذا ولا يشمنا قول الإمام الرضا عليه السلام ((كلام الله، لا تتجاوزه، ولا طلبو المهدى في غيره فتضليلوا))^(٢)

والقرآن والعترة ثقلان لا يفترقان، ولن يفترقا، ونفيسان لا يُتركان، فلو علمت أنك تركت أحدهما فاعلم إنك تركت الثاني! والأمر المسلم به في حوزاتنا ان القرآن لا وجود له، كما قال الطباطبائى في النص السابق! إذن فالعترة معه متروكة، يُعلن اسمها ويغيب منهاجها، و((من لم يعرف الحق من القرآن لم يتنكب الفتنة)) وفي لفظ آخر ((ن لم يعرف أمرنا من القرآن لم يتنكب الفتنة.))^(٣) فلو كان القرآن غائبا فأمرهم وحقّهم وطريقتهم ومنهجهم غائب أيضا! وحسبك قوله تعالى ((لتركبنا طبقا عن طبق)) يقول المعصوم ((أي سنن من كان قبلكم))^(٤)، ومن سنن من كان قبلنا تركهم مناهج وطرق أنبيائهم وسيرهم وراء(الأحبار) و(الرهبان)! فوراء من ستمشي هذه الأمة؟!!

نموذج على ما ترکناه من تکالیف بسبب آراء الفقهاء، الغيبة الكبرى بين أمرهم عليه السلام بـ(الانتظار) أو أمر الفقهاء (بالتمهيد)!

(١) الميزان في تفسير القرآن - محمد حسين الطباطبائي - ج ٥ - ص ٢٧٥.

(٢) الأمالي - الشيخ محمد بن علي بن الحسين الصدوق - ص ٦٣٩.

(٣) المحاسن - أحد بن محمد البرقي - ج ١ - ص ٢١٦ / والكافى - محمد بن يعقوب الكليني - ج ١ ص ٧.

(٤) كمال الدين وقام النعمة - محمد بن علي بن الحسين الصدوق - ص ٤٨١.

الاحاديث المعصومية امرتنا بالانتظار فقط طوال الغيبة الكبرى:

روي عن الإمام الباقي ﷺ:

ليقو شدیدکم ضعيفکم ولیعد غنیکم على فقیرکم ولا تبئوا سرنا ولا تذیعوا أمرنا، وإذا جاءكم عنـا حديث فوجـدتـم عليه شاهـدا أو شـاهـدين من کتاب الله فـخذـدوا به وإلا فـقفـوا عـنـهـ، ثم رـدوـهـ إـلـيـنـاـ حتـىـ يـسـتـبـينـ لـكـمـ وـاعـلـمـواـ أـنـ المـتـظـرـ لهذا الـأـمـرـ لـهـ مـثـلـ أـجـرـ الصـائـمـ الـقـائـمـ وـمـنـ أـدـرـكـ قـائـمـناـ فـخـرـجـ معـهـ فـقـتـلـ عـدـوـنـاـ كانـ لـهـ مـثـلـ أـجـرـ عـشـرـينـ شـهـيدـاـ وـمـنـ قـتـلـ مـعـ قـائـمـناـ كانـ لـهـ مـثـلـ أـجـرـ خـمـسـةـ وـعـشـرـينـ شـهـيدـاـ.

وعن أمير المؤمنين ﷺ ((... والمتضر لأمرنا كالمتشحّط بدمه في سبيل الله))^(١)

وعن النبي عليه وآلـهـ الـصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ ((أـفـضـلـ أـعـمـالـ أـمـتـيـ اـنـتـظـارـ الفـرـجـ))^(٢)

وفي لـفـظـ آخرـ ((أـفـضـلـ جـهـادـ أـمـتـيـ اـنـتـظـارـ الفـرـجـ))^(٣)

وعـنـ أمـيـرـ المؤـمـنـيـنـ ﷺـ فـيـ جـوـابـهـ الشـيـخـ الـكـبـيرـ ((قـالـ فـأـيـ الـأـعـمـالـ أـحـبـ إـلـيـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ ؟ـ قـالـ :ـ اـنـتـظـارـ الفـرـجـ))^(٤)

وـفـيـ حـدـيـثـ لـهـ ﷺـ ((فـانـ أـحـبـ الـأـعـمـالـ إـلـيـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ اـنـتـظـارـ الفـرـجـ ماـ دـامـ

(١) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - ج ٢ - ص ٢٢٢ .

(٢) كمال الدين وتمام النعمة - محمد بن علي بن الحسين الصدوق - ص ٦٤٥ .

(٣) الإمامة والتبصرة من الحيرة - علي بن الحسين القمي - ص ٢١ .

(٤) تحف العقول - الحسن بن علي ابن شعبة الخرااني - ص ٣٨ .

(٥) الأمالي - محمد بن علي بن الحسين الصدوق - ص ٤٧٩ .

عليه العبد المؤمن))^(١)

وحاديث الإمام علي بن الحسين عليهما السلام: ((انتظار الفرج من أعظم الفرج))^(٢)

((عن أبي بصير، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك، متى الفرج؟
فقال: يا أبا بصير، وأنت من يريد الدنيا؟ من عرف هذا الأمر فقد فُرِجَ عنه
بانتظاره.))^(٣)

وقول المعصوم:

((...انتظروا الفرج، ولا تيأسوا من روح الله، فان أحب الأعمال إلى الله عز
وجل انتظار الفرج ما دام عليه العبد المؤمن....))^(٤)

و عن الحسن بن الجهم قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن شئ من الفرج.

فقال: أو لست تعلم أن انتظار الفرج من الفرج؟.

قلت: لا أدرى إلا أن تعلمني.

فقال: نعم، انتظار الفرج من الفرج))^(٥)

وعن الفضيل بن يسار قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك و تعالى

(١) الخصال - محمد بن علي بن الحسين الصدوق - ص ٦٥١.

(٢) كمال الدين و تمام النعمة - محمد بن علي بن الحسين الصدوق - ص ٣٢٠.

(٣) الغيبة - محمد بن إبراهيم النعmani - ص ٣٥١.

(٤) الخصال - محمد بن علي بن الحسين الصدوق - ص ٦١٦.

(٥) الغيبة - محمد بن الحسن الطوسي - ص ٤٥٩.

((يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنْاسٍ بِإِمَامِهِمْ))؟

فقال: ((يا فضيل اعرف إمامك، فإنك إذا عرفت إمامك لم يضرك، تقدم هذا الأمر أو تأخر، ومن عرف إمامه ثم مات قبل أن يقوم صاحب هذا الأمر، كان بمنزلة من كان قاعداً في عسكره، لا بل بمنزلة من قعد تحت لوائه، قال: وقال بعض أصحابه: بمنزلة من استشهد مع رسول الله ﷺ)).^(١)

و عن إسماعيل بن محمد الخزاعي قال: ((سأله أبو بصير أبا عبد الله عاصي وأنا أسمع، فقال: تراني أدرك القائم عاصي؟

فقال: يا أبو بصير ألم تعرف إمامك؟

فقال: إيه والله وأنت هو - وتناول يده - فقال: والله ما تبالي يا أبو بصير إلا تكون محتبباً بسيفك في ظل رواق القائم صلوات الله عليه).^(٢)

وروى الحميري في قرب الإسناد في سؤال للإمام الرضا عاصي: ((جعلت فداك، إن أصحابنا رروا عن شهاب عن جدك عاصي أنه قال: ((أبي الله تبارك وتعالى أن يملك أحداً ما ملك رسول الله عاصي، ثلاث وعشرين سنة)).

قال: إن كان أبو عبد الله عاصي قاله جاء كما قال.

فقلت له: جعلت فداك، فأي شيء تقول أنت؟

(١) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - ج ١ - ص ٣٧١.

(٢) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - ج ١ - ص ٣٧١.

فقال: ما أحسن الصبر وانتظار الفرج!)^(١)

وفي ((قرب الإسناد)) للجميري عن الإمام الرضا عليه السلام: ((وأنتم بالعراق ترون أعمال هؤلاء الفراعنة، وما أمهل لهم، فعليكم بقوى الله، ولا تغرنكم الدنيا، ولا تغروا بمن أمهل له، فكأن الأمر قد وصل إليكم))^(٢)

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال لأصحابه ((الزموا الأرض، واصبروا على البلاء، ولا تحرکوا بأيديكم وسيوفكم وأسلحتكم، ولا تستعجلوا بها لم يعجله الله لكم، فإن من مات منكم على فراشه وهو على معرفة حق ربه وحق رسوله وأهل بيته، مات شهيداً ووقع أجره على الله، واستوجب ما نوى من صالح عمله، وقامت النية مقام مقاتلته بسيفه وإن لكل شيء مدة وأجل)).^(٣).

مثال للانظرار:

اب وابنه يمشيان فحدث من الابن ما كدّر خاطر الأب فقال له الأب على سبيل التبكيت: انتظري حتى أرجع. (وهو يريد منه أن يُحسّ بذنبه ،وان يراجع نفسه، ويعتذر حتى يواصل معه المسير إلى حيث يريدان)

أَفَهُلْ يَكُونُ انتظاره بِأَنْ يَمْشِي الْابْنَ يَمِينًا وَشَمَالًا، وَيَتَصَرَّفُ وَيَسْيِحُ فِي الْأَرْضِ بِحَجَّةِ (الانتظار الإيجابي)! وَاسْتَغْلَالُ الْوَقْتِ حِيثُمَا يَأْتِي الْأَبُ! أَمْ الْوَقْفُ حِيثُمَا تَرَكَهُ وَالإِحْسَاسُ بِالذَّنْبِ تَجَاهُهُ وَالاعْتَذَارُ حَتَّى يَسْتَرْضِيهِ

(١) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - ج ١ - ص ٣٨٠.

(٢) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - ج ١ - ص ٣٨٠.

(٣) نهج البلاغة - جمع الشريف الرضي - ج ٢ - ص ١٣٣.

ويكمل المسير معه إلى حيث يقضيان أمرهما! ولو مشى يميناً وشمالاً لكان هناك مصاعفات منها أن الأب سيرى أن ابنه لم يطعه بالانتظار حيث تركه فزاد غضبه واسفه! ومنها: إن الأب - ومن شفقته وحبه لابنه فهو يريد أن يؤدّبه - ولأنه تركه في موضع أمين جزماً فلا يعقل أن الأب الشفيف يترك ابنه في موضع يخاف منه عليه ويوصيه بالانتظار! فلكل هذا فلو ترك الابن مكانه ووصية أبيه بالانتظار في المكان نفسه ومشى يميناً وشمالاً فلا يؤمن أن يقع في شرٍ لا يعرفه! وكل هذا قد يحدث بمخالفة الانتظار الموصى به.

مثال آخر:

رجل عنده تجارة اضطر لأمر ما ان يترك تجارته وترك بدله من يقوم بأمرها بشرط ان يتصرف البديل في التجارة كما يتصرف هو عيناً بعين، وينتظر رجوعه إذا كان هناك شيء لا يعلمه، فهل يكون من الانتظار ان يجتهد البديل ويشتري ويبيع بأسعار لا يعرفها ولا يعلم هل ان صاحب التجارة راض ام لا؟! بحجة انه من الخطأ ترك البيع والشراء والحمدود على كلام صاحب التجارة!

وهذا هو الأمر الذي حصل، فالإمام غائب لعدم وجود الأنصار (الثلاثمائة والثلاثة عشر) والنصرة له - عجل الله فرجه - بعدما تضيق الصدور، ونُحس بِعُظم هتك الستور، وامتلاء الأرض ظلماً وجوراً، عندها سيفرز المجتمع المؤمن وبشكل تصاعدي أنساً، لا يتمسكون بغير المعصوم ((رجال لأن قلوبهم رُبَرُ الحديد لا يشوبها شك في ذات الله، أشدُّ من الحجر، لو حملوا على الجبال لأنزلوها، لا يقصدون برآياتهم بلدة إلا خربوها، لأن على خيولهم العقبان

يتمسحون بسرج الإمام ﷺ يطلبون بذلك البركة، ويحفون به يقونه بأنفسهم في الحروب، ويكفونه ما يريد فيهم. رجال لا ينامون الليل، هم دوي في صلاتهم كدوبي النحل، يبيتون قياما على أطرافهم، ويصبحون على خيولهم، رهبان بالليل ليوث بالنهار، هم أطوع له من الأمة لسيدها، كالمصابيح كأن قلوبهم القناديل، وهم من خشية الله مشفقون يدعون بالشهادة، ويتمنون أن يقتلوها في سبيل الله شعارات الحسين، إذا ساروا يسير الرعب أمامهم مسيرة شهر يمشون إلى المولى إرسالا، بهم ينصر الله إمام الحق) ^(١)

والظاهر أن أحد أهم الأسباب التي تعجل بالظهور الميمون لصاحب العصر والزمان هو وجود الانصار بالعدد الوارد في الروايات، بدليل:

قول أمير المؤمنين عند حضور بيته بعد مقتل عثمان ((أما والذى فلق الحبة. وبرأ النسمة لو لا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر)). ^(٢)

فقيام الحجّة على الإمام بالنهوض بالأمر صار حتماً لوجود من ينصره، وفي كلام الإمام الصادق [عليه السلام](#) لسدير الصيرفي ((والله يا سدير لو كان لي شيعة بعد هذه الجداء ما وسعني القعود، وزنلنا وصلينا فلما فرغنا من الصلاة عطفت على الجداء فعدتها فإذا هي سبعة عشر)) ^(٣)

(١) جاء ذلك في أهل الطالقان من أصحابه عجل الله فرجه الشريف / بحار الأنوار - محمد باقر المجلسي - ج ٥٢ - ص ٣٠٨.

(٢) نهج البلاغة - جمع الشريف الرضا - ج ١ - ص ٣٧.

(٣) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - ج ٢ - ص ٢٤٣.

ولكون المؤمنين قليل جداً في كل عصر كما في حديث الإمام الصادق عليه السلام ((المؤمنة أعز من المؤمن والمؤمن أعز من الكبريت الأحمر، فمن رأى منكم الكبريت الأحمر؟))^(١)

وعن الإمام الصادق عليه السلام ((أما والله لو أني أجد منكم ثلاثة مؤمنين يكتمون حديسي ما استحللت أن أكتمهم حديثاً))^(٢)

وحيث الإمام الباقر عليه السلام ((الناس كلهم بهائم - ثلاثة - إلا قليل من المؤمنين، والمؤمن غريب - ثلاث مرات -))^(٣)

وعن سماحة بن مهران قال: قال لي العبد الصالح (صلوات الله عليه): يا سماحة أمنوا على فرشهم وأخافونـي أما والله لقد كانت الدنيا وما فيها إلا واحد يعبد الله ولو كان معه غيره لأضافـه الله عز وجل إلـيـه حيث يقول: ((إن إبراهيم كان أمة قانتـا الله حنيـفا ولم يـكـ من المـشـركـينـ)) فـغـبـرـ بـذـلـكـ ما شـاءـ اللهـ، ثـمـ إن الله آنسـهـ بـإـسـمـاعـيلـ وـإـسـحـاقـ فـصـارـوـاـ ثـلـاثـةـ، أـمـاـ وـالـلـهـ إـنـ الـمـؤـمـنـ لـقـلـيلـ وـإـنـ أـهـلـ الـكـفـرـ لـكـثـيرـ أـتـدـريـ لـمـ ذـاكـ؟ـ

فـقلـتـ: لا أـدـريـ جـعـلـتـ فـدـاكـ.

فـقالـ: صـيـرواـ أـنـسـاـ لـلـمـؤـمـنـينـ، يـبـثـونـ إـلـيـهـمـ ماـ فـيـ صـدـورـهـمـ فـيـسـتـرـيـحـونـ إـلـىـ

(١) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - ج ١ - ص ٢٤٢ .

(٢) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - ج ٢ - ص ٢٤٢ .

(٣) بصائر الدرجات - محمد بن حسن الصفار - ص ٥٤٢ .

ذلك ويسكنون إليه))^(١)

و عن علي بن جعفر قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: ((ليس كل من قال
بولا ياتنا مؤمنا ولكن جعلوا أنساً للمؤمنين))^(٢)

فهؤلاء ((المؤمنين)) قليل في كل عصر، نادر وجودهم، ووجودهم
عزيز كالكبريت الأحمر! وإذا وجدوا فهم (غرباء، غرباء، غرباء)! فما بالك
بثلاثة عشر! فالذى يحصل في كل عصر أنه وبدل أن يسعى بعض
(الفقهاء) إلى شحن الإيمان في صدور الناس، وتذكيرهم ونصحهم بالتسليم
لأهل البيت عليه السلام، طريقةً، ومنهجاً، وأشخاصاً، بدل ذلك كان بعض الفقهاء
يمثلون دور قطاع الطريق عن المقصوم عليه السلام، فهم يدعون لأنفسهم لا إله عليه السلام،
ولملاجئهم لا لمنهجهم عليه السلام، ولطرائقهم لا لطريقته عليه السلام!

لذا جاء في الحديث: أوحى الله إلى داود عليه السلام: لا تجعل بيني وبينك عالما مفتونا
بالدنيا فيصدقك عن طريق محبتي، فإن أولئك قطاع طريق عبادي المربيين، إن
أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة مناجاتي عن قلوبهم^(٣).

وروي عن المقصوم في فقهاء السوء من الشيعة ((....وكذلك عوام أمتنا
إذا عرفوا من فقهائهم الفسق الظاهر، والعصبية الشديدة والتکالب على حطام
الدنيا وحرامها، وإهلاك من يعصبون عليه وإن كان لإصلاح أمره مستحقا،

(١) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - ج ٢ - ص ٢٤٤.

(٢) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - ج ٢ - ص ٢٤٤.

(٣) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - ج ١ - ص ٤٦.

وبالترفرف بالبر والإحسان على من تعصبو له وإن كان للإذلال والإهانة مستحansa، فمن قلد من عوامنا مثل هؤلاء الفقهاء فهم مثل اليهود الذين ذمهم الله بالتقليد لفسقة فقهائهم، فأما من كان من الفقهاء صائنا لنفسه، حافظاً لدینه، مخالفًا على هواه، مطيناً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه، وذلك لا يكون إلا بعض فقهاء الشيعة لا جمיהם، فإنه من ركب من القبائح والفواحش مراكب فسقة العامة فلا تقبلوا منا عنه شيئاً، ولا كرامة، وإنما كثر التخليط فيما يتحمل عنا أهل البيت لذلك لأن الفسقة يتحملون عنا فيحرفونه بأسره بجهلهم، ويضعون الأشياء على غير وجهها لقلة معرفتهم، وأخرون يتعمدون الكذب علينا ليجرروا من عرض الدنيا ما هو زادهم إلى نار جهنم، ومنهم قوم (نصّاب) لا يقدرون على القدر فينا، يتعلمون بعض علومنا الصحيحة فيتوجهون به عند شيعتنا، ويتقصون بنا عند نصابنا، ثم يضيفون إليه أضعاف وأضعف أضعافه من الأكاذيب علينا التي نحن براء منها، فيتقبله المستسلمون من شيعتنا، على أنه من علومنا، فضلوا وأضلوا وهم أضر على ضعفاء شيعتنا من جيش يزيد على الحسين بن علي عليه السلام وأصحابه، فإنهم يسلبونهم الأرواح والأموال، وهؤلاء علماء السوء الناصبون المتشبهون بأنهم لنا موالون، ولأعدائنا معادون، ويدخلون الشك والشبهة على ضعفاء شيعتنا فيضلونهم ويمنعونهم عن قصد الحق المصير...^(١)

(١) الاحتجاج - احمد بن علي الطبرسي - ج ٢ - ص ٢٦٤.

فانتبه لقوله ﷺ ((وهم أضر على ضعفاء شيعتنا من جيش يزيد على الحسين بن علي ﷺ وأصحابه)) !!

لذلك ترى بعضهم استبدل الانتظار بال(التمهيد) فهذا يؤسس الأحزاب (الإسلامية)! وذاك يؤسس التشكيلات العسكرية وغيرهم يؤسس لدولة، وانقلاب يؤدي اليها وغير ذلك وكل ذلك للتمهيد لظهوره طبعا! (زعموا!). وغريب امر الناس! فهل أن الفقهاء حريصون على امر أهل البيت ﷺ اكثر من الأئمة انفسهم علیهم السلام؟

وهل هم أشدق من الأئمة علیهم السلام على شيعتهم؟

وهل هم أكثر رحمة؟

وهل هم أكثر حكمة؟

وهل هم أكثر علمًا؟

بل إن حقيقة الأمر هي ما ذكرها أبو عبد الله الحسين ﷺ بقوله ((الناس عبيد الدنيا والدين لعق على المستهم يحيطونه ما درّت معايشهم))^(١) !!

فإيجاد النظريات البديلة عن أمرهم علیهم السلام هي لإدرار المعيش لا أكثر! وللأسف فالناس عندنا في العراق استغرقت عقدا من السنين (بعد عام ٢٠٠٣) لإدراك هذه الحقيقة المعصومة التي تذكر كل عام في عاشوراء بلا تفكير وبلا تدبر!

(١) تحف العقول - الحسن بن علي ابن شعبة الحراني - ص ٤٥٢.

ولما كان قولنا هو قوله ﷺ فلا نقول لمن يدخل نفسه في أمرهم إلا ما قاله الإمام سدير الصيرفي:

فعن سدير قال: قلت لابي جعفر ع: إني تركت مواليك مختلفين يتبرّأ بعضهم من بعض.

قال: فقال: وما أنت وذاك، إنما كُلُّف الناس ثلاثة: معرفة الأئمة، والتسليم لهم فيما ورد عليهم، والرد إليهم فيما اختلفوا فيه^(١).

لذلك نقول لمن يتكلم عن التمهيد:

ما انت وذاك! اتركوا عباد الله ولا تقطعوا عليهم الطريق عسى أن يتوبوا ويرجعوا إلى ربهم!.

وأنت ترى أن الفقهاء في عصرنا ومن قبلنا يتقاولون على الترقيق، والزعامه، والألقاب الكبيرة! وكل يقول: أنا، وغيري: لا!

وهذا مخالف لنص القرآن المحكم، ويقول سبحانه وتعالى

﴿صَرَبْتُ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةَ أَيْنَ مَا ثِقُفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾

آل عمران من الآية ١٢٤

فلا حبل للتمسّك إلا حبل من الله، وحبل من الناس، يقول الإمام الصادق ع لأبان بن تغلب:

(١) الأنوار الساطعة في شرح الزيارة الجامعة - عباس الكربلائي - ج ٤ - ص ٣٨٨.

((حَبْلٌ مِّنَ اللَّهِ كُتُبُهُ، وَحَبْلٌ مِّنَ النَّاسِ: عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ). لِيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ))^(١)

فليس لنا، ولا للفقهاء، ولا لغيرهم من الأمر شيء! فالحلبان: حبل معصوم (كتاب الله)، وحبل معصوم (إمام من العترة في كل زمان)، حبل واحد لا يتعدد وهذا سر التوحيد وسر النجاة، تقول الزهراء عليهما السلام ((ففرض الله عليكم.... طاعتنا نظاماً للملة، وإمامتنا أماناً من الفرقة)).^(٢)

لذلك في كل زمان إمام واحد معصوم، لكن لو لم يسلم الناس وجعلوا طاعتهم لغير المعصوم فستكون المعادلة كما قالت الصديقة الزهراء عليهما السلام ((وإلا فأبشروا بها تجني أيديكم، وبسخط صاحب الزمان عليكم))^(٣)

يقول تعالى في سورة الأنعام:

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاحُوكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (سورة الأنعام ١٥٣)

فالصراط واحد والسبيل واحد في كل زمان! ولكن: صراطات الناس وسبيلهم كثيرة! وكل يدعى الوصول بليلي، وليلي لا تقر لهم بالوصول .
والسبيل واحد في كل زمان، ولكن سبل الفقهاء كثيرة!!

(١) تفسير فرات الكوفي - ص ٩٢.

(٢) دلائل الإمامة - الطبراني الشيعي - ص ١١٣.

(٣) مختصر مفيد - مرتضى العاملية - ج ١١ - ص ٢١٣.

وربنا واحد، ولكن انتبه لحديث أبي عبد الله ﷺ قال: قلت له: ﴿اتَّخِذُوا
أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (التوبة من الآية ١٣)؟

فقال المعموم:

أما والله ما دعوهם إلى عبادة أنفسهم، ولو دعوهם ما أجبوهم، ولكن أحلووا
لهم حراما، وحرّموا عليهم حلالا فعبدوهم من حيث لا يشعرون^(١).

وفي لفظ آخر ((والله ما صاموا لهم ولا صلوا لهم ولكن أحلو لهم حراما
وحرّموا عليهم حلالا فاتبعوهم))^(٢)

وكثير من الفقهاء اليوم، يوجبون المباح والمستحب، بحجّة الولاية
والمصلحة، وينعنون المباح بحجّة الولاية والمصلحة بعقول قاصرة ، يتسبّهون
بالائمة عليهما السلام في ذلك ! فكيف بـ((النيابة)) التي ادعوها وصلاحياتها والتي لها
في بعض أقوالهم ما للإمام إذا كان النائب ولیاً فقيها !!

مع العلم بـان من أوصل مصطلح النيابة عنهم عليهما السلام ومنه انبنى مصطلح (ولاية
الفقيه) هي آراء استنباطية وكلمات سلطانية !!

بعد التتبع تجد أن أول من أشار إلى عنوان (تنفيذ الأحكام) هو الشيخ أبو
الصلاح الحلبي (ت: ٤٤٧ هـ) وبعده محمد بن إدريس الحلبي (ت: ٥٩٨ هـ)
وبعد ثلاثة سنة جاء المحقق الكركي ليقول:

(١) المحسن - أحمد بن محمد البرقي - ج ١ ص ٢٤٦ .

(٢) نفس الصفحة المصدر السابـق.

((إِتَّقُ أَصْحَابَنَا رَضْوَانَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ إِنَّ الْفَقِيهَ الْعَدْلَ الْإِمَامِيَّ الْجَامِعَ
لشَرائطِ الْفَتْوَى الْمُعَبَّرَ عَنْهِ بِالْمُجْتَهِدِ فِي الْأَحْكَامِ الشَّرِعِيَّةِ نَائِبَ مِنْ قَبْلِ أَئِمَّةِ
الْهُدَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي جَمِيعِ مَا لِلنِّيَابَةِ فِيهِ مَدْخُلٌ.. فَيَجِبُ التَّحَاكُمُ إِلَيْهِ وَالْأَنْقِيادُ إِلَى
حُكْمِهِ وَ... إِلَى آخِرِ مَا يُثْبِتُ لِلْمَنْصُوبِ مِنْ قَبْلِ الْإِمَامِ ﷺ .))^(١)

وكلام الكركي هذا هو التأسيس الحقيقى والبذرة الأولى لولاية الفقيه التي جاءت من بعد وإن كان النراقي صاحب (العواائد) (ت: ١٢٤٥هـ) اسس لها بشكل أقوى لكن مبدأها من هنا اوضح، ولا يعلم هل ان كلام الكركي جاء بعد بيان الشاه طهماسب الذي يقول فيه:

((بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: حَيْثُ إِنَّهُ يَبْدُو وَيَتَضَعُ مِنَ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ
النَّسْبَةُ إِلَى الْإِمَامِ الصَّادِقِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - الَّذِي يَقُولُ فِيهِ: انْظُرُوا إِلَى مَنْ كَانَ قَدْ
رَوَى حَدِيثَنَا، وَنَظِرُ فِي حَلَالِنَا وَحَرَامِنَا وَعْرَفُ أَحْكَامَنَا؛ فَارْضُوا بِهِ حَكْمَهُ؛
فَإِنِّي قَدْ جَعَلْتُهُ عَلَيْكُمْ حَاكِمًا؛ فَإِذَا حَكَمَ بِحُكْمِنَا فَمَنْ لَمْ يَقْبِلْهُ مِنْهُ؛ فَإِنَّا بِحُكْمِ
اللَّهِ اسْتَخْفَ، وَعَلَيْنَا رَدٌّ، وَهُوَ عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى حَدِ الشَّرِكِ بِاللَّهِ وَاضْعَفَ أَنْ
مُخَالَفَةُ حُكْمِ الْمُجْتَهِدِينَ الْحَافِظِينَ لِشَرِعِ سَيِّدِ الْمَرْسِلِينَ هُوَ وَالْشَّرِكُ فِي درجة
وَاحِدَةٍ؛ لِذَلِكَ فَإِنَّ كُلَّ مَنْ يُخَالِفُ حُكْمَ خَاتَمِ الْمُجْتَهِدِينَ، وَوَارِثِ عِلُومِ سَيِّدِ
الْمَرْسِلِينَ نَائِبَ أَئِمَّةِ الْمَعْصُومِينَ لَازَالَ اسْمُهُ الْعُلَيِّ عَلَيْهِ عَالِيًّا، وَلَا يَتَابِعُهُ؛ فَإِنَّهُ
لَا مَحَالَةَ مَلْعُونٌ مَرْدُودٌ وَعَنْ مَهْبِطِ الْمَلَائِكَةِ مَطْرُودٌ، وَسِيُؤاخِذُ بِالتَّأْدِيبَاتِ الْبَلِيغَةِ

والتدبرات العظيمة)).

أم كان قبله !!

وفي حديث ابن أبي محمد عن الرضا عليه السلام قال أخبرني أبي عن آبائه عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال :

((من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق عن الله فقد عبد الله، وإن كان الناطق عن إبليس فقد عبد إبليس))^(١)

وروى (الصفار) عن محمد بن عيسى العبيدي يرفعه، قال ((قال أبو عبد الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

أبى الله أن يجري الأشياء إلا بالأسباب فجعل لكل شيء سبباً وجعل لكل سبب شرحاً وجعل لكل شرح مفتاحاً وجعل لكل مفتاح علمًا وجعل لكل علم باباً ناطقاً من عرف الله ومن أنكره أنكر الله ذلك رسول الله ونحن))^(٢).

فالباب الوحيد المفتوح الذي أمرنا بالدخول منه والتمسك بعروته الوثقى هو باب المعصوم، ومن ينطق عن المعصوم بطريقة المعصوم لا يضل عنها يميناً ولا شماليلاً قيد أئملاً ، وأما من يشارك المعصوم في مرتبته بحججة (النيابة) فلا طاعة له، لكون الطاعة المطلقة تكون للمعصوم او من يؤدّي عن المعصوم بالنقل فقط فيما هو واضح بلا لبس ، لا بالتفريع و النيابة العامة والولاية والمصلحة

(١) الاعتقادات في دين الإمامية - محمد بن علي بن الحسين الصدوق - ص ١٠٩ .

(٢) الوافي - الفيض الكاشاني - ج ٢ - ص ٨٦ .

والاستصلاح! جاء في كتاب سليم بن قيس ((سمعت أمير المؤمنين ﷺ يقول: احذروا على دينكم ثلاثة:

رجل قرّاء للقرآن حتى إذا رأيت عليه برجته اخترط سيفه على جاره، ورماه بالشرك. فقلت: يا أمير المؤمنين، أيهما أولى بالشرك؟ قال: الرامي.

ورجل استخفّته الأكاذيب، كلما أحدث أحدهوّة كذب مدها بأطول منها.
ورجل آتاه الله سلطاناً، فزعم أن طاعته طاعة الله، ومعصيته معصية الله...
وساق الحديث إلى أن قال: إنما الطاعة لله ولرسوله ولو لامة الأمر، وإنما أمر الله
بطاعة الرسول، لأنّه معصوم مطهّر، لا يأمر بمعصية، وإنما أمر بطاعة أولي الأمر
لأنّهم معصومون مطهّرون لا يأمرون بمعصية))^(١)

لذلك ورد ان الوظيفة الوحيدة للفقيه هي النقل عن المعصوم، بغربلة
الواصل عن المعصوم بالطريقة التي تركها المعصوم، فالفقيه إذا ابتعد عن
النصوص واجتهد بآليات عامّية وقع في ما وقع فيه فقهاء العامة من تحكيم
الرأي والاستحسان! وبالتالي الأمر بالمعصية من حيث يشعر الفقيه او لا يشعر.

روي عن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام: قال رسول الله ﷺ: يا عباد الله اتبعوا أخي ووصيي علي بن أبي طالب ﷺ بأمر الله، ولا تكونوا كالذين اتخذوا أرباباً
من دون الله تقليداً لجهال آبائهم الكافرين بالله، فإن المقلّد دينه من لا يعلم دين

الله، يبوء بغضب من الله، ويكون من أسراء إبليس لعنـه الله.^(١)

فبمجرد ترك المعصوم وطريقته إلى طرائق الناس يكون الإنسان أسيراً من
أُسْرَاء إبليس لعنـه الله.

جاء في تفسير البرهان في تفسير الآية ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾، نزلت في
قريش، وجرت بعد رسول الله ﷺ في أصحابه الذين غصبوـا أمير المؤمنين عليه السلام،
واتخذوا إماماً بأهوائهم^(٢))

فبعد أن علمـنا أن الإمام واتباعـه والتمسـك بطريقـته تكونـ من الله فقط، فكيف
بـمن طريقـته جاءـت عنـ هوـى؟! فـهـذا يـكون التـمسـك بهـ وبـطـريقـته المـخالفـة عنـ
طـريقـة أـهـل الـبـيـت عليـهمـ السـلامـ. وـكـل ماـ كانـ عـلـى غـير طـريقـتهمـ فـهـو عـلـى طـريقـ هوـى
يـعـبدـ مـن دونـ اللهـ.

لـذـلـك تـجـدـ فـي الـرـوـاـيـاتـ الـعـدـيدـةـ تـتـكـرـرـ مـصـطـلـحـاتـ مـثـلـ: حـالـلـنـاـ، حـرـامـنـاـ،
أـحـكـامـنـاـ، طـرـيقـنـاـ، فـكـلـ مـنـ يـدـعـيـ التـمـسـكـ بـالتـقـلـيـنـ يـجـبـ انـ يـسـلـمـ بـهـ يـأـتـيهـ
مـنـهـماـ فـقـطـ. لـأـنـ يـعـمـلـ بـرـأـيـهـ فـيـمـ لـيـسـ لـهـ مـسـتـنـدـ مـنـ كـتـابـ أوـ سـنـةـ بـحـجـةـ الـقـوـاـدـ
الـعـامـةـ! وـالـعـمـومـيـاتـ ذـاتـ الإـشـارـةـ الـبـعـيـدةـ عـنـ النـصـوـصـ وـعـنـ الـأـصـوـلـ وـ
الـقـوـاـدـ مـتـلـقـاـةـ مـنـهـمـ عليـهمـ السـلامـ!

لـذـا نـرـى فـرـقـاـ شـاسـعاـ بـيـنـ سـيـاسـةـ (ـحـفـظـ النـفـوسـ)ـ الـتـيـ اـتـبـعـهـاـ الـمـعـصـومـ طـوالـ

(١) تـفـسـيرـ الإـمامـ العـسـكـريـ - ٥٨٣ـ.

(٢) تـفـسـيرـ البرـهـانـ - السـيـدـ هـاشـمـ الـبـحـرـانـيـ - جـ٥ـ - صـ٣٠ـ.

عقود عديدة والتي شيدتها بـأحاديث التقية والسكون والنوم عن الظالمين وبين سياسة (الأمواج البشرية^(١)) التي اتبعها الولي الفقيه! إذ يقول الإمام الباقر عليه السلام
 ((ما زالت جبل بظفر أهون من مزاولة ملك لم ينقض أكله فاتّقوا الله تبارك وتعالى
 ولا تقتلوا أنفسكم للظلمة))^(٢)

فلما كان المقصوم يعلم أن ملك بنى العباس وغيرهم لن يزول إلا بوقت معلوم لم يكن بعد، نهى عن قتل النفوس للظلمة، أما ما يفعله المقصوم كـإمام الحسين عليه السلام فهي بدليل خاص لا يشمل غيره، ولا يشمل حتى المقصومين من بعده، وأما ما يشتبه من كون ثورة زيد عليه السلام فهي قد تكون بإذنه منه عليه السلام لصلحة يعلمها لا يمكن تعميمها لغيره، مع معرفته بأن ثورته ستفشل إذ يقول له الإمام الباقر عليه السلام ((أعيذك بالله يا أخي أن تكون غداً المصلوب بالكُناسة)).^(٣) ونهى المقصوم عن التحجاج بخروج زيد رحمه الله بقوله ((ولا تقولوا خرج زيد))^(٤)

وكذلك ما يشتبه بـقیام الحسین صاحب فخ، فـالمقصوم قد أذنـر بـكونـه هو المقتـول عند أحـجار الـزيـت وـقوـائم فـرسـه بـالـماء، لـذـا فـالمـقصـوم اـتـبعـ سـيـاسـةـ حـفـظـ نـفـوسـ الشـیـعـةـ قـدـرـ إـلـمـانـ، لـکـونـهـ يـعـلـمـ إـنـ زـمـنـ الدـوـلـةـ لـمـ يـحـنـ بـعـدـ، وـإـنـ صـاحـبـهاـ

(١) الأمواج البشرية هي النظرية العسكرية لكوريا الشمالية وهي النظرية التي طبقتها الجمهورية الإيرانية خلال الحرب مع العراق وكان نتيجتها الضحايا بعشرات الألوف بين الإيرانيين.

(٢) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - ج ٧ - ص ٢٩٧ .

(٣) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - ج ١ - ص ٣٥٧ .

(٤) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - ج ٨ - ص ٢٦٤ .

لم يأت زمنه ليملأها قسطاً وعدلاً كما ملأت ظلماً وجوراً، لذا أوصى المعموم

بالسكون إلى ظهور الإمام إذ يقول ﷺ في رواية سدير الصيرفي:

((يا سدير ألزم بيتك وكن حلساً من أحلاسه واسكن ما سكن الليل والنهار
فإذا بلغك أن السفياني قد خرج فارحل إلينا ولو على رجلك))^(١)

وحدث الحسين بن خالد الكوفي عن الإمام الرضا عليه السلام: قلت: جعلت فداك
حدث كان يرويه عبد الله بن بكر، عن عبيد بن زرار. قال: فقال لي: وما هو؟

قال: قلت: روی عن عبيد بن زرار أنه لقي أبا عبد الله عليه السلام في السنة التي
خرج فيها إبراهيم بن عبد الله ابن الحسن. فقال له: جعلت فداك إن هذا قد
ألف الكلام وسارع الناس إليه فما الذي تأمر به؟ قال: فقال: اتقوا الله وأسكنوا
ما سكنت السماء والأرض. قال: وكان عبد الله ابن بكر يقول: والله لئن كان
عبيد بن زرار صادقاً فيما من خروج وما من قائم!. قال: فقال لي أبو الحسن عليه السلام:
ال الحديث على ما رواه عبيد وليس على ما تأوله عبد الله بن بكر، إنما عنى أبو عبد
الله عليه السلام بقوله) ما سكنت السماء ((من النداء باسم صاحبك و)) ما سكنت
الأرض ((من الخسف بالجيش)).^(٢)

فالوصية بالسكون وعدم القيام والدخول في مواجهة الانظمة الظالمة عسكرياً
أمر واضح من مسلمات الإمامية. ولكن !!

(١) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - ج ٨ - ص ٢٦٤.

(٢) معانى الأخبار - محمد بن علي بن الحسين الصدوق - ص ٢٦٦.

ولاية الفقيه... و تقمص الإمامة!

عندما يصل الفقيه الى القول بولاية الفقيه وبأن سعتها للفقيه هي نفسها
سعتها للنبي والمعصوم عليهم السلام فماذا يحصل؟!

يقول السيد الخميني رحمه الله في صلاحيات الولي الفقيه ((فيكون لهم في الجهات المربوطة بالحكومة، كل ما كان لرسول الله والأئمة من بعده صلوات الله عليهم أجمعين. ولا يلزم من ذلك أن تكون رتبتهم كرتبة الأنبياء أو الأئمة عليهم السلام، فإن الفضائل المعنوية أمر لا يشاركون فيه غيرهم .))^(١)

فالنص يقرر أن كل ما كان من سلطة للنبي والإمام عليها الصلاة والسلام فهو للفقيه خارجا إلا المقام المعنوي وهو مقام الإمامة المفترضة من الله! لذا رأينا السيد الخميني يتصرف أثناء الحرب العراقية الإيرانية تصرفاً أثراً استغراب جل الفقهاء في البلدين من عارضوا استمرار الحرب وأصرّ هو على استمرارها.

فمن المعروف أن النظام العراقي شن الحرب ضد إيران في نهاية العام ١٩٨٠ م وما أن حلّت نهاية العام ١٩٨٢ م حتى رضخ النظام العراقي لوسائل الصلح التي تبنته منظمة المؤتمر الإسلامي ولجنتها للمساعي الحميدة وذلك بعد تقهقر الجيش الصدامي إلى داخل الحدود العراقية، ولكن السيد الخميني رفض وقف إطلاق النار، واستمرت الحرب واكملت الأخضر واليابس إلى أن صارت الدولة الإيرانية عام ١٩٨٨ م على حافة الانهيار الاقتصادي وعندها قبل السيد

(١) كتاب البيع - السيد الخميني - ج ٢ - ص ٦٢٥

الخميني قرار وقف اطلاق النار، كان عدد ضحايا الحرب يقدر بـ مليون قتيل من الطرفين ، ثلثتهم من الشعب الإيراني بسبب استراتيجية الموجات البشرية والتي لم تبال بعد الضحايا بقدر الاهتمام بالنصر المحرز ! والضحايا في الغالبية العظمى هم من الشيعة ، ومن الطرفين!

النقطة التي توقفت عندها الحرب في العام ١٩٨٨ هي نفسها تقريباً النقطة التي رفضت إيران عندها وقف اطلاق النار عام ١٩٨٢ ! فليس هناك نصر يذكر ، وما قيمة الانتصار الذي يأتي على أشلاء مليون قتيل ، و معاناة مئات ألوف الأرامل و ملايين الأيتام ومئات المليارات من الدولارات التي أُتلفت ! وهذا هو الفرق بين سياسة المعصوم في حفظ النفوس - لكونه يعلم ان الأنظمة الظالمة لا يسقط أحدها حتى يقوم نظام ظالم غيره ويحتل مكانه - وبين سياسة الولي الفقيه الذي ظن ان له سلطة المعصوم في التحكم في النفوس فأصر على استمرار الحرب وكله ظن بأنه سيسقط النظام الكافر في بغداد ، ولكنه لم يُسقطه ! فذهبت التضحيات والمليارات هباء في الهواء !

فالمعصوم ربح الناس ، وربح الأرواح ، وربح النفوس التي في الأصلاب ، بينما خسر الولي الفقيه كل ذلك ، ولم يربح شيئاً !

والسيد الخميني رحمه الله وبعد كل ذلك لم يندم على إطالته الحرب بل هو قال في خطاب شهير ((بأن موافقته على إنهاء الحرب كانت كتجّرع السم))^(١) !

(١) البرنامج الإيراني الرسمي (دفاع مقدس) على اليوتيوب / <https://www.youtube.com/watch?v=h3o1ZqweNzA>

كل هذا نتائج القول بأن للفقيه سلطة كما للمعصوم.

لذا حذرنا المعصوم من التصرف بآرائنا وترك النصوص، يقول الإمام

السجّاد :

((إن دين الله عز وجل لا يصاب بالعقول الناقصة والآراء الباطلة والمقاييس الفاسدة، ولا يصاب إلا بالتسليم، فمن سَلَمْ لنا سَلِيمٌ، ومن اقتدى بنا هُدِي، ومن كان يعمل بالقياس والرأي هلك، ومن وجد في نفسه شيئاً مما نقوله أو نقضي به حرجاً كفر بالذي أنزل السبع المثاني القرآن العظيم وهو لا يعلم))^(١).

فكل فتاوى بلا نصوص واضحة هي فتاوى بعقول ناقصة وآراء باطلة، وهم يعترفون في الحوزات بوجود هذا النهج! فبعضهم يفخر بأنه قد قيل فيه ((انه نقل الفقه من فتاوى المتشرعة الى فتاوى الشع))! وعندما تراجع كتب الاستدلال الفقهية تجد الكثير من الطعن بين الفقهاء ونسبة بعضهم الى القياس الحنفي واضحة جلية.

فيجب قطع كل علاقة ووليقة تؤدي إلى الأخذ في الدين عن غيرهم كما قال

صادقهم :

((الابد من أَن تكون فتنَة يسقط فيها كل بطانة ووليقة حتى يسقط فيها من كان يشق الشعر بشعريْن حتى لا يبقى إِلَّا نحن وشيعتنا))^(٢)

(١) كمال الدين وتمام النعمة - محمد بن علي بن الحسين الصدوق - ص ٣٢٤.

(٢) بصائر الدرجات - محمد بن حسن الصفار ص ٤٣.

وانتبه لقوله ﷺ: فلا يبقى إلا نحن وشيعتنا!

وهم مضافون إليهم على الحقيقة، يقول أمير المؤمنين ﷺ ((إن النفر لفر حكم ونحزن لحزنكم ونمرض لمرضكم))^(١)

فالآئمة إذن يمرضون لمرضنا! وهذا الخطاب موجه لأحد شيعت (هـ) ﷺ! لا
((للمتشيعة))!

لذا فالعلاقة عضوية قد تخفي على عقولنا بالكيفية! لكنها موجودة، فهل يكون كل هؤلاء الناس شيعتهم وفيهم فاعل الكبيرة والخارج عن الدين ومن يؤسس لكي يعبد الناس وكلهم عنوانهم (شيعة)!!

لهذا وغيره لا نستغرب أن الحوزة الدينية النجفية وهي الأكبر والأعرق والأكثر تأثيراً على الشيعة في الغيبة الكبرى لم يرد فيها حديث واحد يمدحها طوال غيبة الإمام أو حين ظهوره! والمفترض أن من فيها من الفقهاء هم (نواب) له عجل الله فرجه الشريف، والمفترض انهم سيسلّمون له الرأية عند ظهوره الشريف.... لكن!

الوارد عنهم ﷺ هو العكس تماماً! فأهل البيت ﷺ اخبروا أن فقهاء الكوفة ونجف الكوفة سيحاربونه ويحاولون قتله - عجل الله فرجه الشريف - بكل حيلة:

روى أبو الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل أنه:

((إذا قام القائم ﷺ سار إلى الكوفة، فيخرج منها بضعة عشر ألف نفس يدعون البترية عليهم السلاح، فيقولون له: ارجع من حيث جئت فلا حاجة لنا فيبني فاطمة، فيضع فيهم السيف حتى يأتي على آخرهم، ويدخل الكوفة فيقتل بها كل منافق مرتاب، ويهدم قصورها، ويقتل مقاتلتها حتى يرضي الله عز وعلا))^(١)

وروى الشيخ النعماي في غيبته: عن مالك بن ضمرة قال قال أمير المؤمنين ﷺ: ((يا مالك بن ضمرة كيف أنت إذا اختلفت الشيعة هكذا وشريك أصابعه وأدخل بعضها في بعض؟!

فقلت: يا أمير المؤمنين ما عند ذلك من خير؟

قال: الحسن كله عند ذلك يا مالك يقُولُ قَائِمُنَا فَيُقْدِمُ سَبْعِينَ رَجُلًا يَكْذِبُونَ عَلَى اللَّهِ وَ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ فَيَقْتُلُهُمْ ثُمَّ يَجْمِعُهُمُ اللَّهُ عَلَى أَمْرٍ وَاحِدٍ)^(٢).

فانتبه لقوله ﷺ ((فَيُقْدِمُ سَبْعِينَ رَجُلًا يَكْذِبُونَ عَلَى اللَّهِ وَ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ فَيَقْتُلُهُمْ)) واجمعه مع قوله ﷺ (((لو قام قائمنا بدأ بکذابي الشيعة فقتلهم))^(٣) فهو لاء مختصون بالكذب على الله ورسوله وليس أي كذب آخر!! فهم ينقلون الفتاوي وهي ليست صادرة من الشرع ومصدريه الوحديين!

ومن تلکم الروایات ما نقلها المرندی في مجمع النورین:

(١) الإرشاد - محمد بن محمد بن النعماي المفيد - ج ٢ ص ٣٨٤.

(٢) ص ٢١٤.

(٣) رجال الكشي ص ٢٩٩.

((انه قبل قيام القائم تبني في كربلاء ثمانون الف قبة من الذهب الأحمر إجلالا للحسين بن علي، فإذا خرج القائم من كربلاء وأراد النجف والناس حوله قُتِلَ بين الكربلاء والنجف ستة عشر الف فقيه، فيقول الذين حوله من المنافقين: انه ليس من ولد فاطمة والا لرحمهم.

إذا دخل النجف وبات فيه ليلة واحدة فخرج منه من باب التخيلة محاذياً قبر هود وصالح، استقبله سبعون الف رجل من أهل الكوفة يريدون قتله، فيقتلهم جميعاً فلا ينجي منهم أحد))^(١)

عن الفضيل بن يسار، قال:

((سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن قائمنا إذا قام استقبل من جهل الناس أشد مما استقبله رسول الله عليه السلام من جهال الجاهلية.

قلت: وكيف ذاك؟

قال: إن رسول الله عليه السلام أتى الناس وهم يعبدون الحجارة والصخور والعيدان والخشب المنحوته، وإن قائمنا إذا قام أتى الناس وكلهم يتأنّى عليه كتاب الله يحتاج عليه به، ثم قال: أما والله ليدخلن عليهم عدله جوف بيوتهم كما يدخل الحرّ والقرّ).^(٢)

فتتجد النصيّن من نور واحد، يشيران إلى أمر واحد، وهو أن (الفقهاء)

(١) مجمع التورين - الشيخ أبو الحسن المرزنجي - ص ٣٤٤.

(٢) الغيبة - محمد بن إبراهيم النعmani - ص ٣٠٧.

سيتأولون على الإمام كتاب الله، ولن يعطونه (حق الأصالة) بعد ما أدعوا (حق النيابة)! ((كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا كَلَامَ اللَّهِ حِيثُ يَقُولُ ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُمْكِنِينَ﴾) (القصص ٨٣).

بل والله لقد سمعوها ووعوها. ولكنهم حلّيت الدنيا في أعينهم وراقبهم

(زبر جها) ^(١))

نعم هي السنن التي لا تتغير! فعلها فقهاء اليهودية عندما نابوا عن المعصوم، وفعلها فقهاء النصرانية عندما نابوا عن المعصوم، وفعلها فقهاء المسلمين عندما نابوا عن المعصوم! إلّا من رحم الله.

ومن تلکم الروایات التي تتكلّم عن تنکر الفقهاء للإمام المهدی حين ظهوره:

ما روی عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام في حديث طويل:

((... إِذَا قَامَ الْقَائِمَ سَارَ إِلَى الْكُوفَةِ يَهْدِمُ بَهَا أَرْبَعَةَ مَسَاجِدَ...)) ^(٢))

بل إن بعض الروایات تصف من يقاتل الإمام في الكوفة بانهم من اتباع السفیانی مع انهم من الشیعه!

إذ روی عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يقدم القائم عليه السلام حتى يأقي النجف فيخرج إليه من الكوفة جيش السفیانی وأصحابه، والناس معه، وذلك يوم الأربعاء فيدعوهم ويناشدهم حقه ويخبرهم أنه مظلوم مقهور ويقول: من حاجني في

(١) نهج البلاغة - جمع الشريف الرضي - ج ١ - ص ٣٦.

(٢) روضة الوعاظین - الفتال النيسابوري - ص ٢٦٤.

الله فأنا أولى الناس بالله - إلى آخر ما تقدم من هذه - فيقولون: ارجع من حيث شئت لا حاجة لنا فيك، قد خبرناكم واحتربناكم فيتفرقون من غير قتال. فإذا كان يوم الجمعة يعاود فيجيء سهم فيصيب رجلاً من المسلمين فيقتله فيقال إن فلاناً قد قتل فعند ذلك ينشر راية رسول الله ﷺ فإذا نشرها انحاطت عليه ملائكة بدر فإذا زالت الشمس هبَّت الريح له فيحمل عليهم هو وأصحابه فيمن حملهم الله أكتافهم ويولون، فيقتلهم حتى يدخلهم أبيات الكوفة، وينادي مناديه ألا لا تتبعوا مولياً ولا تجهزوا على جريح ويسيرون بهم كما سار على ﷺ يوم البصرة.^(١)

و عن الكابلي، عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: يقتل القائم ﷺ من أهل المدينة حتى ينتهي إلى الأجرف ويصيدهم مجاعة شديدة قال: فيضجون وقد نبت لهم ثمرة يأكلون منها ويتزودون منها، وهو قوله تعالى:

﴿وَآيَةُهُمُ الْأَرْضُ الْمُيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَآخْرَ جِنَّا مِنْهَا حَبَّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ (يس ٣٣)

ثم يسير حتى ينتهي إلى القادسية وقد اجتمع الناس بالكوفة وبايعوا السفياني.^(٢)

ولنعلم أن السفياني في روایات الكوفة ليس هو السفياني صاحب الشام الذي وردت في ظهوره الروایات المحتومة التحقق، فالروایات تصرّح بأن السفياني لن يبقى في الكوفة غير ثانية عشر ليلة وبعدها يهزم ويرجع إلى الشام^(٣)، وذلك

(١) بحار الأنوار - محمد باقر المجلسي - ج ٥٢ - ص ٣٨٨.

(٢) بحار الأنوار - محمد باقر المجلسي - ج ٥٢ - ص ٣٨٨.

(٣) راجع خطبة البيان.

بعد دخول طلائع جيش الخراساني إلى العراق، إذن فمن هذا (السفياني) الذي يخرج ((ومعه أصحابه والناس معه))^(١)

هذا الأمر لم يجعلوا عليهم السلام أمرهم ونيابتهم (المَدْعَة) بهذه السعة إلى من يستعمل غير النص في إيصال الحكم الشرعي، لكونه إن ادخل النص وشيء من الرأي معه أو الاستحسان أو الاستصلاح فقد فتح باباً لن ينسد، لا على نفسه، ولا على غيره، ولن ينسد على من بعده، فكما ورد عنهم عليهم السلام:

((إن للدين حدا كحدود بيته هذا وأومن بيده إلى جدار فيه))^(٢)

فهل يعلم غيرهم حدود هذا الدين كما هم عليهم السلام؟! بل وهل يعرفه غيرهم؟

فلو قال رجل: نعم، يعلمه غيرهم! لكان اشترك معهم في الإمامة، وهذا باطل. ولو قال: لا يعلم، ولكنه مع ذلك يدس انفه في الاستنباط! لكن قد القى نفسه في الهلكة، ولو قال: يعلم ببعضها، وبعضاً لا! فهذا أجهلهم لكونه يعلم انه لا يعلمه كله وأدخل نفسه فيه!

لذا فالامر لا يُصلح الا بهم، ومنهم، واليهم، عليهم وعلى جدهم الصلاة والسلام.

ولما كان الدين كاملاً وقد تمت النعمة بولاية علي عليه السلام في قوله تعالى:

﴿لِيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾

(١) بحار الأنوار - محمد باقر المجلسي - ج ٥٢ - ص ٣٨٨.

(٢) المحسن - أحمد بن محمد البرقي - ج ١ ص ٢٧٣.

فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَحْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِلَّمْ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ (سورة المائدة ٣)

ولما كان النبي عليه وآلـه الصلاة والسلام ترك الدين بعده كما قال ((تركتكم على البيضاء، ليتها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك))^(١)

ولما كان عندهم حكم كل شيء حتى ((أرش الخدش)) فلا يجوز إذن الرجوع الى الأصول العقلية من براءة واستصحاب وغيرها عند (فقدان النص)! كما يدعون! فليس هناك إمام غائب عن دينه في الحقيقة، وليس هناك نص مفقود في الحقيقة!

بيان ذلك:

إن الإمام غائب عن أنظارنا، شخصاً أو عيناً، ولو التقينا به في الشارع فقد لا نعرفه، ولكنه يبقى حجّة على الناس، وقيم على الدين، وهو يتصرّف في الأمور على وجه الحقيقة بلا شك، فهو ﷺ يقول - لو صحت الرسالة - ((إِنَّا غَيْرَ مَهْمَلِينَ لِمَرَاعِاتِكُمْ وَلَا نَاسِينَ لِذِكْرِكُمْ وَلَوْلَا ذَلِكَ لَنَزَلَ بِكُمُ الْأَوَاءُ وَاصْطَلَمْكُمُ الْأَعْدَاءُ))^(٢)

واللأواء من الألو: وهو الشدّة^(٣)

والاصطدام من الصلم: وهو القطع^(٤)

(١) مجازات القرآن - الشريف الرضي - ص ٤٤٢.

(٢) التهذيب - محمد بن الحسن الطوسي - ج ١ ص ٣٨.

(٣) معجم مقاييس اللغة - ابن فارس - ج ٥ - ص ٢٢٧.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر - ابن الأثير - ج ٣ ص ٤٩.

فولا تصرّف الإمام، وتدخله في التخفيف من أفعال الظالمين والناصب
ومحرّق الدين، لأصابت شيعته الشدّة، بل ولقطعوا وجودهم من الواقع! فهل
هذا الإمام غائب بالمعنى الذي يفهمونه؟!

ومن غرائب القوم أنهم يقسمون اليوم (الولي الفقيه) إلى مبسوط اليد وغير
مبسوط اليد! ولا أعلم كيف يكون هذا (الولي الفقيه الإمام!) مبسوط اليد في
ظل وجود الإمام عجل الله فرجه؟! وهل أن قدرته أعظم من قدرة الإمام -
عجل الله فرجه - ليكون الإمام غائب وهو حاضر؟!

فما هو الطاغوت^(١)؟! إن لم يكن غير هذا!

قال السيد البحرياني في البرهان:

عن عبد الله بن أبي يعفور، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إني أخالط الناس،
فيكثر عجبي من أقوام لا يتولّونكم، ويتوّلون فلاناً وفلاناً، هم أمانة وصدق
ووفاء، وأقوام يتولونكم، وليس لهم تلك الأمانة، ولا الوفاء، ولا الصدق!
قال: فاستوى أبو عبد الله عليه السلام جالساً، فأقبل على كالغضبان، ثم قال:

لا دين من دان الله بولاية إمام جائر ليس من الله، ولا عتب على من دان
بولاية إمام عادل من الله.

قلت: لا دين لأولئك، ولا عتب على هؤلاء؟

(١) * الطاغوت: الذين غصباً آل محمد حقّهم / تفسير كنز الدقائق - محمد بن محمد القمي المشهدى
- ج ٢ - ص ٤١٣

قال: «نعم، لا دين لأولئك ولا عتب على هؤلاء - ثم قال - : ألا تسمع
لقول الله عز وجل:

﴿الَّهُ وَلِيُ الدِّينَ أَمْنُوا يُخْرِجُوهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ يعني من ظلمات
الذنوب إلى نور التوبة والمغفرة، بولايتهم كل إمام عادل من الله. وقال:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاً لَهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُوهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾

إنما عنى بهذا أنهم كانوا على نور الإسلام، فلما تولوا كل إمام جائز ليس من
الله عز وجل، خرجوا بولايتهم إيهام من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر، فأوجب
الله لهم النار مع الكفار، فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون))^(١).

والمسألة عقائدية وفقهيّة وليس فقهية، فالقول بإمامامة فقيهه ووجوب طاعته
بصورة مطلقة - كما هو الأمر الآن على الأقل لأصحاب ولاية الفقيه - هو
مساوق للقول بإمامامة الإمام المعصوم، بلا فرق! فالنتيجة واحدة: طاعة بلا
سؤال!. وهذا لا يجوز مع غير المعصوم.

ولما كانت الأحكام الشرعية من أعظمها حتى أدّتها موجودة عندهم ﴿بِحَدِيثِ اللَّهِ عَزَّ ذِيَّلَهُ﴾،
فكيف نقول بحكم عقليّ من إباحة وغيره عندما لا نصل إلى النصّ المفقود لداعٍ
أو لآخر، بحجّة استمرار الدين ومعاصرته ومرونته وعدم جموده وأن فيه حكم
لكل شيء!!

نعم هو فيه حكم لكل شيء ولكن (حكم هذا الشيء) عند المعصوم، الموجود

(١) تفسير البرهان - السيد هاشم البحرياني - ج ١ - ص ٥٢٢

حقيقة، لكنه غير ظاهر حالياً، وهذا النص لم يصلكم! فكيف استبدلتموه بقاعدة
عقلية استنبطتها عقولكم القاصرة؟!

وهل ينطبق كلام أمير المؤمنين ﷺ إلا على هذه الآراء وأشباهها عندما يقول ﷺ: ترد على أحدهم القضية في حكم من الأحكام فيحكم فيها برأيه ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلافه ثم يجتمع القضاة بذلك عند الإمام الذي استقضاهم فيصوب آرائهم جميعاً وإلهموا واحد ونبيهم واحد وكتابهم واحد. فأفمّا لهم الله تعالى بالاختلاف فأطاعوه. أم نهَاهم عنه فعصوه. أم أنزل الله ديناً ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه. أم كانوا شركاء له. فلهم أن يقولوا وعليه أن يرضي أم أنزل الله سبحانه ديناً تاماً فقضَّ الرسول صلى الله عليه وآله عن تبليغه وأدائه والله سبحانه يقول (ما فرّطنا في الكتاب من شيءٍ) فيه تبيان كل شيءٍ وذكر أن الكتاب يصدق بعضه ببعضه وأنه لا اختلاف فيه فقال سبحانه (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً).^(١)

وهذا كلام لا شبّهه فيه، مُحْكَم، نورٌ من نور، ومن لم يكن له من الله نور فهاله من نور!

وقول الإمام الصادق عليه السلام:

((إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ فِي الْقُرْآنِ تَبْيَانَ كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى وَاللَّهُ مَا تَرَكَ شَيْئاً يَحْتَاجُ

(١) نهج البلاغة - جمع الشريف الرضي - في ذم الاختلاف في الفتيا .

إِلَيْهِ الْعِبَادُ، فَلَا يُسْتَطِعُ عَبْدٌ أَنْ يَقُولَ: لَوْ كَانَ هَذَا أَنْزَلَ فِي الْقُرْآنِ))^(١)

وأيضاً قال ﷺ :

((مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَفِيهِ كِتَابٌ أَوْ سَنَةٌ))^(٢)

وقال أبو عبد الله ﷺ : ما من أمر يختلف فيه اثنان إلا وله أصل في كتاب الله عز وجل، ولكن لا تبلغه عقول الرجال.^(٣)

فلو لم تبلغه عقول الرجال فهل يجوز أن يذهب هؤلاء الرجال الى قواعد بديلة تحلّ وتحريم، تحييز وتمتنع !

وقد علمنا ان الحكم حكمان، حكم الله وحكم الجاهلية، فمن لم يحكم بحكم الله حكم بالجاهلية، لذا قال تعالى:

﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ سورة الأنعام (٥٧)

نسب الحكم الحق اليه سبحانه وتعالى.

وقال تعالى ﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْنَ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ سورة يونس (٣٥)

فيعاتبهم على طريقة تغكيرهم المغلوطة ونسبها الى حكمهم وليس الى حكمه جلّ وعلا !

(١) روضة المتدين - محمد تقى المجلسي - ج ١٢ - ص ٢٠٠ .

(٢) الوافي - الفيض الكاشاني - ج ١ - ص ٢٧٤ .

(٣) المهدّب البارع - ابن فهد الحلي - ج ١ - ص ١٠ .

وحكمة المعصوم هو حكم الله ، فلو لم نعلمه فيجب أن نتوقف ولا نجيز أو
نمنع بل نقول: نتوقف، ونردد علمه إلى الله، كما أوصانا القرآن:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ
عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ (سورة الإسراء ٣٦)

فما كان من غير طريق العلم كان ظناً، والظن لا يجوز العمل به، يقول تعالى:

﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضْلُلُوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ
وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ سورة الأنعام (١١٦)

﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا
تَخْرُصُونَ﴾ سورة الإنعام (١٤٨)

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحُقْقِ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا
يَفْعَلُونَ﴾ سورة يونس (٣٦)

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَبِعُونَ
إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهَدَى﴾ سورة النجم (٢٣)

﴿وَمَا هُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحُقْقِ شَيْئًا﴾
سورة النجم (٢٨)

ومن غريب كلام الفقهاء أنهم بعد ما يقسمون الظن في القرآن الى ظن يقين
وظن شك، يدعون التفريق بين النوعين بالقرائن ومن ظواهر القرآن والسياق

وغيرها من طرائق العامة! ولما كان إلقاء الأصول منهم ﷺ تركوا لنا أصلا
لتمييز ظن اليقين من غيره:

ففي كلام لأمير المؤمنين عليه السلام:

وأما قوله عز وجل للمنافقين: ﴿وَتَظُنُونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَ﴾ الأحزاب (١٠)
 فهو ظن شك وليس ظن يقين، والظن ظنان ظن شك وظن يقين، فما كان من
أمر المعاد من الظن فهو ظن يقين، وما كان من أمر الدنيا فهو ظن شك.)^(١)

وبالتالي فكل الآيات التي تندم الظن الذي لا يتعلّق بأمور المعاد لا محيس من
حملها على باقي النواحي التي منها الظن في التشريع فيكون منهيا عنه، من أي
وجه كان، ومن أي رجل كان، ولأي أمر كان. إلّا أن يخرج من ملتنا، ويدين
بغير ديننا!.

هل يعطي الله سبحانه والأجر على الخطأ في الاجتهاد؟!

لذا فالقاعدة الشائعة عند فقهائنا:

((من اجتهد فاختلط أكان له اجر ومن اجتهد فأصاب كان له أجران))^(١)

ليست من مشكاة النبوة، بل من حديث عمرو بن العاص ليعطي على رايه في الدين أما قاعدهم عليهم السلام فهي ما قالها أبو عبد الله الصادق عليه السلام في جواب أحد أصحابه عندما قال له هذا الصحابي ((يرد علينا أشياء ليس نعرفها في كتاب ولا سنة فننظر فيها؟ - فقال (الإمام الصادق): لا، أما إنك إن أصبت لم تؤجر، وإن أخطأت كذبت على الله))^(٢)

وورد عن محمد بن حكيم، قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: إنا نتلاقى فيما بيننا فلا يكاد يرد علينا شيء إلا وعندنا فيه شيء وذلك شيء أنعم الله به علينا بكم، وقد يرد علينا الشيء وليس عندنا فيه شيء وعندنا ما يشبهه فنقيس على أحسته؟ فقال: لا، وما لكم وللقياس، ثم قال: لعن الله أبا فلان، كان يقول: قال علي وقلت، وقالت الصحابة وقلت، ثم قال: كنت تجلس إليه؟ - قلت: لا ولكن هذا قوله، فقال أبو الحسن عليه السلام: إذا جاءكم ما تعلمون فقولوا، وإذا جاءكم ما لا تعلمون بها (ووضع يده على فمه) فقلت: ولم ذاك؟ - قال: لأن رسول الله صلوات الله عليه وسلم

(١) يقول الشيخ مغنية ((تسالم فقهاء الإمامية على أن الله في كل واقعة حكماً يصيبها من أصاب، ويختطها من أخطأ، وللمخطئ أجر، وللمصيب أجران)) فقه الإمام جعفر الصادق عليه السلام - ج ٦ - ص ٦٧.

(٢) المحسن - أحمد بن محمد البرقي - ج ١ ص ٢١٣.

أتى الناس بما اكتفوا به على عهده وما يحتاجون إليه من بعده إلى يوم القيمة.^(١)

و عن محمد بن الطيار قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: تخاصل الناس؟ قلت: نعم، قال: ولا يسألونك عن شيء إلا قلت فيه شيئاً؟ - قلت: نعم، قال: فأين باب الرد إذا؟^(٢)

و عن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال: قال رجل من أصحابنا لأبي الحسن عليه السلام نقيس على الأثر، نسمع الرواية فنقيس عليها، فأبى ذلك وقال: قد رجع الأمر إذا إليهم فليس معهم لاحد أمر.^(٣)

و عن محمد بن بشر الأسلمي قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام وورقة يسأله فقال له أبو عبد الله عليه السلام: أنتم قوم تحملون الحلال على السنة ونحن قوم نتبع على الأثر.

وعن أبي الريبع الشامي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما أدنى ما يخرج العبد من الإيمان؟ فقال: الرأي يراه مخالف للحق فيقيم عليه !!^(٤)

نعم، لو كان الاعتماد على الثقلين فقط في الأحكام فهنا بذل الوسع في الاعتماد على النصوص المخصوصية وبالآليات التي تركها المخصوص فقد يكون هذه القاعدة وجهاً، ولكن اتباع العامة بطرائقهم في الاستنباط وفي ما يظهر من

(١) المحسن - أحمد بن محمد البرقي - ج ١ ص ٢١٣.

(٢) المحسن - أحمد بن محمد البرقي - ج ١ ص ٢١٣.

(٣) المحسن - أحمد بن محمد البرقي - ج ١ ص ٢١٣.

(٤) راجع هذه الروايات وغيرها في هذا المعنى في كتاب المحسن - أحمد بن محمد البرقي - ج ١ ص ٢١١.

نتائج هذا الاستنباط ثم نتبعهم بتصويب النتيجة بهذا الشكل فهذا ليس من مشكاة المعلوم.

فما يسمى بـ(الذوق الفقهي)! السائد الآن لا يجعل وزنا لا للرد للمعلوم ولا للتوقف في حال عدم التوصل لفتوى من نص معين، ونادرًا ما يجعل مجالا للاحتجاج!

وقد ورد عنهم عليهم السلام:

((وإنما الأمور ثلاثة: أمر بين رشد وفتب، وأمر بين غيه فيجتنب، وأمر مُشكّل يُرد علمه إلى الله وإلى رسوله))^(١)

وهذا أمر بتشليث الأحكام، واجب وحرام وتوقف، وإنما المعمول به عند الفقهاء هو الواجب والحرام والمكروه والمستحب والمباح وترجع هذه الإحکام الخمسة إلى حكمين: إفعل ولا تفعل، أو قل، جائز وغير جائز، وهذا ينافي ما عليه أهل البيت عليهم السلام لكونهم يعلمون يقيناً أن بعض الأحكام يجب أن يتوقف فيها المؤمن إذا لم يكن يعلم الحكم بالقطع والجزم، فعلموا شيعتهم التوقف وردّ الأمر إلى صاحبه والتورّع عن التقدّم في الشبهات.

هذا فلا غرابة من أن يرى كل مؤمن بالفوضى العارمة التي تخبط بها الحوزة نظاماً وأشخاصاً، وهذا لا يعني أنهم كلهم أناس يريدون الدنيا أو أن همّهم تخرّب الدين بل ليس لنا لنحكم بذلك، فحمل الإنسان المسلم على خير محمل

(١) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - ج ١ - ص ٦٨.

لازم هنا لكنها تصرفات جاءت عن تقليد من الفقهاء، جيلاً بعد جيل وفي كل جيل يزداد شيء في الدين، ويترك وينسى شيء آخر ، وبالتالي تكون هناك ذوق فقهي بعيد عن النصوص. يقول أمير المؤمنين ((وقد مضت أصول نحن فروعها فيما بقاء فرع بعد ذهاب أصله منها ، وما أحدثت بدعة إلا ترك بها سنة. فاتقوا البدع والزموا المهيغ. إن عوازم الأمور أفضلها. وإن محدثاتها شراراها))^(١)

والمهيغ: هو الطريق الواضح.

عوازم الأمور: ما تقادم منها وكانت عليها ناشئة الدين، من قولهم ناقة عوزم كجعفر أبي عجوز فيها بقية شباب.

فالمحدثات شرار الأمور! ومنهج التدريس اليوم في الحوزات هي أمور محدثة، جاءت قرناً بعد قرن، واستحساناً وتقليداً جيلاً بعد جيل!

فكـل جـديـد يـتركـ بـهـ قـديـمـ، وـلـماـ كـانـ الـقـديـمـ مـبـدـأـهـ مـنـ الـأـئـمـةـ وـتـحـتـ أـنـظـارـهـمـ وـبـنـصـيـحـتـهـمـ وـمـبـادـرـتـهـمـ تـرـكـ كـثـيـرـ مـنـ هـذـاـ الـقـديـمـ، وـجـيـءـ لـنـاـ بـكـثـيـرـ مـنـ غـيـرـنـاـ لـيـزـرـعـ فـيـ سـاحـتـنـاـ وـيـكـونـ شـيـعـيـاـ بـزـعـمـهـمـ! وـهـذـاـ لـاـ يـكـونـ، فـالـأـمـرـ كـمـنـ يـجـيـءـ بـنـبـتـةـ اـسـتـوـائـيـةـ تـحـتـاجـ الشـمـسـ وـالـمـطـرـ عـلـىـ مـدارـ السـنـةـ إـلـىـ بـلـادـ قـطـبـيـةـ بـارـدـةـ، مـثـلـجـةـ اـغـلـبـ أـيـامـ السـنـةـ، وـهـوـ يـحـسـبـ أـنـ الشـمـسـ الـاـسـتـوـائـيـ سـتـنـقـلـ مـعـ هـذـهـ الـنـبـتـةـ الـتـيـ أـصـبـحـتـ فـيـ بـلـادـ قـطـبـيـةـ، فـمـاـ سـيـحـصـلـ أـنـ الـنـبـتـةـ سـتـمـوـتـ، وـلـوـ أـنـهـاـ عـاشـتـ فـسـتـكـونـ مـرـيـضـةـ وـغـيـرـ مـثـمـرـةـ لـكـونـ الـأـرـضـ غـيـرـ أـرـضـهـاـ وـالـهـوـاءـ غـيـرـ

(١) نـهـجـ الـبـلـاغـةـ - جـعـ الشرـيفـ الرـضـيـ - جـ ٢ـ - صـ ٢٩ـ .

هوائهما! فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله عليه السلام وسلام:

((من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح))^(١)

وعن أبي عبد الله عليه السلام أنه كان يقول:

((العامل على غير بصيرة كالسائل على غير طريق، لا يزيده سرعة السير إلا

بعدا))^(٢)

يقول أمير المؤمنين عليه السلام عن نفسه وأهل بيته عليهم السلام:

((نحن الشعار والأصحاب والحزنة والأبواب. لا تؤتى البيوت إلا من أبوابها فمن أتتها من غير أبوابها سُمِّي سارقا منها، فيهم كرائم القرآن، وهم كنوز الرحمن. إن نطقوا صدقوا، وإن صمتوا لم يُسبقو. فليصدق رائد أهله، ولديحضر عقله، ول يكن من أبناء الآخرة، فإنه منها قدم وإليها ينقلب. فالناظر بالقلب العامل بالبصر يكون مبتدأ عمله أن يعلم أعماله عليه أم له. فإن كان له مضى فيه، وإن كان عليه وقف عنه. فإن العامل بغير علم كالسائل على غير طريق. فلا يزيده بعده عن الطريق إلا بعدا من حاجته. والعامل بالعلم كالسائل على الطريق الواضح، فلينظر ناظر أسائر هو أم راجع. واعلم أن لكل ظاهر باطننا على مثاله، فما طاب ظاهره طاب باطنه. وما خبث ظاهره خبث باطنه. وقد قال الرسول الصادق عليه السلام «إن الله يحب العبد، ويبغض عمله، ويحب العمل

(١) الوافي - الفيض الكاشاني - ج ١ - ص ٢٠٠.

(٢) الحديثان في: المحسن - أحمد بن محمد البرقي - ج ١ ص ١٩٨.

ويبغض بدنه « واعلم أن لكل عمل نباتاً . وكل نبات لا غنى به عن الماء ، والمياه مختلفة . فما طاب سقيه طاب غرسه وحلت ثمرته ، وما خبث سقيه خبث غرسه وأمرَّت ثمرته))^(١)

فانظروا هل انتم سائرون أم راجعون؟ وهل الرجوع الا على الأعقاب !
وهل من أخذ منهم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وأشرك معهم غيرهم - كما هو الشائع الآن -
يعتبر من شيعة(هم)؟ أم من شيعة غيرهم؟

إذ جاء عن الصادق جعفر بن محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أنه قال :
يا أبا بصير ، نحن شجرة العلم ، ونحن أهل بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وفي دارنا مهبط
جبرئيل ، ونحن خزان علم الله ، ونحن معادن وحي الله ، من تبعنا نجا ، ومن
تخلف عنا هلك ، حقا على الله عز وجل^(٢) !

وعن الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال :
شيتنا المسلمين لأمرنا ، الآخذون بقولنا ، المخالفون لأعدائنا ، فمن لم يكن
كذلك فليس منا^(٣) .

(١) نهج البلاغة - جمع الشريف الرضي - ج ٢ - ص ٤٣ .

(٢) الإمامة والتبصرة - علي بن بابويه القمي - ص ١٣٣ .

(٣) صفات الشيعة - محمد بن علي بن الحسين الصدوق - ص ٣ .

و عن المفضل بن عمر قال: قال الصادق ﷺ:

كذب من زعم أنه من شيعتنا، وهو متمسك بعروة غيرنا^(١).

فإذا كان نبي الله وخاتم الأنبياء وخير خلوق يقول: ﴿إِنَّ أَتَّبَعْ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ (الأنعام ٥٠) فكيف بغيره من فقهاء لا يعلم أحدهم بما يحصل خارج داره
إِلَّا مِنْ خَلَالِ حَوَّاشٍ جَمِيعِهِمُ الطَّمَعُ وَالْجُشُعُ!

فهو - عليه الصلاة والسلام - متوقف حتى يوحى اليهم فيتبع، فكيف يجوز أن يكون من هو أدنى منه أن يعمل بلا اتباع وبلا نص ويكتب على رسالته العملية ((إن العمل بهذه الرسالة العملية مجزي ومبرئ للذمة إن شاء الله!))؟!

فالنبي ﷺ وعلي بن أبي طالب ﷺ والزهراء الصدّيقه وبنوها كلهم متبعون لحكم الله، فحكمهم بالتالي حكم الله، ومن يتمسّك بهم ويتبعهم ويسلّم اليهم فهو عامل بحكم الله، أما من يتخذ أصولاً وقواعد غير مسموعة منهم وفروعها لم تأت عنهم فأي حكم يكون حكمهم؟!

فلو كان في هذا خير لاوصانا به الأئمة عليهم الصلاة والسلام، وكيف والله جلّ وعلا يقول عن جدهم خاتم النبيين:

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلٍ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ * وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمَيْنَ * وَلَوْ تَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَوِيلِ * لَاَخْدُنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتَيْنِ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ

(١) صفات الشيعة - محمد بن علي بن الحسين الصدوق - ص ٤.

فقول الرسول الكريم تنزيل من الله، ولو كان في القول بغير تنزيل جواز لأجزاء الله لخير خلقه، بل وأراد جلّ وعلا من النبي عليه وآلـه الصلاة والسلام إبلاغ ذلك إلى الشقلين بقوله:

﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَرَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَالِكُ إِنْ أَتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَكَبَّرُونَ ﴾
سورة الأنعام (٥٠)

فالهم اتبعك من لديه حجة بلزوم اتباعه ولديك حجة أمـام الله باتباعـه وهذا لا يكون إلا للمعصوم:

روي عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال الله تبارك وتعالى:

((الأذبن كل رعية في الإسلام أطاعت إماما جائرا ليس من الله وإن كانت الرعية في أعمالها برة تقية، ولأعفون عن كل رعية في الإسلام أطاعت إماما هاديا من الله، وإن كانت الرعية في أعمالها ظالمة مسيئة))^(١)

والإمام الهاדי الموصى لرضى الله سبحانه لا يكون إلا معصوما، يقول تعالى:

﴿قُلْ هَلْ مِنْ شَرٍّ كَائِنُكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يَتَّبِعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ سورة يونس (٣٥) لذلك فلا تستغرب أن يكون من على الملة الحنيفية هم الشيعة فقط، وليس كل من تسمى بالشيعة بل الذين يتلقون منهم فقط ويمشون على طريقتهم فقط:

ففي حديث حبابة الوالبية، يقول عمران بن ميشم: دخلنا على امرأة قد صفرتها العبادة أنا وعباية بن ربعي، فقالت: من الذي معك؟

قلت: هذا ابن أخيك ميشم.

قالت: ابن أخي والله حقا، أما إني سمعت أبا عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام يقول: ما أحذر على ملة إبراهيم إلا نحن وشيعتنا وسائر الناس منها براء.^(١)

وعن عباد بن زياد قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا عباد، ما على ملة إبراهيم أحد غيركم، وما يقبل الله إلا منكم، ولا يغفر الذنوب إلا لكم.^(٢).

وعن أبي بصير قال حججت مع أبي عبد الله عليه السلام فلما كنا في الطواف قلت له جعلت فداك يا بن رسول الله يغفر الله لهذا الخلق فقال يا أبا بصير إن أكثر من ترى قردة وخنازير! قال: قلت له: أرنهـ؟

(١) المحسن - أحمد بن محمد البرقي - ج ١ ص ١٤٧.

(٢) المحسن - أحمد بن محمد البرقي - ج ١ ص ١٤٧.

قال: فتكلّم بكلمات ثم امر يده على بصرى فرأيتهم قردة وخنازير فهالني ذلك ثم امر يده على بصرى فرأيتهم كما كانوا في المرة الأولى ثم قال: يا أبا محمد أنت في الجنة تخبرون وبين أطباق النار تطلبون فلا توجدون والله لا يجتمع في النار منكم ثلاثة لا والله ولا اثنان لا والله ولا واحد^(١).

وحيث الإمام الباقي ﷺ:

((الناس كلهم بهائم - ثلاثة - إلا قليل من المؤمنين، والمؤمن غريب - ثلاث مرات -))^(٢)

والمؤمن غريب لكونه يتبع منهجاً غريباً لا تريده الناس فكلهم يريد أن يُدعى رأساً يريدون أن يكونوا تابعاً ومتبوعاً، والمؤمن لا يتبع إلا المعصوم:

يقول المعصوم ﷺ: ((بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء، قيل: يا رسول الله ثم يكون ماذا؟ قال ثم يرجع الحق إلى أهله))^(٣).

و عن كامل التمار، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: ((قد أفلح المؤمنون)) أتدرى من هم؟

قلت: أنت أعلم.

قال: قد أفلح المؤمنون المسلمين، إن المسلمين هم - النجباء، والمؤمن غريب

(١) بصائر الدرجات - محمد بن حسن الصفار ص ٢٩٠.

(٢) بصائر الدرجات - محمد بن حسن الصفار ص ٥٤٢.

(٣) بحار الأنوار - محمد باقر المجلسي - ج ٢٥ - ص ١٣٦.

ثم قال: طوبى للغرباء^(١)!

وقد روی عن حماد بن عمرو، عن الإمام جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده، عن علي بن أبي طالب عليه السلام في حديث طويل في وصية النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه يذكر فيها أن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه قال له:

يا علي واعلم أن أعجب الناس إيمانا وأعظمهم يقينا قوم يكونون في آخر الزمان لم يلحقوا النبي، وحُجِّب عنهم الحجّة، فـأَمْنُوا بـسـوـادـ عـلـىـ بـيـاضـ^(٢).

والسواد على البياض هو الكتابة على الورق! وفي الحديث إشارة إلى رجوع الحق إلى نصابه عند ثلّة مؤمنة تقوم بأمر نشر حديثهم وحّقّهم المغتصب، وذلك في آخر الزمان، والنكتة فيه انه في الزمن الأول وفي وجود الكتب كان أصحاب الأئمة عليهم السلام يكتبون ويحفظون في كتبهم، وحسبك بما جرى على عمر ابن حنظلة من ذهاب كتبه فكان يحدث من حفظه فسمّيت روایاته بالمقبولات عند بعضهم، أما في آخر الزمان فالمعول سيكون عند هؤلاء المؤمنين على الكتب لأن الطريقة القديمة في الحفظ والتحديث غابت لقرون طويلة مع الأسف، فيكون اعتمادهم وإيمانهم بالكتابة الموجودة في الكتب الموثوقة، أي بكتابة على ورق! أي بسواد على بياض!

(١) تفسير البرهان - السيد هاشم البحراني - ج ٤ ص ١٢ .

(٢) كمال الدين وقام النعمة - ص ٢٨٨ .

لذا، فكل هذا الغيش، والتحريف، وخلط المقدس بالمقدس، ولد القول
بإمامية الكثير من الفقهاء (فعلياً وليس قوله)، فصارت طاعتهم تزاحم طاعة
العصوم، بل هي تسليه حقه في الطاعة بحجّة أنه: غائب! وهم: حضور! وهذا
ما حذر منه الأئمة عليهم السلام قبل وقوعه بقرون طويلة:

قال الشيخ النعmani في غيبته^(١):

عن مالك بن أعين الجهني، قال: سمعت أبا جعفر الباقر عليه السلام يقول:

((كل رأية ترفع - أو قال: تخرج - قبل قيام القائم عليه السلام صاحبها طاغوت))^(٢)!

وعن الفضيل بن يسار، قال: سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام يقول:

من خرج يدعو الناس وفيهم من هو أفضل منه فهو ضال مبتدع، ومن ادعى
الإمامية من الله وليس بإمام فهو كافر. ^(٣).

يقول الشيخ النعmani ((فإذا يكون الآن - ليت شعري - حال من ادعى إمامية
إمام ليس من الله ولا منصوصا عليه، ولا هو من أهل الإمامة، ولا هو موضع
لها بعد قوله عليه السلام: ثلاثة لا ينظر الله إليهم وهم: من ادعى أنه إمام وليس
بإمام، ومن جحد إماماً إماماً حق، ومن زعم أن لها في الإسلام نصيба. وبعد
إيجابهم على مدعى هذه المنزلة والمرتبة وعلى من يدعى لها له، الكفر والشرك، نعوذ

(١) الغيبة - محمد بن إبراهيم النعmani - ص ١١٥.

(٢) لكون صاحب الرأية سيحكم بدل المعصوم بعنوان النيابة وغيره!! وستكون له صلاحيات الإمام.
عجل الله فرجه الشريف بينما يريد أهل البيت أن نبقى متظرين للإمام الغائب.

(٣) وسائل الشيعة - الحرم العاملية - ج ٢٨ - ص ٣٥٠.

بالله منها ومن العمى، ولكن الناس إنما أتوا من قلة الرواية والدرایة عن أهل البيت المطهرين الهادين، نسأل الله عز وجل الزيادة من فضله، وألا يقطع عنا مواد إحسانه وعلمه، ونقول كما أدب الله عز وجل نبيه في كتابه: ربنا زدنا علما، واجعل ما مننت به علينا مستقرا ثابتا، ولا تجعله مستودعا مستعارا، برحمتك وطن لك .))^(١)

فكيف حال من تسمى بـ(الإمام) اليوم وقال بأن (ولايته) لها حق كحق
المعصوم ﷺ! بل وكيف حال من تسموا بـ(الآيات العظام) والإمام ﷺ يزور
الإمام ﷺ بقوله ((السلام عليك أيها الآية العظمى))!

(١) الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماي - ص ١١٦.

الفَصِيلُ التَّالِيُّ

ملامح طريقة الفقهاء البديلة لطريقتهم :

المدرسة الأصولية وعلم الأصول:

يُعرَف علم الأصول بأنه ((العلم بالعناصر المشتركة في عملية استنباط الحكم

(الشرع))^(١)

وهذه العناصر هي قواعد عامة توضع كقوالب تُصبَّ فيها الأدلة الشرعية
النقلية وغيرها لتخرج الفتاوى موافقة لتلك القوالب والقواعد العامة، ولما
كان المناخ في المدرسة العلوية هو أن الإمام هو من له حق الإلقاء وعلى الناس
التلقي فقط لم يذكر الأئمة عليهم السلام هذا (العلم) بقليل أو كثير مع أنه كان يتربص
بجوارهم في العراق والمدينة، والقائمون عليه يتربدون على الأئمة ويحاورون
 أصحابهم وأمرُ هؤلاء القوام بأصول الفقه أشهر من أن ينكر، ولكن، ولووضح
الرأوية عند أصحابهم عليهم السلام بأن هذا العلم لا يناسب طريقة أهل البيت عليهم السلام
فقد سألو عن القياس والنظر والرأي وللأئمة عليهم السلام اقوال واضحة في القياس
والنظر والرأي ورد القول والاستنباط ، لكون الفقه عند الشيعة ضروري
الأحكام مشهور، مكتوب، مُتلقي، وآليات حل الاختلاف بين المختلف
من الروايات^(٢)* تولى إلقاءها الأئمة عليهم السلام، وإن كان ولا بد فنقول أنها هي

(١) المعلم الجديدة للأصول - محمد باقر الصدر - ص.٨.

(٢) * وهذه الروايات المختلفة تولى الإمام بنفسه إلقاءها لشيعته لمصالح خاصة يعلمها.

الأصول في الحقيقة وقد ورد عنهم قولهم ﷺ:

عن أبي عبد الله ﷺ قال: إنما علينا أن نلقي إليكم الأصول وعليكم التفريع.

وروي نقلاً من كتاب أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن الرضا ﷺ قال: علينا إلقاء الأصول وعليكم التفريع.

يقول الشيخ الحر العاملي بعد إيراده هذين الخبرين: هذان الحديثان تضمنا جواز التفريع على الأصول المسموعة منهم وهي القواعد الكلية المأخوذة عنهم، لا على غيرها، فلا دلالة له على أكثر من العمل بالنصّ العام ولا خلاف فيه بين العقلاء كما مرّ في أول الكتاب^(١).

وهذا الأمر واضح لا خلاف فيه، ولكن أن يجعل هذا الأمر أساساً لاستنباط قواعد عامة تصلح - بزعمهم - للبناء الفقهي على مدى العصور بحيث لو دققت النظر فلا يوجد باب من الفقه لا يدعون مزاحمة الأئمة ﷺ في (استنباط) أحكام فيه بواسطة هذه العناصر المشتركة المخترعة فهذا أمر خطير! وهم بهذا يسرون وراء العامة الذين اخترعوا هذا الفن من العلوم حاجتهم اليها، لذلك تراهم في التيه منذ سقيفةبني ساعدة ولن يخرجوه منه إلى ظهور القائم عجل الله فرجه الشريف، لذا فهذا الفن المخترع مرّ - كغيره من اختراعات البشر - بأدوار عديدة وكل يضيف من عنده ويمنع من عنده وينكر على غيره تارة، ويوافق تارة! وكلّهم يعلم انه ليس له أصل إلى معصوم، لذا فأصحاب هذا (العلم) هم

أول ما غيروا طريقة أهل البيت عليهم السلام في التثليث من الأحكام لتحديد الموقف العلمي العملي من الحاجات الفقهية المستحدثة وغيرها، فقوله ص ((وإنما الأمور ثلاثة: أمر بين رشده فيتبع، وأمر بين غيه فيجتنب، وأمر مشكل يرد علمه إلى الله وإلى رسوله، قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: حلال بين، وحرام بين، وشبهات بين ذلك، فمن ترك الشبهات نجا من المحرمات ومن أخذ بالشبهات ارتكب المحرمات وهلك من حيث لا يعلم))^(١) ظاهر وبين في موقف التثليسي من الأمور، بينما لا يوجد هذا الشيء عند الأصوليين فهم يقولون ((.... لأن كل إنسان يعرف أن الموقف العملي الذي تفرضه عليه تبعيته للشريعة في الواجبات هو (أن يفعل) وفي المحرمات هو (أن يترك) وفي المباحثات هو (أنه بالخيار إن شاء فعل وإن شاء ترك)).^(٢)

فلا مجال عند الأصوليين للتوقف المأمور به !

ومع تغيير هذا الأمر قعدوا القواعد المختربة لتحديد الموقف العلمي من الدليل القرآني والحديثي والإجماع والعقل - كما قالوا! - من خلال (علم الأصول) وقواعد العامة ، فأوجدوا عناصر مشتركة مثل حجية الشهرة والسيرة وحجية الإجماع وما شابه، يخترعها الفقيه الأصولي ثم يعمل بها، وقد يهدمها في حياته ويذهب إلى غيرها، وقد يهدمها بعضهم بعد وفاته!

يقول الشيخ البحرياني في مبحث المشتق وهو من أطول مباحث اصول الفقه

(١) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - ج ١ - ص ٦٨ .

(٢) المعلم الجديدة للأصول - محمد باقر الصدر - ص ٥ .

واقلّها فائدة عندهم!:

((وبالجملة فالاُظْهَرُ عندي ان بناء الاحكام الشرعية على مثل هذه القواعد الغير المنضبطة والاصول الغير المرتبطة مما لم يقم عليه دليل شرعى، وقد عرفت تعدد اقوالهم واختلاف آرائهم في اصل القاعدة لاختلاف افرادها وجزئياتها التي يُراد اندرجها تحتها الى ما يبلغ ثمانية اقوال، ولو كان لذلك اصل في الشريعة مع كثرة ما يتفرّع عليه من الاحكام لظهر له دليل عنهم ﷺ، فالمراجع حينئذ الى اخبارهم صلوات الله عليهم في كل جزئي جزئي مما ادرج تحت هذه القاعدة فإن وجد عليه دليل من كلامهم والا وجب الوقوف فيه على جادة الاحتياط عندنا....))^(١)

وهو الصحيح الواجب الاتباع!.

ولما كانت هذه القواعد التي اخترعواها ووضعوها بدل قواعد المقصوم تؤدي - حتى ولو بعد حين - الى استبدال مصدر التشريع من الإمام المقصوم الى الفقهاء (وهي الإمامة التي زحزحوها ونقلوها عن موضعها الوحيد الى مواضعهم العديدة) كان كل من يريد أن يثبت علوّ كعبه يذهب الى نقد مؤسس المدرسة الأصولية في زمانه ليهدم شيئاً من آرائه لينال الحظوة عند من يراه أهلاً للفتوى! لذا ترى ان المدرسة العامة الأصولية الرائجة منذ عصر الشيخ مرتضى الأنباري تُسمى بمدرسة الشيخ الأعظم نسبة للشيخ الانصاري نفسه، فكل

(١) الدرر النجفية من الملتقطات اليوسفية - يوسف البحرياني - ص ١٤٦

من أراد أن يثبت له موضع قدم بين الأصوليين يذهب ليهدم بعض بناء الشيخ
(الأعظم) بحجة التجديد والآراء العصرية ومواكبة العقل الفقهي والذوق
الفقهي !

يقول بعضهم ناقداً الشيخ مرتضى الأنباري ((... مع أنه مؤسس صناعة
الأصول الموجودة الآن بأيدينا فقد يقول مثلاً: لعل هذا الحديث دلالته منجبرة
بعمل الأصحاب. وقد يقال: إن إطلاق دليل القرعة إنما نعمل به في مورد عمل
به الأصحاب، ونحو ذلك مما يوجد في كلماتهم. وهذه المباني كانت تدفع عنهم
محذور الواقع في مخالفة تلك الحالة النفسية .

ولكن المتأخرین من الأصحاب (قدس سرّهم) شرعوا بالتدريج في هدم
هذه المباني، فكان هدم بعض تلك المباني من قبل الشيخ الأعظم مثلاً، سلّماً
لوصول المتأخرین عنه إلى آخر ما يقتضيه هذا المسلك من هدم تمام تلك المباني،
إذ كلّها كانت هواء في شبک وكان التفطّن إلى بطلان بعضها مستدعياً للتقطّن
بالتدريج إلى بطلان ما يشابهه. وكأنّ السيد الأستاذ من أوائل من بنى على عدم
انجبار الخبر ووهنه بالعمل والإعراض.

وقد كانوا في أوائل أيام الشروع في إبطال هذه المباني يبطلون هذه المباني
في الأصول ويتمسّكون بها في الفروع، ولذا كان يُشكّل عليهم بأنّ الإجماع
المنقول أصبح في الأصول غير حجّة وفي الفقه حجّة، وترى الشيخ الأعظم
(رحمه الله) يجعل مثل ذلك أثراً مهّماً في الفقه والإفتاء مع إبطاله إياه في

الأصول..... فكان واقع الدليل لم يبطل ولا زال باقيا في النفس، وإن بطلت الأدلة الصورية التي كانت في الحقيقة وليدة لواقع الدليل ولذلك الحالة النفسية.

إلى أن انتهى الأمر بالتدرج إلى جعل ما في الأصول الجديد من إبطال هذه المباني مؤثرا على الفقه، فترى السيد الأستاذ يبني فتاواه في الفقه على ما يقتضيه إنكار الجبر والوهن بالعمل والإعراض ونحو ذلك. ولأجل هذه التطورات بدأت تلك الحالة النفسية تظهر في مظهر آخر وهو حجّة السيرة. ولذى ترى الاستدلال بالسيرة في السنة المتأخرین عن الشیخ الأعظم (قدس سرّه) كثيراً، وفي لسان الشیخ الأعظم (رحمه الله) قليلاً فضلاً عما قبل الشیخ الأعظم (قدس سرّه). هذا معنى ما قلناه من أن الحاجة إلى بحث السيرة اشتَدَّت بعد أن بطلت عدّة مدارك للفقه من قبيل الشهرة، والجبر والوهن بالعمل والإعراض، والإجماع المحمّل واتفاق الكلّ من دعوى القطع به ليست بأهون من دعوى القطع بالحكم ابتداء.)^(١))

وهذا النص خطير جداً! وفيه أمران:

الأول: يلمس القاريء منه سهولة تأسيس مبادئ قالوا عنها أنها (منطق الفقه)^(٢) ولا يمكن تجاوزها لفهم الأدلة الشرعية، ومن ثم سهولة هدمها!! سواء من الذي قام بتأسيسها وتدريسها وتسويده الصحف بها وصرف أموال

(١) مباحث الأصول - كاظم الحائرى - ج ٢ - ص ٩٧ .

(٢) المعالم الجديدة للأصول - محمد باقر الصدر - ص ١٣ .

الحقوق الشرعية في طباعتها وجلب الطلبة بطريق وأخرى لسماعها وتبنيّها! أو أن يكون الهدم من طلبه الدين سهراً والأعوام في استيعابها وبذل الجهد والوقت والمال في تحصيلها وشراء كتبها!.

الثاني: انهم بعد هدمها في الأصول لا زالوا يستعملونها في الفقه بشكل عفوياً لا إرادياً! وحسبك (الشيخ الأعظم) المذكور، فهو أبطل وهدم بعض القواعد التي أسسها في درسه الأصولي، ولكنهم وجدوا لها أثراً واضحاً في فتاويه وذلك بعد هدمها وتخليه عنها! فكيف بمن كان دونه في (العظمة)! ولا أدرى بعد ذلك كيف تكون فتاواه التي خرجت من رحم القواعد الأصولية التي هدمها بنفسه ((تبريء الذمة)) في كتبه الفقهية! مع أنه تركها وعمل بغيرها نظرياً!

وهذا اعتراف بان العملية كلها بشريةٌ صرفة لا علاقة لها بمعصوم، بل أنها وهذه الحال آراء شخصية تتبع الذوق والمزاج والمستوى العقلي الذي لا يعلم نفس العاقل متى يتدرج فتتدرج معه هذه القواعد، ومتى يهدمها ومتى يبقى عليها!! فهل هذا حال (علم) تتوقف عليه الأحكام الشرعية، ويقوم عليه دين الله تعالى؟!

مع الالتفات الى ان كل هذا الاهتمام بعلم الأصول والإفراط في تشديده يكاد يكون بلا معنى عند بعض فقهاء الحوزة والذين يركزون على الجانب الفقهي حتى لقد نسب لبعض الفقهاء قولهم ((علم الأصول تصفيط حجي))⁽¹⁾ !!

(1) الكلمة منسوبة للشيخ محمد اليعقوبي نسبها له الشيخ أسعد الناصري / مقالة: شقشقة .

لذا فلا تستغرب ما قاله الشيخ يوسف البحرياني في كتابه (الحدائق النضرة) من النقد اللاذع في كل مناسبة يتطرق بها إلى هذا (العلم) إذ يقول مثلاً:

((إنه لا ريب أن هذا العلم واحتراع التصنيف فيه والتدوين لأصوله وقواعد، إنما وقع أولاً من العامة، فإن من جملة من صنف فيه الشافعي، وهو في عصر الأئمة عليهم السلام مع أنه لم يرد عنهم عليهم السلام ما يشير إليه، فضلاً عن أن يدل عليه، ولو كان حقاً كما يدعونه، بل هو الأصل في الأحكام الشرعية كما يزعمونه، لما غفل عنه الأئمة عليهم السلام، مع حرصهم على هداية شيعتهم، إلى كل نقير وقطمير، كما لا يخفى على من تتبع أخبارهم، إذ ما من حالة من حالات الإنسان، في مأكله ومشربه وملبسه ونومه ويقظته ونكاحه ونحو ذلك من أحواله، إلا وقد خرجمت فيه السنن عنهم عليهم السلام حتى الخلاء، ولو أراد إنسان أن يجمع ما ورد في باب الخلاء لكان كتاباً على حدة، فكيف يغفلون عن هذا العلم الذي هو بزعمهم مشتمل على القواعد الكلية والأصول الجليلة، والأحكام الشرعية، وكذلك أصحابهم في زمانهم عليهم السلام، مع رؤيتهم العامة عاكفين على تلك القواعد والأصول، يعملون به إلى أن انتهت التوبة بعد الغيبة إلى الشيخ - رحمة الله - فصنف فيه استحساناً لما رأه في كتبهم، وخالفهم فيما لا يوافقون أصول مذهبنا وقواعد، ثم جرى على ذلك من بعده من أصحابنا، كما هي قاعدتهم غالباً من متابعته في فتاويه وأحكامه وتصانيفه. وبالجملة فإن الأمر فيما ذكرنا أظهر من أن يخفى عند الخبر المنصف.

فكتبهم فيه لا تخرج عن كتب أهل الضلال، أن عَمِّنَا الحُكْمُ فِي الْمَقَامِ، إِلَّا
أنك قد عرفت أن أصل البناء كان على غير أساس، فصار معرضًا لحصول الشك
والشبهة والالتباس.)^(١)

صاحب المدائق (رحمه الله) لَمْ يَكُنْ ثَابِتًا عَنْهُ عَنْوَانَ (كتب الضلال)
أَصْلًا لَمْ يَحْكُمْ بِكُونِ هَذِهِ الْكِتَابَاتِ ضَلَالًا، وَإِلَّا لَطْبَقَ عَلَى كِتَابَ (أَصْوَلِ
الْفَقْهِ) عَنْوَانَ (كتب الضلال) !^(٢)

وغرير منهم أن يجعلوا هذا التغيير المستمر والبناء والهدم ^{(٣)*} من
حسنات هذا السير إلى المجهول! فتراهم يقولون وهم في معرض المديح لأحد
الأصوليين ((.... بحثه البديع في حجية القطع الذي أثبت فيه أن رأس الخيط

(١) المدائق الناضرة في فقه العترة الطاهرة - يوسف البحرياني - ج ١٨ - ص ١٤٥ .

(٢) لَمْ كَانَ الشَّيْخُ يُوسُفُ الْبَحْرَانِيُّ (رَحْمَهُ اللَّهُ) يَتَرَوَّفُ فِي كُلِّ مَصْطَلِحٍ عَلَى تَسْمِيهِمْ ﴿أَصْوَلٌ﴾ وَوَصَائِيَاهُمْ صَرَّحَ بِأَنَّ مَبْحَثَ (حُرْمَةَ حَفْظِ كِتَابِ الضَّلَالِ) الَّذِي يَقُولُ بِهِ أَصْوَلُونَ لَا وَجْدَ لَهُ فِي أَصْوَلِهِمْ الْمُسْمَوَعَةِ ﴿أَصْوَلٌ﴾، وَمَنْ أَتَى بِهِ مِنَ الْفَقِهَاءِ لَا دَلِيلَ لَهُ، ثُمَّ تَوَصَّلَ إِلَى أَنَّ هَذَا الْعَنْوَانَ (أَيِّ: كِتَابُ الضَّلَالِ) لَوْ كَانَ وَاصْلًا عَنْهُمْ ﴿أَصْوَلٌ﴾ فَهُوَ يَشْمَلُ أَيْضًا (كتاب أصول الفقه) لِكُوْنِهَا تُضَلِّلَ النَّاسَ وَلَا تَهْدِيهِمْ!

(٣) * غرير اعترافهم بأن منهج الشيعة الأصيل لا يعمل بأي نوع من القياس لكنهم في قبال ذلك يخترون - أو بالأحرى يتبعون العامة - أصولاً وأقيسة منهياً عنها: قال نوفل بن عبد الأمير الحمامي) وقد نسب المحقق الكركي إلى المتقدمين، رد العمل بالقياس مطلقاً، وإلى المتأخرین التفصیل بين ما كان منصوص العلة، فيعمل به، ومستنبط العلة فیرید، ووضع ضابطة للتمیز بين النوعین، فقال: في رسالة طریق الاستنباط: منها تعدیة الحكم من المنطق إلى المسوکوت - الذي هو القياس - وقد وقع فيه الخلاف، فمتقدموا أصحابنا لا يعملون بشيء منه، والمتأخرون عملوا بما نص على علة حكم الأصل، إما بنصٍ، أو إيماء على ما تقرر في علم الأصول)) ص ٩٤ . بحوث ودراسات إسلامية - سلسلة فصلية تعنى بنشر بحوث ودراسات طلبة الحوزة العلمية -: السنة الخامسة، العدد ١٥-١٦ ، ربيع الثاني ١٤٣٥ ، شباط ٢٠١٤ ، منهج المحقق الكركي في استنباط الأحكام، ص ٥٢-٥٣ .

في البحث إنما هو مولوية المولى وحدودها، وانحدر من هذا المبدأ إلى الآثار التي تترتب على ذلك، وانتهى إلى إبطال ما بنى عليه المحققون جيلاً بعد جيل من قاعدة قبح العقاب بلا بيان، وآمن بمنجزية الاحتمال، وأن البراءة التي نؤمن بها هي البراءة الشرعية أما البراءة العقلية فلا.

ومن هذا القبيل إبطاله لحكومة الأصول بعضها على بعض حينما تكون متوافقة في الترتيبة، كحكومة استصحاب الطهارة على قاعدة الطهارة، أو الأصل السببي على الأصل المسببي الموافق له، وكذلك إبطاله لحكومة الأمارة على الأصل لدى توافقها في الترتيبة.

ومنه - أيضاً - إبطاله لما اشتهر من جريان أصالة الطهارة في ملاقي بعض أطراف الشبهة المحصورة.....))^(١)

انظر إلى هذا البناء الذي بُني على غير أساس، بل جُلّه غيش والتباس! كيف يكون نقضه بسهولة من أي أصولي ينقد من قبله!

فكان إبطال مقولات الأصوليين جيلاً بعد جيل من فضائل هذا الأصولي!! وبعد أن يقوم تلامذة هذا الأصولي - الهادم! - بإبطال بعض مباني استاذهم الأصولية بعد وفاته سيكون من مفاحرهم! وسيذكرونها في كتبهم!!

بل دقّ في قول هذا (المادح!): ((وانتهى إلى إبطال ما بنى عليه المحققون جيلاً بعد جيل من قاعدة قبح العقاب بلا بيان))!!

(١) مباحث الأصول - كاظم الحائرى - ج ١ - ص ٦٠.

وقوله ((ومن هذا القبيل إبطاله لحكومة الأصول بعضها على بعض حينما تكون متوافقة في النتيجة، كحكومة استصحاب الطهارة على قاعدة الطهارة، أو الأصل السببي على الأصل المسببي الموافق له، وكذلك إبطاله لحكومة الأمارة على الأصل لدى توافقها في النتيجة))

فكل هذه القواعد التي كان (المحققون) قد بنوها لقرون! جاء (محقق) واحد فهدمها! وسيجيئ غيره من (المحققين) ليهدم ما جاء به هذا المحقق النحرير!!

يقول تعالى:

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقَنَاهُمْ تَالَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْرَوْنَ﴾

(النحل ٥٦)

فانظر كيف يفخرون بمخالفة بعضهم و هدم مبادئ بعضهم، يقول أحد

الأصوليين:

((فعلم الأصول يعني نتيجة لعامل الزمن وازدياد البعد عن عصر النصوص بألوان من المشاكل، فينمو بدراستها والتفكير في وضع الحلول المناسبة لها.

ومثال ذلك أن الفكر العلمي ما دخل العصر الثاني حتى وجد نفسه قد ابتعد عن عصر النصوص بمسافة تجعل أكثر الأخبار والروايات التي لديه غير قطعية الصدور، ولا يتيسر الاطلاع المباشر على صحتها كما كان ميسورا في كثير من الأحيان لفقهاء العصر الأول، فبرزت أهمية الخبر الظني ومشاكل حججيه، وفرضت هذه الأهمية واتساع الحاجة إلى الأخبار الظنية على الفكر العلمي أن

يتسع في بحث تلك المشاكل ويعوض عن قطعية الروايات بالفحص عن دليل شرع يدل على حجيتها وإن كانت ظنية، وكان الشيخ الطوسي رائد العصر الثاني هو أول من توسع في بحث حجية الخبر الظني وإثباتها. ولما دخل العلم في العصر الثالث أدى اتساع الفاصل أزمني إلى الشك حتى في مدارك حجية الخبر ودلائلها الذي استند إليه الشيخ في مستهل العصر الثاني، فإن الشيخ استدل على حجية الخبر الظني بعمل أصحاب الأئمة به، ومن الواضح أنها كلما ابتعدنا عن عصر أصحاب الأئمة ومدارسهم يصبح الموقف أكثر غموضاً والاطلاع على أحواهم أكثر صعوبة. وهكذا بدأ الأصوليون في مستهل العصر الثالث يتساءلون هل يمكننا أن نظر بدليل شرعي على حجية الخبر الظني أو لا؟ وعلى هذا الأساس وجد في مستهل العصر الثالث اتجاه جديد يدعى انسداد باب العلم، لأن الأخبار ليست قطعية وانسداد باب الحجة لأنه لا دليل شرعي على حجية الأخبار الظنية، ويدعو إلى إقامة علم الأصول على أساس الاعتراف بهذا الانسداد، كما يدعو إلى جعل الظن بالحكم الشرعي - أي ظن - أساساً للعمل، دون فرق بين الظن الحاصل من الخبر وغيره ما دمنا لا نملك دليلاً شرعياً خاصاً على حجية الخبر يميزه عن سائر الظنون.

وقد أخذ بهذا الاتجاه عدد كبير من رواد العصر الثالث ورجالات المدرسة التي افتتحت هذه العصر كالأستاذ البهبهاني وتلميذه المحقق القمي وتلميذه صاحب الرياض وغيرهما، وبقي هذا الاتجاه قيد الدرس والبحث العلمي حتى يومنا هذا.

وبالرغم من أن لهذا الاتجاه الانسدادي بوادره في أواخر العصر الثاني فقد صرَّح المحقق الشيخ محمد باقر بن صاحب الحاشية على المعالم بأن الالتزام بهذا الاتجاه لم يعرف عن أحد قبل الأستاذ الوحيد البهبهاني وتلامذته، كما أكد أبوه المحقق الشيخ محمد تقى في حاشيته على المعالم أن الأسئلة التي يطرحها هذه الاتجاه حديثة ولم تدخل في الفكر العلمي قبل عصره.

وهكذا نتبين كيف تظهر بين فترة وفترة اتجاهات جديدة، وتتضخم أهميتها العلمية بحكم المشاكل التي يفرضها عامل الزمن.)^(١))

(١) المعالم الجديدة للأصول - محمد باقر الصدر - ص ٩٤.

المنهج الأصولي... ابتكار المشاكل والحيرة بها!

فانتبه الى أنهم يبتكرُون مشكلة من لا شيء ثم تبدأ (الحلول) من الفقهاء بالتقاطر بناءً وهدماً، لأجيال عديدة من الفقهاء وتضييع الجهود والاعمار والاموال، ثم يظهر محقق من جديد فيهم ما جاء به من قبله ويخترع مشكلة جديدة وتبدأ العملية من جديد بلا انتهاء!

البراءة العقلية، بين الإجماع والهدم!

وحسبيك من العجائب ما أسموه قاعدة (البراءة العقلية) وهي قاعدة اوشكت ان تكون إجماعية.. لولا!

لولا أن أصولياً (كبيراً) هدمها! فقام طلبه بعده بتشييد ما قاله وبدا عصر جديد (كالعادة!) يقول أحد الأصوليين وهو يمدح أستاذه:

((البراءة العقلية: وقد كادت أن تكون إجماعية في العصر الثالث من عصور العلم أي منذ زمن الوحيد البهبهاني (قده) وقد اكتسب هذا الأصل صيغة فنية تحت قاعدة عقلية سُمِّيت بـ(قبح العقاب بلا بيان)، وبحسب الحقيقة قد شَكَّلت هذه القاعدة أحد الأسس الرئيسية للتفكير الأصولي المعاصر وطرازه ولهذا استحكمت القاعدة استحكاماً شديداً.... وقد أوضحتنا مفصلاً في بحوث القطع انْ هناك خطأً أساسياً في هذا الطراز من التفكير..... ومن هنا نحن لا

(نرى جريان البراءة العقلية.))^(١)

(١) بحوث في علم الأصول - محمود الشاهرودي - ج ٥ - ص ٢٤

فانتبه لقوله عن البراءة العقلية((وقد كادت أن تكون إجتماعية... وهذا استحكمت القاعدة استحکاما شديدا.... ومن هنا نحن لا نرى جريان البراءة العقلية)) فأي شيء يبقى من هذا (العلم) المدّعى إذا كانت أحدى قواعده التي كاد يكون عليها الإجماع لوضوحاً عندهم واستحكمت استحکاما شديدا ثم جاء أحد الأصوليين فهدمها من الأساس! ثم وما أدرك انه لن يجيء بعده من يعيد تشبيدها على وضعها الأول؟!

يقول تعالى في هذه وأشباهها:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾

سورة النساء (٨٢)

فما يسمى بعلم الأصول في الحقيقة مجموعة أفكار ينسقها بعضهم فيخالف فيها بعض أساتذته أو يوافقهم أو يعدل على أفكارهم، لأجل أن يقولوا عنه إنه (فقيه أصولي)! وبين الغون في انتسابهم إلى هذه الفرقة حتى قيل أن فقيها في (قم) أتم دورته الأصولية في ستة عشر عاما! ثم قال لهم - بالمعنى - ((من حضر هذه الدورة لا يستغني عن الدورة الأخرى التي تعقبها فإن هناك مطالب أخرى

ستطرح)))!!

وبينما تطبع دورة أصولية قد تصل إلىأربعين مجلدا - كما قال أحد طلّبته عنها! - يترك أيتام آل محمد في الجوع والحرمان وكل ذنبهم أن الفقيه صرف المال ليثبت انه فقيه أصولي وبالتالي له الحق في التصدّي للمرجعية ، لكون

مرجعيته هي نيابة الإمام المعصوم، وحتى تصل الطائفة إلى بر الأمان يجب أن يصل لسدة المرجعية! وحتى يحصل يجب أن تسخر الأموال والجهود لذلك ويترك الفقراء وجهلة الناس وجهلة الطلبة في وادٍ والثقلين في وادٍ آخر حتى يُثبت الأصولي نظرياته الأصولية ويُثبت نفسه في المرجعية، ولكنه وبمجرد أن يتصدّى للمرجعية بعد كل هذا العمر وتطييعه الحوزات العلمية يكون قد بلغ من العمر عتياً وعندها يهتف به هاتف الحق فتبقى الاختلاف والسلطة الدينية نهباً لكل طامع من حواشى وطلبة وأولاد وأصحابه! ولا ينبعك مثل خبير! .

وكما هو حال كل فكرة ينتجها البشر فهي تحبو في البداية ولا يلتفت إليها أحد، ثم تمر بدور التفات الناس إليها، ثم تمر بدور النمو والترعرع إلى أن يحين قطافها! ومع أنهم قالوا عنه أنه علم عظيم ولا غنى عنه للاستنباط إلا أن طريقة نموه وتوسيعه تكشف عن أنه أفكار بشرية ، يمر عليها ما يمر على غيرها من نموٌ وضمور، وتوسيع وتقلص ، وذلك بحسب الرجل المتبني للفكرة.

الأدوار التاريخية لأصول الفقه:

لذا فإنك تجد انهم قالوا: ((يعتقد.... قدس سره أن علم الأصول الذي نشأ وترعرع وبلغ رشده على يد علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام قد مرّ بعصور ثلاثة:

(الأول: العصر التمهيدي، وهو عصر وضع البذور الأساسية لعلم الأصول، ويبدأ هذا العصر بابن أبي عقيل وابن الجنيد ويتنتهي بظهور الشيخ الطوسي.

الثاني: عصر العلم، وهو العصر الذي اختمرت فيه تلك البذور وأثمرت وتحددت معالم الفكر الأصولي، وانعكست على مجالات البحث الفقهي في نطاق واسع. ورائد هذا العصر هو الشيخ الطوسي، ومن رجالاته الكبار: ابن إدريس، والمحقق الحلي، والعلامة، والشهيد الأول، وغيرهم من النوابغ.

الثالث: عصر الكمال العلمي، وهو العصر الذي افتتحته في تاريخ العلم المدرسة الجديدة التي ظهرت في أواخر القرن الثاني عشر على يد الأستاذ الوحيد البهبهاني، وبدأت تبني للعلم عصره الثالث بها قدّمت من جهود متظافرة في الميدانين الأصولي والفقهي.

وقد تمثلت تلك الجهود في أفكار وبحوث رائد المدرسة الأستاذ الوحيد وأقطاب مدرسته الذين واصلوا عمله الرائد حوالي نصف قرن، حتى استكممل العصر الثالث خصائصه العامة ووصل إلى القمة. ففي هذه المدة تعاقبت أجيال ثلاثة من نوابغ هذه المدرسة:

يتمثل الجيل الأول في المحققين الكبار من تلامذة الأستاذ الوحيد، كالسيد

مهدي بحر العلوم (المتوفى سنة ١٢١٢ هـ) والشيخ جعفر كاشف الغطاء (المتوفى سنة ١٢٢٧ هـ) والميرزا أبي هاشم القمي (المتوفى ١٢٣١ هـ) والسيد علي الطباطبائي (المتوفى سنة ١٢٣١ هـ) والشيخ أسد الله التستري (المتوفى سنة ١٢٣٤ هـ).

ويتمثل الجيل الثاني في النوايغ الذين تخرّجوا على بعض هؤلاء كالشيخ محمد تقى بن عبد الرحيم (المتوفى سنة ١٢٤٨ هـ) وشريف العلماء محمد شريف بن حسن بن علي (المتوفى سنة ١٢٤٥ هـ) والسيد محسن الأعرجي (المتوفى سنة ١٢٢٧ هـ) والمولى أحمد النراقي (المتوفى سنة ١٢٤٥ هـ) والشيخ محمد حسن النجفي (المتوفى سنة ١٢٦٦ هـ) وغيرهم.

وأماماً الجيل الثالث فعلى رأسه تلميذ شريف العلماء المحقق الكبير الشيخ مرتضى الأنصارى، الذى ولد بعيد ظهور المدرسة الجديدة عام (١٢١٤ هـ) وعاصرها في مرحلته الدراسية، وهي في أوج نموها ونشاطها، وقدر له أن يرتفع بالعلم في عصره الثالث إلى القمة التي كانت المدرسة الجديدة في طريقها إليه.

ولا يزال علم الأصول والفكر العلمي السائد في الحوزات العلمية الإمامية يعيش العصر الثالث الذي افتتحته مدرسة الأستاذ الوحيد.

ولا يمنع تقسيمنا لهذا التاريخ العلم إلى عصور ثلاثة، إمكانية تقسيم العصر الواحد من هذه العصور إلى مراحل من النمو، ولكلّ مرحلة رائدها وموّجهها.

وعلى هذا الأساس يعتبر الشيخ الأنباري قدّس سرّه (المتوفى سنة ١٢٨١هـ) رائداً لأرقى مرحلة من مراحل العصر الثالث، وهي المرحلة التي يتمثّل فيها الفكر العلمي منذ أكثر من مئة سنة حتّى اليوم.

لذا نجد أنّ أعلام الأصوليّين بعد الشيخ الأعظم، قد جعلوا من كتاب الرسائل (فرائد الأصول) محوراً لأبحاثهم الأصوليّة، وهذا ما نراه واضحاً في كلمات أمثال الخراساني والعرافي والنائيني والإصفهاني والخوئي والشهيد الصدر والخميني وغيرهم، حيث لا نجد أثراً للكلمات السابقين على هذه المرحلة إلاّ نادراً. مع العلم أنّ المباحث الأصوليّة لم تولد على يد الشيخ الأنباري، لكن كثرة وأهميّة ما طرحته الشيخ في ثنايا المسائل الأصوليّة من تفريعات وتأسيس جملة من المسائل الجديدة، كان لها الأثر البالغ في دفع عجلة علم الأصول بشكل ملحوظ المائز بين العصر الأوّل والثاني.

يمكن أن نُشير إلى بعض النكبات التي على أساسها يتميّز العصر الثاني عن العصر الأوّل، فمثلاً عندما نأتي إلى شيخ الطائفة أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي، الذي انتقل علم الأصول على يده إلى دور جديد من النضج، نرى أنّ مساهمته قدّس سرّه في المباحث الأصوليّة لم تقتصر على مجرّد استمرار لما سبقة، وإنّما كانت تعبر عن تطوّر جديد كجزء من تطوّر شامل في التفكير الفقهي والعلمي كلّه، أتيح لهذا الفقيه الرائد أن يحققّه، فكان كتاب العدة تعبيراً عن الجانب الأصولي من التطوّر، بينما كان كتاب المبسوط في الفقه تعبيراً عن التطوّر العظيم في البحث الفقهي على صعيد التطبيق بالشكل الذي يوازي التطوّر

الأصولي على صعيد النظريات.

والفارق الكيفي بين اتجاهات العلم التي انطلقت من هذا التطور الجديد واتجاهاته قبل ذلك، يسمح لنا باعتبار الشيخ الطوسي حدّاً فاصلاً بين عصرين من عصور العلم ؛ بين العصر العلمي التمهيدي والعصر العلمي الكامل. فقد وضع هذا الشيخ الرائد حدّاً للعصر التمهيدي وبدأ به عصر العلم الذي أصبح الفقه والأصول فيه علمًّا له دقة وصناعة وذهنية علمية خاصة).

ولعلّ أفضل ما يبيّن لنا هذه الحقيقة هو الوقوف على ما كتبه الشيخ في مقدمة كتاب العدة وكتاب المسوط.

أمّا كتاب العدة فقد كتب في مقدمته: قد سأّلتكم - أيّدكم الله - إملاءاً مختصرًا في أصول الفقه، يحيط بجميع أبوابه - على سبيل الإيجاز والاختصار - على ما تقتضيه مذاهبنا وتوجّبه أصولنا، فإنّ من صنف في هذا الباب سلك كلّ قوم منهم المسلك الذي اقتضاه أصولهم ولم يعهد لأحد من أصحابنا في هذا المعنى إلاّ ما ذكره شيخنا أبو عبد الله (المفيد) رحمه الله، في المختصر الذي له في أصول الفقه ولم يستقصيه، وشدّ منه أشياء يحتاج إلى استدراكهَا وتحريّرات غير ما حرّرها. وإنّ سيدنا الأجلّ المرتضى أدام الله علّوه، وإن كثر أماليه وما يقرأ عليه شرح ذلك، فلم يصنف في هذا المعنى شيئاً يرجع إليه.

وقلتم إنّ هذا فنٌ من العلم لابدّ من شدّة الاهتمام به، لأنّ الشريعة كلّها مبنية عليه، ولا يتمُّ العلم بشيء منها من دون إحكام أصولها، ومن لم يُحکم أصولها فإنّما يكون حاكياً ومقلّداً ولا يكون عالماً، وهذه منزلة يرحب أهل الفضل عنها. وأنا مجبيكم إلى ما سألكم عنه مستعيناً بالله وحوله وقوته، وأسائله أن يُعين على ما يقرّب من ثوابه ويبعد من عقابه.

وأبدأ في أول الكتاب فصلاً يتضمّن ماهيّة أصول الفقه وانقسامها وكيفيّة ترتيب أبوابها وتعلّق بعضها ببعض، حتّى أنّ الناظر إذا نظر فيه وقف على الغرض المقصود بالكتاب وتبيّن من أؤله إلى آخره، والله تعالى الموفق للصواب».

هذا النصّ من الشيخ يعكس أهميّة العمل الأصولي الذي أنجزه قدس سرّه في كتاب العدة وطابعه التأسيسي في هذا المجال، وما حقّقه من وضع النظريات الأصوليّة ضمن الإطار المذهبي العامّ لمدرسة أهل البيت عليهم السلام.)^(١)

وليس بعد عبادان قرية! فالتأسيس وقع بعد انقطاع عصر المعصوم بمائة عام، لوجهة نظر طرحتها بعض الطلبة على الشيخ الطوسي! فياترى ماذا لو لم يفكر هؤلاء الطلبة بسؤال الشيخ الطوسي بأن يؤسس لهم علمًا جديداً! هل بقيت شيعة أهل البيت عليهم السلام في ضلال؟! ألا يخالف هذا المجرى من الرأي جملة كبيرة من روایاتهم عليهم السلام من اكمال الدين واتمام النعمة وجود كل ما يحتاجه المكلّف حتى ارش الخدش! بلا حاجة لهكذا قواعد تتفتق عنها أذهان الفقهاء هنا وهناك

لأنعرف إن كان إلقاءها رحمنيا أم شيطانياً في ذهن هذا الفقيه الأصولي أو ذاك؟!

ولما كان (علم الأصول) هو أفكار عقلية وتدقيق عقلي بحث نادراً ما يرتكز على آية أو رواية تجد أن بعض الأصوليين قد يصل إلى مرحلة دققة لا فصل فيها بين إيهام نفسه بـ(الإلهام) وبين التردد في ذلك لدوع معينة!! وإنّا في معنى قول بعضهم:

((إن هذا النزوع والاتجاه نحو وجدان دليل وفق ما تقتضيه تلك الحالة النفسية لعله - والله العالم - من نتائج المنطق الأرسطي القائل بأنّ الشيء لا بدّ أن يكون ضرورياً أو مكتسباً منتهياً إلى الضروري، فخلف هذا المنطق في الأذهان في مختلف العلوم - ومنها علم الفقه - تخيل أنّ الإنسان غير الساذج لا ينبغي له تسليم أيّ دعوى لا تكون ضرورية ولا منتهية إلى الضروريات. ومن هنا يحاول الفقيه أن يجد دليلاً وفق مقصوده كي لا يكون مدعاً لشيء بلا دليل. ولكن الواقع أنّ العلم ليس دائمًا ناشئاً من البرهان بل قد ينشأ عن علة أثرت في النفس تكويناً فأوجدت العلم بلا برهان. والعلم بنفسه أمر حادث قائم بممكّن حادث تسيطر عليه قوانين العلية والمعلولية، ومهما وجدت علة يوجد العلم قهراً سواء علمت تلك العلة أو لا، وليس حصول العلم بحاجة إلى التفتيش عن علة كي نجدها فيوجد العلم، وليس نسبة العلم إلى علة إلاّ كنسبة الحرارة إلى علّتها، فكما أنّ الحرارة توجد بوجود علّتها سواء فتشنا عن علّتها ووجدناها أو لا، كذلك الحال في العلم فلا موجب لهذا النزوع والاتجاه.نعم لو أريد إعطاء صفة الحجّية المنطقية للعلم يجب التفتيش عن علّته، وملاحظة مدى انطباقها

فهذا النص يقرر أن البحث عن برهان للعلم الناتج من العقل هو شيء دخيل على التعقل! بسبب التأثير المنطقي اليوناني وإلا فالأصل - عند قائله طبعا - هو العمل بموجب العلم المنطبع في الذهن كائنا ما كان مصدره! بل، وما تعرّيف الإنسان ((غير الساذج)) حتى يكون ما يعلمه بأي وسيلة كانت حجّة عليه؟!^(٢) ولا أعلم أين التسلیم للثقلین إن كان ما فهمته صحيحا من هذا النص!^(٣) وبينما ينازع أهل الملل والأديان من يقول عنهم بأنهم صنعوا أفكارهم من عندهم ولا يقبل أحد منهم مثل هذه التهمة ترى بعض الفقهاء يقولوا بأرجحية وبلا تردد! إذ يقول:

((إن كثيرا من مباحث وقواعد علم الأصول سواء في العصر القديم أو العصر الحاضر إنما أدلة ما بعد الواقع، بمعنى أنه ليس مُرّ الدليل ونفس الأدلة أوصلتنا إلى هذه القواعد، أي إننا لم ندخل إلى الآيات والروايات والأبحاث العقلية فانتهينا إلى حجّية خبر الواحد انتهينا إلى حجّة الإجماع! لا ليس الأمر كذلك، وإنما كانت هنالك مجموعة من المسلمات لا بد أن نوجد لها دليلا، فمرة نوجد لها دليلا على مستوى الإجماع والشهرة، ومرة نوجد لها دليلا على مستوى السيرة العقلائية والسيرة المترشعة، وهذا يكشف لنا أن جملة من أبحاث علم

(١) مباحث الأصول - كاظم الحائرى - ج ٢ - ص ١٣٤ .

(٢) وهذا ما فهمه السيد كمال الحيدري من هذا النص راجع الدرس: ٤٧٧ مدخلية الزمان والمكان في موضوعات الأحكام الشرعية .

الأصول تصنُّعية، صُنعت لا أن الدليل أوصلنا إليها.. وهذا ما نجده في كلام

علماء أهل السنة^(١))

وصاحب النص لم يفصل هذه (السلمات) التي ((لا بد أن نوجد لها دليلاً))!
فأوجدوا لها أدلة وهذه الأدلة استوردنها من الشافعي وأتباعه! وهذا نص
واعتراف بأن الإنسان إذا ترك إلى نفسه فسيتいて لا محالة كما تاهوا في هذه (العلوم)
والقواعد المخترعة وغيرها! وكما تاه اليهود والنصارى من قبلنا!.
وقد بلغ الحد في تقديس المخترعات من الآراء إلى أن يقول أحدهم:

((وجملة من أعلام الإمامية بلا ذكر أسماء تجد أن هنالك مجموعة من
السلمات يلتزمون بها فلو سألهما ما هو الدليل؟ يقول: هكذا ورثنا من أساطين
المذهب!)^(٢))

وهذه الاعترافات خطيرة جداً تكشف عن الذين لا يصرّحون به عادة في
بحوثهم الدراسية، فعامة طلبة الحوزات هم أناس بسطاء يحسبون ان ما يقوله
الأستاذ والمرجع لا يمكن إلا ان يخرج من مشكاة النبوة! ولو صادف انه لم يكن
من مشكاة النبوة، فهو أيضاً صحيح على كل حال! ولا يفكر - إلا الألمعي -
بالتفتيش عن اصل هذه الدراسات والعلوم بشكل مستقل علميًّا ليعلم من أين
جاءت؟! وكيف نمت وحكمت الحوزات بهذا الشكل.

(١) في بداية درس ٤٧٧ مدخلية الزمان والمكان في موضوعات الأحكام الشرعية - كمال الحيدري .

(٢) في نهاية درس ٤٧٧ مدخلية الزمان والمكان في موضوعات الأحكام الشرعية - كمال الحيدري .

فيما إذا مختلف هؤلاء عن الذين يقولون:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ أَبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ أَبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ البقرة (١٧٠)

ومع كل هذا فهم يطّرّزون كلامهم في مباحثهم بكلمات كبيرة مثل:

((وقد حققنا المطلب بلا مزيد)) أو قولهم ((فخذ ما آتيناك وكن من الشاكرين)) وأمثالها من الجمل التي يفهم منها أن صاحبها قد ختم هذا البحث العقلي أو النقلي، والأمر انه يعلم يقيناً أن كلامه سينقض، سواء في زمانه أو بعده، ولو لم يتيقن ذلك فهذه مشكلة بحد ذاتها! إلّا ما كان من المعصوم (قرآن وسنة)، فالحمد لله الذي جعلنا من المتبّعين المسلمين للثقلين، لا من (الهادمين) ولا من (المجدعين) ولا من (المشيدين)!.

العقل و أهميته في مجاله المناسب:

ورد مصطلح (العقل) في العديد من الروايات، و((بالتبغ يعلم أنه يطلق في الأحاديث على ثلاثة معان:))

أحدها قوة إدراك الخير والشر والتمييز بينهما ومعرفة أسباب الأمور ونحو ذلك، وهذا هو مناط التكليف.

وثانيها حالة وملكة تدعو إلى اختيار الخير والمنافع واجتناب الشر والمضار.

وثالثها التعقل بمعنى العلم، ولذا يقابل بالجهل لا بالجنون))^(١)

ويجمعها كلام الإمام الصادق ﷺ في جوابه عن سؤال: ما العقل؟

فقال الإمام ﷺ :

ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان.

قال: قلت: فالذي كان في معاوية؟ - قال: تلك النكراء وتلك الشيطنة، وهي

شبيهة بالعقل وليس بعقل))^(٢)

فالعقل قوّة تستطيع التمييز بين الحق والباطل، وتسلك بهذا التمييز طريق رضا الله، وتجنب طريق غضبه سبحانه، لذلك فاستعملها من الإنسان بأفضل طريقة يؤدي لارتقاءه في المنازل بأفضل ارتقاء حتى يفوق الملائكة فعن عبد الله

(١) وسائل الشيعة - المحرر العجمي - ج ١٥ - ص ٢٠٩ .

(٢) المحسن - أحمد بن محمد البرقي - ج ١ - ص ١٩٥ .

بن سنان قال:

سألت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام فقلت: الملائكة أفضل أم بنو آدم؟

فقال قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام: إن الله رَكِبَ في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركب في البهائم شهوة بلا عقل، وركب في بني آدم كلتيهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلب شهوته عقله فهو شر من البهائم^(١)

لذلك فالإنسان بلا عقل بهذه الصفة لا يكون إنساناً في الحقيقة، وكلما ابتعد عن هذا العقل مسافة معينة ابتعد عن إنسانيته بقدرها حتى إذا ترك التقييد بالشرع الإلهي بالمرة لم يكن ما عنده عقلاً بل كان نكراً وشيطنة وليس بعقل ويكون البشر عندها أضلًّا من النعم! يقول تعالى:

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَاذِبُونَ إِنَّمَا يَعْلَمُ الْمُرَءُ بِمَا يَنْهَا يَدُهُ وَمَا يَرَى إِنَّمَا يَعْلَمُ اللَّهُ أَعْلَمُ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾
سيلا (الفرقان ٤٤)

لذا ورد عن أبي عبد الله عليهما السلام أنه قال: دعامة الإنسان العقل، ومنه الفطنة والفهم والحفظ والعلم، وبالعقل يكمُلُّ، وهو دليله وبصرُه ومفتاح أمره، فإذا كان تأييد عقله من النور كان عالماً حافظاً زاكياً فطناً فهماً، فعلم بذلك كيف ولم وحيث، وعرف من نصَحة ومن غَشَّه، فإذا عرف ذلك عرف مجراه وموصوله

ومفصوله وأخلص له الوحدانية لله والإقرار بالطاعة، فإذا فعل ذلك كان مستدرِّكاً لما فات، وارداً على ما هو آتٌ فعرف ما هو فيه، ولأي شيء هو هاهنا، ومن أين يأتي وإلى ما هو صائر، وذلك كله من تأييد العقل^(١))

يقول المازندراني في شرحه على الحديث ((يعني أنَّ إثبات الإنسانية للإنسان وتحقُّقها وقيام معناها إنَّما هو بالعقل كما أنَّ إثبات السقف وقيامه بالعماد لظهور أنَّ الإنسان ليس مجرَّد هذا الهكيل المخصوص وإنَّما كان بينه وبين الصور المنقوشة على الجدار أو المصنوعة من الحجر والخشب فرق بل الإنسان إنسان بما وجد فيه من العقل الذي هو منشأ المعرف والكلالات ومبدأ العلوم والملكات وأمّا من لم يوجد فيه العقل كالجاهل الفاقد لتلك المعرف والملكات الواحد لأضدادها من الشرور والآفات فهو ننسان في صورة الناس))^(٢)

لذلك يحتجَّ الله سبحانه بهذه القوَّة على الإنسان فكلما كانت القوَّة متكاملة كانت الحجَّة أبلغ وأكبر ولا مفر من حسابه على مخالفتها، والعكس صحيح لذلك ((رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن المجنون حتى يفيق، وعن الطفل حتى يختلم))^(٣)

فالنائم والمجنون بما أنهم في عالم لا يعمل فيه العقل الظاهر لذا يرفع القلم عن حسابهم وتکلیفهم، وأما الطفل فلأن عقله يکتمل بعد فلا يكلفه الله سبحانه

(١) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - ج ١ - ص ٤٤١.

(٢) شرح أصول الكافي - محمد صالح المازندراني - ج ١ - ص ٣٠٥.

(٣) دعائم الإسلام - القاضي المغربي - ج ١ - ص ١٩٤.

حتى يكمل فيه العقل ويتم الحجّة به عليه.

والعقل في هذا النطاق لا اختلاف في مكانته وسموّه وحجّيته، لكن الخلاف في كونه من مصادر التشريع وهل يمكن أن يتوصل به إلى الحكم الشرعي في قبال القرآن والسنة؟!

وهو مبحث جديد حتى على الأصوليين! فقدماء الأصوليين لم يكونوا يتطرقون إلى (دليل العقل) بهذا المعنى فمن يراجع كلماتهم يجد هذا واضحاً، يقول الشيخ المظفر في ذلك ((ومع ذلك فإنه لم يظهر لي بالضبط ما كان يقصد المتقدمون من علمائنا بالدليل العقلي، حتى أن الكثير منهم لم يذكره من الأدلة، أو لم يفسره، أو فسره بما لا يصلح أن يكون دليلاً في قبال الكتاب والسنة)).^(١)

بل وهناك ما يدل على أن (دليل العقل) الذي ذكره بعض الأصوليين الأوائل يذهب إلى ما تكلمنا عنه قبل قليل، وهو آلة تمييز وترقٌ لا آلة يتوصل بها إلى حقيقة حكم شرعي لم يرد في الكتاب والسنة، وما ذلك إلا لوضوح كونه بهذا النطاق واضح في أدلة الثقلين، يقول الشيخ المظفر في كلامه عن العمق التاريخي لوجود الدليل العقلي ((وأقدم نص وجدته ما ذكره الشيخ المفید - المتوفى سنة ٤٠٣ - في رسالته الأصولية التي لخصها الشيخ الكراجيكي فإنه لم يذكر الدليل العقلي من جملة أدلة الأحكام، وإنما ذكر أن أصول الأحكام ثلاثة:

الكتاب والسنة النبوية وأقوال الأئمة عليهم السلام. ثم ذكر أن الطرق الموصلة إلى

(١) أصول الفقه - محمد رضا المظفر - ج ٣ ص ١٢٩.

ما في هذه الأصول ثلاثة: اللسان، والأخبار، وأوّلها العقل، وقال عنه: « وهو سبّيل إلى معرفة حجية القرآن ودلائل الأخبار ». وهذا التصرّح كما ترى أجنبي عما نحن في صدده.)^(١)

وهذا ((التصرّح الأجنبي)) عن (دليل العقل) بالمفهوم المتأخر، هو المدلول بالكتاب والسنة لا غير، لذا فعندما بحث الشيخ المظفر قهقري بال موضوع قال ((ثم يأتي بعده تلميذه الشيخ الطوسي - المتوفى سنة ٤٦٠ - في كتابه (العدة) الذي هو أول كتاب مبسط في الأصول، فلم يصرّح بالدليل العقلي، فضلاً عن أن يشرحه أو يفرد له بحثاً. وكل ما جاء فيه في آخر فصل منه أنه بعد أن قسم المعلومات إلى ضرورية ومكتسبة والمكتسب إلى عقلي وسمعي، ذكر من جملة أمثلة الضروري العلم بوجوب رد الوديعة وشكر المنعم وقبح الظلم والكذب. ثم ذكر في معرض كلامه: أن القتل والظلم معلوم بالعقل قبحه، ويريد من قبحه تحريميه. وذكر أيضاً أن الأدلة الموجبة للعلم بالعقل يعلم كونها أدلة ولا مدخل للشرع في ذلك.

وأول من وجدته من الأصوليين يصرّح بالدليل العقلي هو الشيخ ابن إدريس - المتوفى ٥٩٨ - فقال (في السرائر ص ٢): فإذا فقدت الثلاثة - يعني الكتاب والسنة والإجماع - فالمعتمد عند المحققين التمسّك بدليل العقل فيها. ولكن لم يذكر المراد منه.

ثم يأتي المحقق الحلي - المتوفى ٦٧٦ - فيشرح المراد منه فيقول في كتابه (المعتبر ص ٦) بما ملخصه:

وأما الدليل العقلي فقسمان: أحدهما ما يتوقف فيه على الخطاب، وهو ثلاثة:
لحن الخطاب، وفحوى الخطاب، ودليل الخطاب. وثانيهما ما ينفرد العقل
بالدلالة عليه. ويحصره في وجوه الحسن والقبح، بما لا يخلو من المناقشة في أمثلته.

ويزيد عليه الشهيد الأول - المتوفى ٧٨٦ - في مقدمة كتابه (الذكرى) فيجعل
القسم الأول ما يشمل الأنواع الثلاثة التي ذكرها المحقق، وثلاثة أخرى وهي:
مقدمة الواجب، ومسألة الضد، وأصل الإباحة في المنافع والحرمة في المضار.
ويجعل القسم الثاني ما يشمل ما ذكره المحقق، وأربعة أخرى وهي: البراءة
الأصلية، وما لا دليل عليه، والأخذ بالأقل عند الترديد بينه وبين الأكثر،
والاستصحاب.

وهكذا ينجز هذا النهج جماعة آخرون من المؤلفين، في حين أن الكتب
الدراسية المتداولة - مثل المعالم والرسائل والكافية - لم تبحث هذا الموضوع
ولم تعرّف الدليل العقلي. ولم تذكر مصاديقه، إلا إشارات عابرة في ثنايا الكلام.

ومن تصريحات المحقق والشهيد الأول يظهر أنه لم تتجل فكرة الدليل
العقلي في تلك العصور، فوسعوا في مفهومه إلى ما يشمل الظواهر اللغوية مثل
(لحن الخطاب) وهو أن تدل قرينة عقلية على حذف لفظ، و (فحوى الخطاب)
ويعنون به مفهوم الموافقة، و (دليل الخطاب)، ويعنون به مفهوم المخالففة.

وهذه كلها تدخل في حجية الظهور، ولا علاقة لها بدليل العقل المقابل للكتاب والسنة. وكذلك الاستصحاب، فإنه أصل عملي قائم برأسه، كما بحثه المتقدمون في مقابل دليل العقل.

والغريب في الأمر! أنه حتى مثل المحقق القمي - المتوفى سنة ١٢٣١ نسق على مثل هذ التفسير لدليل العقل فأدخل فيه الظواهر مثل المفاهيم، بينما هو نفسه عرفه بأنه (حكم عقلي يوصل به إلى الحكم الشرعي وينتقل من العلم بالحكم العقلي إلى العلم بالحكم الشرعي))^(١)

فهذا الدليل محدث، وشر الأمور محدثاتها! وهي ككرة الثلج المتدرجة من الأعلى كلما تدحرجت ونزلت اكثراً إلى الأرض زاد حجمها، ولا نعلم أين ستصل غداً! والخطب الذي خبطوه في تعريفه يثير العجب! وعندما أراد الشيخ يوسف البحرياني البحث في هذا (الدليل) لم يعلم على أي تعريف يردّ!

يقول الشيخ البحرياني عندما يتناول دليل العقل في مقدمات حدائقه الناصرة ((وفسره بعض بالبراءة الأصلية والاستصحاب، وأخرون قصروه على الثاني، وثالث فسره بلحن الخطاب وفحوى الخطاب ودليل الخطاب، ورابع بعد البراءة الأصلية والاستصحاب بالتلازم بين الحكمين المدرج فيه مقدمة الواجب واستلزم الأمر بالشيء النهي عن ضده الخاص والدلالة الالتزامية))^(٢)

(١) أصول الفقه - محمد رضا المظفر - ج ٣ ص ١٣١ .

(٢) الحدائق الناصرة في فقه العترة الطاهرة - يوسف البحرياني - ج ١ - ص ٤١ .

ولا أعلم - وليتني كنت! - إذا كانوا هم لا يعرفون ماهية هذا الدليل
وحدوده ونطاق عمله فلم يصرّون هكذا على إيجاد هذا (الدليل) المزعوم؟!

فإذا كانت الأمة قد عاشت لاثني عشر قرنا (إلى زمن المحقق القمي) وهي
مكتفية بالدليل الشرعي فلم يتتكلفون ما ليس في الشرع أثره! بدليل انهم إما
يعرفون الدليل العقلي نظرياً ويتركونه عملياً، أو أنهم يخلطون فيه ما هو ليس
بعقلي مثل (المفاهيم) وهي عندهم من مباحث الألفاظ! بل انتبه لكلام الشيخ
المظفر الذي يقول:

((فالذى يصلح أن يكون مراداً من الدليل العقلي المقابل للكتاب والسنة هو:
(كل حكم للعقل يوجب القطع بالحكم الشرعي) وبعبارة ثانية هو: (كل قضية
عقلية يتوصل بها إلى العلم القطعي بالحكم الشرعي). وقد صرّح بهذا المعنى
جماعة من المحققين المؤخرين.

وهذا أمر طبيعي، لأنه إذا كان الدليل العقلي مقابلاً للكتاب والسنة لابد ألا
يعتبر حجة إلا إذا كان موجباً للقطع الذي هو حجة بذاته، فلذلك لا يصح أن
يكون شاملاً للظنون وما لا يصلح للقطع بالحكم من المقدمات العقلية.

ولكن هذا التحديد بهذا المقدار لا يزال مجبراً، وقد وقع خلط وخطب عظيمان
في فهم هذا الأمر.)^(١)

والخطب والخلط من سمات أفكار البشر يقول تعالى:

(١) أصول الفقه - محمد رضا المظفر - ج ٣ - ص ١٣٣

﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء ٨٢)

فلاحظ الفرق العظيم بين قوله عليه وآلـه الصلاة والسلام ((قد تركتم على البيضاء، ليـلها كـنهارـها))^(١) وبين أفـكارـهم التي يـملؤـها الخلـط والـخلـط بشـكـلـ غـرـيبـاـ!

وقولـ الشـيخـ المـظـفرـ ((ـفـالـذـيـ يـصـلـحـ أـنـ يـكـونـ مـرـادـاـ مـنـ الدـلـيلـ الـعـقـليـ الـمـقـابـلـ لـلـكـتابـ وـالـسـنـةـ))ـ وـاـضـحـ فـيـ كـوـنـ الدـلـيلـ الـعـقـليـ يـكـونـ مـصـدـراـ لـلـتـشـرـيـعـ فـيـ حـالـةـ كـوـنـهـ قـطـعـيـ وـعـنـدـمـاـ يـكـونـ قـطـعـيـاـ يـكـونـ عـلـىـ مـسـتـوـىـ الـكـتـابـ وـالـسـنـةـ!ـ وـلـكـنـ هـذـاـ التـعـرـيفـ لـاـ يـرـضـيـ الشـيخـ وـاعـظـ زـادـهـ الـذـيـ يـقـولـ ((ـرـبـاـ يـظـنـ مـنـ لـاـ خـبـرـةـ لـهـ بـمـصـطـلـحـاتـ الـإـمـامـيـةـ أـنـهـمـ يـفـتوـنـ بـالـعـقـلـ وـيـجـعـلـونـهـ دـلـيـلـاـ مـنـ أـدـلـةـ الـأـحـكـامـ،ـ كـالـكـتـابـ وـالـسـنـةـ،ـ وـلـيـسـ ذـلـكـ عـلـىـ إـطـلاقـهـ،ـ فـإـنـهـمـ إـنـمـاـ يـلـتـجـئـونـ إـلـىـ مـاـ اـسـتـقـلـ بـهـ الـعـقـلـ بـعـدـ الـفـحـصـ وـالـيـأـسـ عـنـ وـجـدـانـ الدـلـيلـ:ـ أـيـ الـكـتـابـ وـالـسـنـةـ وـالـإـجـمـاعـ،ـ الـمـعـتـرـ،ـ فـيـ ظـرـوفـ الـحـيـرـةـ وـالـشـكـ فـيـ حـكـمـ مـنـ الـأـحـكـامـ الـكـلـيـةـ أـوـ الـجـزـئـيـةـ مـثـلـ الـشـكـ فـيـ أـنـ «ـالـتـدـخـينـ»ـ حـرـامـ أـوـ مـبـاحـ،ـ وـالـشـكـ فـيـ أـنـ هـذـاـ السـائـلـ «ـخـمـرـ أـوـ خـلـ»ـ فـحـيـئـنـدـ يـعـوـلـونـ عـلـىـ مـاـ حـكـمـ بـهـ الـعـقـلـ مـنـ الـوـظـيـفـةـ الـعـمـلـيـةـ لـرـفـعـ الـالـتـبـاسـ،ـ وـلـيـسـ لـاستـبـاطـ حـكـمـ شـرـعـهـ اللـهـ فـيـ ذـلـكـ،ـ إـذـ لـاـ طـرـيقـ إـلـيـهـ.)ـ^(٢)

(١) كمال الدين و تمام النعمة - محمد بن علي بن الحسين الصدوق - ص ٢ / بحار الأنوار - محمد باقر المجلسي - ج ٢٨ - ص ١١١.

(٢) <http://iranarab.com/Default.asp?Page=ViewArticle&ArticleID=425> . الشيخ واعظ زاده الخراساني .

وهذا إقرار بأن العقل قادر على استكشاف حكم مبرئ للذمة وذلك بغياب
النصوص!

وما هذا الخبط كله إلا لوضعهم العقل في غير موضعه ((فإن قلت فعلى
ما ذكر من عدم الاعتماد على الدليل العقلي يلزم أن لا يكون العقل معتبراً بوجه
من الوجوه، مع أنه قد استفاضت الآيات القرآنية والأخبار المخصوصية بالاعتماد
على العقل والعمل على ما يرجحه، وأنه حجة من حجج الله سبحانه، كقوله
تعالى:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الرعد (٤) في غير موضع من الكتاب
العزيز أي يعملون

بمقتضى عقولهم ﴿لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَكَبَّرُونَ﴾ الرعد (٣). ﴿لَآيَاتٍ لِأُولَى
الْأَلْبَابِ﴾ آل عمران (١٩٠) ﴿لَآيَاتٍ لِأُولَى النُّهَى﴾ طه (٥٤). ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ
أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ الرعد (١٩). ﴿لِذِكْرِي لِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ الزمر (٢١). وذم
قوماً ما لم يعملاً بمقتضى عقولهم فقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ يس (٦٨)
﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ المائدة (١٠٣). ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ المائدة (٥٨).
﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد) (٢٤) إلى غير ذلك من
الآيات الدالة على مدح العمل بمقتضى العقل وذم عكسه.

وفي الحديث عن أبي الحسن عليه السلام حين سُئل: فما الحجة على الخلق اليوم قال:
قال عليه السلام: العقل، يعرف به الصادق على الله فيصدقه والكاذب على الله فيكذبه.

وفي آخر عن الصادق ﷺ قال: (حجّة الله على العباد النبي، والحجّة فيها بين العباد وبين الله العقل) وفي آخر عن الكاظم ﷺ: (يا هشام إن الله على الناس حجتين: حجّة ظاهرة وحجّة باطنية، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة، وأما الباطنة فالعقول).

(قلت): لا ريب أن العقل الصحيح الفطري حجّة من حجّة الله سبحانه وسراج منير من جهته جل شأنه، وهو موافق للشرع، بل هو شرع من داخل كما أن ذلك شرع من خارجه، لكن ما لم تغيره غلبة الأوهام الفاسدة، وتتصرف فيه العصبية أو حب الجاه أو نحوهما من الأغراض الكاسدة، وهو قد يدرك الأشياء قبل ورود الشرع بها فيأتي الشرع مؤيدا له، وقد لا يدركها قبله ويخفى عليه الوجه فيها فيأتي الشرع كاشفا له ومبينا، وغاية ما تدل عليه هذه الأدلة مدح العقل الفطري الصحيح الخالي من شوائب الأوهام العاري من كدورات العصبية، وأنه بهذا المعنى حجّة إلهية، لادراكه بصفاء نورانيته وأصل فطرته بعض الأمور التكليفية، وقبوله لما يجهل منها متى ورد عليه الشرع بها، وهو أعم من أن يكون بادراكه ذلك أولاً أو قبوله لها ثانياً كما عرفت.)^(١)

لذا فالعقل عند عموم البشر آلة تمييز وبه يعلم مستوى التكليف، لا أنه آلة استنباط، نعم لو كان العقل معصوماً لكان لكلامهم وجه، لكن عرفت إننا لا نتكلّم عن العقل الفطري بما هو عقل، بل إننا نتكلّم عما عند الناس من قوة

فكريّة مقيّدة بشهوّات النّفس ((وهكذا اذا تبع الإنسان كل النصوص الواردة
لا يجد نصا واحدا ينسب فيه الخطأ الى العقل او الى أي سبب يعود بشكل أساسى
الى العقل))^(١)

وما هذا إلّا لما قلناه من ان العقل في ذاته قوة نورىّة تكشف الجهل وتكون
حجّة على العبد تجاه ربّه.

قاعدة الاستصحاب:

هو حال يصار اليها عقلاً عندما يفقد الدليل على تغير الحكم بعد ثبوته في وقت سابق وذلك لتغيير الموضوع.

يقول الشيخ حسن العاملي ((اختلف الناس في استصحاب الحال. ومحلّه أن يثبت حكم في وقت، ثم يجيء وقت آخر ولا يقوم دليل على انتفاء ذلك الحكم، فهل يحكم ببقاءه على ما كان، وهو الاستصحاب، أم يفتقر الحكم به في الوقت الثاني إلى دليل؟.

المرتضى وجماة من العامة على الثاني، ويحکى عن المفید - رحمه الله المصير إلى الأول، وهو اختيار الأکثر وقد مثلوا له بالمتيم إذا دخل في الصلاة ثم رأى الماء في أثنائها. والاتفاق واقع على وجوب المضي فيها قبل الرؤية. فهل يستمر على فعلها بعدها استصحاباً للحال الأول أم يستأنفها بالوضوء؟. فمن قال بالاستصحاب قال بالأول، ومن أطروحه قال بالثاني.

احتج المرتضى بأن في استصحاب الحال جمعاً بين الحالين في حكم من غير دلالة، لأن الحالين مختلفان من حيث كان غير واحد للماء في إحديهما واحداً له في الأخرى. فكيف سوى بين الحالين من غير دلالة؟!)).^(١)

(١) معالم الدين وملاذ المجتهدین - حسن زین الدین العاملي - ص ٢٣٢

والملحوظ في النص:

إن الشيخ حسن لم يذكر رأي الشيخ الطوسي وهو تلميذ الشيخ المفید وزميل السيد المرتضى!

إن الشيخ حسن لم يجد غضاضة في أن يدمج رأي المرتضى مع العامة الذين وافقهم، وان يدمج رأي المفید مع العامة الذين وافقهم!

إن الاستدلال بالاستصحاب يكون عقليا صرفيًا بلا دليل روائي في تلکم الفترة!

وبالرجوع إلى كتاب (العدّة في الأصول) نجد أن الشيخ الطوسي رحمه الله قدّم قدمًا وأخر أخرى - كالعادة! - ولم يدل بدلوه صريحا فكان موقفه غامضا! إذ يقول:

((فأمّا استصحاب الحال فصورته ما يقوله أصحاب الشافعی: من أنَّ المتيمّم إذا دخل في الصّلاة ثم رأى الماء، فإنه قد ثبت أنَّه قبل رؤيته للماء يجب عليه المضي في الصّلاة بالاتفاق، فإذا حدث رؤية الماء فيجب أن يكون على ما كان عليه من حكم الحال الأولى)، وغير ذلك من المسائل.

وقد اختلف العلماء في ذلك، فذهب أكثر المتكلّمين، وكثير من الفقهاء من أصحاب أبي حنيفة وغيرهم إلى أنَّ ذلك ليس بدليل، وهو الذي ينصره المرتضى رحمه الله.

وذهب أكثر أصحاب الشافعی وغیرهم - وهو الذي كان ينصره شيخنا أبو عبد الله إلى أن ذلك دليل.

وفي ذلك نظر..... والذی يمكن أن ينصر به طریقة استصحاب الحاک ما أومأنا إلیه من أن یقال:

لو كانت الحالة الثانية مغیرة للحکم الأول لكان على ذلك دلیل، وإذا تبعنا جميع الأدلة فلم نجد فيها ما یدل على أن الحالة الثانية مخالفة للحالة الأولى، دل على أن حکم الحالة الأولى باق على ما کان.

فإن قيل: هذا رجوع إلى الاستدلال بطریقة النفي، وذلك خارج عن استصحاب الحال؟ قيل: الذي نريد باستصحاب الحال هذا الذي ذكرناه، فأماما غير ذلك فليس يکاد يحصل غرض القائل به.)^(۱)

والملاحظ في هذا النص:

إنه بنى على مقالة الشافعی في (الرسالة)! وفي هذا إشارة إلى كون هذا (الاستصحاب) لا سلف له في فقهنا وأصولنا الأصيلة المتلقاة عن أهل بيت النبي عليه وآلہ الصلۃ والسلام.

إنه قدّم مقالة العامة من ناصر للرأي وغير ناصر ثم اتبعه برأي الخاصة منتبعهم! وفي هذه شهادة ان هذا الأصل عامي لا اصل له عند الشيعة فقال ((ذهب أكثر المتكلمين، وكثير من الفقهاء من أصحاب أبي حنيفة وغيرهم إلى

(۱) العدة في أصول الفقه - محمد بن الحسن الطوسي - ج ۲ - ص ۷۵۸

أنّ ذلك ليس بدليل، وهو الّذى ينصره المرتضى رحمه الله. وذهب أكثر أصحاب الشافعى وغيرهم - وهو الّذى كان ينصره شيخنا أبو عبد الله إلى أنّ ذلك دليل.).

فبعدما اخترعه الشافعى اختلف أهل السنة فيه، فأصحاب الشافعى اثبتوه، وخصماؤه من الأحناف والمتكلمين نفوه، فانقسم فقهاؤنا تبعاً لذلك بين ناصر للشافعى وأصحابه وبين ناصر للأحناف والمتكلمين العامة؟.

إن رأى الشيخ الطوسي بعد ما كان غائباً وغامضاً لم يفلح من جاء بعده بفهم رأي صريح يُنقل !! إذ تراه يقول ((إن قيل: هذا رجوع إلى الاستدلال بطريقة النّفي، وذلك خارج عن استصحاب الحال؟ قيل: الّذى نريد باستصحاب الحال هذا الّذى ذكرناه، فأمّا غير ذلك فليس يكاد يحصل غرض القائل به)))!

وهو أقرب إلى نفي استصحاب الحال الشائع وإنما هو يرى استصحاباً خاصّاً به لا علقة له بالاستصحاب المطلّح !

وقد يكون رايه قريباً من رأى الشريف المرتضى^(١) في النّفي .

ولكون الشيخ الطوسي لم يجد أي نصّ عن الأئمة عليهم السلام يسند لهذا الأصل الغريب ! قام بإيراد الحديث العامي الوحيد الذي أوردوه للاستدلال على أصلهم المخترع، وهذا ما جعل الشيخ الأنصاري يرد عليه باستغراب ! إذ يقول الشيخ الأنصاري ((.....نعم، ذكر في العدة - انتصاراً للقائل بحجيته - ما

(١) الدررية في أصول الفقه - الشريف المرتضى - ج ٢ - ص ٨٣٢ .

روي عن النبي ﷺ من: (أن الشيطان ينفع بين أليتي المصلي فلا ينصرفن أحدكم إلا بعد أن يسمع صوتك أو يجد ريحك) ومن العجب أنه انتصر بهذا الخبر الضعيف المختص بمورد خاص!)^(١).

والحديث بهذا اللفظ عامي منقول من كتب العامة الأصوليين وليس له وجود في كتبنا! نعم هناك حديث بلفاظ قريبة في كتب الحديث الشيعية لكنها لا تنفع الشيخ الطوسي فاستورد الأصل ومعه دليله وناقشه، ووصل إلى نتيجة لم يفهمها من جاء بعده!

وبقي الأمر في الاستصحاب إثباتاً ونفياً قائماً على امزجة رأي الأصوليين العامة لكونهم الأصل في هذه الأصول المخترعة، لذا نجد محمد حسين الحائري المتوفى ١٢٥٠ هـ لا يكاد يترك إيراد العامة النافين والمبين في مطاوي البحث في هذا الأصل إذ يقول:

((واعلم أن هذا القول - أعني القول بعدم حجية الاستصحاب مطلقاً - مما لم نعثر بقائله وإنما وجده منقولاً في كلام البعض ويمكن أن يكون مذهباً لأكثر الحنفية على ظاهر ما نسب العضدي إليهم حيث قال بعد تفسير استصحاب الحال باستصحاب الحكم (فأكثر المحققين كالمزني والصيرفي والغزالى على صحته وأكثر الحنفية على بطلانه فلا يثبت به حكم شرعى) هذا كلامه لكن استفاد التفتازاني من قوله (فلا يثبت به حكم شرعى) أن الحنفية إنما ينكرون صحته في

(١) فرائد الأصول - مرتضى الانصارى - ج ٣ - ص ١٥

إثبات الحكم الشرعي دون نفيه، وهو غير واضح لأن نفي الوجوب والتحريم

الشرعين مثلاً أيضاً حكم شرعي، وهذا لا يجوز بغير دليل معتبر.....))^(١)

وغرير امر العضدي وختصره! فهذا الكتاب ومنذ أن حشى عليه العلامة الحلي ظل ما يقرب من خمسة قرون مهيمنا على الساحة الشيعية اختصاراً وتحشيةً وتدريساً!

وما يُقرّح الفؤاد أن أصولي الشيعة وهم في معرض المعركة الفكرية فيما بينهم بين مثبت ونافي للاستصحاب لم يذكروا غير أدلة أصولي العامة العقلية! وكان ذلك على فرات مائدة العامة فقط! وبالوقت نفسه فانت لا تجد من العامة من يلتفت إليهم ويجعل لهم قدراً!! فترى مثل الشوكاني - وهو معاصر للشيخ صاحب الفصول الغروية - يقول ((واختلفوا هل هو حجة عند عدم الدليل على أقوال الأول انه حجة وبه قالت الحنابلة وانما المالكية وأكثر الشافعية والظاهيرية سواء كان في النفي أو الإثبات وحكاه ابن الحاجب عن الأكثرين الثاني انه ليس بحجة واليه ذهب أكثر الحنفية والمتكلمين كأبي الحسين البصري))^(٢)

ومن الأمور الملفتة للنظر أن فقهاء الشيعة الأصوليين وجراء إدمان بعضهم كتب العامة واستعانتهم بأصولهم المختربة يكون جيلهم الأول مقلداً للعلامة بلا جدال! ولكن الأجيال اللاحقة من أصولي الشيعة وجدت أن هناك شيء من الغضاضة في أن تقرّ بأنها استوردت هذه الأصول من العامة! وخصوصاً في

(١) الفصول الغروية في الأصول الفقهية - محمد حسين الحائرى - ص ٣٧٥.

(٢) إرشاد الفحول إلى علم الأصول - محمد بن علي الشوكاني - ص ٢٣٧.

زمن الصراع الأصولي الأخباري، عندما ازري الأخباريون على الأصوليين بأنهم يتبعون العامة ، لذلك فإن الأصوليين صاروا يبحثون عن الأدلة النقلية لإسناد كلامهم ! فبدل أن يتدبّروا الآيات والروايات لاستخراج القواعد الأصولية، يقومون بنسخ القواعد عن العامة ثم يبحثون عن روایات لها ولو بعد قرون !!

والظاهر أن الأصوليين يعترفون بان القرون الأولى لاتباع الشيعة للعامة في أصولهم - ومنها الاستصحاب - كان الأمر عقليا بحثا في الاستدلال به ! ولا دليل للاستدلال النقلي، يقول الشيخ مرتضى الأنباري :

يقول الشيخ الأنباري ((أن عد الاستصحاب من الأحكام الظاهرية الثابتة للشيء بوصف كونه مشكوك الحكم - نظير أصل البراءة وقاعدة الاشتغال - مبني على استفادته من الأخبار، وأما بناء على كونه من أحكام العقل فهو دليل ظني اجتهادي، نظير القياس والاستقراء، على القول بها .

وحيث إن المختار عندنا هو الأول، ذكرناه في الأصول العملية المقررة للموضوعات بوصف كونها مشكوكـة الحكم، لكن ظاهر كلمات الأكثر - كالشيخ والسيدين والفضلـين والشهـيدـين وصاحبـ العالم ^(١)*كونـه حـكمـا عـقـليـا، ولـذا لمـ يتمـسـك أحدـ هـؤـلـاءـ فـيهـ بـخـبرـ منـ الأـخـبارـ.)^(٢))

(١) * الشيخ هو الطوسي، والسيدان هما السيد الشريف المرتضى والسيد ابن زهره صاحب الغنية، والفضالـان هـما المحققـ الحـلـيـ والعـلـامـةـ الحـلـيـ، والـشـهـيدـانـ الـأـوـلـ وـالـثـانـيـ. وـصـاحـبـ الـعـالـمـ هـوـ الشـيـخـ حـسـنـ

(٢) فـرـائـدـ الـأـصـولـ - مـرـتـضـيـ الـأـنـبـارـيـ - جـ ٣ـ - صـ ١٥ـ .

فالقوم - كالشيخ والسيدين والفضلين والشهداء وصاحب المعلم - رأوا أن الاستصحاب حكم عقلي وأخذوه من العامة وناقشو بمؤدّاه على هذا النحو وإن كان العامة استدلوا عليه بخبر يتيم ضعيف عندهم ولكن فقهاءنا طوروا الأمر فوجدوا له روایات تدل عليه!

وذلك بعد خمسة قرون من وجوده في كتب الأصول الشيعية!، يقول الشيخ الأنصاري:

((وأول من تمسك بهذه الأخبار - فيما وجدته - والد الشيخ البهائي (قدس) فيما حكي عنه في (العقد الطهريسي)، وتبعه صاحب الذخيرة وشارح الدروس، وشاع بين من تأخر عنهم، نعم، ربما يظهر من الحلي في السرائر الاعتماد على هذه الأخبار، حيث عبر عن استصحاب نجاسة الماء المتغير بعد زوال تغييره من قبل نفسه، بـ: (عدم نقض اليقين إلا باليقين). وهذه العبارة، الظاهر أنها مأخوذة من الأخبار...)).^(١)

ولا قيمة لاستظهار الشيخ الأنصاري هنا، إذ لا دليل عنده! ووالد الشيخ البهائي متوفى قرابة العام ٩٨٤ للهجرة! وهذا يعني أن الأصوليين قالوا في البداية بأن الاستصحاب حكم عقلي وأوردوا له روایة عامية وأهملوها! ثم بعد خمساً إتّهاءً عام تقريباً كتبوا في أصله الروائي ووجدوا له روایة شيعية ادعوا أنها تخصّه!

وحتى بعد ما ادعى جماعة أن الاستصحاب ثابت بالأخبار عنهم عليهم السلام لم

(١) فرائد الأصول - مرتضى الأنصاري - ج ٣ - ص ١٥.

يقتنع بعض الأصوليين! فبقوا على نفي كونه ثابتاً أصلاً (لا عقلاً، ولا نقاً)!
ومنهم صاحب (مدارك الأفهام) المتوفى عام ١٠٠٩ للهجرة^(١)!

ولما كان الأمر وطوال خمسة قرون موضع اخذ ورد - كما هو شأن كل أمر غريب لقيط - هل انه اصل ثابت أم غير ثابت، ولو أنه ثبت فهل هو عقلي أم نقلني؟ فلم يجد الشيخ يوسف البحرياني جهداً في إبطاله جملة وتفصيلاً بأبلغ بيان - وذلك بعد أن بلغ الاستصحاب من العمر سبعة قرون وهو في بحوث الأصوليين الشيعة! - فتراه يقول:

((ويدل على عدم حجية الاستصحاب بالمعنى المتنازع فيه وجوهه:))

أحدها: عدم ظهور دلالة شرعية على اعتباره، لما عرفت من القدر في أدلة المثبتين. وهو كاف في المطلوب.

واثنيها: أن مفاده - بناء على ما ذكروه - إنّها هو الظن، وقد قامت الأدلة القاطعة من الآيات والروايات - كما بسطنا الكلام فيه في كتاب (المسائل) - على عدم جواز العمل على الظن في أحکامه تعالى، وهم قد خصّوها بالأصول المطلوب القطع فيها. والمسألة من الأصول عندهم، فكيف يسوغ البناء فيها على الظن؟! هذا مع أن وجود الظن هنا أيضاً منوع؛ لأنّ موضوع المسألة مقيد بالحالة الطارئة، وموضوع المسألة الأولى مقيد بنقيض تلك الحالة، فكيف يظن بقاء الحكم الأول؟

(١) الدرر النجفية من الملتقطات اليوسفية - يوسف البحرياني - ج ١ - ص ٢١٢.

وثلاثها: أنه لا يخفى على من تتبع الأخبار، وغاص في لحج تلك البحار أنه قد ورد من الشارع في بعض الصور حكم يوافق الاستصحاب بالمعنى الذي ذكره وفي بعضها ما يخالفه، وبذلك يعلم أن الاستصحاب ليس حكماً كلياً، ولا قاعدة مطردة تبني عليها الأحكام الشرعية. ومن تأمل في أحاديث مسألة التيمم إذا وجد الماء بعد الدخول في الصلاة التي هي المثال الدائر عندهم للاستصحاب ظهر له صحة ما قلناه؛ فإن بعضها قد دل على أنه ينصرف من الصلاة ويتوضاً ما لم يركع، وبعضها على أنه يمضي في صلاته مطلقاً ركع أو لم يركع، وبعضها على أنه ينصرف بعد أن صلى ركعة ويتوضاً وبيني على ما ((ما لم يركع))، (وبعضها ولو بعد تمام الركعة)، ولم يرد بال مضى إلا رواية محمد بن حمran.

وحيئذ، فلو كان الاستصحاب الذي اعتمدوه ومثّلوا له بهذا المثال دليلاً برأسه لوجب على هذا المصلي - بمقتضى ذلك - المضي في صلاته، ولزم منه طرح هذه الأخبار. وفيه من البطلان ما لا يحتاج حيئذ إلى البيان.

ورابعها: أن هذا الموضع من الموضع الغير المعلوم حكمه تعالى منه، وقد توأرت في مثله، بوجوب التوقف والعمل بالاحتياط^(١).

وهو كلام الغواص الماهر الذي محر عباب البحار وجاب تلكم الأقطار، رحمة الله برحمته الواسعة.

(١) الدرر النجفية من الملتقطات اليوسفية - يوسف البحرياني - ج ١ - ص ٢١٢.

وقد سبقه الشيخ الفيض الكاشاني رحمه الله بقوله في الأصل الثامن من الأصول الأصيلة:

((انه لا يجوز التعوييل على الظن في الاعتقادات، ولا الإفتاء عليه في العمليات كما عرفت سواء حصل ذلك الظن بمجرد اتباع الهوى واستحسان العقل والقياس الفقهي أو اجتهاد الرأي أو الشهرة أو اتفاق الجماعة أو البراءة الأصلية أو استصحاب الحال أو غير ذلك من وجوه الاستنباطات إلا ما صحّ عن أهل البيت عليهم السلام بأحد الاصطلاحين وكانت دلالته صريحة أو ظاهرة مع اعتضاده بالعقل الصحيح الذي يكون لصاحب القوة القدسية))^(١)

والعجب من كون الخلاف في هذا الأمر انذر! ولا تجد من ينكر حجية الاستصحاب الآن! فالناس كالغنم! كما يصرّح صادقهم عليهم السلام، تتبع الراعي أيّها أخذها.

وما ذلك إلّا لطبائع البشر المائلة لقبول الأمور المحدثة! وتوطئها على الأخذ به بعد طول الأمد على الممانعة.

والأمر عينه في (قياس الأولوية) الذي انكره الشريف المرتضى وبالغ في ذلك، لكن القوم وبعد جيل أو جيلين غلب عليهم التقليد ورأوا رأي الشريف المرتضى شاذاً مع أنه موافق لاحاديث العترة.^(٢)

(١) الأصول الأصيلة - الفيض الكاشاني - ص ١١٨.

(٢) للتعرف على التزاع في مسألة قياس الأولوية وكيف انتهى بغلبة التقليد راجع: معالم الدين وملاذ المجتهدین - للشيخ حسن زین الدین العاملی ص ٢٢٨.

فالأوفق بطريقتهم ﷺ بل المتوجّه هو الرجوع لأنّ خبارهم ﷺ في كل ابتلاء على حدة، فلا قاعدة أصوليّة غير مسموّعة عنّهم تجمع الأحكام في هذه القضية، وهذا متوجّه على طريقتهم ﷺ فكل واقعة لهم فيها حكمهم.

فعن سماحة قال: ((سألته فقلت ان أناسا من أصحابنا قد لقوا أباك وجده وسمعوا منها الحديث فربما كان الشيء يبتلي به بعض أصحابنا وليس عندهم في ذلك شيء يفتّيه وعندهم ما يشبهه يسعهم ان يأخذوا بالقياس؟

فقال: إنه ليس بشيء الا وقد جاء في الكتاب والسنّة.))^(١)

نعم، وهذا ما يناسب حكم الله وطريقة المعصوم.

(١) بصائر الدرجات - محمد بن حسن الصفار - ص ٣٢٢.

علم الرجال عند فقهاء الحوزة:

وهنا تُكسر الأقلام، وتُسكب العبرات، وتُطلق الزفرات! فليس هناك (علم رجال شيعي)!! فالشيعة لم يكونوا يعملون أصلًا بهذه الطريقة العامة في قبول الحديث حسب السند، ولكن لما كان العلامة الحلي رحمه الله قد درس على أساتذة من العامة فقد رأى أن هذه الطريقة قد تناسب الخاصة لكونه كان يظن أن احاديث الشيعة هي احاديث آحاد وهي من اشتباهاته وغفلته عن حقيقة الأمر (رحمه الله)، وبالتالي أراد للأحاديث أن تُغربل بطريقة ما لاستبعاد الحديث المشكوك أو الذي يظن أن الراوي الضعيف قد دسّه أو وهم به!

لذا، ولما أرادوا جلب هذا (العلم) إلى المنظومة الشيعية، أرادوا له قاعدة رجالية يستندون إليها فعمدوا إلى بعض الكتب التي صنفها الفقهاء الأوائل والتي صنفت لغرض آخر غالباً، وليس الهدف منه التوثيق والتضعيف فسموها (الأصول الرجالية الأربع)! وهي كل من:

كتاب اختيار الرجال، وكتاب الفهرست، وكتاب الرجال والثلاثة للشيخ الطوسي وكتاب الرجال للنجاشي، وسناتي على هذه الكتب واحداً واحداً النرى هل أنها تصلح لتكون قاعدة رجالية صالحة.

الأصل الأول: كتاب اختيار الرجال:

وهو ما اختاره الشيخ الطوسي من كتاب منسوب (للكشي) المتوفى على الأرجح عام ٣٢٩ هـ غالباً!

وكتاب الكشي مفقود، وما قاله الطوسي من انه اختصره فلا نعلم هل أن الطوسي وجده حقيقة أو انه اشتبه به كما اشتبه كثيراً في كتبه! و الموجود اليوم وهو المختار الذي اختاره الشيخ الطوسي من الأصل المفترض هو كتاب روايات اكثر من كونه كتاب رجال، فهو يروي روايات عن كل راوٍ بلا توثيق أو تضعيف!

يقول الشيخ النجاشي عن كتاب الكشي ((له كتاب الرجال كثير العلم وفيه أغلاط كثيرة)) فما هذه الأغلاط التي تكلم عنها النجاشي؟! وهل هي التي دعت الشيخ الطوسي يجهد لاختيار أسماء منه وترك الباقي؟ ولو كان الأمر كذلك فلا يعدو أن ما عمله الشيخ الطوسي اجتهد منه، ثم من الذي قال أن الشيخ الطوسي اختار منه فقط ولم يعمل رأيه واجتهاده في الأسماء التي نقلها؟! وبالتالي فما قيمة كتاب الشيخ الطوسي (اختيار معرفة الرجال) العلمية هنا؟!

ثم أن لكتاب (اختيار الرجال) مقدمة أوردها السيد ابن طاووس في (فرج المهموم) من نسخة الأصل المدعاة التي كانت بخط الشيخ الطوسي رحمه الله -كما يقال - ولا نجد لها في الكتاب الموجود اليوم! فهل أن الخطبة فقط قد اختفت؟ أم أن النسخة الموجودة اليوم كلها مشكوكه الانساب للطوسي - كما

هو المحتمل -؟ وعلى هذا فكيف يكون الاعتماد علمياً على هذا الكتاب؟!

ثم ان اجتهاد الشيخ الطوسي في اختيار ما يريد وترك ما يريد يجعل الأمر عسيراً على من يبحثون عن (الحس) في الشهادة في التوثيق والتضعيف! واهل الفقه يعرفون اضطراب كلام الشيخ الطوسي في (الفتاوى) و(الاجماعات) التي سطرها في كتبه والتي يخالف بعضها البعض الآخر فكيف نعلم ان الشيخ الطوسي لم يضطرب في تأليفه لاختيار رجال الكشي؟!

بل وفتاواه في (الخلاف) و(النهاية) و(المبسوط) مختلفة متناقضة و لا يعلم على وجه الدقة أيها هو الرأي الرسمي له! حتى ألف بعضهم رسالة خاصة في هذه التناقضات!

يقول الشيخ البحرياني: ((وقد كان عندي رسالة لشيخنا الشهيد الثاني قد تصدى فيها لنقل جملة من المسائل التي ناقض الشيخ بها نفسه بدعوه الاجماع على الحكم في موضع ثم يدعوه على خلافه في موضع آخر وفيها ما ينفي سبعين مسألة. والحق أن هذه الإجماعات المتناقلة لا تخرج عن مجرد الشهرة كما حققه شيخنا الشهيد في صدر الذكرى وإليه أشار المحقق الشيخ حسن في كلامه المتقدم الذي أشرنا إليه.))^(١)

ولا يقتصر الأمر على شبهة التناقض في الإفتاء وفرضي نقل الإجماعات فهناك من يشير الى التوقف بشأن إخباراته في التوثيق والتضعيف! قد نقل

الخوانساري (صاحب الروضات) كلاماً للمحقق اسماعيل الخاجوي يقول فيه:

((لا يسوغ تقليد الشيخ (الطوسي) في معرفة احوال الرجال، ولا يفيد إخباره بها ظناً، بل ولا شكّاً في حال من الاحوال، لأن كلامه في هذا الباب مضطرب، ومن اضطرابه انه يقول في موضع ان الرجل ثقة، وفي اخر انه ضعيف، كما في سالم بن مكرم الجمال، وسهيل بن زياد من رجال علي بن محمد الهادي عليه السلام). وقال في (الرجال): محمد بن علي بن بلال ثقة، وفي كتاب (الغيبة) انه من المذمومين، وفي عبد الله بن بكر: انه من عملت الطائفة بخبره بلا خلاف، وكذا في (العدة) وفي (الاستبصار) في اواخر الباب الاول من ابواب الطلاق منه صرح بها يدل على فسقه وانه يقول برأيه، وفي عمار السباطي انه ضعيف لا يعمل بروايته، وكذا في (الاستبصار) وفي (العدة) ان الطائفة لم تزل تعمل بما يرويه، وامثال ذلك منه كثير جداً. وانا الى الان لم اجد احداً من الاصحاح غير الشيخ في هذا الكتاب يوثق علي بن ابي حمزة البطائني، او يعمل بروايته اذا انفرد بها، لانه خبيث واقفي كذاب مذموم... ومن اضطرابه انه رحمة الله تارة يشترط في قبول الرواية الا ي焉 والعدالة، كما قطع به في كتبه الاصولية، وهذا يقتضي ان لا يعمل بالاخبار الموثقة والحسنة، وآخر يكتفي في العدالة بظاهر الاسلام، ولم يشترط ظهورها؛ ومقتضاه العمل بها مطلقاً كالصحيح. ووقع له في الحديث وكتب الفروع غرائب، فتارة يعمل بالخبر الضعيف، حتى انه ينحصر به اخباراً كثيرة صحيحة حيث يعارضه بإطلاقها، وتارة يصرح برد الحديث لضعفه، وآخر يرد الصحيح معللاً انه خبر واحد لا يوجب علمًا ولا عملاً كما عليه المرتضى علم

الهدى واكثر المتقدمين))^(١) وهو كلام مهم وخطير! يجعل الشك متوجهها لجملة ما تركه الشيخ الطوسي من آراء رجالية ادعى المتأخرن انها ليست اجتهادا بل عن حسٌ ويقين!

كما عرّضه الشيخ يوسف البحرياني الى النقد، فذكر انه قد وقع للشيخ الطوسي، سيفا في التهذيب ((من السهو والغفلة والتحريف والنقchan في متون الاخبار وأسنادها، وقلما يخلو خبر من علة من ذلك كما لا يخفى على من نظر في كتاب (التنبيهات) الذي صنفه العلامة السيد هاشم في رجال التهذيب، وقد نبهنا في كتابنا (الحدائق الناضرة) على ما وقع له من النقchan في متون الاخبار، حتى ان كثيراً من يعتمد في المراجعة عليه ولا يراجع غيره من كتب الاخبار وقعوا في الغلط وارتکبوا في التهرب منه الشسطط كما وقع لصاحب (المدارك) في مواضع من ذلك))^(٢)

وبالتالي فكتاب (الكتشي) لم يصل! وكتاب اختيار الرجال للطوسي مشكوك في نسبته! للطوسي وللكشي! ولو قلنا انه هو بعينه فلا أحد يقطع بكونه وصلنا كما تركه الطوسي، ولو قلنا انه وصلنا كما تركه الطوسي فلا يعلم من الذي تلاعب به ورفع الخطبة التي نقلها ابن طاووس، وما أدرانا ماذا فعل أيضا؟!!

(١) روضات الجنات - محمد باقر الحوانساري - ج٦ - ص ٢٤٥-٢٤٦ / كذلك: نهاية الدراء - محمد حسين الاصفهاني - ص ٢٨٣.

(٢) لؤلؤة البحرين - يوسف البحرياني - ص ٢٩٨ / وروضات الجنات - محمد باقر الحوانساري - ج٦ - ص ٢١٨.

ولو تجاوزنا كل ما قيل فأمامنا إشكال (الدور)! فكتاب الكشي هو أول الأصول الرجالية الأربع، ولكونه كتاب روایات في الأصل وليس كتاب توثيق وتضعيف فهو يحتاج لكتاب رجال آخر لغرض توثيق رجال روایاته! وهكذا الأمر متسلسلا، فما المخرج من هذا؟!!

فهذا حال كتاب (اختیار الرجال)!

الأصل الثاني: الفهرست للشيخ الطوسي:

و(الفهرست) هو فن من التأليفات تأخذ بالحسبان أسماء المصنّفين وأسماء كتبهم ،وليس للتوثيق أو التضعيف - وإن ذكر الشيخ في المقدمة أنه عمد لذكر الجرح والتعديل - وأول من كتب في هذا العلم هو الفهرست لابن النديم العامي ^{ألفه} عام ٣٧٧ هـ أي قبل ولادة الطوسي بقليل،لذا قام الشيخ رحمة الله بتأليف كتاب وذكر في المقدمة الداعي لتأليفه هذا إذ يقول:

((أما بعد، فاني لمارأيت جماعة من شيوخ طائفتنا من أصحاب الحديث عملوا فهرس كتب أصحابنا وما صنفوه من التصانيف ورووه من الأصول، ولم أجده أحدا استوفى ذلك ولا ذكر أكثره، بل كل منهم كان غرضه أن يذكر ما اختص بروايته وأحاطت به خزانته من الكتب، ولم يتعرض أحد منهم باستثناء جميعه إلا ما قصده أبو الحسين أحمد بن الحسين بن عبيد الله رحمة الله (ابن الغضائري)، فإنه عمل كتابين، أحدهما ذكر فيه المصنفات، والأخر ذكر فيه الأصول، واستوفاهما على مبلغ ما وجده وقدر عليه، غير أن هذين الكتابين لم ينسخهما أحد من أصحابنا واحتزم هو رحمة الله، وعمد بعض ورثته إلى إهلاك هذين الكتابين وغيرهما من الكتب - على ما حكي بعضهم عنه .

ولما تكرر من الشيخ الفاضل أدام الله تأييده، الرغبة فيما يجري هذا المجرى، وتواتي منه الحث على ذلك، ورأيته حريضا عليه، عمدت إلى كتاب يشتمل على ذكر المصنفات والأصول، ولم أفرد أحدهما عن الآخر لئلا يطول الكتابان، لأن

في المصنفين من له أصل فيحتاج إلى أن يعاد ذكره في كل واحد من الكتابين، فيطول. ورتبت هذا الكتاب على حروف المعجم، التي أو لها الهمزة وآخرها الياء، ليقرب على الطالب الظفر بما يلتمسه، ويسهل على من يريد

حفظه، ولست أقصد ترتيبهم على أزمنتهم وأوقاتهم، بل ربما يتفق ذكر من تقدم زمانه بعد ذكر من تأخر وقته وأوانه، لأن البغية غير ذلك. فإذا ذكرت كل واحد من المصنفين وأصحاب الأصول فلا بد من أن أشير إلى ما قيل فيه من التعديل والتجريح، وهل يعول على روايته أو لا، وأبين عن اعتقاده وهل هو موافق للحق أو هو مخالف له، لأن كثيرا من مصنفي أصحابنا وأصحاب الأصول يتخلون المذاهب الفاسدة، وإن كانت كتبهم معتمدة)).

والملخص هذه فيها ثلات ملاحظات:

الأولى: انه عمل الكتاب بناء على إلحاح أحد الشيوخ، وبالتالي لم يكن هذا النوع من التأليفات ضروريا في ذلك الزمان وإلا لكان الشيخ الطوسي عمد إلى التأليف ابتداء بلا (إلحاح) من أحد.

الثانية: قوله ((لان كثيرا من مصنفي أصحابنا وأصحاب الأصول يتخلون المذاهب الفاسدة، وإن كانت كتبهم معتمدة)) قوله هذا ينسف (علم الرجال) من القواعد!! فالشيخ يعترف بان عمل الشيعة لم يكن على أخذ الحديث من الرواية العادل والموثق وترك الضعيف من الرواية بل على أمر آخر! وهو صحة الحديث - بذاته - المروي في كتب هؤلاء! وإلا فكيف تكون كتبهم معتمدة

وهم فاسدو المذهب؟!

الملاحظة الثالثة: كتاب الفهرست للطوسي أورد اسم تسعيناثة واثني عشر رجلاً (٩١٢) ولكنه ترك سبعيناثة وخمسة وسبعين رجلاً (٧٧٥) بلا تجريح أو تعديل! فهل ترى أن الشيخ وفي بها قاله من انه ((...فإذا ذكرت كل واحد من المصنفين وأصحاب الأصول فلابد من أن أشير إلى ما قيل فيه من التعديل والتجريح، وهل يعول على روایته أو لا...))؟

وهذا أن كشف عن شيء فهو يكشف عن أن في ذلك الزمان لم يكن هناك حاجة حقيقة لتصنيف الرواية في هذا المجال فالاهتمام كان بالمروي لا بالراوي! وبالتالي فلا يصلح كتاب فهرست الشيخ الطوسي ليكون كتاباً رجالياً حسب المصطلح الفنِّي العامِّي الذي ساروا عليه.

الأصل الثالث: رجال الشيخ الطوسي:

وهو الكتاب الكبير للشيخ الطوسي في الرجال، يقول في مقدمته:

((أما بعد: فاني قد أجبت إلى ما تكرر سؤال الشيخ الفاضل فيه، من جمع كتاب يشتمل على أسماء الرجال، الذين رروا عن رسول الله ﷺ وعن الأئمة علیهم السلام من بعده إلى زمن القائم علیه السلام، ثم أذكر بعد ذلك من تأخر زمانه من رواة الحديث أو من عاصرهم ولم يرو عنهم.)

وارتب ذلك على حروف المعجم، التي أولها الهمزة وآخرها الياء، ليقرب على ملتمسه طلبه، ويسهل عليه حفظه، واستوفى ذلك على مبلغ جهدي وطاقتني، وعلى قدر ما يتسع له زمامي وفراغي وتصفحني، ولا أضمن أن استوفي ذلك عن آخره.

فان رواة الحديث لا ينضبطون، ولا يمكن حصرهم لكثرةهم وانتشارهم في البلدان شرقاً وغرباً، غير اني أرجو أن لا يشد عنهم إلا النادر، وليس على الإنسان إلا ما تسعه قدرته وتناوله طاقته...))

وأكثر ما في كلام الشيخ الطوسي إثارة للجدل هو قوله ((ولم أجده لأصحابنا كتاباً جاماً في هذا المعنى إلا مختصرات قد ذكر كل إنسان طرفاً منها، إلا ما ذكره ابن عقدة من رجال الصادق علیه السلام، فإنه قد بلغ الغاية في ذلك، ولم يذكر رجال باقي الأئمة علیهم السلام)).

وهو اعتراف وإقرار بعدم وجود مصادر جامعة لهذا الفن من التأليف بل

هي كتب مختصرة! فمن أين جاء بالأسماء التي ذكرها؟! وما أدرانا ما هو حجم
اجتهاده في التوثيق والتضييف لرواية عاشوا قبله بثلاثة قرون؟ وكيف يكون
إخباره عن هؤلاء هو شهادة حسّية وليست ظنّية اجتهادّية كما هو الواقع في
هكذا أمور؟!

على انه ذكر في رجاله ستة آلاف وأربعين مائة وتسعة وعشرين اسمًّا (٦٤٢٩)
منهم مائة وسبعين وخمسون (١٥٧) اسمًا كتب عنهم: أنّهم ثقات!! وضعف
ثلاثة وأربعين رجلاً وذكر مذاهب مائة وثمانية وعشرين رجلاً، وكتب عن
خمسين رجلاً بأنّهم: مجاهيل! وسكت عن الباقي!

الأصل الرابع:

(فهرست أسماء المصنّفين) أو ما أسموه (رجال النجاشي):

وهو كتاب (فهرست) للمصنّفين وليس للرجال إذ يقول الشيخ النجاشي

في مقدمته:

((أما بعد، فإني وقفت على ما ذكره السيد الشريف - أطال الله بقاءه وأدام توفيقه - من تعير قوم من مخالفينا أنه لا سلف لكم ولا مصنف. وهذا قول من لا علم له بالناس ولا وقف على أخبارهم، ولا عرف منازلهم وتاريخ أهل العلم، ولا لقي أحداً فيعرف منه، ولا حجة علينا لمن لم يعلم ولا عرف.

وقد جمعت من ذلك ما استطعته، ولم أبلغ غايتها، لعدم أكثر الكتب، وإنما ذكرت ذلك عذراً إلى من وقع إليه كتاب لم أذكره.))

وهنا لنا ملاحظتان:

الأولى: فالنجاشي يُقرّ هنا بان الكتاب ألف للتعرف على المصنّفين وأصحاب الكتب، لدفع التغيير عن الطائفة من قبل المخالفين.

الثانية: إنه يقول في سبب عدم استقصائه في الكتاب ((وقد جمعت من ذلك ما استطعته، ولم أبلغ غايتها، لعدم أكثر الكتب))

فأكثر الكتب التي تهم بذكر التصانيف أو الرجال - لو فرضنا ذلك جدلاً - معدومة في ذلك الزمان! وهذا يستلزم أمراً من أمرين:

أمّا: أن يكون الشيعة اهتموا جداً بكتب الرجال التي تصنف الرواية إلى ثقات وغيرهم ولكن هذه الكتب عُدِمت (كما يتراءى للبعض من عبارة النجاشي)
وإمّا: أنهم لم يهتمّوا أصلاً لذلك لكون الأمر لا يهم كثيراً فهم يررون الكتب
عن مصنفيها عن توادر بأصل الكتاب، وصحيحة مضمونه، وبالتالي فلا حاجة
لاتبع العامة بهذا تأليف!

وعلى الأمرين، فالكتب عُدِمت ولم يستطع النجاشي الاستقصاء إلى جميع ما
يريد!

وبالتالي فالرواة الذين ذكرهم النجاشي في فهرسته هم: الفان ومائتان وتسعة
وستون مصنفاً، (٢٢٦٩) تطرّق إلى توثيق خمسين وستة وخمسين رجلاً (٥٥٦)
فقط!

ومهما كان فكتاب النجاشي يظهر أنه لم يصل كما هو! بل زاد فيه، ولا نعلم
هل نقص منه أم لا؟! إذ أنه ترجم لرجل اسمه (محمد بن الحسن بن حمزة) وهذا
الرجل توفي عام ٤٦٣ هـ بينما تذكر كل المصادر أن النجاشي مات ٤٥٠ هـ! فمن
الذي زيد في الكتاب؟ وما مقدار ما زاده؟ ومن أعطاه الإذن؟ وهل هذا ثقة أم
ماذا؟

ولأهمية كتاب (الفهرست للنجاشي) لمن يريد أن يقعّد عليه علم الرجال
، بدلوه اسم الكتاب من (فهرست أسماء مصنفي الشيعة) إلى (رجال النجاشي)
منذ زمن ابن داود الحلي وهو زمن استيراد علم الرجال العامي إلى بيئتنا الشيعية

فناسب ذلك تغيير أسماء بعض الكتب ليقولوا لدينا كتب رجال كما عندهم
كتب رجال !.

وعلى أصل التأليف ملاحظة وهو ان النجاشي ألف هذا الفهرست بسبب
(تعيير جماعة من المخالفين للشيعة بأنه لا سلف لهم ولا مصنف) ^(١) ومنها
نعلم انه لم يهتم مثل غيره بأمر مصنف مستقل للثقات والضعاف كما هو
المصطلح الحديث المأْخوذ من العامة !.

لذا فالقاعدة التي بنوها لـ(علم الرجال) هي قاعدة ضعيفة جداً، وما بنوه
عليها فهو بناء مضطرب متهاوٍ، وكل هذا لأن أحد الفقهاء أعجبته طريقة العامة
فتبعهم، فتبعه من جاء بعده تقليداً!

يقول الشيخ الحر العاملی في ذلك:

((طريقة المتقدمين مباینة لطريقة العامة، والاصطلاح الجديد موافق لاعتقاد
ال العامة واصطلاحهم، بل هو مأْخوذ من كتبهم كما هو ظاهر بالتتبع وكما يفهم من
كلام الشيخ حسن وغيره.....الاصطلاح الجديد يستلزم تخطئه جميع الطائفة
المحقة في زمن الأئمة عليهم السلام، وفي زمن الغيبة كما ذكره المحقق في أصوله)) ^(٢)

وهم بعد ان أخذ العلّامة الحلبي هذا التصنيف الرباعي للحديث (صحيح،
حسن،موثق وضعيف) عن العامة بقرينين جاؤوا فأسندوه بكتب (درایة

(١) المصدر: دروس تمہیدیة فی القواعد الرجالیة - محمد باقر الایروانی - ص ٨٦ .

(٢) وسائل الشيعة - الحر العاملی - ج ٣٠ - ص ٢٥٩ .

الحادي) تبعاً للعامّة طبعاً! قال الحر العاملی وهو يتحدث عن الشهید الثانی:
(وهو أول من صنف من الإمامية في درایة الحديث، لكنه نقل الاصطلاحات
من كتب العامة، كما ذكره ولده وغيره)^(١)

لذلك وغيره ولما جاء المتأخرون ليشيدوا ما جاء به العلّامة الحلي وأستاذه
ابن طاووس كان بنيانهم (على شفا جرف هار)^(٢) !!

ولو أخذنا معجم رجال الحديث وهو الذي جمع فيه كل من ورد اسمهم في
كل كتب الشيعة الرجالية لوجدناه ذكر اسم حوالي خمسة عشر ألفاً وبسبعيناً
وستة رجال منهم أكثر من ثمانية آلاف مجهول!

لذا فهذا (العلم) لا ينضبط بحال، يقول الفيض الكاشاني ((فإن في الجرح
والتعديل وشرائطه اختلافات وتناقضات واستبهات لا تقاد ترتفع بها تطمئن
إليه النفوس كما لا يخفى على الخبر بها))^(٣).

ثم إن هذا العلم لو كانت به فائدة حقيقة لما تركها المتقدمون وهم الذين
يعملون تحت نظري المعموم وبتوجيهه، لذا حتى الشيخ الطوسي لم يعتمد على
ما كتبه من توثيق وتضعيف بل انه واصل اتباع طريقة المتقدمين في الاعتماد على
صحة الخبر المروي لا في سلامه الرواية من الجرح! يقول الشيخ الحر العاملی:
((...رئيس الطائفة - أي الشيخ الطوسي - في كتاب (الأخبار) وغيره من

(١) أمل الآمل - الحر العاملی - ج ١ - ص ٨٦ .

(٢) الوافي - الفيض الكاشاني (في المقدمة الثانية) - ص ٢٥ .

علمائنا إلى وقت حدوث الاصطلاح الجديد بل بعده كثيراً ما يطرحون الأحاديث الصحيحة عند المتأخرین ويعملون بأحادیث ضعيفة على اصطلاحهم، فلولا ما ذكرناه لما صدر ذلك منهم عادة، وكثیراً ما يعتمدون على طرق ضعيفة مع تکنهم من طرق أخرى صحيحة كما صرّح به صاحب المتنى وغيره، وذلك ظاهر في صحة تلك الأحادیث بوجوه آخر من غير اعتبار الأسناد، وداولٌ على خلاف الاصطلاح الجديد لما يأتي تحقیقه))^(۱).

ثم يحبب الشیخ الحر العاملی على أكثر الأسئلة إشغالاً للذهن للمتابع لطريقة عمل الشیخ الطوسي رحمه الله فيقول:

((فإن قلت: إن الشیخ كثیراً ما يضعف الحديث، معللاً بأن راویه ضعیف. وأیضاً یلزم کون البحث عن أحوال الرجال عبثاً، وهو خلاف إجماع المقدمین والمتأخرین بل النصوص عن الأئمة کثیرة في توثيق الرجال وتضعیفهم. قلت: أما تضعیف الشیخ بعض الأحادیث بضعف راویه فهو تضعیف غير حقيقی، ومثله کثير من تعليلاته كما أشار صاحب المتنی في بعض مباحثه، حيث قال: والشیخ مطالب بدليل ما ذکره إن كان یريد بالتعليق حقيقته وعدره.... وأیضاً فإنه يقول (أی الطوسي): هذا ضعیف لأن راویه فلان ضعیف، ثم نراه یعمل برواية ذلك الروای بعینه، بل برواية من هو أضعف منه في مواضع لا تخصی وكثیراً ما یُضعف الحديث بأنه مرسل ثم یستدل بالحديث المرسل، بل کثیراً

ما يعمل بالمراسيل وبرواية الضعفاء ورد المسند ورواية الثقات، وهو صريح في المعنى ومنها من نصّوا على مدحه وجلالته وإن لم يوثقوه مع كونه من أصحابنا.)^(١)

ومع كل هذا فهناك إشكالات لا تجد حلاً على مصطلحات أصحاب الأصول الأربع في الرجال، فليس هناك من يقف بقطع ويقين على مصطلحاتهم في الغلو والارتفاع وما الذي كان عندهم ميزاناً لاتهام الرواية بالغلو؟!

هل هو ميزان القميين، والذين كانوا يتبعون ذلك النوع من الروايات ونفي أصحابه من قم، وكم كان لهم صحيحة من الرواية في ذلك؟

أم هو ميزان غيرهم والذي هو مستوى أعلى بكثير من رواة قم، فكثير مما رواه الشيخ الكليني قد يكون بميزانهم من الغلو؟

والوصول إلى تعين المراد من الغالي والمرتفع قد انسد إلى الأبد وبقي الاجتهاد في ذلك قائماً على الحدس والتخيين والقرائن الشخصية والتي تختلف من (رجالي) إلى آخر بمقاييس شخصية لا تعتمد على قاعدة واضحة!.

اشكال على التنويع الرباعي للحديث:

يقول الشيخ البحرياني ((قد صرَّح شيخنا البهائي في كتاب مشرق الشمسين وقبله المحقق الشيخ حسن (أعلى الله رتبتهما) في مقدمات كتاب المتყى بما ملخصه: أن السبب - الداعي إلى تقرير هذا الاصطلاح في تنويع الحديث إلى الأنواع الأربعـة - هو أنه لما طالت المدة بينهم وبين الصدر الأول وبعدت عليهم الشقة وخفيت عليهم تلك القرائن التي أوجبت صحة الأخبار عن المتقدمين. وضاق عليهم ما كان متسعـاً على غيرهم. التجأوا إلى العمل بالظن بعد فقد العلم. لكونه أقرب مجازاً إلى الحقيقة عند تعذرها، وبسبب التباس الأخبار غثـها بسمينها وصحيحـها بسقـيمها التجأوا إلى هذا الاصطلاح الجديد. وقربـوا لنا البعـيد، ونوعـوا الحديث إلى الأنواع الأربعـة. وزاد في كتاب مشرق الشمسين: أنهم ربما سلكـوا طرـيقـةـ الـقـدـمـاءـ فيـ بـعـضـ الـأـحـيـانـ،ـ ثـمـ عـدـ (قدس سرهـ)ـ مواضعـ منـ ذـلـكـ.ـ هـذـاـ خـلاـصـةـ مـاـ ذـكـرـواـ فـيـ تـعـلـيلـ ذـلـكـ.ـ وـنـحـنـ نـقـولـ:ـ لـنـاـ عـلـىـ بـطـلـانـ هـذـاـ الـاصـطـلاحـ وـصـحـةـ أـخـبـارـنـاـ وـجـوهـ.

(الأول) ما قد عرفت في المقدمة الأولى من أن منشأ الاختلاف في أخبارنا إنما هو التقية من ذوي الخلاف لا من دس الأخبار المكذوبة حتى يحتاج إلى هذا الاصطلاح. على أنه متى كان السبب الداعي إنما هو دس الأحاديث المكذوبة كما توهـموهـ (رضوان الله عليهمـ)ـ فـيـهـ أـنـهـ لـاـ ضـرـورـةـ تـلـجـيـءـ إـلـىـ اـصـطـلاـحـهـمـ،ـ لـأـنـهـ عـلـىـ اللـهـ قـدـ أـمـرـوـنـاـ بـعـرـضـ مـاـ شـكـ فـيـهـ مـنـ أـخـبـارـ عـلـىـ الـكـتـابـ وـالـسـنـةـ فـيـؤـخـذـ بـهـ وـافـقـهـمـ،ـ وـيـطـرـحـ مـاـ خـالـفـهـمـ،ـ فـالـوـاجـبـ فـيـ تـميـزـ الـخـبـرـ الصـادـقـ مـنـ

الكاذب مراعاة ذلك، وفيه غنية عما تكلفوه، ولا ريب أن اتباع الأئمة عليهم السلام أولى من اتباعهم.

(الثاني) أن التوثيق والجرح الذي بنوا عليه تنويع الأخبار إنما أخذوه من كلام القدماء، وكذلك الأخبار التي رويت في أحوال الرواية من المدح والذم إنما أخذوها عنهم، فإذا اعتمدوا عليهم في مثل ذلك فكيف لا يعتمدون عليهم في تصحيح ما صاحبوه من الأخبار واعتمدوه وضمنوا صحته كما صرّح به جملة منهم، كما لا يخفى على من لاحظ ديباجتي الكافي والفقير وكلام الشيخ في العدة وكتابي الأخبار فإن كانوا ثقلاً عدولًا في الأخبار بما أخبروا به ففي الجميع، وإنما فالواجب تحصيل الجرح والتعديل من غير كتبهم وأنما لهم به؟!

(لا يقال إن أخبارهم بصحة ما رواه في كتبهم يتحمل الحمل على الظن القوي باستفاضة أو شياع أو شهرة معتمد بها أو قرينة أو نحو ذلك مما يخرجه عن محوضة الظن (لأننا نقول) فيه (أولاً) إن أصحاب هذا الاصطلاح مصرّون بكون مفاد الأخبار عند المتقدمين هو القطع واليقين وأنهم إنما عدلوا عنه إلى الظن لعدم تيسر ذلك لهم كما صرّح به في المتقدى ومشرق الشمسين.

(وأما ثانياً) فلما تضمنته تلك العبارات مما هو صريح في صحة الأخبار بمعنى القطع واليقين بثبوتها عن المعصومين (فإن قيل) تصحيح ما حكموا بصحته أمر اجتهادي لا يجب تقليلهم فيه، ونقلهم المدح والذم روایة يعتمد عليهم فيها (قلنا) فيه أن أخبارهم تكون الرواية ثقة أو كذابة أو نحو ذلك إنما هو أمر

اجتهادي استفادوه بالقرائن المطلعة على أحواله أيضاً.

(الثالث) - تصريح جملة - من العلماء الأعلام وأساطير الإسلام ومن هم المعتمد في النقض والابرام من متقدمي الأصحاب ومن متأخرتهم الذين هم أصحاب هذا الاصطلاح أيضاً - بصحة هذه الأخبار وثبوتها عن الأنئمة الأبرار، لكننا نقتصر على ما ذكره أرباب هذا الاصطلاح في المقام. فإنه أقوى حجة في مقام النقض والالزام.

فمن ذلك ما صرَّح به شيخنا الشهيد (نور الله مضجعه) في الذكرى في الاستدلال على وجوب اتباع مذهب الإمامية، حيث قال ما حاصله: أنه كتب من أوجوبة مسائل أبي عبد الله عليه السلام أربعينية مصنف لأربعينية مصنف. ودون من رجاله المعروفيين أربعة آلاف رجل من أهل العراق والنجاشي وخراسان والشام. وكذلك عن مولانا الباقر عليه السلام، ورجال باقي الأنئمة عليهم السلام معروفون مشهورون أولو مصنفات مشتهرة، فالإنصاف يقتضي الجزم بنسبة ما نقل عنهم إليهم، إلى أن قال بعد عدد جملة من كتب الأخبار وغيرها مما يطول تعداده بالأسناد الصحيحة المتصلة المتقدمة والحسان والقوية: فالإنكار بعد ذلك مكابرة محضة وتعصب صرف. ثم قال: (لا يقال) فمن أين وقع الاختلاف العظيم بين فقهاء الإمامية إذا كان نقلهم عن المعصومين عليهم السلام وفتواهم عن المطهرين عليهم السلام؟

(لأننا نقول) محل الخلاف أما من المسائل المخصوصة أو ما فرَّعَه العلماء، والسبب في الثاني اختلاف الأنظار ومبادئها كما هو بين سائر علماء الأمة،

وأما الأول فسيبيه اختلاف الروايات ظاهرا، وقلما يوجد فيها التناقض بجميع شروطه، وقد كانت الأئمة عليهم السلام في زمن تقية واستثار من مخالفتهم، فكثيرا ما يحييون السائل على وفق معتقده أو معتقد بعض الحاضرين أو بعض من عساه يصل إليه من المناوئين، أو يكون عاما مقصورا على سببه أو قضية في واقعة مختصة بها أو اشتباها على بعض النقلة عنهم أو عن الوسائل بيننا وبينهم عليهم السلام. انتهى.
ولعمري إنه كلام نفيس يستحق أن يكتب بالنور على وجنات الحور، ويجب أن يسطر ولو بالخناجر على الخناجر.

فانظر إلى تصريحه بل جزمه بصحة تلك الروايات التي تضمنتها هذه الكتب التي بأيدينا، وخلصه من الاختلاف الواقع بين الأخبار بوجوه تنفي احتمال تطرق دخول الأحاديث الكاذبة في أخبارنا.

ومن ذلك ما صرحت به شيخنا الشهيد الثاني (أعلى الله تعالى رتبته) في شرح الدرائية، حيث قال:

كان قد استقر أمر الإمامية على أربعمائة مصنف سموها أصولاً فكان عليها اعتقادهم، تداعت الحال إلى ذهاب معظم تلك الأصول، ولخصها جماعة في كتب خاصة تقريرياً على المتناول. وأحسن ما جمع منها: (الكافي. والتهديب. والاستبصار. ومن لا يحضره الفقيه).

فانظر إلى شهادته (قدس سره) تكون أحاديث كتبنا هي أحاديث تلك الأصول بعينها وحينئذ فالطاعن في هذه كالطاعن في تلك الأصول. ثم إن الظاهر أن تخصيصه هذه الكتب الأربعية بالأحسنية إنما هو من حيث اشتراها على أبواب الفقه كمّلا على الترتيب بخلاف غيرها من كتب الأخبار كما لا يخفى على من جاس خلال تلك الديار. ولا يتوجه - من ظاهر قوله: تداعت الحال إلى ذهاب معظم تلك الأصول ولخضها إلى آخره - أن تلخيص تلك الجماعة لها إنما وقع بعد ذهاب معظمها، فإن ذلك باطل:

(أما أولاً) فلأن التلخيص وقع عطفه في كلامه بالواو، دون - ثم - المفيدة للترتيب.

وأما (ثانياً) فلأن الظاهر - كما صرّح به بعض فضلائنا - أن أضمحلال تلك الأصول إنما وقع بسبب الاستغناء عنها بهذه الكتب التي دونها أصحاب الأخبار، لكونها أحسن منها جمعا وأسهل تناولا. وإنما فلتلك الأصول قد بقيت إلى زمن ابن طاووس (رضي الله عنه). كما ذكر أن أكثر تلك الكتب كان عنده ونقل منها شيئاً كثيراً كما يشهد به تبع مصنفاته. وبذلك يشهد كلام ابن إدريس في آخر كتاب السرائر. حيث إنه نقل ما استطرفه من جملة منها شطراً وافراً من الأخبار. وبالجملة: فاشتهر تلك الأصول في زمن أولئك الفحول لا ينكره إلا معاند جهول.

ومن ذلك ما صرَّح به المحقق الشیخ حسن ابن شیخنا الشهید الثاني. حيث
قال في بحث الإجازة من (المعالم) ما صورته:

((أن أثر الإجازة بالنسبة إلى العمل إنما يظهر حيث لا يكون متعلقةً بها معلوماً
بالتواتر ونحوه ككتب أخبارنا، فإنها متواترة أجمالاً، والعلم بصحة مضامينها
تفصيلاً يستفاد من قرائين الأحوال ولا مدخل للإجازة فيه غالباً)).

ومن ذلك ما صرَّح به شیخنا البهائی (نور الله مضجعه) في وجیزته، حيث
قال:

((جميع أحاديثنا - إلا ما نذر - ينتهي إلى أئمتنا الاثني عشر عليهم السلام وهم ينتهون
فيها إلى النبي صلوات الله عليه وآله إلى أن قال: وكان قد جمع قدماء محدثينا ما وصل إليهم من كلام
أئمتنا عليهم السلام في أربعينات كتاب تسمى (الأصول) ثم تصدى جماعة من المتأخرین
(شكر الله سعيهم) لجمع تلك الكتب وترتيبها تقليلًا للانتشار وتسهيلًا
على طالبي تلك الأخبار، فألفوا كتبًا مضبوطة مهذبة مشتملة على الأنساد
المتعلقة بأصحاب العصمة عليهم السلام كالكافی، ومن لا يحضره الفقيه، والتهدیب،
والاستبصار. ومدينة العلم، والخصال. والأمالي، وعيون الأخبار، وغيرها)).

هذا ما حضرني من كلامهم (نور الله مراراً لهم)، وأما كلام المتقدمين،
كالصدقوق في الفقيه، وثقة الإسلام في الكافي، والشيخ الطوسي في جملة من
مؤلفاته. وعلم الهدى وغيرهم من نقلنا كلامهم في غير هذا الكتاب، فهو ظاهر
البيان ساطع البرهان في هذا الشأن.

(الرابع) - إنه لو تم ما ذكروه وصح ما قرروه للزم فساد الشريعة وابطال الدين، لأنه متى اقتصر في العمل على هذا القسم الصحيح أو مع الحسن خاصة أو بإضافة الموثق أيضاً ورمي بقسم الضعيف باصطلاحهم من بين الحال أن جل الأخبار من هذا القسم كما لا يخفى على من طالع كتاب الكافي أصولاً وفروعاً وكذا غيره من سائر كتب الأخبار وسائر الكتب الخالية من الأسناد. لزم ما ذكرنا وتوجه ما طعن به علينا العامة من أن جل أحاديث شريعتنا مكذوبة مزورة، ولذا ترى شيخنا الشهيد في الذكرى كيف تخلص من ذلك بما قدمنا نقله عنه دفعاً لما طعنوا به علينا ونسبوه إلينا.

ولله در المحقق (ره) في المعتبر حيث قال:

((أفرط الحشوية في العمل بخبر الواحد حتى انقادوا لكل خبر وما فطنوا إلى ما تحته من التناقض. فإن من جملة الأخبار قول النبي ﷺ: «ستكثرون بعدى القالة إلى أن قال: واقتصر بعض على هذا الافتراض فقال: كل سليم السندي يعمل به. وما علم أن الكاذب قد يصدق والفاشق قد يصدق ولم ينتبه أن ذلك طعن في علماء الشيعة وقدح في المذهب. إذ لا مصنف إلا وهو يعمل بخبر المجروح كما يعمل بخبر العدل، إلى أن قال: وكل هذه الأقوال منحرفة عن السنن، والتوسط أقرب، فما قبله الأصحاب أو دلت القرائن على صحته عمل به وما أعرض الأصحاب عنه أو شذ يجب اطرافه)). انتهى.

وهو قوي متين بل جوهر ثمرين.

(الخامس) – أن ما اعتمدوه من ذلك الاصطلاح غير منضبط القواعد والبنيان ولا مشيد الجوانب والأركان:

(أما أولاً) فلابعد لهم في التمييز بين أسماء الرواة المشتركة على الأوصاف والألقاب والنسب والراوي والمروي عنه ونحوها، ولم لا يجوز اشتراك هذه الأشياء؟ وذلك، لأن الرواية عنهم عليهم السلام ليسوا مخصوصين في عدد مخصوص ولا في بلدة واحدة. وقد نقل الشيخ المفيد (ره) في ارشاده:

أن الذين رروا عن الصادق عليه السلام خاصة من الثقات على اختلافهم في الآراء والمقالات كانوا أربعة آلاف رجل. ونحو ذلك ذكر ابن شهرآشوب في كتاب معالم العلماء. والطبرسي في كتاب إعلام الورى، والجميع قد وصفوا هؤلاء الأربعة آلاف بالتوثيق وهو مؤيد لما ادعيناوه مشيد لما أنسناه، فإذا كان هؤلاء الرواة عن الصادق عليه السلام خاصة فما بالك بالرواة عن الباهر إلى العسكري عليه السلام؟ فأين تأثير القرائن في هذه الأعداد؟ وأين الوصول إلى تشخيص المطلوب منها والمراد؟ (وأما ثانياً) فلأن مبني تصحيح الحديث عندهم على نقل توثيق رجاله في أحد كتب المتقدمين. ككتاب الكشي. والنجاشي. والفهرست، والخلاصة. ونحوها، نظراً إلى أن نقلهم ذلك شهادة منهم بالتوثيق، حتى أن المحقق الشيخ حسن في كتاب المتقدى لم يكتف في تعديل الراوي بنقل واحد من هؤلاء بل أوجب في تصحيح نقل اثنين منهم لعدالة الراوي، نظراً إلى أنها شهادة فلا يكفي

فيها الواحد. وأنت خبير بما بين مصنفي تلك الكتب وبين رواة الأخبار من المدة والأزمنة المتطاولة فكيف اطلعوا على أحوالهم الموجب للشهادة بالعدالة أو الفسق؟ والاطلاع على ذلك - بنقل ناقل أو شهرة أو قرينة حال أو ذلك كما هو معتمد مصنفي تلك الكتب في الواقع - لا يسمى شهادة.

وهم قد اعتمدوا على ذلك وسموه شهادة، وهب أن ذلك كاف في الشهادة، لكن لا بد في العمل بالشهادة من السماع من الشاهد لا بمجرد نقله في كتابه، فإنه لا يكفي في كونه شهادة، هب أنا سلمنا الاكتفاء به في ذلك، فما الفرق بين هذا النقل في هذه الكتب وبين نقل أولئك - الأجلاء الذين هم أساطير المذهب - صحة كتبهم وأنها مأخوذة عن الصادقين عليهم السلام؟ فيعتمد عليهم في أحدهما دون الآخر.

(وما ثالثا) فلمخالفتهم أنفسهم فيما قرروه من ذلك الاصطلاح فحكموا بصحة أحاديث هي باصطلاحهم ضعيفة كمراسيل ابن أبي عمير، وصفوان بن يحيى، وغيرهما. زعموا منهم أن هؤلاء لا يرسلون ألا عن ثقة. ومثل أحاديث جملة من مشايخ الإجازة لم يذكروا في كتب الرجال بمدح ولا قدح. مثل أحمد بن محمد بن الحسن بن الوليد، وأحمد بن محمد بن يحيى العطار، والحسين بن الحسن بن أبان، وأبي الحسين ابن أبي جيد. وأضرابهم. زعموا منهم أن هؤلاء مشايخ الإجازة وهم مستغنو عن التوثيق. وأمثال ذلك كثير يظهر للمتبع.

(وأما رابعا) فلا ضطراب كلامهم في الجرح والتعديل على وجه لا يقبل الجمع والتأويل، فترى الواحد منهم يخالف نفسه فضلاً عن غيره. فهذا يقدم الجرح على التعديل، وهذا يقول لا يقدم إلا مع عدم إمكان الجمع، وهذا يقدم النجاشي على الشيخ، وهذا ينazuعه ويطالبه بالدليل. وبالجملة: فالخائض في الفن يجزم بصححة ما ادعيناه، والبناء من أصله لما كان على غير أساس كثر الانتقاد فيه والالتباس.

(السادس) - أن أصحاب هذا الاصطلاح قد اتفقوا على أن مورد التقسيم إلى الأنواع الأربع إنما هو خبر الواحد العاري عن القراءن. وقد عرفت. - من كلام أولئك الفضلاء المتقدم نقل كلامهم، وبذلك صرخ غيرهم أيضاً - أن أخبار كتبنا المشهورة محفوفة بالقراءن الدالة على صحتها. وحينئذ يظهر عدم وجود مورد التقسيم المذكور في أخبار هذه الكتب. وقد ذكر صاحب المتنقي: أن أكثر أنواع الحديث المذكورة في دراية الحديث بين المؤخرین من مستخرجات العامة بعد وقوع معانیها في أحادیثهم وأنه لا وجود لأکثرها في أحادیثنا. وأنت إذا تأمّلت بعين الحق واليقين وجدت التقسيم المذكور من هذا القبيل. إلى غير ذلك من الوجوه التي أنهيناها في كتاب المسائل إلى اثنی عشر وجهاً، وطالب الحق المنصف تکفیه الإشارة والمکابر المتعسف لا يتتفع ولو بألف عباره.)^(١)

وهو كلام شاف کاف لمن ينتفع !

(١) الحدائق الناضرة في فقه العترة الطاهرة - يوسف البحرياني - ج ١ - ص ١٦.

ولو تنزلنا وقبلنا بما جاء به المتأخرن لقبول الرواية من اشتراط صفات
الراوي من العدالة والوثاقة وغيرها، والاعتماد في ذلك على شهادة الشيخ
الطوسي والشيخ النجاشي بالعدالة والوثاقة، فهل بين الشيخ الطوسي ما معنى
العدالة عنده؟ وهل هي نفسها ما يشترطه الفقيه المجتهد في تعريفها حتى يعتمد
وتكون تعديلات الشيخ الطوسي - مثلاً - معتمدة عنده؟

وما معنى العدالة عند النجاشي وهل هم يعلمون مبناه في العدالة حتى
يواافقوه في تعديل راوٍ معين؟

وخيراً ما فعل السيد كمال الحيدري في درسه فهو قد انصف كثيراً في هذا
الجانب، إذ يقول وهو في صدد الإشكال على الاستناد لهذه الكتب الأربع:

((...لأن التوثيق والتضعيف الجرح والتعديل لا بد أن يكون من عالم بالجرح
والتعديل حسّاً أو ما يقرب من الحسّ أما إذا كان اجتهاداً بعد له قيمة أو ليست
له قيمة؟ بعد يكون من قبيل العلامة وأبن داود والبرقي متأخرین، سؤال بينكم
وبين الله الذي يعيش في القرن الرابع والخامس الهجري كالشيخ الطوسي ويريد
أن يوثق أو يضعف أصحاب أمير المؤمنين الذين هم في القرن الأول أو ي يريد
أن يضعف ويوثق أصحاب الإمام الباقر والصادق الذي هو في القرن الثاني أو
يريد أن يضعف ويوثق أصحاب الإمام الرضا وبعد ذلك في القرن الثالث هذه
الشهادات شهادات حسية أو اجتهادية إلا أن يذكر كيف حصل أنت الآن تريد
أن تشهد على علماء سبقوك بأربعة قرون هذه شهادة حسية أو شهادة اجتهادية؟
اجتهادية هذه إذاً لها قيمة أو ليس لها قيمة؟ واقعاً الذين يريدون الاعتماد على

هذه الأصول الرجالية الأربع لابد أن يحلوا هذه الإشكالية لابد أن يجدوا طریقاً للدفع هذه الإشكالية .)^(١)

بل أن المتأخرین و منهم السيد الخوئي رحمة الله ولما بالغوا في اتباع (علم الرجال) تراهم يتتعجبون من الحديث الضعيف حتى عندما يتحقق حسناً أمامهم !! وما ذلك إلا للاتكال عليه بالكللية كما هو الأمر عند غيرنا شبرا بشبر ! يقول السيد مهدي زین العابدین في كتابه (بيان الأئمة) وهو ينقل كلامه مع السيد الخوئي عن أخبار واردة عن المعصومين تُخبر غبياً عن أحداث تشابه جداً ما حدث في أوائل السبعينيات من القرن العشرين وقضية تسفير طلبة الحوزة النجفية، إذ أنه ينسب للسيد الخوئي قوله ((العجب من أخبار أسنادها غير معلومة وهي تقع وتحقق في الخارج))^(٢) فالمفترض أن الخبر لو تحقق خارجاً فلا عجب منه وهذا قطع بصحة مضمونه، ولكن السيد الخوئي يتتعجب من هذه الأخبار ! مع أنه أقر بأنها هي التي تتحدث عن الوضع القائم آنذاك وما هذا إلا لكونها ((أخبار غير معلومة الأسناد))!!.

بل ومن غرائب السيد الخوئي انه يقول ((ان الكتب الاربعة خالية من هذه الروايات - المخالفة للكتاب - الا الشاذ النادر.... قد يوجد))^(٣)

(١) مفاتيح عملية الاستنباط - كمال الحيدري - درس ٣٧٧ .

(٢) بيان الأئمة - مهدي زین العابدین - الطبعة الأولى - ج ٢ - ص ٤٧٦ .

(٣) <https://www.youtube.com/watch?v=GW6YkSJp5EE> / مقطع بصوت السيد الخوئي من درس البحث الخارج على هذا الرابط .

لكن هناك من ينقل عنه بشكل مباشر انه يرفض ثلاثة ارباع محتويات الكافي !
يقول السيد محمد حسن الكشميري ((وقد سمعت أنا من الإمام الخوئي مباشرة
قبل أربعين عاماً إنه يرفض ثلاثة أرباع محتويات الكافي))^(١)

بل إن كثيرا منهم خبطوا خبط عشواء في بحوثهم السنديه والرجالية،
ولو رجعت الى بحوثهم في تحقيق المطالب الرجالية لوجدت ((إن جمّعاً من
الاصحاب توهّموا القطع في أخبار كثيرة ليست بمقطوعة، فربما اتفق وصف
بعضها بالصحة في كلام من لم يشاركهم في توهّم القطع ورأى ذلك من لم
يتغطّن للوجه فحسبه اصطلاحاً واستعمله على غير وجهه))^(٢) والظاهر أن
هذا الخبط والخلط والنقض والإبرام الذي سودوا فيه الكثير من الكتب بشأن
الأسناد ومعضلاتها وعللها ما هي إلا جوه من ترف فكري ترفل به المدارس
الدينية ! والسبب الأكبر في هذه التوهّمات والتمحّلات هو ((فقد الممارسة))^(٣)
بالاطلاع على طريقة المتقدمين !

واتباع العامة في المنهج العلمي المتبّع في الوصول الى الاحكام الشرعية لا
يخفى على ذي حجى ، انظر ما يقوله الشيخ البحرياني في قضية الاجماع ، وكيف أن
فقهاء الشيعة اتّبعوا المخالفين في هذه المسألة ابتداء من القرن السابع :

(١) ستون سؤالاً - حسن الكشميري - ص ١٢ .

(٢) مُتنقى الجمان في الأحاديث الصحاح والحسان - الحسن بن زين الدين العاملی - المقدمة .

(٣) مُتنقى الجمان في الأحاديث الصحاح والحسان - الحسن بن زين الدين العاملی - المقدمة / بمراجعة
لقدمة الشيخ حسن لكتابه (مُتنقى الجمان) تقف على حجم التوهّمات الشنيعة من قبل دارسي الأسناد ! .

((...) وبالجملة: فإنه لا شبهة ولا ريب في أنه لا مستند لهذا الاجماع من كتاب ولا سنة. وإنما يجري ذلك على مذاق العامة ومخترعاتهم، ولكن جملة من أصحابنا قد تبعوهم فيه غفلة، كما جروا على جملة من أصو لهم في موضع عديدة مع مخالفتهم لما هو المستفاد من الأخبار))^(١)

وهذا هو الامر! فجملة من الفقهاء تبعوا فقهاء العامة غفلة! فتبعتهم الطائفة الى اليوم تقليداً واقتفاء لأثرهم بلا نقاش!

ومن جملة ما تبع فقهاؤنا به المخالفين هي أسباب الاختلاف الواقع بين الاخبار، فالمناخ المعصومي الذي استمر منذ العام الأول للهجرة الى العام التاسع والعشرين بعد القرن الثالث للهجرة (بشكل مباشر أو غير مباشر) ترك لدى الشيعة موروثاً ضخماً كافياً من الحديث مبسوط في كتب ألفها أصحاب المعصومين تحت أنظارهم عليه السلام، وكانت تلكم الكتب تميّز وتغربل كلما مررت على الشيعة شبهة الدس والتحريف، أما الذي حصل عند غيرنا فإن سلاطينهم منعوا كتابة السنة منذ اليوم الأول لحكم أبي بكر بن أبي قحافة وذلك بأمر عمر ابن الخطاب ثم انتشر الغث بالسمين عندهم طوال قرن من الزمان حتى بدأوا بكتابه الحديث في بداية القرن الثاني الهجري، وهنا وجدوا التناقض الكبير الذي لا يمكن ان يتطرق الى الكتب! فبدأوا باختراع القواعد والأساليب لغرض تأليف كتب متناسبة بنسبة ما تحجّل لأصحابها حظوة عند السلاطين من جهة والناس

من جهة أخرى، فاخترعوا علم الرجال والأصول وقواعد الدرائية وغيرها.

نعم، هناك اختلاف في الحديث الموروث عن المعصومين عليهم السلام، وهذا الاختلاف لم يخرج عن دسٌّ وتحريف بل عن المعصومين أنفسهم ويتعمّد منهم!. وذلك للإبقاء على أصحابهم من سطوة السلاطين وأعوانهم من الفقهاء الضالّين، وهذا ما ورد في العديد من الأخبار منها:

ما ورد عن زراة في سؤاله للإمام الباقر عليه السلام قال:

((سألته عن مسألة فأجابني، ثم جاءه رجل فسأله عنها فأجابه بخلاف ما أجابني، ثم جاء رجل آخر فأجابه بخلاف ما أجابني وأجاب صاحبي، فلما خرج الرجال قلت: يا ابن رسول الله رجالان من أهل العراق من شيعتكم قدماً يسألان، فأجبت كل واحد منها بغير ما أجبت به صاحبه؟

فقال: يا زراة إن هذا خير لنا وأبقى لكم. ولو اجتمعتم على أمر واحد لصدقكم الناس علينا ولكن أقل لبقائنا وبقاءكم. قال: ثم قلت لأبي عبد الله عليه السلام: شيعتكم لو حملتموهم على الأسنة أو على النار لمضوا وهم يخرجون من عندكم مختلفين؟! قال: فأجابني بمثل جواب أبيه))^(١).

وعن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن القنوت فقال: فيما يجهر فيه بالقراءة.

قال: فقلت له: إني سألت أباك عن ذلك فقال: في الخمس كلها.

قال: رحم الله أبي إن أصحاب أبي أتوه فسألوه فأخبرهم بالحق، ثم أتوني شُكاكا فأفتيتهم بالحقيقة! ^(١).

وعن أبي خديجة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال:

((سأله إنسان وأنا حاضر، فقال: ربما دخلت المسجد وبعض أصحابنا يصلّي العصر، وبعضهم يصلّي الظهر؟

قال: أنا أمرتهم بهذا، لو صلّوا على وقت واحد لعرفوا فأنخذلوا برقابهم)). ^(٢).

وفي لفظ آخر يقول الإمام عليه السلام: ((أنا خالفت بينهم)). ^(٣).

وما رواه في (الاحتجاج) بسنده فيه عن حريز عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: إنه ليس شيء أشدّ على من اختلاف أصحابنا!

قال: ذلك من قبلـي)). ^(٤).

وما رواه في كتاب معاني الأخبار عن الخزاز عن حدثه عن أبي الحسن عليه السلام قال: ((اختلاف أصحابي لكم رحمة وقال عليه السلام: إذا كان ذلك: جمعتكم على أمر واحد))). ^(٥)

(١) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - ج ٣ - ص ٣٣٩.

(٢) تهذيب الأحكام - محمد بن الحسن الطوسي - ج ٢ - ص ٢٥٢.

(٣) الأصول الأصيلة - الفيض الكاشاني - ص ١٠٢.

(٤) علل الشرائع - محمد بن علي بن الحسين الصدوق - ج ٢ - ص ٣٩٥.

(٥) علل الشرائع - محمد بن علي بن الحسين الصدوق - ج ٢ - ص ٣٩٥.

وما رواه في الكافي بسنده فيه عن موسى بن أشيم قال:

كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فسألته رجل عن آية من كتاب الله عز وجل فأخبره بها، ثم دخل عليه داخل فسألته عن تلك الآية فأخبره بخلاف ما أخبر به الأول. فدخلني من ذلك ما شاء الله، إلى أن قال: فيبينما أنا كذلك إذ دخل عليه آخر فسأله عن تلك الآية فأخبره بخلاف ما أخبرني وأخبر صاحبي. فسكنت نفسي وعملت أن ذلك منه تقية. قال: ثم التفت إلى فقال:

يا ابن أشيم إن الله عز وجل فوض إلى سليمان بن داود فقال: هذا عطاونا فامن أو امسك بغير حساب. وفَوَّضَ إِلَى نَبِيِّهِ عليه السلام فَقَالَ: ﴿وَمَا أَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (من سورة الحشر ٧). فما فَوَّضَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ عليه السلام فقد فَوَّضَهُ إِلَيْنَا ^(١).

لذا فمن تفويضهم الذي ورثوه عن جدهم عليه الصلاة والسلام أن لهم ان يحيوا بما ارادوا في الوقت الذي يريدون، ولمن يريدون، ولمجرد ان يروا المصلحة في ذلك، وهذا لهم وليس لغيرهم! لذلك أكثر أهل البيت عليهم السلام من التوصية بالتقية، ومن جعل التقية مائزاً لترجيح الأخبار المختلفة بين بعضها.

يقول الشيخ يوسف البحرياني رحمه الله:

((ولعلك بمعونة ذلك تعلم أن الترجيح بين الأخبار بالتقية - بعد العرض على الكتاب العزيز - أقوى المرجحات. فإن جل الاختلاف الواقع في أخبارنا بل كله عند التأمل والتحقيق إنما نشأ من التقية ومن هنا دخلت الشبهة على جمهور متأخرى أصحابنا رضوان الله عليهم، فظنوا أن هذا الاختلاف إنما نشأ من دس أخبار الكذب في أخبارنا، فوضعوا هذا الاصطلاح ليميزوا به صحيحها عن سقيمها وغثها من سميئها، وقوى الشبهة فيما ذهبوا إليه شيئاً: (أحدهما) رواية مخالف المذهب وظاهر الفسق والمشهور بالكذب من فطحي وواقفي وزيدى وعامي وكذاب وغال ونحوهم. و (ثانهما) ما ورد عنهم عليهم السلام من أن لكل رجل ميناً يكذب عليه وأمثاله مما يدل على دس بعض الأخبار الكاذبة في أحاديثهم عليهم السلام، ولم يتفطنوا نور الله ضرائجهم إلى أن هذه الأحاديث التي بأيدينا إنما وصلت بعد أن سهرت العيون في تصحيحها وذابت الأبدان في تنقيتها، وقطعوا في تحصيلها من معادنها البلدان، وهجروا في تنقيتها الأولاد والنسوان، كما لا يخفى على من تتبع السير والأخبار، وطالع الكتب المدونة في تلك الآثار، فإن المستفاد منها - على وجه لا يزاحمه الريب ولا يداخله القدر والعيب - أنه كان دأب قدماء أصحابنا المعاصرين لهم عليهم السلام إلى وقت المحمدين الثلاثة في مدة تزيد على ثلاثة عشر سنة ضبط الأحاديث وتدوينها في مجالس الأئمة، والمسارعة إلى إثبات ما يسمعونه خوفاً من تطرق السهو والنسيان، وعرض ذلك عليهم، وقد صنفوا تلك الأصول الأربع المنشورة المنقوله

كلها من أجوبتهم عليهم السلام وأنهم ما كانوا يستحلون رواية ما لم يجزموا بصحته، وقد روی أنه عرض على الصادق عليه السلام كتاب عبید الله بن علي الحلبی فاستحسنـه وصححـه، وعلى العسکری عليه السلام كتاب یونس بن عبد الرحمن وكتاب الفضل بن شاذان فأثـنـى عليهـما، و كانوا عليهم السلام يوـقـفـونـ شـيـعـتـهـمـ علىـ أحـوـالـ أوـلـئـكـ الـكـذـابـينـ، ويـأـمـرـونـهـمـ بـمـجـانـبـتـهـمـ، وـعـرـضـ ماـ يـرـدـ منـ جـهـتـهـمـ عـلـىـ الـكـتـابـ الـعـزـيزـ وـالـسـنـةـ النـبـوـيـةـ وـتـرـكـ ماـ خـالـفـهـمـاـ).)^(١)

فعيون الماء التي أجرـاـهاـ الـائـمـةـ عليـهمـ السـلـامـ سـلـسـبـيلـاـ، معـيـناـ، زـلاـلاـ، لاـ يـنـقـطـعـ مـأـوـهـاـ، وـلـاـ يـغـورـ حـتـىـ بـغـيـتـهـمـ - إـذـاـ بـقـيـنـاـ عـلـىـ اـمـرـهـمـ لـحـينـ ظـهـورـهـمـ عليـهمـ السـلـامـ - يـقـولـ المـعـصـومـ ((وـلـاـ سـوـاءـ حـيـثـ ذـهـبـ النـاسـ إـلـىـ عـيـونـ كـدـرـةـ يـفـرـغـ بـعـضـهـاـ فـيـ بـعـضـ وـذـهـبـ مـنـ ذـهـبـ إـلـىـ عـيـونـ صـافـيـةـ تـجـريـ بـأـمـرـ رـبـهـ لـاـ نـفـادـ هـاـ وـلـاـ اـنـقـطـاعـ))^(٢)

فـهـذـهـ الـعـيـونـ الـكـدـرـةـ الـتـيـ أـخـذـنـاـ مـنـهـاـ تـسـبـيـتـ لـنـاـ بـ(ـمـذـبـحةـ الـحـدـيـثـ)ـ!ـ فـمـاـ اـضـطـرـ فـقـهـاءـ الـضـلـالـ عـنـ الـعـامـةـ لـاـخـتـرـاعـ الـطـرـقـ لـتـصـفـيـةـ وـغـرـبـلـةـ الـحـدـيـثـ لـاـ يـمـتـ لـنـاـ بـصـلـةـ!ـ فـهـوـ نـتـاجـ مـنـاخـهـمـ الـذـيـ يـخـتـلـفـ جـذـرـيـاـ عـنـ مـنـاخـ بـيـئـةـ الـمـعـصـومـينـ وـشـيـعـتـهـمـ.

لـذـاـ، فـحـيـنـاـ طـبـقـواـ قـوـاـدـ الـعـامـةـ فـيـ مـنـاخـنـاـ الـحـدـيـثـيـ جـرـىـ مـاـ جـرـىـ مـنـ تـغـيرـ طـرـيقـتـهـمـ عليـهمـ السـلـامـ إـلـىـ الـيـوـمـ!

(١) الحـدـائقـ النـاضـرـةـ فـيـ فـقـهـ الـعـتـرـةـ الطـاهـرـةـ - يـوسـفـ الـبـحـرـانـيـ - جـ ١ـ - صـ ٩ـ.

(٢) الـكـافـيـ - مـحـمـدـ بـنـ يـعقوـبـ الـكـلـيـنـيـ - جـ ١ـ - صـ ١٨٤ـ .

فأفضل كتاب عند العامة في الحديث هو (الصحيح الجامع) لمحمد بن إسحاق البخاري، وهم يجمعون على صحة الحديث فيه، ولا يناقشون إلا في جزئية هنا أو هناك، لكون الطعن عندهم يؤدي إلى الطعن بصاحب الكتاب والذي -عندهم- يجمعون على جلالته واستعماله آليات تصفية الحديث التي تعتبر الأفضل عندهم، ولكن لما تبعناهم في ذلك ماذا حصل لأفضل الكتب وأجلّها شأنًا عندنا؟! العكس تماماً!

فالسيد مرتضى العسكري رحمه الله يقول:

((وان اقدم الكتب الاربعة زماناً، وأنبهما ذكرأً، وأكثرها شهرة هو كتاب الكافي للشيخ الكليني، وقد ذكر المحدثون بمدرسة أهل البيت فيها (٩٤٨٥) حديثاً ضعيفاً من مجموع (١٦١٢١) حديثاً)).^(١)

والمقصود بـ(المحدثين) هنا هو الشيخ المجلسي رحمه الله، أي ان ثلثي الروايات حسبها يرى المجلسي ضعيفة باصطلاح المتأخرین.

ثم يقول السيد العسكري ((وقد ألف أحد الباحثين - وهو محمد باقر البهبودي - في عصرنا صحيح الكافي واعتبر من مجموع (١٦١٢١) حديثاً من أحاديث الكافي (٤٤٢٨) صحيحأً، وترك (١١٦٩٣) حديثاً منها لم يرها حسب اجتهاده صحيحة))^(٢) أي أن ما يقرب من ثلاثة أرباع روايات الكافي ضعيفة

(١) معالم المدرستين - مرتضى العسكري - ج ٣ - ص ٣٤٣.

(٢) معالم المدرستين - مرتضى العسكري - ج ٣ - ص ٣٤٣.

حسبما يرى الشيخ البهبودي تلميذ السيد الخوئي!

وهذا طعن بصاحب الكتاب في الحقيقة! فالرجل (ثقة الإسلام) كما يسمونه اكتشف أصحاب هذا العلم انه لم يكن ثقة في نقله للحديث بل أن ثلثي كتابه لا يجب أن يعمل به فأحاديثه منقوله عن ضعاف ومجاهيل الرواة!

وكأنهم يتناسون أن الشيخ الكليني رحمة الله لم يُعمل هذا الأسلوب في تأليف الكافي، فالعمل كان يومها على الروايات الصحيحة لا على الراوي العادل والثقة!.

ومن مطاعن النواصب علينا انهم يجعلون ضعف أحاديث الكافي من ((طامّات)) مذهب اهل البيت ع ! إذ يدعون ان فقهاء الشيعة طعنوا في الكافي والشيخ الكليني بتضعيفهم أغلب حديثه:

فسبة الأحاديث الصحيح والحسنة والموثقة والقوية عند الشيخ فخر الدين الطريحي = ٤١٪

ونسبة الأحاديث الصحيح والحسنة والموثقة والقوية عند الشيخ محمد باقر المجلسي = ٣٨٪

ونسبة الأحاديث الصحيح والحسنة والموثقة والقوية عند آغا بزرگ الطهراني = ٣٧,٥٪

ونسبة الأحاديث الصحيح والحسنة والموثقة والقوية عند محمد باقر البهبودي تلميذ السيد الخوئي = ٢٧,٩٪

ونسبة الأحاديث الصحيحة والحسنة والموثقة والقوية عند السيد مرتضى

ال العسكري = ٤٪ ٢٧

وهل هذا إلا طعن بالمؤلف الذي بذل عشرين عاما في جمع وتنقية وتشييد

طريقتهم عليهم السلام؟

وأنت ترى أن الكتب الستة عند العامة والتي ألفوها وشرطوا معها شروط أخذهم عن الراوي وألفوا معها كتب تهتم بتوضيح حال الرواية عندما يريد المتأخرون أن يذكروا روایاتها الضعيفة فهم يقومون بذلك ويعذبونها وذلك بسبب قلّتها على شروطهم وهذا هو الأصل، لا أن يخرجوا من الكتاب رباعه صحيحًا ويسقطون ثلاثة أرباعه عن العمل!.

فالمعاصرون من العامة ومع انهم يبالغون في ذكر تشدد البخاري ومسلم في تحرير الاحاديث عن (الثقة)! إلا انهم يعترفون بان الأمر لا ينضبط! خذ مثلا قولهم في جواب على سؤال يخص التصحيح والتضعيف في موقع (ملتقى أهل الحديث) وهو موقع الكتروني متخصص مرموق عندهم:

((بالنسبة لقضية التصحيح والتضعيف من الأمور الشديدة الصعبة، والتضعيف أشد وأصعب من التصحيح، ولذلك الذين يستطيعون الحكم بالتصحيح والتضعيف في الصدر الأول قلائل اليوم في زماننا هذا في ثورة التحرير تجرا الناس على التصحيح لأنه أصبح صنعة لديهم، فيجعلونه بمثابة مكيال يكيلون به الأمور، يقولون هذا صحيح وهذا ضعيف وهذا حسن،

ويصدرون هذه الأحكام العشوائية، وكثيراً ما تتناقض وتحتفل، وكثيراً ما تتناقض كذلك مع أحكام العلماء الكبار مع أن كثيرة من قواعد السابقين في التصحيح والتضييف ليست راجعة إلى هذه المكاييل والمقاييس المعينة، بل لو طبقتها ستجد كثيرة من الأئمة تواتروا على تصحيح حديث حتى لا يبقى شك مسلم فيه، وإذا طبقت أنت عليه هذه القواعد تجد فيه إشكالاً، بعض الأحاديث المخرجة في الصحيحين لكنها من روایة بعض المدلسين ومن لم يصرح بالسماع، أو من روایة ضعف، أو من متكلم فيه، وهكذا...))^(١)

إذا كان الأمر كذلك عند أنس كتبهم في الرجال ألفٌ مع كتب الحديث لديهم وعلى قواعد أوجدوها في زمانها لجمع الحديث، فكيف عندنا والأمر ليس كذلك، كيف يستقر البحث العلمي على منواهم وكتبنا لم تؤلف على هذه الطريقة ولا علقة لها بذلك؟!

لذلك فقد ثبَّتَ بعض فقهائنا إلى ذلك فقال في كتابه (ذكرى الشيعة): ((وبالجملة اشتهر النقل والنقلة عنهم عليهم السلام يزيد أضعافاً كثيرة عن النقلة عن كل واحد من رؤساء العامة، فالإنصاف يتضيَّن الحجم بالنسبة ما نقل عنهم عليهم السلام. فحيثُنَّ نقول: الجمع بين عدالتهم، وثبتوت هذا النقل عنهم بطلانه مما يأبه العقل ويبطله الاعتبار بالضرورة.

هذا مع ما شاع عنهم من إنكار ما عليه العامة من القياس والاستحسان، ونسبة ذلك إلى الضلال والقول في الدين بغير الحق. ومن رام إنكار ذلك فكم من رام إنكار المتواتر من سنة النبي ﷺ، أو معجزاته وسيرته وسيرة من بعده. ومن رام معرفة رجالهم والوقوف على مصنفاتهم، فليطالع: كتاب الحافظ ابن عقدة، وفهرست النجاشي وابن الغضائري والشيخ أبي جعفر الطوسي، وكتاب الرجال لأبي عمرو الكثيري، وكتب الصدوق أبي جعفر بن بابويه القمي، وكتاب الكافي لأبي جعفر الكليني فإنه وحده يزيد على ما في الصحاح الستة للعامة متونا وأسناد، وكتاب مدينة العلم ومن لا يحضره الفقيه قريب من ذلك، وكتابا التهذيب والاستبصار نحو ذلك، وغيرها مما يطول تعداده، بالأسناد الصحيحة المتصلة المنتقدة(المنتقدة!) والحسان والقوية، والجرح والتعديل والثناء الجميل، فالإنكار بعد ذلك مكابرة محضة، وتعصب صرف.).^(١)

(١) ذكرى الشيعة - محمد بن جمال الدين العاملي - ج ١ - ص ٦٠.

منطقة الفراغ التشريعي:

في الحاجات الشرعية للمؤمنين وللأمة ككل مناطق فارغة من (التشريع)
يجب أن يملأها الفقهاء! وهذه المنطقة (الفارغة من الأحكام) تركها المشرع
المعصوم عمداً لكي يملأها من ينوب عن المعصوم في كل زمان، هذا هو
ملخص ما يقوله من طرح ما تسمى بـ(منطقة الفراغ التشريعي)!

وهي نظرية ظهرت الى الواقع الشيعي في القرن العشرين وإن كان بعض الفقهاء قد أعملها بلا تأسيس معين ووفق رؤية شاملة كما صارت فيما بعد، يقول الشيخ محمد مهدي شمس الدين ((تداول الباحثون في الفقه الإسلامي - وفيهم فقهاء - مصطلح: منطقة الفراغ التشريعي، ويعنون بذلك أن الله تعالى قد ترك في الإسلام منطقة فراغ تشريعي يتولى التشريع فيها ولـي الأمر والفقهاء، بما تقضي به حاجة الأمة في تطورها، وما يطرأ عليها من تبدلات وتغيرات. وهذه الدعوى قيلت في مواجهة ادعاء جمود الشريعة وعدم تطورها بما تقضي به تغيرات الحياة وتبدلاتها، وهي دعوى جديدة، إذ لم نقع في كلام قدماء الفقهاء ومن تقدم منهم في هذا العصر على ما يناسبها))⁽¹⁾

و دعوى ضرورة وجود هذه المنطقة و ضرورة ملئها من الفقهاء ترتبط
بدعوى تطور الحياة و وجوب مسايرة الاسلام، واستجابته بـ(مرؤنة) لتطوراتها
و تدفقاتها الحيوية! كما يزعمون! .

(١) مجال الاجتهاد ومناطق الفراغ التشريعية - محمد مهدي شمس الدين - ص ١.

يقول الشيخ محمد مهدي شمس الدين ((إن مجال الفراغ التشريعي يشمل كل وضع جديد لم يرد فيه نصّ مباشر أو قاعدة عامة، من أوضاع البشر التي تحدث نتيجة للتطور ونمو المعرفة ونمو القدرة، اللذين يقتضيان أشكالاً جديدة ومتطرفة من الضبط والسيطرة والتنظيم للمجتمع وللإنسان في المجتمع، من حيث التعامل والعمل في داخل المجتمع، ومن حيث العلاقة مع الطبيعة.))^(١)

وهذه الدعوى قديمة قدم الشيطان الذي نصب عداوته للإسلام منذ اليوم الأول لزحزة الخلافة عن مقامها الطبيعي ، فهي قد صاحبت التاريخ الإسلامي منذ يوم السقيفة الأسود، لأن القوم لما زحزحوها عن أساسها ولم يكونوا بأهل لها صاروا يحيطون خبط عشواء في ما يريد عليهم من أمور وسؤالات و حاجات فردية وعامة، بلا نصوص معصومة، ولما بدأ عصر التدوين عندهم في القرن الثاني حاول بعض الفقهاء تشريع باب لتجويز تلك الاجتهدات الشخصية التي ارتكبها كبار الصحابة ومن تبعهم فاخترعوا بباب اسموه (باب المصالح المُرسلة)، المعروف أن أول من تكلم في ذلك هو (مالك بن أنس) المتوفى ١٧٩ للهجرة، وهو مصدق لتشريع البدعة لكن بغير اسمها، كما قاله أمير المؤمنين ﷺ ((ف عند ذلك تشرب الخمور وتسمى بغير اسمها))^(٢) ! فلا أحد يشرب الخمور بعد كل تلكم النصوص المحرمة والنافية ولكن الشيطان وأولياؤه تنبهوا إلى تغيير التسميات ليصير الحرام حلالاً ولتسير القافلة! فسموا

(١) بـجـالـ الـاجـتـهـادـ وـمـنـاطـقـ الفـرـاغـ التـشـريـعيـ - محمد مهدي شمس الدين - ص ٣.

(٢) مناقب آل أبي طالب - ابن شهر آشوب المازندراني - ج ٢ - ص ١٠٩.

البدعة في دين الله مصالح مرسلة حتى تروق للسامعين ويرتضيها الناس ! وهذا ليس بمستغرب على مدرسة القوم لأنهم كما قال امير المؤمنين ﷺ ((اتخذوا الشيطان لأمرهم ملاكا، واتخذهم له أشراكا. فباض وفرخ في صدورهم ودبَّ ودرج في حجورهم. فنظر بأعينهم ونطق بألسنتهم. فركب بهم الزلل وزين لهم الخطل))^(١) فمن كان هذا شأنه لا نستغرب من أن يأتي ببعده وتسويقه ! ولكن العتب على من جاءهم التحذير بأن الشيطان ((يسني لكم طرقه، ويريد أن يحل دينكم عقدة عقده))^(٢) ثم هم - مع ذلك - يتبعون القوم فيما تبعوا فيه الشيطان !

بل قوله ﷺ ((يا زرارة، إنما صمد لك ولا أصحابك، فأما الآخرون فقد فرغ منهم))^(٣) توجب ليس الخدر فقط بل الفزع والهرب من كل ما يأتي من مدرسة العامة من جهالات ساقها الشيطان !

فنحن قومٌ متّبعون ((فأين تذهبون. وأنى تؤفكون. والأعلام قائمة، والآيات واضحة، والمنار منصوبة فأين يتابه بكم. بل كيف تعمهون وبينكم عترة نبيكم وهم أزمة الحق وأعلام الدين وألسنة الصدق. فأنزلوهם بأحسن منازل القرآن وردوهم ورود الهميم العطاش))^(٤)

المشكلة أنا لم نردهم ورد الهميم العطاش !

(١) نهج البلاغة - جمع الشريف الرضي - ج ١ - ص ٤٢ .

(٢) نهج البلاغة - جمع الشريف الرضي - ج ١ - ص ٢٣٥ .

(٣) تفسير البرهان - السيد هاشم البحرياني - ج ٢ - ص ٥٢١ .

(٤) نهج البلاغة - جمع الشريف الرضي - ج ١ - ص ١٤٥ .

ومنطقة الفراغ التشريعي وما تسمى قدّيمها (باب المصالح المُرسلة) يسمى بها العامة المعاصرين بمنطقة (العفو) ويعرفونها بأنها ((تلك المنطقة التي تركتها النصوص - قصداً- لاجتهاد أولي العلم وأولي الأمر والرأي، وأهل الحل و العقد في الأمة)) وهو التعريف الذي يساوق التعريف الاجتهادي للفقهاء اليوم!

وهذه القضية قد تتجه على مذهب القوم الضالين الذين وجدوا انفسهم وسط فوضى آراء الفقهاء الذين شربوا الآجن والكدر وتركوا الماء الزلال الرقراق!

ولكن هل تتجه لمن يكون مذهبـه اتباع قول المعصوم الذي يقول:

((عندـي الجـفر الأـبيـض قالـ قـلـنا وـأـيـ شـيءـ فـيـهـ قـالـ فـقـالـ لـيـ زـبـورـ دـاـودـ وـتـورـةـ مـوسـىـ وـإـنـجـيلـ عـيسـىـ وـصـحـفـ إـبـراهـيمـ وـالـحـلـالـ وـالـحـرـامـ وـمـصـحـفـ فـاطـمـةـ ماـزـعمـ أـنـ فـيـهـ قـرـآنـ وـفـيـهـ مـاـ يـحـتـاجـ إـلـيـهـ وـلـاـ نـحـتـاجـ إـلـيـهـ حـتـىـ أـنـ فـيـهـ الجـلـدـةـ وـنـصـفـ الجـلـدـةـ وـثـلـثـ الجـلـدـةـ وـرـبـعـ الجـلـدـةـ وـأـرـشـ الخـدـشـ)).^(١)

وقول المعصوم: ما من شيء إلا وفيه كتاب أو سنة^(٢).

وقول المعصوم عندما سُئل: كل شيء في كتاب الله وسنة نبيه أو يقولون فيه؟
قال: بل كل شيء في كتاب الله وسنة نبيه^(٣).

(١) بصائر الدرجات - محمد بن حسن الصفار ص ١٧١.

(٢) الكافي - محمد بن يعقوب الكلياني - ج ١ - ص ٦٠.

(٣) بصائر الدرجات - محمد بن حسن الصفار ص ٣٢١.

وفي كتاب البصائر بإسناده عن أبي الحسن عليه السلام قال: قلت: أصلحك الله أتى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بما يكتفون به؟

فقال: نعم، وما يحتاجون إليه إلى يوم القيمة، فقلت: أوضاع من ذلك شيء؟

فقال: لا^(١).

وَعَنْ حَمْدَ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: سَأَلَتْهُ عَنْ مِيرَاثِ الْعِلْمِ مَا بَلَغَ الْجَوَامِعَ مِنَ الْعِلْمِ، أَمْ يُفْسِرُ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي تَكَلَّمُ فِيهَا النَّاسُ مِنَ الطَّلاقِ وَالْفَرَائِضِ؟

قال: إن علياً كتب العلم كله والفرائض، فلو ظهر أمرنا لم يكن من شيء إلا وفيه سنة يمضيها^(٢).

وفيه أيضاً عن أسامة قال:

كنت عند أبي عبد الله عليه السلام وعنده رجل من المغيرة، فقال: ما من شيء يحتاج إليه ولد آدم إلا وقد خرجت فيه السنة من الله عز وجل ورسوله، ولو لا ذلك لما احتج علينا بما احتج. فقال المغيري: وبم احتج؟

فقال ﷺ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي..﴾ حتى فرغ من الآية فلو لم يكمل سنته وفرائضه وما يحتاج اليه الناس ما احتاج به ^(٣).

والحاديـث في هـذا كـثيرـة لا يـأتـي عـلـيـها البـيـان وـكـلـهـا تـصـرـح بـاـن كـلـشـيء فـي

(١) بصائر الدرحات - محمد بن حسن الصفار، ص ٣٢٢.

(٢) يصاء الدجال - محمد بن حسن الصفار، ص ٥٢٦.

(٣) يصأد الدّحات - محمد بن حسن الصفار، ص ٥٨٣.

كتاب أو سنة! نعم كل شيء عند الإمام لا عند الفقهاء! وهذا هو الفرق، فالفقهاء يريدون من الإمام أن يغيب وان لا تحتاجه الأمة! بينما الواقع هو العكس، ففي غيبة الإمام يجب أن تحتاج الامة وتمرُّ بالخرج والعُسر لقصصها واضطرارها الإمام للغيبة، وهذا الأمر هو جزء من الضريبة التي يدفعها المجتمع لكونه أحوج الإمام إلى الغيبة، يقول الشيخ الطوسي رحمة الله:

((و كان المرتضى رحمة الله يقول أخيرا: لا يمتنع أن يكون هاهنا أمور كثيرة غير واصلة إلينا هي مُوَدَّعةٌ عند الإمام ﷺ و إن كان قد كتمها الناقلون ولم ينقلوها، ولم يلزم مع ذلك سقوط التكليف عن الخلق لأنه إذا كان سبب الغيبة خوفه على نفسه من الذين أخافوه فمن أحوجه إلى الاستئثار أتي من قبل نفسه في فوت ما يفوته من الشرع، كما أنه أتى من قبل نفسه فيما يفوته من تأديب الإمام و تصرّفه من حيث أحوجه إلى الاستئثار ولو زال خوفه لظهر فيحصل له اللطف بتصرفه و تبين له ما عنده مما انكمتم عنه فإذا لم يفعل و بقي مستتراً أتى من قبل نفسه في الأمرين وهذا قوي تقتضيه الأصول.))

فتتأمل في قول المرتضى رحمة الله ((فمن أحوجه إلى الاستئثار أتي من قبل نفسه في فوت ما يفوته من الشرع))!

وهذا الامر جزء من التربية التي تمر بها الامة لكي يعود الامر لطبيعته، لا ان نقوم ببناء المباني الفقهية والاصولية لكي ((يستمر الإسلام متدايقا حيويا متجددا !!)) كما نجده كثيرا في أدبياتهم.

وهي جملة استعاروها من (الاخوان المسلمين)! جراء انها كهم في قراءة اديياتهم فالإسلام دين غريب بلا معصوم، واصحابه غرباء بلا معصوم، فالمعصوم كالرأس من البدن فكيف تريدون البدن حيويا متجددا بلا رأس؟!

ثم انهم لما رأوا ان المسألة لا تستقيم على طريقتنا المتبعة للسنة المعصومية فقط ولكونهم ينظرون ثم يبحثون عن الادلة لتلك النظريات! قاموا بسحب سلطات المعصوم الى الفقيه ثم قالوا هذا دليل ان منطقة الفراغ موجودة لأن المعصوم استعملها!! ليت شعري وما الحجّة في ذلك؟! فالمعصوم رجل كامل متصل بالسماء يزداد علمه يوما بعد يوم، وفي كل ليلة جمعة، وعنه الجفر الابيض وفيه حتى أرش الخدش ، وغير هذا فله الحق أن يغير الاحكام لمصلحة يراها، وأن يوقفها ويؤجلها لمصلحة يراها وكل هذا بإرادة الله التي يعلمها، والتي أذا اراد، اراد الله ، ف((رضى الله رضانا اهل البيت))^(١) فكيف يجوز المقارنة بين كل معصوم له كل هذا وبين فقيه لا يعرف ما يحصل في بيته، فضلا عنها في السماء؟!

لذا فمن الطامات ان يتكلموا في مشروعية ملء هذا الفراغ بحجّة ان النبي عليه وآلـه الصلاة والسلام قد قام بملئها سابقا! والعلماء ورثة الانبياء! فللعلماء إذن ان يرثوا من الانبياء صلاحياتهم التي ليست من النبوة بل من القيادة؟!

يقول الشيخ محمد مهدي شمس الدين في ضوء حدیثه عن المعايير التي تحدد منطقة الفراغ التشريعي: ((وهذه المعايير تستفاد مما سميـناه (أدلة التشريع العليا)

بنحو القواعد الكلية في القضايا المالية والاقتصادية والعائقية - داخل المجتمع المسلم، وبين المجتمع المسلم ودولته والمجتمعات والدول الأخرى - والتنظيمية والأمنية.

كما تستفاد من الموارد الخاصة للأحكام التدبيرية الواردة عن النبي (صلى الله عليه ويله) والأئمة المعصومين:

١- من قبيل نهي النبي ﷺ عن ذبح الحُمُر الأهلية الذي فسره الإمام الباقر عـ بأنه كان لغرض عدم إفائه لأن مصلحة المجتمع في بقائها، فإن هذا التفسير يصلح مستنداً لمنع صيد أنواع معينة من الأسماك والطيور والحيوانات، للمحافظة على أنواعها في الطبيعة.

٢- من قبيل التعليل الوارد في أدلة الاحتكار، فإنه لا يصلح أن يحتكر الطعام ويترك الناس ليس لهم طعام.

٣- من قبيل التعليلات الواردة في جواز العمل والتعامل مع الحكومات غير الشرعية.

فإن التعليلات الواردة، في هذه الموارد وأمثالها، لا يقتصر فيها على موردها، بل هي معايير ترشد الفقيه والخبير إلى المنهج الذي يجب اعتماده في الاجتهد والاستنباط في قضايا المجتمع وأنظمته وقضاياها، والمشاكل التي تواجهه في داخله وفي علاقاته مع الخارج المسلم وغير المسلم.

وعلى هذا الأساس ينبغي أن يكون أصل (المصالح المرسلة) وأصل (سد الذرائع). عند من يقول بها في المذاهب الإسلامية - من أصول الاستنباط في مجال التشريع التدبرiy في مجال (الفراغ التشريعي)، وليس من أصول الاجتهاد في الأحكام الشرعية الإلهية.)^(١)

ومن هذا النص ترى ان المشكلة ليست في أصل القول بـ(باب المصالح المرسلة) وـ(باب سد الذرائع)! بل - عندهم - لا مشكلة في هكذا قواعد بعد تكييفها فقهياً!

والذي يثير العجب ان بعضهم تنازل عن بديهيات طريقة الأئمة عليهم السلام لـ(الإثبات وجود هذه (المنطقة الفارغة)! وتسليمها بيد الفقيه!

فدليلهم الأول في وجود منطقة الفراغ هو قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَنْهَاكُمْ﴾
(النساء: ٥٩).

وهي احد الادلة التي طالما استعملها الموصومون لبيان ان طاعة اولي الامر هنا مادامت مقرونة بطاعة الرسول وطاعة الله إذن فهي طاعة واحدة مفترضة من الله، وصاحبها معصوم، وهي تنطبق عليهم فقط!

هذا كله صار وراءنا عندما انزلنا الآية من اختصاصها بالمعصوم الى عموميتها وكونها شاملة للفقهاء بعد غيبة المعصومين!

(١) بـ(مجال الاجتهاد ومناطق الفراغ التشريعي) - محمد مهدي شمس الدين - ص٤.

يقول السيد محمد باقر الصدر في تفسير الآية والاستدلال بها ((وحدود منطقة الفراغ التي تتسع لها صلاحيات أولى الأمر، تضمّ - في ضوء هذا النص الكريم - كلّ فعل مباح شرعاً بطبعته، فأيّ نشاط وعمل لم يرد نصّ شرعي يدلّ على حرمته أو وجوبه.. يسمح لولي الأمر بإعطائه صفةً ثانوية بالمنع عنه أو الأمر به، فإذا منع الإمام عن فعل مباح بطبعته، أصبح حراماً، وإذا أمر به، أصبح واجباً. وأما الأفعال التي ثبت شرعاً تحريمها بشكل عام، كالربا مثلاً، فليس من حقّ ولـي الأمر الأمر بها، كما أن الفعل الذي حكمت الشريعة بوجوبه كإنفاق الزوج على زوجته، لا يمكن لولي الأمر المنع عنه، لأنّ طاعة أولى الأمر مفروضة في الحدود التي لا تتعارض مع طاعة الله وأحكامه العامة، فألوان النشاط المباحة بطبعتها في الحياة الاقتصادية هي التي تشـكـل منطقة الفراغ))^(١)

فانتبه لقوله ((إذا منع الإمام عن فعل مباح بطبعته، أصبح حراماً، وإذا أمر به، أصبح واجباً))!

ومن هنا صار لولي الامر الفقيه ما للمعصوم فإذا منع عن فعل مباح أصبح حراماً، وإذا امر بهذا الفعل المباح صار واجباً.

والسيد الصدر بعد ان تنازل عن خصوصية مصطلح (أولي الامر) - وهي خاصة بالمعصوم - قام بسحب سلطاتها للفقيه، فصار الفقيه من أولى الامر ! الذين طاعتـهم طاعة الله !!

والنصوص الكثيرة تأبى اي تنزل مدعى عن هنا وهناك بخصوص سلطة اولي الامر لغير المقصوم!

فعن الإمام الرضا في خصوص الآية القرآنية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَنْتُمُ الْمُنْكَرُ﴾ (النساء: ٥٩). يعني: الذين قرئ لهم بالكتاب والحكمة وحسدوا عليهم))^(١)

وهي اشارة لقول المقصوم ((نحن الناس المحسودون)) في قوله تعالى ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا أَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ أَتَيْنَا أَلَّا إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَأَتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ (النساء(٥٤))

وعن جابر بن يزيد الجعفي، قال: سمعت جابر بن عبد الله الأنباري يقول: لما أنزل الله عز وجل على نبيه محمد ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَنْتُمُ الْمُنْكَرُ﴾ (النساء ٥٩)

قلت: يا رسول الله، عرفنا الله ورسوله، فمن أولو الأمر الذين قرئ الله طاعتهم بطاعتك؟

فقال ﷺ: هم خلفائي - يا جابر - وأئمة المسلمين من بعدي، أوَّلهم علي بن أبي طالب، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي المعروف في التوراة بالباقي، ستردكه - يا جابر - فإذا لقيته فاقرأه مني السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم

(١) تفسير البرهان - السيد هاشم البحرياني في تفسير القرآن - ج ٢ - ص ٩٤

علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم سميي وكنيي حجة الله في أرضه، وبقيته في عباده ابن الحسن بن علي،.....)).^(١)

وفي حديث سليم:

قال: سمعت عليا (صلوات الله عليه) يقول، وأتاه رجل فقال له: ما أدنى ما يكون به العبد مؤمنا، وأدنى ما يكون به العبد كافرا، وأدنى ما يكون به العبد ضالا؟

فقال له: قد سألت، فافهم الجواب، أما أدنى ما يكون به العبد مؤمنا أن يعْرِفه الله تبارك وتعالى نفسه فيقُرُّ له بالطاعة، ويعرِفه نبيه ﷺ فيقُرُّ له بالطاعة، ويعرفه إمامه وحَجَّته في أرضه وشاهده على خلقه فيقرَ له بالطاعة.

فقلت: يا أمير المؤمنين، وإن جَهَلَ جميع الأشياء إلا ما وصفت!

قال: نعم، إذا أُمِرَ أطاع، وإذا نُهِيَ انتهى، وأدنى ما يكون به العبد كافرا من زعم أن شيئاً نهى الله عنه أن الله أمر به، ونصبه دينا يتولى عليه ويزعم أنه يعبد الذي أمره به، وإنما يعبد الشيطان، وأدنى ما يكون العبد به ضالاً، أن لا يعرف حجَّة الله تبارك وتعالى وشاهده على عباده الذي أمر الله عز وجل بطاعته، وفرض ولايته.

قلت: يا أمير المؤمنين، صفهم لي؟

(١) تفسير البرهان - السيد هاشم البحرياني في تفسير القرآن - ج ٢ - ص ١٠٣ .

قال: الذين قرئ لهم الله تعالى بنفسه ونبيه، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَمْرٌ مِنْكُم﴾ (النساء ٥٩) ^(١).

وعن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام، في قول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَمْرٌ مِنْكُم﴾ (النساء ٥٩).

قال: الأئمة من ولد علي وفاطمة (صلوات الله عليهما) إلى أن تقوم الساعة. ^(٢)

وعن الحسين بن أبي العلاء، قال: قلت: لأبي عبد الله عليه السلام.... (إلى قوله) .. ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَمْرٌ مِنْكُم﴾ إيانا عنى خاصة، فإن خفتم تنازعًا في الأمر فارجعوا إلى الله وإلى الرسول وأولي الأمر منكم، هكذا نزلت، وكيف يأمرهم بطاعة أولي الأمر ويرخص لهم في منازعتهم، إنما قيل ذلك للمأموريين الذين قيل لهم: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَمْرٌ مِنْكُم﴾ (النساء ٥٩). ^(٣)

والروايات كثيرة جداً في ذلك وفي كون (أولي الأمر) خاصة نزلت بهم فقط،
لابهم وبغيرهم!

لذا ولما كان اثبات هذه السلطة الاجتهادية الفقهائية بهذه الآية أمر شاقّ
وبعيد المنال لم يجد بعض من ذهب إلى وجود هذه المنطقة من بدلاً لإظهار بُعد

(١) تفسير البرهان - السيد هاشم البحرياني في تفسير القرآن - ج ٢ - ص ١٠٨.

(٢) تفسير البرهان - السيد هاشم البحرياني في تفسير القرآن - ج ٢ - ص ١٠٨.

(٣) تفسير البرهان - السيد هاشم البحرياني في تفسير القرآن - ج ٢ - ص ١١١.

هذا الاستدلال فقال:

((ذكر بعضهم أن الدليل التشريعي - العقidi على ثبوت سلطة التشريع للفقيه في ما يسمى (منطقة الفراغ التشريعي) عند الحاجة إلى ذلك هو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَعْلَمُ بِمَا إِنْكُمْ تَعْمَلُونَ﴾ النساء (٥٩))

بدعوى: أن الفقيه - بناء على ولايته العامة - تجب له الطاعة بما أنه ولي الأمر، فإذا شرع حكماً في منطقة الفراغ، بأن أفتى أو حكم بحرمة أو وجوب مباح، وجبت طاعته في ما أفتى أو حكم به.

ولكن هذا الاستدلال غير تام، فهو موقوف على كون المراد بأولي الأمر في الآية: الفقيه، وعلى ثبوت الولاية العامة للفقيه. ولو سُلِّمَ كلامهما - وهما موضع نظر، بل منع، فلا تدل الآية الكريمة على ثبوت سلطة التشريع للفقيه، بل تدل على وجوب طاعته، وهذا أعم من طاعته في ما أفتى به هو أو أفتى به غيره من الأحكام في منطقة الفراغ التشريعي، فلو لم يفت هو وأفتى غيره وأمر بمضمون فتوى غيره من الفقهاء وجبت طاعته باعتباره فقيهاً مستنبطاً للحكم الشرعي الفرعوي، وليس باعتباره حاكماً سياسياً.

وقد عرفت أن الصحيح أن سلطة التشريع ثابتة للفقيه بما هو فقيه لا بما هو ولي الأمر. وأن الفتوى والحكم في ما يسمى منطقة الفراغ التشريعي ليست جعل حكم وتشريعة، بل هي نتيجة استنباط واكتشاف للحكم المجعل في واقع الأمر

من الأدلة الشرعية على حد الاستنباط والإفتاء فيسائر المجالات.)^(١)

وهو كلام جيد مع تحفظنا، بل رفضنا، لقوله((فلا تدل الآية الكريمة على ثبوت سلطة التشريع للفقيه، بل تدل على وجوب طاعته)) فهي لا علاقة لها بالفقية أصلا!

ولما كان البناء على غير اساس صار كهفا للفوضى والالتباس يقول السيد الصدر ((ونحن حين نقول: منطقة الفراغ، فإنّما يعني ذلك بالنسبة إلى الشريعة الإسلامية ونصولها التشريعية، لا بالنسبة إلى الواقع التطبيقي للإسلام الذي عاشته الأمة في عهد النبوة...))

فلا يجوز للدولة أو ولـيـ الأمر أن يحلـ الـ رـ بـاـ، أو يـ حـ يـزـ الغـ شـ، أو يـ عـ تـ لـ قـ اـ نـ وـ نـ، أو يـ لـ غـ يـ مـ لـ كـ يـةـ ثـابـتـةـ فـيـ الـ مـجـتمـعـ، عـلـىـ أـسـاسـ إـسـلـامـيـ.. وـإـنـّـمـاـ يـسـمـحـ لـوـلـيـ الـأـمـرـ فـيـ إـلـاسـلـامـ بـالـنـسـبـةـ إـلـىـ التـصـرـفـاتـ وـالـأـعـمـالـ مـبـاحـةـ فـيـ الـشـرـيـعـةـ أـنـ يـتـدـخـلـ فـيـهـ، وـيـمـنـعـ عـنـهـ أـوـ يـأـمـرـ بـهـ وـفـقـاـ لـلـمـثـلـ إـلـاسـلـامـيـ لـلـمـجـتمـعـ؛ فـإـحـيـاءـ الـأـرـضـ، وـاسـتـخـرـاجـ الـمـادـنـ، وـشـقـ الـأـنـهـارـ، وـغـيـرـ ذـلـكـ مـنـ أـلـوـانـ النـشـاطـ وـالـأـنـجـارـ.. أـعـمـالـ مـبـاحـةـ سـمـحـتـ بـهـ الـشـرـيـعـةـ سـهـاـحـاـ عـامـاـ، وـوـضـعـتـ لـكـلـ عـمـلـ نـتـائـجـهـ الـشـرـعـيـةـ الـتـيـ تـرـتـبـ عـلـيـهـ، فـإـذـ رـأـيـ وـلـيـ الـأـمـرـ أـنـ يـمـنـعـ عـنـ الـقـيـامـ بـشـيءـ مـنـ ذـلـكـ التـصـرـفـاتـ أـوـ يـأـمـرـ بـهـ، فـيـ حـدـودـ صـلـاحـيـاتـهـ.. كـانـ لـهـ ذـلـكـ..))

والأخطر من جميع ذلك هو ان الفقهاء يستدلون بثبوت سلطة التدخل -

(١) بـحـالـ الـاجـتـهـادـ وـمـنـاطـقـ الـفـرـاغـ التـشـرـيعـيـ - محمدـ مـهـديـ شـمـسـ الدـينـ - صـ ٣ـ.

عند الحاجة العامة للمجتمع من قبل النبي عليه وآلـه الصلاة والسلام - على ثبوت هذه السلطة لهم !! إذ يقول ((فإنّ النبـي الأعظم قد ملأ ذلك الفراغ بما كانت تتطلّبه أهداف الشريعة في المجال الاقتصادي، على ضوء الظروف التي كان المجتمع الإسلامي يعيشها، غير أنه حين قام بعملية ملء هذا الفراغ لم يملأـه بوصـفـه نبياً مـبلغـاً للشـريـعـة الإلهـيـة الثـابـتـة في كلـ مـكـانـ وـزـمانـ، ليـكونـ هـذـاـ الملـءـ الخـاصـ منـ سـيـرـةـ النـبـيـ لـذـلـكـ الفـرـاغـ.. مـعـبـراًـ عنـ صـيـغـ شـرـيـعـةـ ثـابـتـةـ،ـ وإنـمـاـ مـلـأـهـ بـوـصـفـهـ وـلـيـ الـأـمـرـ،ـ المـكـلـفـ منـ قـبـلـ الشـرـيـعـةـ بـمـلـءـ مـنـطـقـةـ الفـرـاغـ وـفـقاـرـاـ للـظـرـوفـ))^(١)

لذا اطلـقـواـ اـيـدـيـهـمـ فـيـ التـشـرـيعـ فـ((.. فـأـيـ نـشـاطـ وـعـمـلـ لـمـ يـرـدـ نـصـ تـشـرـيعـيـ يـدـلـلـ عـلـىـ حـرـمـتـهـ أـوـ وـجـوبـهـ.. يـسـمـحـ لـوـلـيـ الـأـمـرـ بـإـعـطـائـهـ صـفـةـ ثـانـوـيـةـ))^(٢)
ويـقـولـ السـيـدـ الصـدـرـ اـيـضـاـ:

ولـمـ رـأـيـ بـعـضـهـمـ اـنـ النـصـوـصـ اـقـوـىـ مـنـ جـمـيعـ التـأـوـيـلـاتـ وـهـيـ نـصـوـصـ قـرـآنـيـةـ وـحـدـيـثـيـةـ صـرـيـحـةـ صـحـيـحةـ مـثـلـ:

قولـهـ تعـالـىـ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلَالاً قُلْ إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفَرَّوْنَ﴾ (يوـنسـ ٥٩ـ)

فـلـيـسـ هـنـاكـ طـرـيقـ ثـالـثـ،ـ فـإـمـاـ انـ يـأـذـنـ اللهـ بـدـلـيلـ وـاضـحـ وـبـسـمـاعـ مـنـ صـادـقـ،ـ

(١) اقتصادنا - محمد باقر الصدر - ص ٤٠٠.

(٢) اقتصادنا - محمد باقر الصدر - ص ٧٢٦.

وإماماً هو افتراء عليه سبحانه.

وفي الحديث:

((نحن المحللون حلاله والمحرّمون حرامه))^(١)

وحيث ((هؤلاء الأئمة وهذا القائم الذي يحلل حلاي ويحرم حرامي))^(٢)

وحيث ((ما خلق الله حلالا ولا حراما الا وله حد كحد الدور وان حلال

محمد حلال إلى يوم القيمة وحرامه حرام إلى يوم القيمة))^(٣)

وحيث ((حلال محمد حلال أبداً إلى يوم القيمة، وحرامه حرام أبداً إلى يوم
القيمة، لا يكون غيره ولا يجع غیره))^(٤)

لذا قالوا بتأويل هذه الأحاديث إما بحملها على الثابت فقط من الشريعة!

وإماماً إنها تتكلّم عن العبادات فقط دون المعاملات^{(٥)!!}

(١) المحتضر - حسن بن سليمان الحلي - ص ١٧٤.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة - محمد بن علي بن الحسين الصدوق - ص ٢٥٣.

(٣) بصائر الدرّاجات - محمد بن حسن الصفار - ص ١٦٨.

(٤) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - ج ١ - ص ٥٨.

(٥) ثوابت الفقه ومتغيراته - دراسة في فكر الشهيد محمد باقر الصدر - تحسين البدرى.

أهل الخبرة وفتوى الفقيه... نموذج للاختراعات الفكرية عند فقهاء الحوزة

وليت شعري، أين يُتَاه بكم !

بل، ولم يتوقف الامر عند سلطة الولي الفقيه، بل انهم يوسعون لذلك ويقتّنون ذلك بأن الفقيه لما لم يكن مختصاً بجميع مجالات الحياة، ولما كانت السلطة الاجتهادية في (منطقة الفراغ) واسعة جداً، فإنه يجب عليه ان يلتجأ الى الاختصاصيين في كل مجال لبيان رأيهم وتوصيتهم في المجال المراد التطرق اليه وتطبيق القاعدة عليه من مجالات اقتصادية وسياسية واجتماعية وغيرها فصار شرع الله من سلطة المعصوم الى سلطة المهندس والطبيب والبقال !

يقول الشيخ محمد كاظم الخاقاني ((و لا يكفي مجرد دعوى تحقق العناوين الثانوية في ميادين المصالح العامة من قبل الحاكم أو الهيئة الحاكمة ما لم يقرن ذلك بتأييد من قبل اللجان المختصة، وضوابط الشورى، وإلا فلو فسح المجال لدعوى ثبوت العناوين الثانوية و تشخيص المصالح بلا تقييدها بضوابط الشورى فسوف لا تُبقي معاول أصحاب المصالح ركنا من أركان الشرع إلا و هدمته، و لا تبقي معرفتهم المتأطرة بالصالح مورداً إلا و فسّرته وأوْلَتْه بما يتمشى مع مصالحها الشخصية تحت عناوين مختلفة، فضلاً عما لو قيل بأن من صلاحياتها التدخل في ميادين الأحكام الأولية من المباح والمكره المستحب

بإعطائهما حكماً وجوبياً أو تحريمياً).)^(١)

بل لو تركنا كل الإشكالات السابقة أفالا يكون التعرض لهكذا مسائل - لم يأت بها النص ولا اعملها الأوائل الذين كانوا قريين من عصر المقصوم - لا يكون من التكليف المنهي عنه؟! والذي وردت بشأنه النصوص العديدة مثل قول المقصوم:

((إِنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْكُمُ الْفَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ لَكُمْ حَدَوْدًا فَلَا تَعْتَدُوهَا، وَنَهَاكُمْ عَنِ الْأَشْيَاءِ فَلَا تَتَهَكُّوهَا وَسَكَتْ لَكُمْ عَنِ الْأَشْيَاءِ وَلَمْ يَدْعُهَا نَسِيَانًا فَلَا تَتَكَلَّفُوهَا))^(٢)

وقوله ﷺ :

((وَخَلَفَ فِيهِمْ مَا خَلَفَتِ الْأَنْبِيَاءُ فِي أُمَّهَا إِذَا لَمْ يَتَرَكُوهُمْ هَمْلًا، بِغَيرِ طَرِيقٍ وَاضْعَفَهُمْ وَلَا عِلْمَ قَائِمٍ: كِتَابٌ رِّبِّكُمْ فِيهِمْ مِّيزَانٌ حَلَالٌ وَّ حَرَامٌ وَفَرَائِضٌ وَفَضَائِلٌ وَنَاسِخٌ وَمَنْسُوخٌ. وَرَخْصَهُ وَعَزَائِمُهُ. وَخَاصَّهُ وَعَامَّهُ. وَعَبْرَهُ وَأَمْثَالَهُ. وَمَرْسَلَهُ وَمَحْدُودَهُ. وَمَحْكُمَهُ وَمُتَشَابِهُ مَفْسِرًا مَجْمَلَهُ وَمَبِينًا غَوَامِضَهُ. بَيْنَ مَا خُوذَ مِثْاقٌ فِي عِلْمِهِ وَمَوْسِعٌ عَلَى الْعِبَادِ فِي جَهَلِهِ. وَبَيْنَ مَثْبُتٍ فِي الْكِتَابِ فَرْضَهُ، وَمَعْلُومٍ فِي السَّنَةِ نَسْخَهُ، وَوَاجِبٍ فِي السَّنَةِ أَخْذَهُ، وَمَرْخُصٌ فِي الْكِتَابِ تَرْكَهُ. وَبَيْنَ وَاجِبٍ بِوقْتِهِ. وَزَائِلٍ فِي مُسْتَقْبَلِهِ. وَمَبَايِنٍ بَيْنَ مَحَارِمَهُ مِنْ كَبِيرٍ أَوْ عَدِيلٍ نَّيْرَانَهُ. أَوْ

.٤٧٣٥_blog-post/١٢/٢٠١٣/http://kazemalkhaghani.blogspot.com (١)

/منطقة الفراغ الشرعي - الموقع الرسمي - كاظم الخاقاني . html

(٢) نهج البلاغة - جمع الشريف الرضي - ج ١ - ص ٢٥ .

صغير أرصل له غفرانه. وبين مقبول في أدناه موسع في أقصاه))^(١)

وصية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى الإمام الحسن عليه السلام ((واعلم يابني أن أحب ما أنت آخذ به إلي من وصيتي تقوى الله والاقتصار على ما فرضه الله عليك، والأخذ بما مضى عليه الأولون من آبائك، والصالحون من أهل بيتك، فإنهم لم يدعوا أن نظروا لأنفسهم كما أنت ناظر، وفکروا كما أنت مفكر، ثم ردهم آخر ذلك إلى الأخذ بما عرفوا والامساك عما لم يكلفو))^(٢)

وقوله عليه السلام: ((وما كلفك الشيطان علمه مما ليس في الكتاب عليك فرضه ولا في سنة النبي صلوات الله عليه وسلم وأئمة الهدى أثره فكل علمه إلى الله سبحانه. فإن ذلك متنه حق الله عليك. واعلم أن الراسخين في العلم هم الذين أغناهم عن اقتحام السدد المضروبة دون الغيوب الاقرار بجملة ما جهلوها تفسيره من الغيب المحجوب، فمدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علمًا. وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوله)).^(٣)

بل لقد وصل عن الأئمة عليهم السلام ما هو بالضد من ذلك، فعن سدير الصيرفي قال: قلت لابي جعفر عليه السلام: إني تركت مواليك مختلفين يتبرأ بعضهم من بعض ! قال: فقال: وما أنت وذاك، إنما كُلّف الناس ثلاثة: معرفة الأئمة، والتسليم

(١) نهج البلاغة - جمع الشريف الرضي - ج ١ - ص ٢٦.

(٢) نهج البلاغة - جمع الشريف الرضي - ج ٣ - ص ٤٢.

(٣) نهج البلاغة - جمع الشريف الرضي - ج ١ - ص ١٦٢.

لهم فيما ورد عليهم، والرد إليهم فيما اختلفوا فيه^(١).

فالله سبحانه ورسوله واهل بيته عليهم الصلاة والسلام أرحم وأشفق مما يدعى المدعون من انهم تركونا للفقهاء^(٢)* ليذروا لنا أمور ديننا ودنيانا بلا نصوص تخص الواقع الجزئية التي ستمر بها الأمة!.

ولو اردنا تقريب الامر وتمثيله للقارئ لقلنا:

إن المعصوم والفقهاء والمكلفين وعلاقتهم بمنطقة (الفراغ التشريعي) كعائلة تتكون من أب ناضج وأولاده القاصرين، فهذا الأب ولما رأى من أولاده تقصيراتهم التي تدل على انهم لن ينضجوا مالم يمروا بتجربة قاسية معينة، اختار أن يترك البيت لفترة معينة واخبر الاولاد بأن لديهم كل احتياجاتهم الأساسية - المادية والروحية - والمطلوب منهم أن يتظروا برجوعه مهما كانت احتياجاتهم الكمالية الزائدة عن ما تركه لهم في البيت، وحذرهم من الخروج عن حدود الدار، ولكنهم - وما ان سافر الاب - رأى بعض الاولاد الكبار بأن مستوىهم العقلي افضل من الباقيين فكيف يتساوون في ان يتظروا جميعا في بيت منوع منهم ان يخرجوا شبرا خارجه! فما ان مر وقت قصير حتى قال هؤلاء الكبار للصغرى: إن غياب الاب سبب احتياجات لا غنى عنها، فيجب علينا التصرف حتى إن

(١) الأنوار الساطعة في شرح الزيارة الجامعة - عباس الكربلائي - ج ٤ - ص ٣٨٨.

(٢) * أمر خطير مثل (ولاية الفقيه) يدعون له كل هذه الصالحيات، لكنهم يعترفون بأنه لم يرد فيه نصٌّ صريح، ولا نصوص تفصل سنته وضيقه، ولا نصوص تساعد على تشخيص الأولى به، بل ولا نصوص تؤدي إلى إيضاح الذي يجب أن يتعين به الوالي الفقيه شخصاً إلى (منصبه) المدعى، فالقول بوجود هكذا منصب وبهكذا صالحيات وبهكذا دليل ضعيف فهو قول جريء وتكلف ظاهر!.

لم يضع الأب لنا خطة وذلك لكي نملاً الفراغ المتروك، وهنا اختلف الاولاد
بعضهم قال: ان ملء هذا الفراغ ضرورة لدوار الحياة داخل البيت، وغيرهم
قال: إن الاب كان يعلم بأن الوضع الحالي سيحوّلنا لبعض الامور لذلك ترك
لنا الأساسيات التي لا غنى عنها لنا، وترك باقي الامور الكمالية وخفّف عنا بأن
تركنا داخل البيت ونَصَحَّنا بعدم الخروج حتى نستوعب التجربة ونعلم جيداً
السبب وراء تركنا داخل البيت لفترة معينة!

لكن الاولاد الكبار أُولوا الامر بأن وجود الأب ضرورة واذا غاب الاب
وجب من بعض الابناء ان ينوب مكانه حتى يرجع، وبالتالي نجمع بين الوصية
بالانتظار وبين استمرار الحياة (طبيعة متدايقه متتجددة)! في البيت!

فالإمام المعصوم هو رب العائلة والاب الاولاد الكبار هم الفقهاء الذين تصرفوا
من انفسهم بلا رجوع وبلا تقيد حرفياً بوصيته وتعاليمه.

والاولاد الذين بقوا على تعاليم الاب ولم ينساقوا وراء فهم الاولاد الكبار لما
تركه الاب هم شيعته الباقيون على طريقته ﷺ.

ولا نقول إِلَّا كَمَا قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ ((أَفَأَمْرُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْخِتْلَافِ
فَأَطَاعُوهُ. أَمْ نَهَاهُمْ عَنْهُ فَعَصُوهُ. أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ دِينًا نَاقِصًا فَاسْتَعَانُ بِهِمْ عَلَى إِتَامَهُ.
أَمْ كَانُوا شُرَكَاءَ لَهُ. فَلَهُمْ أَنْ يَقُولُوا وَعَلَيْهِ أَنْ يَرْضَى أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ سَبَّحَانَهُ دِينًا تَامًا
فَقَصَرَ الرَّسُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ تَبْلِيغِهِ وَأَدَائِهِ وَاللَّهُ سَبَّحَانَهُ يَقُولُ ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ
مِنْ شَيْءٍ﴾ (الانعام ٣٨) فيه تبيان كل شئ وذكر أن الكتاب يصدق بعضه

بعضاً وأنه لا اختلاف فيه فقال سبحانه ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ أَخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء (٨٢)). وإن القرآن ظاهره أنيق، وباطنه عميق. لا تفني عجائبه ولا تنقضي غرائبه ولا تكشف الظلمات إلا به) ^(١)

وبالختامة فيما نقول إلا كما قال أمير المؤمنين عليه السلام ((يا كميل الدين الله فلا يقبل الله من أحد القيام به إلا رسولاً أو نبياً أو وصياً.

يا كميل هي نبوة ورسالة وإمامية وليس بعد ذلك إلا موالين متبعين أو عامهين متبدعين، إنما يتقبل الله من المتقين)) ^(٢)

اللهم اجعلنا مع المتقين وارحمنا مع المرحومين، واجعلنا لأولي الامر من المتبعين.

(١) نهج البلاغة - جمع الشريف الرضي - ج ١ - ص ٥٥.

(٢) تحف العقول - الحسن بن علي ابن شعبة الحرااني - ص ١٧٥.

علم الفلسفة:

بما ان التفقة تحول من امر معصومي بحث في مصدره وآلياته الى قضية بشرية عادية يكون من حق البشر العاديين فيها ان يزيدوا وينقصوا ويحددوا ما هو التفقة المشروع وما هو غير المشروع، وما هي الآليات المناسبة لفهم النصوص الشرعية وما هي الآليات غير المناسبة، بل وما هي العلوم التي يتوصل بها الى شرع الله! وما هي من غير ذلك! في ضوء ذلك دخلت بعض العلوم التي أصبحت فيما بعد دروساً أساسية في العلوم (الآلية) لا يمكن التخلّي عنها، فهي علوم توفر الدقة الالازمة لتعقّل بعض المطالب في علوم اخرى، وهذه المطالب لها دخل في استنباط الحكم الشرعي! هنا نتكلّم عن ما يسمى بـ(علم الفلسفة)! التي قيلت بأن بعض مطالب التوحيد (العميقة)! تحتاج لتعقّل مطالب فلسفية لفهمها!

فهذه العلوم العقلية البحتة يظهر أنها دخلت الى المناخ الإسلامي في نهاية القرن الثاني الهجري بسبب حب الطاغية المأمون العباسي لجمع العلوم والاطلاع عليها وترجمتها وإشاعتها بين المسلمين، ومن تلك اللحظة دخلت هذه العلوم في منافسة قوية مع باقي الدراسes التي يدرسها عادة المسلمين للوصول - في الأساس - الى المطالب الشرعية! ولكن هذه العلوم ولما كانت مبادئها وقضاياها ومباحثها لم تأت عن النبي وأهل بيته عليهم الصلاة والسلام، كان الالتباس والاختلاف بل وما تؤدي اليه من اختلاف والتباس في الدين ظاهر ين لا يخفى على من يتبع الخلاف بين المتفلسفة والفقهاء في القرون الأولى.

ولكن! ومثل كل أمر جديد! ما لبثت هذه العلوم ان اصبحت علوماً أساسية لا غنى عنها لفهم (أصول الفقه) بل وتوغلت في جزئيات الفقه وصارت آلة أساسية للعرفان والتوحيد! ولما كان لا غنى عندهم عن (أصول الفقه) وبافي شجرة علوم الحوزة نفسها كان لا غنى عندهم عن الفلسفة! فأصبحت الفلسفة علوماً أساسية للعلوم الشرعية! حتى يُنسب للسيد الخميني رحمه الله قوله ((اخشى ان يموت هذا العلم إن لم تدرسونهم الفلسفة))^(١)! فعلم المعصومين قد يختفي إن لم يدرس الناس فلسفة أفلاطون!

لذا صارت الفلسفة جزءاً من أصول الفقه التي تدور عليه الخطوط العامة للفقه، يقول الشيخ واعظ زاده ((والحق أن علم الأصول عند الإمامية، في القرنين الأخيرين وُجد له طابع فلسفياً، فكثير من مسائلها اختلطت بالفلسفة، فلا يفهمها من لا يعرف الفلسفة الإسلامية، وقسم آخر منها من فرط غموضه هو بنفسه نوع من الفلسفة. وقد سرى ذلك إلى كثير من المسائل الفقهية الفرعية، فلها لون فلسي أيضاً)).^(٢)

ولو كان للناس في المناخ العامي العذر في دخولهم في هذه الامور لبعدهم عن نور العصمة وهدى الثقلين فما عذر من قال له المعصوم:

((لو كان خيراً ما سبقونا إليه))

(١) رضا الصدر - وجيبة في سجن ولاية الفقيه - ص ٤.

(٢) <http://iranarab.com/Default.asp?Page=ViewArticle&ArticleID=425>

لذا فأنت تجد أن كبار فقهاء الشيعة وقفوا في وجه هذه العلوم في البداية ولكنهم لما تنازلوا عن طريقة أهل البيت عليه السلام في التفقه من البداية كان من السهل التنازل عن غيرها من المباديء! فانظر ما يقوله الشهيد الثاني المتوفى عام

٩٦٥ هـ:

((....أَعْظَمُ مِنْ هَذَا مِحْنَةً، وَأَكْبَرُ مُصِبَّيَّةً، وَأَوْجَبُ عَلَى مِرْتَكِبِهِ إِثْمًا، مَا يَتَداوَلُهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمُتَسِمِينَ بِالْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ بَلَادِ الْعُجُمِ، وَمَا نَاسَبَهَا مِنْ غَيْرِهِمْ فِي هَذَا الزَّمَانِ حِيثُ يَصِرُّفُونَ عُمَرَهُمْ وَيَقْضُونَ دَهْرَهُمْ عَلَى تَحْصِيلِ عِلْمَ الْحُكْمِ، كَعِلْمِ الْمَنْطَقِ وَالْفَلْسَفَةِ وَغَيْرِهِمَا، مَا يَحْرُمُ لِذَاتِهِ أَوْ لِنَافَاتِهِ لِلْوَاجِبِ، عَلَى وَجْهِ لَوْ صَرَّفُوا جُزءاً مِنْهُ عَلَى تَحْصِيلِ الْعِلْمِ الْدِينِيِّ الَّذِي يَسَأُلُّهُ تَعَالَى عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سُؤَالًا حَثِيثًا، وَيُنَاقِشُهُمْ عَلَى التَّفْرِيْطِ فِيهِ نِقَاشًا عَظِيمًا حَصَّلُوا مَا يَحِبُّ عَلَيْهِمْ مِنْ عِلْمِ الدِّينِ. ثُمَّ هُمْ مَعَ ذَلِكَ: ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾، بَلْ يَرْعُمُونَ أَنَّ مَا هُمْ فِيهِ أَعْظَمُ فَضْلَيَّةً وَأَتَمْ نَفْعًا. وَذَلِكَ عَيْنُ الْخِذْلَانِ مِنَ اللَّهِ سَبَحَانَهُ وَالْبُعْدُ عَنْهُ. بَلِ الْإِنْسَلَاحُ مِنَ الدِّينِ رَأْسًا أَنْ يُحْيِيَ مِنْ يَرْعِمُ أَنَّهُ مِنْ أَتَبْاعِ سَيِّدِ الْمَرْسَلِينَ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ دِينَ أَرْسَطُوا وَمَنْ شَاكَّهُ مِنَ الْحُكَّمَاءِ، وَيُهْمِلُ الدِّينَ الَّذِي دَانَ اللَّهُ بِهِ أَهْلُ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ. نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْغَفَلَةِ وَنَسْأَلُهُ الْعَفْوَ وَالرَّحْمَةَ.

فَاسْتَيْقِظُوا أَيُّهَا الْإِخْوَانُ مِنْ رَقْدَتِكُمْ، وَأَفِيقُوا مِنْ سَكْرَتِكُمْ، وَتَلَافُوا تَفْرِيْطَكُمْ فِي أَيَّامِ هَذِهِ الْمُهْلَةِ قَبْلَ حلولِ الْمَنَيَّةِ وَنَزُولِ الْبَلَيْةِ، وَقَبْلَ أَنْ تُسْأَلَ إِلَيْهَا وَلَاتِ حِينَ مَقِيلٍ، وَتَطْلُبُونَ كَذَا الرَّجْعَةِ وَلَا يَوْجَدُ إِلَيْهَا سَبِيلٌ، قَبْلَ: ﴿أَنْ تُقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ السَّاخِرِينَ أَوْ

تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿١﴾

فانتبه لقوله عن الفلسفة والمنطق أنها ((ما يحروم لذاته أو لمنافاته للواجب)) وقوله ((وذلك عين الخذلان من الله سبحانه والبعد عنه. بل الانسلاخ من الدين رأساً أن يحيي من يزعم أنه من أتباع سيد المسلمين محمد وآلته الطاهرين دين أرسطو ومن شاكله من الحكماء))! والشهيد الثاني يكاد أن يحكم بکفر من يحيي علم الفلسفة ويترك علم القرآن وال الحديث! وهو موقف لا ينفرد به رحمه الله بل هو موقف مشهور من كبار الفقهاء من المتقدمين ومنتبعهم إلى القرن الثالث عشر الهجري ، ولكن من يتنازل عن طريقة الإمام الصادق إلى طريقة الشافعي وأبي حنيفة فسيتنازل عاجلا أم آجلا، شاء أم أبي، إلى ارسطو وأفلاطون وغيرهما، لكون الباب مفتوح لكل علم يمكن أن يساهم في ((دقة العلوم الشرعية))!

فيما لله ولأعضللة (العلوم الشرعية) المسكينة التي تركها المقصوم بلا آليات ولا مباديء ولا مصادر يعتمد عليها الناس! بل الشكر كله للفقهاء الذين أتوا بأصول فقه الشافعي وبالمنطق الأرسطي وبالفلسفة الإلحادية وبرجال البخاري فأتموا شرعه تعالى وشيدوا ما تركه المقصوم!.

ولا أعرف بعد هذا كيف يلعنون (ال الخليفة المؤمن) والحال أنه من علينا بجلب هذه العلوم الهامة للشرع! وكيف يُزرون على الشافعي والحال أنه وحتى

المعصوم لم يأت بما أتى به هذا الشافعي من قواعد عقلية لترويج الدين وحفظ الإسلام من الضياع؟!

ومن يتفقه على علومهم عليهم السلام يعلم أنهم من الشفقة والرحمة بشيعتهم بمكان
الأخذ الذي لا يتركون لهم من الحديث إلّا ما يرفع شأنهم عند الله يوم فيوم، بل
لحظة فلحظة، وما لم يتركوه لهم ولا هم أوصوهم به ليس جهلا به - وحاشاهم
- بل رعاية لشيعتهم من خطورته ومن مضاعفاته إن لم يكن لذاته، فهذه العلوم
العقلية يعلم كل من اشتغل بها أو عرفها أو عرف من شغفه حبها أنها تسبب
الشعور بعظام الذات وعلو الكعب والعجب بالنفس فيختال المرء بين الآراء
التي كسبها من خلال عقله (الجبار) الذي استطاع هضم ما تركه قبله من
(الحكماء) بل وزاد عليها ودقق فيها فاستطاع بـ(عقله) أن يفهم ويحكم ويزيد
في تلك المسائل حتى يرى لنفسه ذاتا ليست كباقي الناس، فهو من (أصحاب
العقل)! ومع الفتن بـ(الذات العالية) وـ(قوّة العقل) يكون (حب الذات) محور
شخصية هذا المسكين، ومع حب الذات يأتي الطمع والجشع وحب الرئاسة
وحب مطاولة الأقران والجدال والحسد وباقى خبائث الشجرة الخبيثة التي
اجتثها أهل البيت عليهم السلام بقولهم لمن استنصرهم:

يا ابن أبي محمود:

إذا أخذ الناس يمينا وشما لا فالزم طريقتنا، فإنه من لزِمنا لزمناه، ومن فارقنا
فارقناه، فإن ذكرنا أهل البيت شفاء من الوعك والأسقام ووسواس الريب،

وإن محبتنا رضا الرب والآخذ بأمرنا و طريقتنا معنا غدا في حظيرة القدس^(١).

يقول الشيخ يوسف البحرياني في مساويء هذه العلوم وما في حكمها ((وبالجملة فإن الأمر في علماء هذه الأزمان قد بلغ إلى مبلغ لا يحتاج إلى الشرح والبيان من حبّهم للدنيا وحبّ الرئاسة والتقدّم في الأمور والحسد والغيبة وأمثالها ما هو ظاهر مشهور ومتعارف غير منكور، والسبب في ذلك كله هو الاغترار بهذه العلوم الرسمية التي حصلواها والغفلة عن ملاحظة تلك العلوم الأصلية والاصول الحقيقة لأنها قد صارت مهجورة في أكثر الأزمان وغير معمول عليها في كل مكان بل نظر الناس من عالم وغيره إنما هو إلى تحصيل هذه العلوم الرسمية ودقة النظر فيها وجودة الفكر واستخراج معاناتها، فمن كان أطول يدا في ذلك صار هو المشار إليه والمعتمد عليه، وإن كان عارياً من ذلك بالكلية وهذه البليّة في الدين هي أصل كل بليّة. بل ربما أدى منهم الحرص على هذه العلوم الرسمية وشدة الرغبة في تحصيلها إلى التهاون بالعبادات والصلوات وتأخيرها عن أوقاتها أو الإتيان بها على غير ما هو حقّها وترك بعض السنن المرتب فيها... وقد أخبرني من أثق به عن بعض مشائخنا الذي رجعت إليه في وقته رياضة البلاد وعكف عليه جملة من في غيرها من العباد، انه بعد ان كان مواطباً على صلاة الليل تركها اشتغالاً بالمطالعة للعلوم محتاجاً بها ورد من فضل العلم على العبادة وفضل العالم على العابد وهو ما يتنقض منه العجب من مثل

ذلك العلّامة الذي اذعن له في وقته العجم والعرب))^(١)

فانظر ما يحدث بمجرد أن نرى مصلحتنا بأنفسنا! فنحن كبشر عاديين غير مؤهلين لمعرفة مصلحتنا ولا كيف نصل إليها لذلك أرسل الله الأنبياء والرسل وجعل من بعدهم أوصياء لإرشاد الناس إلى مراد الله سبحانه وتعالى، فعندما نغير الطريقة يتغير كل شيء! ولنأخذ درساً منهم ﷺ في الالتزام بدقة بما يريدونه من شيعتهم:

روى الشيخ الصدوق بسنده عن عبد الله بن سنان قال:

قال أبو عبد الله عليه السلام:

ستصيّبكم شبهة فتبقون بلا علم يرى، ولا إمام هدى ولا ينجو منها إلا من دعا بدعا الغريق، قلت: كيف دعاء الغريق؟

قال: يقول: (يا الله يا رحمن يا رحيم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك).

فقلت: (يا الله يا رحمن يا رحيم يا مقلب القلوب والابصار ثبت قلبي على دينك)؟

قال: إن الله عز وجل مقلب القلوب والابصار ولكن قل كما أقول لك: (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)!.

فانتبه إلى أن كلام عبد الله بن سنان بزيادة الكلمة واحدة هي (الأبصار) وهي

(١) الدرر النجفية من الملتقطات اليوسفية - يوسف البحرياني - ج ٢ - ص ٦٦

كلمة حق اقرّها الإمام ﷺ ولكنـه في صدد ترك (تركيبة) دوائية الزيادة فيها كالنقص! لذلك قال له: ((إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَ مَقْلُبَ الْقُلُوبِ وَالْأَبْصَارِ وَلَكَنْ قَلَ كَمَا أَقُولُ لَكَ))!

وكذلك انظر الى رواية الشيخ الكليني بسنده عن العلاء بن كامل قال:

((سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول عند المساء: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت ويحيي وهو كل شيء قدير.

قال: قلت: بيدـه الخـير؟

قال: إنـ بـيدـه الخـير ولكنـ: قـل كـما أـقول...))^(١)

فانتبه لتعليمـهم لـشـيعـتهم ان لا يـزيدـوا حتىـ الكلـمة علىـ قـوـهم عليـهمـ السـلامـ، فـكيف بـعلـومـ يـدـعـى أنـ لا قـوـامـ لـلـشـرـعـ الاـ بهـاـ، وـالـزـعـمـ اـنـهـمـ عليـهمـ السـلامـ تـركـوهـاـ لـعدـمـ الحاجـةـ وـأنـجـدـناـ بـهـاـ المـأـمـونـ وـالـشـافـعـيـ وـابـوـ حـنـيفـةـ!!

وليس غريباً أنـ يـلـتـفـتـ جـمـعـ مـنـ دـرـسـ وـدـرـسـ هـذـهـ الـعـلـومـ إـلـىـ تـرـكـهـاـ وـالـرجـوعـ لـلـثـقـلـيـنـ مـثـلـمـ حـصـلـ لـلـشـيخـ الفـيـضـ الـكـاشـانـيـ وـتـأـلـيـفـهـ لـرسـالـةـ (الـإـنـصـافـ) لـلـتـبـرـؤـ مـنـ الـفـلـسـفـةـ وـالـعـرـفـانـ، وـانـظـرـ ماـ كـتـبـهـ الشـيـخـ النـائـيـنـيـ فـيـ سـيـرـةـ اـسـتـاذـهـ (الـآـقاـ مـيرـزاـ مـهـديـ الـأـصـفـهـانـيـ الـخـراسـانـيـ) لـتـعـلـمـ الـفـرقـ بـيـنـ مـنـ يـعـيـشـ الـفـوـضـيـ وـالـالـتـبـاسـ فـيـ ظـلـ هـذـهـ الـعـلـومـ وـبـيـنـ مـنـ يـعـيـشـ الـاطـمـئـنـانـ فـيـ ظـلـ الـوـحـيـ:

(١) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - ج ١ - ص ٥٢٧.

يقول الشيخ النائيني عن أستاذه ميرزا مهدي الأصفهاني ((....وكان مشتغلًا بتعلم الفلسفة المتعارفة وبلغ أعلى مراتبها قال: لم يطمئن قلبي بنيل الحقائق ولم تسكن نفسي بدرك الدقائق فعطفت وجه قلبي إلى مطالب أهل العرفان فذهبت إلى أستاذ العرفاء والصالحين السيد أحمد المعروف بالكربالائي في كربلاء وتلمنذت عنده حتى نلت معرفة النفس وأعطيتني ورقة أمضتها وذكر اسمى مع جماعة بأنهم وصلوا إلى معرفة النفس وتخليتها من البدن، ومع ذلك لم تسكن نفسي إذ رأيت هذه الحقائق والدقائق التي سموها بذلك لا تتوافق ظواهر الكتاب وبيان العترة ولا بد من التأويل والتوجيه.

ووجدت كلتا الطائفتين كسراب بقيعة يحسبه الضمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، فطويت عنهم كشحاً، وتوجهت وتولست مجدًا مكدا إلى مسجد السهلة في غير أوانه باكيًا متضرعاً متخشعاً إلى صاحب العصر والزمان ﷺ، فبيان لي الحق وظهر لي أمر الله ببركة مولانا صاحب الزمان صلوات الله عليه، ووقع نظري في ورقة مكتوبة بخط جلي: طلب المعرف من غيرنا أو طلب الهدایة من غيرنا (الشك مني) مساوق لإنكارنا، وعلى ظهرها مكتوب: أقامني الله وأنا حجة ابن الحسن.

قال: فتبرأت من الفلسفة والعرفان وألقيت ما كتبت منها في الشط ووجهت وجهي بكله إلى الكتاب الكريم وآثار العترة الطاهرة فوجدت العلم كله في كتاب الله العزيز وأخبار أهل بيته الرسالة الذين جعل لهم الله خزانة لعلمه وترجمة لوحيه، ورَغَبْ وأكَدَ الرسول ﷺ بالتمسك بهما، وضمن الهدایة

للمتمسك بها، فاخترت الفحص عن أخبار أئمة المهدى والبحث عن آثار سادات الورى، فأعطيت النظر فيها حقه وأوفيت التدبر فيها حظه، فلعمري وجدتها سفينـة نجـاة مشحـونة بـذخـائر السـعادـات وأـلـفـيـتها فـلـكـا مـزـينـا بالـنـيرـات المـنجـية من ظـلـمـاتـ الـجـهـالـاتـ، وـرـأـيـتـ سـبـلـهاـ لـائـحةـ وـطـرـقـهاـ وـاضـحـةـ وـأـعـلامـ الـهـدـاـيـةـ وـالـفـلاحـ عـلـىـ مـسـالـكـهاـ مـرـفـوعـةـ، وـوـصـلـتـ فـيـ سـلـوكـ شـوـارـعـهاـ إـلـىـ رـيـاضـ نـضـرـةـ وـحـدـائـقـ خـضـرـةـ مـزـينـةـ بـأـزـهـارـ كـلـ عـلـمـ وـثـمـارـ كـلـ حـكـمـةـ إـلهـيـةـ المـوـحـادـةـ إـلـىـ النـوـامـيـسـ الإـلهـيـةـ فـلـمـ أـعـثـرـ عـلـىـ حـكـمـةـ إـلـاـ وـفـيـهاـ صـفـوـهـاـ، وـلـمـ أـظـفـرـ بـحـقـيـقـةـ إـلـاـ وـفـيـهاـ أـصـلـهـاـ. وـالـحـمـدـ لـلـهـ الـذـيـ هـدـانـاـ لـهـذـاـ وـمـاـكـنـاـ لـنـهـتـدـيـ لـوـلـاـ أـنـ هـدـانـاـ اللـهـ.)^(١)

وقوله: ((طلب المعرف من غيرنا أو طلب الهدایة من غيرنا مساوٍ لإنكارنا)) هي بحق كلمة عميقة ولها واقع، فلو كان المؤمن مكتفياً بالمعصومين فلماذا يتقطّع على فتات موائد الفساق والضلال والكفار؟!

لهذا وغيره ترى ان المستغلين في العلوم العقلية لا يعدمون القول بأقوال لا دليل عليها من كتاب او سنة، مثل القول بـ((الجسم الإلهي)) عند صدر الدين الشيرازي!

يقول السيد الخوئي ((....والعجب من صدر المتألهين حيث ذهب إلى هذا القول في شرحه على الكافي وقال ما ملخصه: إنَّه لا مانع من التزام أنه سبحانه جسم إلهي، فإنَّ للجسم أقساماً فمنها: جسم مادي وهو كال أجسام الخارجية

(١) مستدرك سفينـةـ الـبـحارـ - عـلـيـ النـهـازـيـ الشـاهـرـوـديـ - جـ ١ـ صـ ١٠ـ .

المشتملة على المادة لا محالة. ومنها: جسم مثالي وهو الصورة الحاصلة للإنسان من الأجسام الخارجية وهي جسم لا مادة لها. ومنها: جسم عقلي وهو الكلي المتحقق في الذهن وهو أيضاً ما لا مادة له بل وعدم اشتغاله عليها أظهر من سابقه. ومنها: جسم إلهي وهو فوق الأجسام بأقسامها وعدم حاجته إلى المادة أظهر من عدم الحاجة إليها في الجسم العقلي، ومنها: غير ذلك من الأقسام، ولقد صرّح بأن المقسم لهذه الأقسام الأربع هو الجسم الذي له أبعاد ثلاثة من العمق والطول والعرض،. وليت شعري أن ما فيه هذه الأبعاد وكان عمقه غير طوله وهمما غير عرضه كيف لا يشتمل على مادة ولا يكون متركاً حتى يكون هو الواجب سبحانه. نعم، عرفت أن الالتزام بهذه العقيدة الباطلة غير مستتبع

(١) شيء من الكفر والنجاست))

ولما أكّد ذلك أحد روّاد معتنقي مدرسته الفلسفية حاول إيجاد العذر لذلك بأنه (مختصر) !!

يقول السيد كمال الحيدري ((افترض انه مثل الملا صدرا متخصص ولا شك أنه من أكابر المتخصصين فماذا لو صار بناؤه على ان الله جسم؟! هل تعلمون بان الملا صدرا قائل بالجسمية؟! في شرح اصول الكافي! وهذا كثير من الاعزاء طلبوا مني عدم ذكر هذا في مكان ما! وقلت لهم سأقوله في (قناة الكوثر)! نعم هو يقول هي جسمية إلهية! نعم هو في المقدمة هو يقول: ان الجسم له طول

وعرض وعمق وهو جسم حسي خيالي عقلي إلهي ، والله جسم ضمن هذه الموصفات ! ولذلك جملة من اعلام الفقهاء من تلامذة السيد الخوئي كفروه على هذه المسألة))^(١)

وحقا كما قال ﷺ ((تصون الشهاد^(٢)* وتدعون النهر الأعظم ؟ !))^(٣) !

ولما كانت (كرة الثلج) لا تتوقف إذا انهدت من الجبل إلاّ بعد أن تتضخم مرات ومرات بقدر حجمها ، كذلك آراء الناس ليس لها قرار، فها دام الباب مفتوحا للزيادة والنقصان - بلا دليل واضح من معصوم - بحجّة او بأخرى فلا مجال لإغلاقه بوجه محدث جديد، فكل من يأتي بشيء يرى ان له الحق بأن يقول: هذا العلم فيه تشديد للدين ! وإرغام لأنوف الفاسقين والمخالفين ! فيصبح بعد جيل او جيلين علما لا غنى عنه للشرع القوي !

(١) مقطع بصوت <https://www.youtube.com/watch?v=IDUON4zDkvo>

السيد الخوئي من درس البحث الخارج على هذا الرابط .

(٢) * الشهاد: هو الماء الذي المحصور لا مادة له يزداد منها .

(٣) بصائر الدرجات - محمد بن حسن الصفار - ص ٢٤٨ .

شبهة ابن كمونة... عجز الفلسفه و انتصار الوحي!

سعد بن منصور البغدادي الإسرائيلي، المعروف بابن كمونة، توفي عام (٦٨٣هـ / ٦٩٠هـ) له شبهة على التوحيد، يسمى بها الفلسفه شبهة (افتخار الشياطين) أو (الجذر الأصم)، ويقال بأن أصل الشبهة كان قدّها لكتبه قدّمها بشكل جديد، فهو يورد شبهة بإمكانية أن يوجد خالقان وبشروط معينة لا يكون هناك مانع من وجودهما، ومفادها:

((لماذا لا يجوز أن تكون هناك هوّيتان بسيطتان متباعدتا الذات ليس بينهما قدر اشتراك حتى يحتاج إلى ما به الامتياز، ويكون صدق الوجود عليهما عرضياً كصدق العرض على الأجناس التسعة العرضية؟))

ولما كانت شبهته نقض على القول بوحدانية الخالق، وتشيد دعوى بأن القول بشنوية الخالق أمر ممكن ولا مانع منه! تصدى الفلسفه المسلمين لرد هذه الشبهة، ولكن بلا فائدة، حتى استحکمت هذه الشبهة على الفلسفه والفقهاء! كما ينقل بعضهم إن هذه الشبهة ((جعلت الفلسفه حيارى وصرعى لا يعلمون ماذا يفعلون!))^(١)

وبقيت الشبهة مستعصية لثلاثة قرون، ويقال أنها وراء تغيير فلاسفه من أمثال صدر الدين الشيرازي والملا هادي السبزواري مبنیهم من أصالة الماهية

(١) تعارض الأدلة ١٦٧ - درس السيد کمال الحیدری.

إلى أصل الوجود^(١)*! بسبب عدم القدرة على الحل إلاّ وفق هذا المبدأ! بل قيل
((إن المحقق الخونساري صاحب (مشارق الشموس) الذي كان يُلقب بالعقل
الحادي عشر ، قال: لو ظهر الحجة (عجل الله فرجه) لما طلبت معجزة منه إلا
الجواب عن شبهة ابن كمونة))^(٢)

وملخص الشبهة بيان ثانٍ: إن صاحب الشبهة لأجل تشييد رأيه في تعدد مبدأ
الكون ورجوعه إلى مبدأين اثنين لا مبدأ واحداً يفترض وجود ذاتين واجبتين
بسقطتين ومتباينتين بتمام الذات بحيث لا سبيل إلى اشتراكهما، ويكون الوجود
صادقاً على كل منهما صدقاً متساوياً كصدق العنوان على معنوناته، ومثاله صدق
العرض على المقولات التسع والتي هي: ((الكيف، الكم، الفعل، الانفعال،
الإضافة، المتى، الاين، الوضع، الجهة)) فكل مقوله من هذه المقولات تسمى
عَرَضاً، ولا ميز في عرضية أي واحد منها على الآخر، كذلك الوجود يصدق على
الذاتين بسقوطتين من دون ميز واختلاف فلا تناقض في انتهاء جميع الأشياء في
عالم الكون والفساد إلى ذاتين بسقوطتين (كالنور والظلمة مثلاً على قول الشنويين)
يكونان علتين لجميع المعلولات.

(١) * كان القول بأصل الماهية واعتبارية الوجود هو الرائع حتى عصر الملا صدر الدين الشيرازي، وبعد قول الشيرازي بأصل الوجود واعتبارية الماهية انكسرت شهرة القول الأول واشتهر القول برأي الشيرازي، ولكن! لما كانت هذه الأمور تتجها عقول ناقصة وليس هي مسترشدة بالوحى فقد بدأ رأي الشيرازي بالانكسار في عصرنا عندما طرح الفيلسوف الإيراني غلام رضا الفياضي نظرية القول بأصل الوجود والماهية كلية! وليسف أكثر من الف سنة من الفلسفة القائمة على الصراع بين الرأيين السالفين! ولا حول ولا قوة إلا بالله، أعمار تفتى في دراسة وتدرس علوم لا حظ لها من الحقيقة!.

(٢) الفردوس الاعلى - محمد حسين كاشف الغطاء - ص ٢٠٠.

ولكون الناس (فقهاء وفلاسفة وغيرهم) بعيدة عن الممارسة في حديث المقصومين ، فإن الحل كان موجوداً ومن كتب أُلفت في القرن الثاني الهجري عند الشيعة لكنه غاب عنهم، أو بالأحرى: هم غابوا عنه! ففي حديث الإمام الصادق علسه السلام مع الزنديق يقول الإمام الصادق عليه السلام:

((لا يخلو قولك إنها اثنان من أن يكوننا قديمين قويين، أو يكوننا ضعيفين، أو يكن أحدهما قوياً والآخر ضعيفاً، فإن كانا قويين: فلم لا يدفع كل منها صاحبه ويتفرد بالتدبير؟! وإن زعمت أن أحدهما قوي والآخر ضعيف: ثبت أنه واحد كما نقول للعجز الظاهر في الثاني، فإن قلت: إنها اثنان لم يخلو من أن يكونا متفقين من كل جهة، او متفرقين من كل جهة، فلما رأينا الخلق منتظمًا، والفلك جارياً والتدبیر واحداً الليل والنهر والشمس والقمر دلّ صحة الامر والتدبیر وائتلاف الامر على ان المدّبّر واحد، ثم يلزمك ان ادعیت اثنين فرجة ما بينهما حتى يكونا اثنين فصارت الفرجة ثالثاً بينهما قد يمها معهما فيلزمك ثلاثة فان ادعیت ثلاثة لزمك ما قلت في الاثنين حتى تكون بينهم فرجة فيكون خمسة ثم يتنهى في العدد الى ما لا نهاية له في الكثرة))^(١)

وبعدما انتبهوا الى كلام الإمام الصادق عليه السلام أسموه: دليل الفرجه !

وملخص ما ورد عن الإمام الصادق في الرد على هذه الشبهة: وهو ان القائل بوجود ذاتين بسيطتين يلزمه القول بأنهما منفصلتان، لأن الذاتين البسيطتين

المتبaitين بتمام الذات لابد ان يكون بينها فاصل (فُرجة) أي فُسحة، والفرجة امر ثالث بسيط غير الذاتين، فتكون الذاتان إذن ثلاثة (مع الفُرجة)، وبما أنها جمیعا متباینة بتمام الذات يلزم ان يكون بين كل اثنین منها فرجة، فيصیر المجموع خمسة ، وهكذا بين كل واحد الآخر منها فرجة فتصير تسعه ويتصاعد العدد الى غير نهاية. فهذا هو مراد الامام الصادق من قوله: (ثم ينتهي العدد الى ما لا نهاية له من الكثرة) ولكن التسلسل الى غير نهاية باطل، فتبطل الشبهة! .

بهذه البساطة رد المعصوم شبهة شيطانية ألقاها الشيطان في أذهان أوليائه وأزاحها المعصوم بشكل حاسم ببضعة أسطر! ولكن القوم بعدهم عن الحديث ظلوا يصنّعون الأوجبة العقلية لعدة قرون وكلها لا تجدي نفعاً، فحتى (العقل الحادي عشر)!! تمنى ظهور المعصوم ليسأله عن هذه الشبهة!! حتى رجعوا الى الحديث فوجدوها من عين صافية! وهذا هو الفرق بين عقل المعصوم والذي نسمح له بكل إجلال وإكرام ان يفكّر عنا، وبين عقول الناس التي ما اتفقت على شيء حتى اختلفت على آخر! .

ومن محدثات الامور هي تلقيب الفقهاء لأنفسهم بلفظ (الإمام) في أزماننا هذه! وهي جرأة واي جرأة على مقام المعصوم، فـ((كل من اقتدي به، وقدم في الأمور فهو إمام))^(١)، وهذا ما نقوله عندما تخلّي الكلمة بالألف واللام، فالمعصوم هو الرجل المقتدى به، المقدّم في الامور جميعها لاستكماله كل الفضائل

والكلمات، وهذا لا يوجد عند غير المعصوم طبعاً، لكن الفقهاء الشيعة في هذه

المسألة تأثروا بالمخالفين فصاروا يبالغون في إضافة الألقاب إلى ذواتهم ومنها

لقب (الإمام) إذ صار يتصدر أسماءهم على أغلفة الكتب والصور الشخصية!

عندما تقرأ ما يصفيه الأئمة عليهم السلام على لقب مقام الإمامة وترى عظمته

وجلالته تتصادر كل الفقهاء والألقاب والذوات امام قاماتهم السامية عليهم السلام،

إذ يقول المعصوم:

((إن الإمامة أجل قدراً وأعظم شأننا وأعلاً مكاناً وأمنع جانباً وأبعد غوراً

من أن يبلغها الناس بعقولهم، أو ينالوها بآرائهم، أو يقيموا إماماً باختيارهم....

إن الإمامة هي منزلة الأنبياء، وإرث الأووصياء، إن الإمامة خلافة الله وخلافة

الرسول صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ ومقام أمير المؤمنين عليه السلام وميراث الحسن والحسين عليهما السلام إن الإمامة

زمام الدين، ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا وعز المؤمنين، إن الإمامة أس

الإسلام النامي، وفرعه السامي، بالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج

والجهاد، وتوفير الفيء والصدقات، وإمضاء الحدود والأحكام، ومنع التغور

والأطراف. الإمام يحل حلال الله، ويحرم حرام الله، ويقيم حدود الله، ويذب

عن دين الله، ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة، والموعظة الحسنة، والحججة البالغة،

الإمام كالشمس الطالعة المجللة بنورها للعالم وهي في الأفق بحيث لا تناها

الأيدي والابصار.

الامام البدر المنير، والسراج الزاهر، والنور الساطع، والنجم الهادي في غياحب الدجى وأجواز البلدان والقفار، ولحج البحر، الامام الماء العذب على الظباء والدال على الهدى، والمنجي من الردى، الامام النار على اليفاع، الحار من اصطلى به والدليل في المهالك، من فارقه فهالك، الامام السحاب الماطر، والغيث الهاطل والشمس المضيئه، والسماء الظلليلة، والأرض البسيطة، والعين الغزيرة، والغدير والروضة. الامام الأنبياء الرفيق، والوالد الشقيق، والأخ الشقيق، والام البرة بالولد الصغير، ومفزع العباد في الداهية الناد، الامام أمين الله في خلقه، وحجته على عباده وخليفته في بلاده، الداعي إلى الله، والذاب عن حرم الله.

الامام المُطَهَّر من الذنوب والمبرأ عن العيوب، المخصوص بالعلم، المرسوم بالحلم، نظام الدين، وعز المسلمين وغيظ المنافقين، وبوار الكافرين. الامام واحد دهره، لا يدانيه أحد، ولا يعادله عالم، ولا يوجد منه بدل ولا له مثل ولا نظير، مخصوص بالفضل كله من غير طلب منه له ولا اكتساب، بل اختصاص من المفضل الوهاب.

فمن ذا الذي يبلغ معرفة الامام، أو يمكنه اختياره، هيئات هيئات، ضلت العقول، وتأهت الحلوم، وحاررت الألباب، وخست العيون وتصاغرت العظام، وتحيرت الحكاء، وتقاصرت الحلماء، وحضرت الخطباء، وجهلت الألباء، وكلت الشعراء، وعجزت الأدباء، وعييت البلغا، عن وصف شأن من شأنه، أو فضيلة من فضائله، وأقرت بالعجز والتقصير، وكيف يوصف بكله،

أو ينعت بكنهه، أو يفهم شيء من أمره، أو يوجد من يقوم مقامه ويغنى عنه،
لا كيف وأني؟ وهو بحيث النجم من يد المتناولين، ووصف الواصفين، فأين
الاختيار من هذا؟ وأين العقول عن هذا؟ وأين يوجد مثل هذا؟!

أتظنون أن ذلك يوجد في غير آل الرسول محمد ﷺ كذبتهم والله أنفسهم،
ومنتهم الأباطيل فارتقا مرتفعا صعبا دحضا.... وإن العبد إذا اختاره الله عز
وجل لأمور عباده، شرح صدره لذلك، وأودع قلبه ينابيع الحكمة، وألهمه العلم
إلهاما، فلم يعي بعده بجواب، ولا يحير فيه عن الصواب، فهو معصوم مؤيد،
موفق مسدد، قد أمن من الخطايا والزلل والعثار، يخصه الله بذلك ليكون حجته
على عباده، وشاهده على خلقه، وذلك فضل الله

يؤتى به من يشاء والله ذو الفضل العظيم. فهل يقدرون على مثل هذا فيختارونه
أو يكون مختارهم بهذه الصفة فيقدمونه؟^(١))

فاسأل نفسك كيف يحيز بعض الفقهاء وضع لقب (الإمام) أمام صورهم؟
نعم سيقولون ان الرواية وأمثالها جاءت في إماماً المعصوم، والفقيه وحاشيته
تضع اللقب من باب الأصل اللغوي لا الاصطلاحى !

وعندما نقول: لماذا يغرم الفقيه بالتشبه بالإمام المعصوم في مختصاته؟
ليس المفترض انه نائب له ومن اللازم للفقيه التشبه بالمعصوم في كل حركاته
وسكناته التي تتضمن العمل والنهي الوارد عنه، فلم يريد الفقيه ان يشرك نفسه

حتى في اللقب؟ لذلك تجد أن مثل هذه الأمور التي يسمونها (شكلية) تخيف الرأي مما وراءها! فالحواشي التي تزّين للفقيه^(١)* تلكم الالقاب والمصطلحات والصلاحيات تحرّه - حتى وإن لم يشاً - جرّا إلى محاولة (ملاء) فراغ تركه معصوم! وهذا الفراغ لم يمكن ملاؤه، بل لا يجوز ملاؤه إلّا لصاحبـهـ، وإلّا فلو كان الإمام المعصوم يريد أن يملأ الفراغ الذي سيسببه غيابـهـ لكان تركـ ما يكفيـ وبروايات عديدة تتناسب مع ضخامة الوظيفة - من تراث يستطيع المكلف فيه الوصول إلى هؤلاء التوابـ!ـ لا أن يكون الأمر من عويصات المسائل لطلبةـ الحوزـاتـ قبلـ غيرـهمـ منـ يـسمـونـهـمـ ((ـالـعـوـامـ))ـ!ـ فـمـاـ هيـ أدـلـةـ الـاجـتـهـادـ؟ـ

وكيف يكتسبـهاـ الفـقيـهـ؟ـ وماـ عـلـامـةـ اـجـتـهـادـهـ؟ـ وماـ صـلـاحـيـاتـهـ؟ـ وماـ دـلـيلـهـ؟ـ وهـلـ يـشـرـطـ الأـعـلـمـ فـيـهـ؟ـ وماـ هـيـ الأـعـلـمـيـةـ؟ـ وماـ هـوـ مـتـعـلـقـهـ؟ـ وماـ الدـلـيلـ عـلـيـهـ؟ـ وكـيـفـ تـشـبـتـ؟ـ وـمـنـ قـالـ بـذـلـكـ؟ـ وـمـنـ هـوـ الـمـرـجـعـ مـنـهـمـ؟ـ وـمـنـ هـوـ الـمـرـجـعـ الـأـعـلـىـ؟ـ وـمـنـ هـوـ الإـمـامـ مـنـهـمـ؟ـ

كلـهاـ أـلـغـازـ تـفـتـقـ عـنـهاـ أـذـهـانـ الـفـقـهـاءـ لـأـصـلـ هـاـ مـسـمـوـعـ مـنـهـمـ!ـ وـكـلـ هذاـ التـأـسـيسـ لـهـذـهـ الزـعـامـاتـ مـنـهـيـ عـنـهاـ بـصـرـيـحـ الـالـفـاظـ مـنـ قـبـلـهـمـ!ـ فـالـتـقـفـ هوـ أـمـرـ عـامـ لـكـلـ الـمـكـلـفـينـ،ـ نـعـمـ،ـ لـاـ مـانـعـ مـنـ اـعـتـمـادـ بـعـضـ الـمـؤـمـنـينـ عـلـىـ

(١) * كنموذج للاطلاع على حجم التأثير الشخصي على قرارات مصيرية يتخذها المرجع راجع لقاءات السيد طالب الرفاعي وذكرياته عن تأسيس حزب الدعوة ولاحظ تأثيره الكبير على قرار السيد محمد باقر الصدر (وهو يومئذ بعمر ٢٢ سنة) ومن ثم التأثير على شخص السيد محسن الحكيم، وكلامه عن الخطوط الشيعية في حزب التحرير وحزب الإخوان المسلمين وتغلغل هؤلاء فيما بعد في حزب الدعوة الإسلامية .<https://www.youtube.com/watch?v=adqu2q9jZfE>

الآخر في ذلك ولكن ليس كما أَسَّسَ له الفقهاء وكما وصل إلى هذه الدرجة اليوم! من وجوب تعين فقيه للتقليد تبطل أعمال العبد بلا التزام كلامه!! ويجب عليه متابعته في كل رأي له في مسألة خارجية، فقهية، اقتصادية، سياسية!! بل ويجب عليه تسليم الحقوق الشرعية لمكتبه فقط! ولو دفعها لغير مكتبه وجب إعادة دفعها من جديد!! وكأنهم من أديان مختلفة! لذا فلا نستغرب إن أهل البيت عليه السلام حذروا من هذه المسالك في تجميع السلطات وادعاء الزعامات منذ الزمان الأول إذ ورد:

عن الإمام الصادق عليه السلام: إياك و هوئاء الرؤساء الذين يترأson، فوالله ما خفقت النعال خلف أحد إلا هلك وأهلك. ^(١)

وعن الإمام الصادق عليه السلام: اتقوا الله ولا تأتوا الرؤساء، دعوهם حتى يصيروا أذناباً، أنا والله خير لكم منهم. ^(٢)

ومصطلح (الرؤساء) كان يستعمل في رؤساء الفرق والديانات كما في رؤساء القبائل، انظر ما يقوله الشيخ الصدوق رحمه الله:

((...أما الفطحية فالحججة عليها أوضح من أن تخفي لأن إسماعيل مات قبل أبي عبد الله عليه السلام، والميت لا يكون خليفة الحي، وإنما يكون الحي خليفة الميت، ولكن القوم عملوا على تقليد الرؤساء وأعرضوا عن الحجة وما في باهها. وهذا

(١) الفصول المهمة في أصول الأئمة - الحر العاملی - ج ١ - ص ٥٢٧.

(٢) الفصول المهمة في أصول الأئمة - الحر العاملی - ج ١ - ص ٥٢٧.

أمر لا يحتاج فيه إلى إكثار لأنه ظاهر الفساد، بين الانتقاد.)^(١)

فهؤلاء (الرؤساء) هم مصدر الخطر حينما يكونون غير معصومين، فالرئاسة للمعصوم فقط لمنع فتيل هذا الخطر الذي يراود كل البشر بوهم التزعم على الناس بحجة الدين أو الدنيا يقول الشيخ المازندراني في شرح الحديث الشريف ((...ثم علل التحذير بقوله (فوالله ما خفقت النعال خلف رجل إلا هلك وأهلك) نظيره ما رواه المصنف في كتاب الروضۃ بإسناده عن جويرية بن مسهر قال: اشتدت خلف أمير المؤمنین ﷺ فقال لي: (يا جويرية إنه لم يهلك هؤلاء الحمقى إلا بخفق النعال خلفهم))^(٢))

لذا لم يترك الأئمة عليهم السلام من العلوم إلا التي يتبع بها الناس المعصوم، وحدروا من الأخذ في الدين من غيرهم لكونها ستؤدي حتماً إلى التأسيس للرئاسات وخفق النعال! لذا ترك المعصوم لنا الحديث فقط حتى تتبع فقط المعصوم يقول الإمام الصادق عليه السلام:

((تزاوروا فإن في زيارتكم إحياء لقلوبكم وذكرا لأحاديثنا، وأحاديثنا تعطف بعضكم على بعض فإن أخذتم بها رشدتم ونجوتم وإن تركتموها ضللتم وهلكتم، فخذلوا بها وأنا بعجاتكم زعيم))^(٣)

فما دمنا نريد النجاة في الدنيا، وكل همنا هو النجاة لا أكثر، فاتباع حديثهم عليهم السلام

(١) كمال الدين وقام النعمة - محمد بن علي بن الحسين الصدوق - ص ١٠٢ .

(٢) شرح أصول الكافي - محمد صالح المازندراني - ج ٩ - ص ٣٠١ .

(٣) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - ج ٢ - ص ١٨٦ .

هو الموصى للنجاة والكفيل به، والزعيم بالنجاۃ هو الإمام الصادق عليه السلام فما الذي
يريده المؤمن أكثر من هذا؟

وهذه هي السرعة التي تركها المقصوم لا غير، ومن قال بغير ذلك فليراجع
نفسه! فـ((إنما الناس رجالان، متبع شرعة، ومبتدع بدعة))^(١) ولا ثالث لهما!
فانظر هل أنت متبع شرعة أم مبتدع بدعة؟!

الاختراق الأخطر... التقريب بين المذاهب و الإسلام السياسي!

لو نظرنا الى الاختلاط الشيعي السنوي في القرن العشرين لوجدنا شخصين تركا الأثر الأكبر على هذا اللون الغريب على الثقافة الشيعية، فال الأول كان له الدور الأكبر في دعم (دار التقريب بين المذاهب) ومساندتها مادياً و معنوياً وذلك قبل منتصف القرن العشرين وبعده بقليل وهو السيد حسين البروجردي رحمة الله، والثاني استنسخ التجربة السياسية السنوية وحووها الى نسخة شيعية ولا زلنا نعيش نتائجها في العراق منذ نصف قرن تقريباً، وهو السيد محمد باقر الصدر رحمة الله.

السيد حسين البروجردي (١٨٧٥ - ١٩٦٢) م صار المرجع الأكبر بعد وفاة السيد أبو الحسن الاصفهاني عام ١٩٤٦ م وما بين هذه التاريخ وتاريخ بروز السيد محسن الحكيم كمرجع في العراق كانت هناك فترة الخمسينيات وهي الفترة التي انفرد بها السيد البروجردي بالزعامة الدينية للشيعة، وهنا طُبعت الحوزة الإيرانية بوجهات النظر الشخصية للسيد، وهو امر طبيعي، فالمرجع الديني إنسان أثرت به مجموعة مؤثرات عائلية، وبيئية / اجتماعية، وشخصية مكتسبة، وجميعها تحكم شخصيته في النهاية، وبالتالي تكون الشخصية العامة لأى إنسان هي مزيج مؤثرات عديدة و مختلفة مررت على حياته، سواء كان هذا الإنسان مرجعاً دينياً، او حاماً، أو طبيباً او بقلاً ، أو غيره.

وللشخص القدوة أثر بالغ في تكوين الشخصية العامة للإنسان، وفي موضوع حديثنا كان له الأثر الأبلغ! فالسيد البروجردي كان ينظر للشيخ الطوسي نظرة خاصة وبإعجاب خاص، يقول تلميذه الأبرز الشيخ واعظ زاده عن هذا الإعجاب:

((وكان الأستاذ البروجردي يكنّ حباً خاصاً للشيخ الطوسي من بين القدماء. ويرى أن الشيخ الف بعض كتبه، مثل: (الخلاف)، و(المبسوط) للعالم الإسلامي عامة، وبعضها الآخر، مثل: (النهاية) والكتب الفقهية الأخرى لعالم التشيع خاصة))^(١)

ومن هذا النص نستتتج أن السبب الأكبر للإعجاب بالشيخ الطوسي هو منهجه (المرن) تجاه العامة!، وهو امر كان يفترض به أن يكون قيد الدليل لا العكس!.

وهذا الإعجاب الخاص بشخص الشيخ الطوسي وبمنهجه في التأليف بل وبفهمه هذا التأليف على نهج خاص وهو التأليف للشيعة وللعلامة أفرز شخصية شبيهة بشخصيته وبمنهج شبيه بمنهجه لذا. فقد سار السيد البروجردي على الطريق نفسه فتجده يهتمُّ اهتماماً خاصّاً بآراء أهل السنة بالفقه إذ يقول الشيخ واعظ زاده:

(١) مجلة رسالة التقرير - الشيخ واعظ زاده الخراساني - المنهج الفقهي والأصولي لأية الله البروجردي - العدد ٣٠ .

((كان الأستاذ يعتقد أنه يمكن فهم روايات الأئمة عليهم السلام وأقوالهم بشكل أفضل من خلال مراجعة الروايات والفتاوی الشائعة لأهل السنة في عصر أئمة أهل البيت عليهم السلام وكان يقول أحياناً (فقه الشيعة على هامش فقه أهل السنة) لأن الفتاوی المستعملة آنذاك هي فتاواهم. وكان أصحاب الأئمة يسألون أئمتهم بناءً على تلك الفتاوی، وكان الأئمة يجيبون في ضوئها أيضاً)).

فلاحظ القول المنسوب للسيد البروجردي ((فقه الشيعة على هامش فقه أهل السنة)) ! وكأن فقه الشيعة هو ردود أفعال لا أكثر !

ولما كان شخص الطوسي ومنهجه مؤثراً جداً في السيد البروجردي نرى أن السيد ((يرى أن الرجوع إلى فتاوى أهل السنة من مقدمات الفقه). وكان يقول: (إنّ قدماءنا كانوا يحفظون مسائل الخلاف). من هذا المنطلق، قام لأول مرّة بطبع كتاب (الخلاف) للشيخ الطوسي مع حواش مختصرة.))^(١)

والحقيقة أن الأوائل من فقهاء الشيعة لم يكونوا يؤلفون في ما يسمى (الفقه المقارن) بل إن هذه الطريقة في التأليف بدأت مع الشيخ الطوسي.

ولما كان الشيخ واعظ زاده معتبراً بأستاذته نرى أن منهج السيد البروجردي يقتدى به عند تلاميذه، يقول الشيخ واعظ زاده عن مسألة مدارسة فتاوى العامة في كتب الشيعة ((وكانت هذه السنة الحسنة متداولة بين فقهائنا في الماضي حتى

(١) مجلة رسالة التقرير - الشيخ واعظ زاده الخراساني - المنهج الفقهي والاصولي لآية الله البروجردي - العدد ٣٠

عصر الشهيد الثاني وما تلاه من عصور، بيد أنها أهملت أو ضعفت في القرن أو القرنين الأخيرين تقريباً. وبعد شیوع منهج آیة الله البروجردي، أخذت مكانها ثانية في حوزة قم، ثم في حوزة النجف تدریجاً))

فالتألیف في فتاوى الخلاف ((سنة حسنة))! ولما كان الناس مقلدون للوکهم في كل زمان أخذت هذه السنة الحسنة مكانها في حوزة قم ومن بعدها حوزة النجف بفضل شیوع منهج السيد البروجردي! واللاحظ ان السيد البروجردي وتلميذه واعظ زاده لا يأتون باي دليل من معصوم يدعم مسلكهم بل كل ما هنالك هو إعجابهم بشخص الشيخ الطوسي الذي سنّ هذه (السنة الحسنة)!

والشيخ واعظ زاده كان صريحاً في نسبة هذه السنة الحسنة الى ((فقهائنا)) وليس للمعصومين! فمنهج المعصوم ومن روى اخباره الى القرن الخامس مختلف عن منهج من جاء بعد ذلك!

ويظهر أن أصل المنهج المرن تجاه السنة كان له هوی في نفس السيد رحمة الله وجاء وجود الشيخ الطوسي ليرسخ هذا المنهج في نفس السيد، لذا تجد ان السيد البروجردي ((كان یهتم بآراء قدماء الشيعة وشهرتهم في الفتوى. وكانت له رغبة في جمع فتاوى اثنين من الفقهاء الذين سبقو الشیخ المفید. وهما: الحسن بن أبي عقیل النعمانی، و محمد بن احمد بن جنید الإسکافی. وكان الأول معاصرأً للشیخ الكلینی (٣٢٩ھـ)، والثانی معاصرأً للشیخ الصدوق (٣٨١ھـ).))

لماذا ابن أبي عقيل وابن الجنيد الاسكافي بالذات؟!

قد يكون السبب الى كونهما اول من استعمل المنهج العامي من القياس والتفرير في الوسط الشيعي على ما نسبه فقهاء الشيعة لهم، ولما لم يكن لها الدور الشخصي الكبير في البيئة الشخصية ولما كان العهد قريب بالمعصوم ولم يطل العهد وتقسو القلوب لم يسع منهج هذين الشیخین للشیعة - فقهاء وغيرهم - لذا عُزلا وترك منهجهما، ولكن في القرن الخامس تغير الامر كثيراً فوجود العهد البويري واختلاط فقهاء الشيعة مع غيرهم والمدارسة بين الطرفين اورثت التأثير والتأثير. فكان مجيء الشيخ الطوسي بمنهجه المختلط في عصر سكنى النجف ولكون الشيخ الطوسي تفرد بالمرجعية في تلك الفترة لم يكن المنهج الذي تركه غريباً بل سار على منواله من جاء بعده.

ولما كان لشخصية الطوسي وبدرجة اقل ابن ابي عقيل وابن الجنيد أثر عميق في شخصية السيد البروجردي ترى منهجهم يعمق لديه بشكل لا تكاد تتجده عند غيره من الفقهاء في الغيبة الكبرى! إذ انه ((كان لا يتعامل مع المسائل الخلافية بين الشيعة والسنّة بصورة سلبية، بل كان يحاول أن يتلمس السبب الأصلي للاختلاف. ففي وجوب أداء الصلاة في أول الوقت الذي يلتزم به أهل السنّة (كأحد القولين للشيعة وعلى عكس أغلب علماء الشيعة)، ولا يحيزون تأخير الصلاة عن أول وقتها بلا عذر، كان يقول: تنطلق فتوى أهل السنّة مما أثر عن النبي الأكرم عليه السلام أنه كان إماماً لجماعة المسلمين، وإمام الجماعة لا بد وأن يحضر في الوقت المعين، وكان النبي يختار أول الوقت لأداء الصلاة، وكذلك

كان يفعل الصحابة والتابعون إذ اتخذوا من عمل نبيهم معياراً لعملهم، ثم جاءت المذاهب الإسلامية فأفتى أصحابها بوجوب ذلك. في حين أنّ الرسول الأكرم ﷺ كان أحياناً لا يراعي أولاً الوقت وهو في حال الاختيار، وكذلك صرّح أئمة أهل البيت بذلك، فأصبح معياراً لفتوى الشيعة. وفي ضوء هذا التبرير كان يرى عدم صحة ما يقال من أنّ أهل السنة قاموا بتبديل الأحكام عمداً، وكان يردّ على ذلك .))

فانتبه لهذا التوجيه الذي نادراً ما نجده من فقيه شيعي لفقيقه شيعي! والامر كما تراه يحتاج للتکلف لكي يعتذر عنهم في ذلك! والأكثر غرابة هو قول الشيخ واعظ زاده ((وفي ضوء هذا التبرير كان يرى عدم صحة ما يقال من أنّ أهل السنة قاموا بتبديل الأحكام عمداً، وكان يردّ على ذلك))!! مع انك تجد بعض أهل السنة يعترف بهذا التعمد في وضع الأحكام! ومن راجع شرح النهج لابن أبي الحديد يجد ذلك ظاهراً!.

يقول الشيخ الصدوقي: حدثنا أبي رحمه الله قال: حدثنا أحمد بن إدريس عن أبي إسحاق الإرجاني رفعه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام أتدرى لم أمرتم بالأخذ بخلاف ما تقول العامة؟ فقلت: لا ندرى! فقال: إن عليا عليه السلام لم يكن يدين الله بدين الا خالف عليه الأمة إلى غيره إرادة لأبطال أمره وكانوا يسألون أمير المؤمنين عليه السلام عن الشيء الذي لا يعلمونه فإذا أفتاهم جعلوا له ضداً من عندهم ليليسوا على الناس))^(١)

وروى الهيثمي في مجمع الزوائد عن عباد بن عبد الله بن الزبير قال ((لما قدم علينا معاوية حاجا قدمنا مكة قال فصلى بنا الظهر ركعتين ثم انصرف إلى دار الندوة، قال وكان عثمان حين أتمَ الصلاة إذا قدم مكة صلَّى بها الظهر والعصر والعشاء الآخرة أربعا فإذا خرج إلى منى وعرفات قصر الصلاة فإذا فرغ من الحج وأقام بمنى أتمَ الصلاة حتى يخرج، فلما صلَّى بنا معاوية الظهر ركعتين نهض إليه مروان بن الحكم وعمرو بن عثمان فقالا له ما عاب أحد ابن عمك بأقبح ما عبته به فقال لها ويحكما وهل كان غير ما صنعت قد صلَّيتها مع رسول الله صلَّى الله عليه وسلم ومع أبي بكر وعمر! فقالا فإن ابن عمك قد كان أتهاها وإن خلافك إيه عيب له قال فخرج معاوية إلى العصر فصلاها بنا أربعا))^(١)!!.

ثم قال الهيثمي ((رواه أحمد وروى الطبراني بعضه في الكبير ورجال أحمد موثّقون)) فإذا كانت الصلاة تبدلُ أحكامها تبعاً للقرابة فكيف بغيرها؟!

وقال ابن أبي الحديد ((روى أبو الحسن علي بن محمد بن أبي سيف المدايني في كتاب (الأحداث) قال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة: أن برئ الذمة من روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته، فقامت الخطبة في كل كورة، وعلى كل منبر يلعنون علياً^(٢)* ويرأون منه، ويقعون فيه وفي أهل

(١) مجمع الزوائد - الهيثمي - ج ٢ - ص ١٥٦ - ١٥٧.

(٢) * كان بعضهم لا يستحب من الاعتراف، يقول ابن الأشعث ((سمعت أبي داود يقول: كان ابن أبي ليلٍ يقرئ في المسجد وعمار بن رزيق يقرأ عليه، حتى جاء شرطي فأخذ بيده فأقعده على القضاء. سمعت أبي داود يقول: التقى ابن شبرمة وابن أبي ليلٍ في دار الإمارة فقال أحدهما لصاحبه: أما نحن فقد أكلنا من حلوا them ومملنا في أهوائهم)). سؤالات الآجري لأبي داود - سليمان بن الأشعث - ج ١ - ص ٢٧٥.

بيته، وكان أشد الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة لكثره من بها من شيعة علي ﷺ، فاستعمل عليهم زياد بن سمية وضم إلية البصرة، فكان يتبع الشيعة وهو بهم عارف لأنه كان منهم أيام علي ﷺ فقتلهم تحت كل حجر ومدر، وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل وسمل العيون^(١)* وصلبهم على جذوع النخل ، وطردتهم وشردهم عن العراق ، فلم يبق بها معروف منهم وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق ألا يحيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة ، وكتب إليهم أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولاليته ، والذين يرونون فضائله ومناقبه فأذنوا مجالسهم وقربوهم وأكرمواهم واكتبوالي بكل ما يروي كل رجل منهم ، واسمه واسم أبيه وعشيرته . فعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلات والكساء والحباء والقطائع ، ويفيضه في العرب منهم والموالي فكثرا ذلك في كل مصر ، وتنافسوا في المنازل والدنيا فليس يجيء أحد مردود من الناس عاملا من عمال معاوية فieroی في عثمان فضيلة أو منقبة إلّا كتب اسمه وقربه وشفعه فلبثوا بذلك حينا .

ثم كتب إلى عماله: أن الحديث في عثمان قد كثرا وفسافي كل مصر وفي كل وجه وناحية ، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين ، ولا تتركوا خبرا يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وتتأتونني بمناقض له في الصحابة ، فإن هذا أحب إلى وأقرّ لعيوني وادحضر لحجة أبي تراب وشيعته وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله فقرئت كتبه على الناس

(١) * سمل عينه يسملها إذا فقأها / ترتيب إصلاح المطرق - ابن السكّيت الاهوازي - ص ٢٠٤

فرويَت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتولة لا حقيقة لها، وجدَ الناس في
رواية ما يجري هذا المجرى، حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر، وألقي إلى
معلمِي الكتاتيب فعلمُوا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع، حتى رووه
وتعلموه كما يتعلمون القرآن وحتى علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشموهم
فلبشو بذلك ما شاء الله.....))^(١)

وأنت ترى أن الوضع المعتمد عند القوم كان يسري في دمهم من أول عام
الجماعة بالعقيدة وبالفقه وبالفضائل !!
السيد البروجردي:

لذا فالمنهج (التقريري) في الفقه عند السيد البروجردي أدى إلى منهج آخر
في العقيدة، يجعل الإمامة أمراً تاريخياً لا داعي للتعرض له اليوم! يقول الشيخ
واعظ زاده ((في هذا المجال، فإنه لم يلتفت إلى قضية الخلافة ولم يحفل بها عند
الخوض في أصل الإمامة، بل كان يرى أن المسلمين في غنى عن التعرّض للخلافة
هذا اليوم، لأنها قضية قد انتهت، وما شأننا بشيء قد مضى حتى نتطاحن عليه،
وكذلك لا ضرورة أن نعرف من كان الخليفة، فالذي نحتاج إليه هذا اليوم بشأن
الإمامـة هو بعدها العلمي))^(٢)

إذن فعلَ رأيه! فالمسلمون ((في غنى عن التعرّض للخلافة هذا اليوم، لأنها
قضية قد انتهت))! وهذا المنهج الذي تملّك السيد البروجردي جعله من أوائل

(١) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج ١١ - ص ٤٤ - ٤٦ .

(٢) مجلة رسالة التقرير - الشيخ واعظ زاده الخراساني - المنهج الفقهي والاصولي لآية الله البروجردي - العدد ٣٠.

الداعمين لـ((دار التقريب بين المذاهب الإسلامية)), وهي الدار التي أسسها محمد تقى القمي عام ١٩٤٧ م وهي السنة التي صار فيها السيد البروجردي مرجعاً.

لذا فالشخصية العامة للسيد البروجردي والتي تحاول التقرب باتجاه العامّة وجدت ضالتها في هذه الدار، ((و كان يتفق مع مؤسسي (دار التقريب) وأعضائها أنَّ الفقه هو السبب الرئيس للاختلاف القائم بين المذاهب، بيد أنه في الوقت نفسه يمكن أن يكون من عوامل التقريب. وكان يعتقد أنَّ لأهل السنة فقهًا متخذًاً من الكتاب والسنة، وهو ثابت عندهم. ونحن أيضًا لنا فقهنا المرتكز على أساس الكتاب وروايات أهل البيت. وينبغي الاهتمام بالفقهين بشكل محайд، وتطبيق أحدهما على الآخر.))^(١)

في بينما يقول المقصوم عن هؤلاء الضالين:

ما هم عندي إلا بمنزلة الجدر^(٢)

أشباء الخنازير^(٣)

ما أحدُ على ملة إبراهيم إلا نحن وشيعتنا وسائر الناس منها براء.^(٤)

(١) مجلة رسالة التقريب - الشيخ واعظ زاده الخراساني - المنهج الفقهي والاصولي لآية الله البروجردي - العدد .٣٠

(٢) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - ج ٣ - ص ٣٧٣

(٣) الإمامية والتبصرة من الحيرة - علي بن الحسين القمي - ص ١٢١.

(٤) المحسن - أحمد بن محمد البرقي - ج ١ ص ١٤٧ .

لَا وَاللَّهُ مَا هُمْ عَلَى شَيْءٍ جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَّا اسْتِقْبَالُ الْكَعْبَةِ فَقَطْ^(١)

ما على ملة إبراهيم أحد غيركم، وما يقبل الله إلّا منكم، ولا يغفر الذنوب
إلّا لكم^(٢)

وفي الخبر عن هارون بن خارجة: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: إنا نأتي
هؤلاء المخالفين فنسمع منهم الحديث فيكون حجة لنا عليهم، قال: فقال: لا
تأتهم ولا تسمع منهم لعنهم الله وَلَعْنَ مِلَلَهُمْ المشركة^(٣).

وعن إبراهيم بن أبي محمود: قلت للرضا: يا بن رسول الله ان عندنا اخبارا
في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام وفضلكم أهل البيت وهي من روایة مخالفيكم ولا
نعرف مثلها عندكم أفندين بها؟ فقال: يا ابن أبي محمود لقد اخبرني أبي عن أبيه
عن جده عليه السلام ان رسول الله عليه السلام قال: من اصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان
الناطق عن الله عز وجل فقد عبده وإن كان الناطق عن إبليس فقد عبده إبليس،
ثم قال الرضا: يا ابن أبي محمود ان مخالفينا وضعوا اخبارا في فضائلنا وجعلوها
على ثلاثة أقسام أحدها الغلو وثانيها التقصير في أمرنا وثالثها التصریح بمثالب
أعدائنا فإذا سمع الناس الغلو فينا كفروا شيعتنا ونسبوه إلى القول بربوبيتنا،
وإذا سمعوا التقصير اعتقادوه فينا، وإذا سمعوا مثالب أعدائنا بأسمائهم ثلبونا
بأسماءنا وقد قال الله عز وجل:

(١) المحاسن - أحمد بن محمد البرقي - ج ١ ص ١٥٦.

(٢) المحاسن - أحمد بن محمد البرقي - ج ١ ص ١٤٧.

(٣) وسائل الشيعة - الحرس العاملية - ج ٢١ - ٤٧٧.

﴿وَلَا تُسْبِّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيُسْبِّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ

عِلْمٍ ﴿الانعام ١٠٨﴾

يا ابن أبي حمود إذا أخذ الناس يميناً وشماً لا فالزم طريقتنا فإنه من لزمنا لزمناه
ومن فارقنا فارقناه ان أدنى ما يخرج به الرجل من الايمان أن يقول للحصاة هذه
نواه ثم يدين بذلك ويبرء من خالقه، يا بن أبي حمود: احفظ ما حدثتك به فقد
جمعت لك خير الدنيا والآخرة))^(١)

وقال أبو حضرمة كذبوا على عبيدة أو كذب عبيدة على علي عليهما السلام، إنما أراد
ال القوم ان ينسبوا اليه الحكم بالقياس ولا يثبت لهم هذا ابداً، إنما نحن أفراخ
علي عليهما السلام فما حدثناكم به عن علي عليهما السلام فهو قوله، وما أنكروا فهم فهو افتاء عليه،
ونحن نعلم أن القياس ليس من دين علي عليهما السلام وإنما يقيس من لا يعلم الكتاب
ولا السنة، فلا تضللنكم روايتهم فإنهم لا يدعون أن يضلوا، ولا يسرّكم ان
تلقوا منهم مثل يغوث ويعوق ونسرا الدين ذكرهم الله عز وجل إنهم أضلوا
كثيراً....^(٢)

في بينما يتبرأ منهم المعصوم بسب عقيدتهم ، يقول الفقيه بأن الفرق في الفقه! بل
ويتمكن ((وينبغي الاهتمام بالفقهين بشكل محايد، وتطبيق أحد هما على الآخر))
كما يقول !!

(١) عيون أخبار الرضا - محمد بن علي بن الحسين الصدوق - ج ١ ص ٢٧٢ .

(٢) جامع أحاديث الشيعة - حسين البروجردي - ج ١ ص ٢٧١ .

ولم يكن السيد البروجردي مهاجبا بالفقهاء الثلاثة (القديمان والطوسى) فقط بل انه كان مهاجبا بشكل خاص بالفقهى (ابن رشد المالكى) وعن طريقه تعرف طلبه الى هذا الكتاب وهذا الفقيه! يقول واعظ زاده:

((كان السيد البروجردي يراجع دائمًا كتاب (بداية المجتهد ونهاية المقتضى) للفقيه المالكى ابن رشد الأندلسى، باعتباره من أحسن الكتب في الفقه المقارن، وطالما رأيت الكتاب مفتوحًا أمامه على منضدته، وتعزّف طلابه على هذا الكتاب عن طريقه))^(١)

ولتطبيق الفقهين احدهما على الآخر كانت للسيد البروجردي محاولة جريئة لكتابة حديث العامة مع حديث الخاصة! ((وتوضيحة أنّ الأستاذ الإمام حضر يوماً لجنة الحديث وببيده كتاب، فبدأ حديثه بأنّ: عدد روایات أهل السنة في باب الأحكام أقل بكثير من روایات أهل البيت عندنا، فأرى إيرادها في ذيل أبواب كتابنا إذ في الجمع بينها فوائد وللناظر فيها جميعاً دخل في الاستنباط، وبذلك يعلم مقدار ما عندهم من الحديث في كلّ باب وما عندنا.

وأضاف قائلاً: أنّه يكفيانا من روایاتهم ما جمعت في هذا الكتاب، وهو (التابع الجامع للأصول في أحاديث الرسول) للشيخ علي منصور علي ناصف، من علماء الأزهر الشريف - وفيه خمسة من الصحيح الستة أي عدا سنن ابن ماجة - فبدأنا بدرج تلك الروایات في مواضعها، وتم العمل في كتاب الطهارة

(١) مجلة رسالة التقرير - الشيخ واعظ زاده الخراساني - المنهج الفقهي والأصولي لأية الله البروجردي - العدد ٣٠

وشيء من غيرها، فإذا بالأستاذ الإمام حضر اللجنة، قائلاً إني طلبت منكم درج أحاديث أهل السنة في الكتاب، ثم بدا لي حذفها، وذكر أسباباً لانصرافه عن رأيه، وحاصلها أن الناس عندنا لا يتحملون هذا في وقتنا الحاضر وإنني أخاف الفتنة فنكلها إلى وقت مناسب، فتم المجلس وأعضاء اللجنة مصممون على حذف تلك الروايات وقد اشتغلوا بحذفها بالفعل))

فانظر الى مستوى وجهات النظر الخاصة بالفقهاء في تغير المنحى الفقهى لطائفه كاملة! فالسيد (رأى) أن يكتب الحديث العامي مع الشيعي، ثم (رأى) ترك ذلك!! وكلها وجهات نظر تؤدي - وقد أددت - الى تقييع العقيدة بشكل بطيء ومتدريج الى ان صرنا نرى من يترضى على غاصبى الخلافة لعنهم الله!

وهكذا وعلى مدى خمسة عشر عاما طبع السيد البروجردي عصره بطبعه الخاص الذي يحنُّ الى منهج القديمين (ابن ابي عقيل وابن الجينيد) والطوسى وكان من تأثيراته في طبته ان كان ابرزهم وهو الشيخ محمد واعظ زاده الخراساني قد واصل طريقته وصار نائب رئيس اتحاد علماء المسلمين الذي اوجدته السياسة في دولة قطر كركيزة من ركائز المنافسة مع مصر و (ازهرها) وال سعودية و(رابطتها)!

السيد محمد باقر الصدر رحمه الله:

وما أن توفي السيد البروجردي رحمه الله في بداية العقد السابع من القرن العشرين حتى بزغ نجم شخصية أخرى كان من شأنها ان توافق هذا المنهج في وادي السياسة بل وان يتم استغلال وجودها لاختراق الجماعة الشيعية عن طريق ما سُمي بـ (الإسلام السياسي)^(١) ، وهو السيد محمد باقر الصدر (رحمه الله). ولن نعرف ما الذي جرى في تلك الايام حتى نتعرف الى السيد طالب الرفاعي، وهو الشخصية الأكثر تأثيرا على السيد الصدر.

فالسيد الرفاعي كان يفوق السيد الصدر سنّا بأكثر من عشرين عاماً، وكان مع ذلك صديقه الحميم، وهذا الفارق في العمر كان له تأثير واضح على توجهات السيد في ما بقي من عمره، فالنضج في الأمور الحياتية والاحتراك مع المتحزين في أحزاب المخالفين السياسية (حزب الإخوان المسلمين وحزب التحرير) وفرا للسيد الرفاعي الدراسة والنضج الكافي للتعامل مع الناس، في حين كان السيد الصدر في بداية العشرينات من عمره مع كل ما يكتنف هذا العمر الصغير من قلة دراية، وقلة نضج، وخبرة حياتية محدودة.

(١) اخترنا الكلام هنا عن حزب الدعوة الإسلامية كنموذج للإسلام السياسي الشيعي المستنسخ عن تجربة المخالفين لكون حزب الدعوة هو الحزب الأكبر والأعرق والذي من عباءته خرجت أكثر الأحزاب والشخصيات السياسية المعاصرة في العراق، لذا كان لمعرفة كيفية نشأته أهمية خاصة.

وفي ((الأمالي))^(١) يكرر السيد الرفاعي التطرق لعلاقته العائلية مع بيت السيد الصدر، وكيف أن والدة السيد محمد باقر الصدر كانت توصيه بالسيد كلها خرج معه وهو ما يعطي صورة واضحة عن العلاقة بين هذا الرجل الاربعيني وهذا الشاب العشريني !

بل ويظهر ان شخصيته ظلت طاغية على شخص السيد الصدر لفترة طويلة إذ يقول السيد الرفاعي ((كنت انا المرّوج لمرجعية محمد باقر الصدر فهو لا يستغنى عنني في حال من الأحوال))^(٢)

وما ادراك ما المرجعية وما ادراك ما شأن المرّوج لها؟!!

في تلکم الفترة لم يكن هناك أحزاب سياسية شيعية في العراق ولكن كان هناك نشاط محموم لحزبين سنيين يؤسسان لخلافة على منهاج أبي بكر وعمر! هما:

جماعة الإخوان المسلمين ومؤسسه في مصر حسن البنا عام ١٩٢٨ م
وحزب التحرير الإسلامي ومؤسسه في القدس القاضي الاردني تقي الدين النبهاني ١٩٥٣ م

وقد دخل العديد من شباب الشيعة (التائهيون) عن إمامتهم في هذين الحزبين،

(١) اعتمادنا على هذا الكتاب في التقليل لكون صاحبه (السيد طالب الرفاعي) هو شاهد عيان على تلکم الفترة، وهو غير متّهم فيما ينقل لكونه يعتبر اليوم هو الأب الروحي الوحيد الحي للحالة الإسلامية السياسية، كما يسمونها!

(٢) أمالي طالب الرفاعي - رشيد الخيون - ص ٢١٧.

من بينهم ثلاثة سيكون لهم دور كبير في تأسيس الحزب الشيعي الذي انجب جل الأحزاب والشخصيات الشيعية فيما بعد، وهم عارف البصري ومحمد هادي السبيتي وعبد الصاحب دخيل.

والأبرز منهم محمد هادي السبيتي الذي بايع الشيخ عبد القديم زلوم على إقامة الخلافة الإسلامية! ((وكان قبلها متسبباً إلى الإخوان المسلمين ثم خرج منه... وبعد حين أصبح السبيتي مسؤولاً عن فرع التحرير بالعراق ثم خرج منه وصار بعد حين رئيساً لحزب الدعوة الإسلامية))^(١)

ولما كانت النظرية السياسية للحزب موجودة في كتاب النبهاني ((نظام الحكم في الإسلام)) و ((كان هذا الكتاب يدرس على شكل حلقات للجماعة الذين اتصلوا بالحزب، وحينها كان السبيتي في السنة الثانية من كلية الهندسة))^(٢)

ويقول الشيخ علي الكوراني ((نشأنا في حركة الدعوة على عشق الإخوان المسلمين مع الأسف، فقد كان أئساتذتنا معججين بهم، وكانت كتبهم تماماً مكتبات النجف، فقد فسح عبد الكريم قاسم بدخولها إلى العراق، لأن الإخوان كانوا ضد عبد الناصر، وكان عبد الكريم ضده.

كان الكتاب الإخواني يطبع في مصر وقد يشحن كله إلى بغداد، وكان المستورد قاسم الرجب صاحب مكتبة المثنى، ربما شحن أكثر الكتاب إلى النجف، ليكون

(١) أمالى طالب الرفاعي - رشيد الخيّون - ص ١٠٠ .

(٢) أمالى طالب الرفاعي - رشيد الخيّون - ص ١٠٠ .

غذاء طلبة الحوزة (الواعين) في مقابل غير الواعين، الذين يسميهم السيد
الصدر: الجامدين، ويسمى أستاذتهم بالخط المحمد!!^(١)

وهذا ما يختصر المأساة الشيعية في عصر الغيبة بشكل كامل! فشاب شيعي
عقيدته أن الإمامة تكون بالتنصيب، يقوم بالانتساب لحزب سني يجاهد في
سبيل إقامة نظام على غرار النظام الذي اغتصب الإمامة المنصوبة!!

يقول الشيخ عبد القديم زلوم في صدد التنظير للنظرية السياسية للحزب
(نظام الحكم في الإسلام الخلافة.....والدليل على وجوب إقامة الخليفة
على المسلمين كافة السنة وإجماع الصحابة..... وأما إجماع الصحابة فإنهم
رضوان الله عليهم أجمعوا على لزوم إقامة خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد موته وأجمعوا على إقامة خليفة لأبي بكر ثم عمر ثم لعثمان بعد وفاة كل
منهم وقد ظهر تأكيد إجماع الصحابة على إقامة خليفة من تأخيرهم دفن رسول
الله عليه صلوات الله عليه وسلام وسلم عقب وفاته وانشغلهم بنصب خليفة له)^(٢)

فلا ذكر لخلافة علي عليه السلام في نظرتهم السياسية!

وهذا ما لا يخفيه أحد من جلبو بلاء ما يسمى (الإسلام السياسي) إلى الواقع
الشععي إذ يقول عميدهم:

((آنذاك لم يوجد لدينا كحزب شيعي كتاب نشقف به فعمدنا إلى التشريف

(١) على الكوراني العالمي - شبكة هجر الثقافية / <http://hajrnet.net/hajrvb/showthread.php?t=403028660>

(٢) نظام الحكم في الإسلام - عبد القديم زلوم - ص ٣٦

بكتب الاخوان المسلمين، اقولها حقيقة ان اول تعرفنا الى الإسلام السياسي كان

عن طريق الاخوان وهم ارضيتنا في العمل السياسي^(١))

فالثقافية والأرضية السياسية كانت سنية والحزب سني، ولكن المتسب الذي
يحاول يدرسها ويحاول تطبيقها هو: شيعي !!

و (الخلافة) عند الحزبين السنين حجر الزاوية، تلك الخلافة التي بها ظلموا
أهل البيت ﷺ يقول حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين في مجموعة
الرسائل ((ولعل من تمام هذا البحث أن أعرض ل موقف الإخوان المسلمين من
الخلافة وما يتصل بها، وبيان ذلك أن الإخوان يعتقدون أن الخلافة رمز الوحدة
الإسلامية، و مظهر الارتباط بين أمم الإسلام، وإنها شعيرة إسلامية يجب على
المسلمين التفكير في أمرها و الاهتمام بشأنها، و الخليفة مناط كثير من الأحكام
في دين الله، و لهذا قدم الصحابة رضوان الله عليهم النظر في شأنها على النظر في
تجهيز النبي و دفنه، حتى فرغوا إلى تلك المهمة و اطمأنوا إلى إنجازها)).^(٢)

يقول الشيخ الكوراني ((ولم تنجح خطة عبد الكريم إلا فيما فجاء لنا بكتب
الإخوان وأمعنا فيها أكلاً وشرباً، وفي أولها كتب حسن البنا كلها، وكتب سيد
قطب وأخيه محمد!

فلو قيل لك إن السيد الصدر أو أبو عصام، أو فلان من البارزين في ذلك

(١) أمالى طالب الرفاعي - رشيد الخيّون - ص ١٠٥ .

(٢) رسالة المؤتمر الخامس للإخوان المسلمين.

الوقت، لم يقرؤوا كتب الإخوان، ولم يتأثروا بها، فلا تصدقه!

وأسوأ ما ورثنا من كتب الإخوان: التغنى الأعمى بأمجاد الخلافة، وأمجاد الأمة، ووجوب العمل لإعادة الخلافة، والإغماض عن مظلماها لأئمتنا ولأجيالنا الشيعية المضطهدة طول العصور! فكان مثلنا كالمسيحيين الذين ساحموا اليهود بدم المسيح، وأعلنوا العمل مع اليهود لإقامة دولة إسرائيل!)^(١))

لذلك وبعد اندكاكهم بهذا الجانب الغريب على الثقافة الشيعية لم يكن هناك كثير فرق بين العقيدة الشيعية وغيرها! لذا تحول بعض الشيعة المعروفين بالنشاط السياسي في تلك الأحزاب وهو (معن العجلي) إلى المذهب السنّي)^(٢)) حتى يريح نفسه من هذا الاضطراب والتناحر النفسي بين العقيدة الشيعية والتعاليم السنّية!

بل لقد بلغ التعاطف والحب بشخصيات الإخوان المسلمين حدّاً يندر ان تجده بين مراجع الشيعة وشخصياتها!! يقول الشيخ الكوراني ((وعندما أصدر جمال عبد الناصر حكم الإعدام على سيد قطب سنة ١٩٦٣ ، كنا نحن في حزب الدعوة، أهل العزاء كالإخوان في مصر !

وكان السيد الصدر شديد الانفعال فقد أغمي عليه مرات في تشيع أخيه السيد اسماعيل، وكان تأثره في إعدام سيد قطب مشابهاً، وقال هو والسيد

(١) على الكوراني العالمي - شبكة هجر الثقافية / <http://hajrnet.net/hajrvb/showthread.php?t=403028660>

(٢) أمالى طالب الرفاعي - رشيد الخيون - ص ١١٢ .

ال العسكري والسيد طالب الرفاعي وغيرهم، إنهم لم يناموا ليلة أعلنا حكم
إعدام سيد قطب، وكنت أنا من أقلهم تأثراً!

وكان السيد الصدر أقنع خاله الشيخ مرتضى آل ياسين بأن يرسل برقية باسم جماعة العلماء في النجف الأشرف إلى جمال عبد الناصر، يستنكر فيها حكم الإعدام ويطالب بإلغائه. وعندما أعدم أقيمت له الفاتحة في مسجد الهندي حيث تقام الفواتح المهمة.^(١)

ولما كان السيد الرفاعي يتصل بشكل مستمر بالشباب الشيعة المتميّن إلى الخزین السنین صارت عندهم فكرة تقليد السنة بهذه القضية وتأسيس حزب سياسي شيعي يسعى لما يسعى له المخالفون! وكل ذلك بلا تفكير وبلا رجوع إلى تراث أهل البيت علیهم السلام، فقام السيد الرفاعي بنصب الفخ للسيد الصدر شيئاً فشيئاً ليدفعه إلى الدخول في الحزب وترأسه والاستفادة من شخصيته العلمية الفقهافية وأسم الأسرة، فهو يقول للأشخاص اللذين اختبرت عندهم فكرة الحزب السياسي الشيعي:

((شدّوا حيلكم ولنقترب من الصدر ونؤثر فيه))^(٢)

ولما كان الرفاعي دائم العلاقة والاحتكاك بالسيد الصدر اخذ يكثّف العلاقة بين هذا الشباب الطموح وبين السيد الصدر وكل هذا بشكل خفي الغاية عن

(١) على الكوراني العالمي - شبكة هجر الثقافية / <http://hajrnet.net/hajrvb/showthread.php?403028660>

(٢) أمالي طالب الرفاعي -رشيد الخيوان - ص ٦٠١.

السيد الصدر ، فيقول ((كلما اتى جابر الى النجف اصحابه معه لزيارة باقر الصدر حتى نشأت علاقة بينهما واخذنا نكرر الزيارات ونطرح معا قضايا إسلامية حتى اخذ الصدر يميل الى الفكر الإسلامي خارج الفقه والمسائل الدينية الصرفة، شعرت بذلك من خلال طرحة وما يصرح به امامنا))^(١)

فالسيد الرفاعي كان يُلقي بالأمر بهدوء للسيد الصدر ويغذي العقل اللاواعي للسيد الصدر وهو بهذا العمر المبكر ومن ثم صار يأتي له بهذا الشباب الذي تربى على العقيدة السننية من الأحزاب السننية ومن ثم محاصرة السيد الصدر لفترة لا بأس بها لتختمر فكرة الحزب السياسي الشيعي في ذهن السيد الصدر لذلك، عندما تكلم مهدي الحكيم الى الرفاعي ليسأله عن الذي يجب ان يكون رئيسا للحزب السياسي والذي هو قيد البحث قال له الرفاعي ((السيد محمد باقر الصدر مطبوخ ومستوي))^(٢)

فهو واصحابه قاموا (بطبخ) السيد على نار هادئة بدون ان يشعر انه محاصر !

بل إن الشيخ الكوراني - وهو من رفقاء الدرس الأوائل للسيد الصدر رحمه الله - يشهد على أستاذه بمعلومات خطيرة! إذ يقول ((سألت الشهيد الصدر رضوان الله عليه يوماً عن الشخصيات التي أثرت فيه في أوائل نشأته وشبابه، وكنت أكثر تلامذته أسئلة له عن القضايا الفكرية بما فيها مكونات شخصيته،

(١) أمالی طالب الرفاعی - رشید الخیوں - ۱۰۶ .

(٢) أمالی طالب الرفاعی - رشید الخیوں - هامش ص ۱۵۵ .

فذكر لي إعجابه بالخطيب الشيخ كاظم آل نوح، وأن مجالسه في صحن الحرم الكاظمي قد أثرت فيه كثيراً، وأن صداتها ما زال يرن في أذنه وهو يتحدث عن أمجاد تاريخ الإسلام ودولته وحضارته. وكيف شملت أكثر العالم، وحققت أعظم الانجازات.

سألته هل كان يقرأ في ذلك الوقت الكتب المصرية، فلم يجبني بوضوح.

لكنه عاد ومدح الشيخ كاظم آل نوح وكيف كان يصور أمجاد الإسلام وأمته وحضارته ودولته التي كانت أكبر دولة في العالم، وكيف خسرها المسلمون لما ابتعدوا عن الإسلام، وكيف يجب علينا العمل لإعادة أمجادنا.

وبحثت عن الشيخ كاظم آل نوح فوجدت أنه كان خطيباً بارزاً، وله مؤلفات منها: طرق حديث الأئمة من قريش من الصلاح وغيرها. في نحو مئة صفحة.

وترجم له الزركلي في الأعلام فقال: (كاظم آل نوح (١٣٠٢ - ١٣٧٩): أديب، من شعراء العراق، من أهل الكاظمية. له ديوان شعر، وديوان في أهل البيت ومحمد والقرآن، وملحوظات تاريخية حول كتاب تاريخ الأمة العربية للتقدادي).

ومثل هذا الشخص لا يتغنى بأمجاد الخلافة ويدعو إلى إعادةتها كما نفعل نحن أعضاء الدعوة، بل يذكر أمجاد الإسلام باعتبار أنها أمجاد حققها المسلمون، فيما بقي عندهم من الإسلام، رغم انحراف الخلافة عنه، الصحيح: ؟

وقد فكرت في أتعاب السيد الصدر بمجلسه في صحن الكاظمية، فقلت في نفسي إن ما سمعه منه السيد عندما كان عمره بضع عشرة سنة قبل أن يأتي إلى النجف، لا بد أن يكون من هذا النوع، فهو التزامن بين الأفكار التي تأثر بها من كتب الإخوان، وبين مجالس هذا الخطيب التي ضربت على وترها.)^(١)

فبنظر الشيخ الكوراني ان السيد الصدر مزج بين التأثير البالغ في صباه لمحاضرات الخطيب كاظم آل نوح والتي تتكلم عن التمجيد بتاريخ الإسلام وبين تمجيد الإخوان المسلمين بتاريخ الصحابة فمزج بين الإثنين ووجد لذلك صدى في نفسه لوجود الأساس العاطفي لذلك! ولو صحّ ما يقوله الكوراني وكانت تلك القاصمة!!.

ولما كان الغطاء الشرعي عند الشيعة يحتاج لمجتهد قام ابن السيد محسن الحكيم بعرض بعض بحوث السيد الصدر على أحد مراجع ذلك العصر فأخذ السيد مهدي الحكيم ببعض بحوث الفقه والأصول لعرضها على الشيخ حسين الحلي ليرى هل هو مجتهد ام لا ، وفي تلك الفترة يقول الرفاعي ((وانا خلال هذه الأيام اذهب الى باقر الصدر واجلس معه في السرداد نأكل بطيخ ورقى وما تفارقنا الا عند الخلود الى النوم ومع ذلك لم افاته بما جرى بيني وبين مهدي الحكيم وكأني لا اعلم شيئا))^(٢)

فانتبه الى الدور الذي يلعبه الرفاعي المتأثر سلفا بالرأي السنوي والمعجب

(١) علي الكوراني العاملی - شبكة هجر الثقافية .

(٢) أمالي طالب الرفاعي - رشيد الخيون - ص ١٥٦ .

بتجربتهم، وكل هذا خلال أكل (البطيّخ والرّقّي)!!

ومن الغريب ان هذا الرجل الاربعيني وهو المسؤول الأول عن زرع التجربة السنية واستنساخها عن العامة انتبه في نهاية عمره الى انه وقع في فخ العامة المتحزبين! فهو يقول عن السنة ((وعندما نذهب الى مناسباتهم نجدهم رافعين صور الامام علي بن ابي طالب والامام علي الرضا وما تيسر من صور الائمة لكن تريد الحقيقة؟! انا الان اعتبر تلك الحركات كليشيهات سياسية لا اكثر

فكل القضية كانت موجهه ضد عبد الكريم قاسم))^(١)

فانتبه لقوله ((انا الان اعتبر..))!!

ولما كان الامر جديدا على المنهج الشيعي القائم على وصايا الائمة على الانتظار للعصوم، تم استنساخ الامر برمته عن السنة! فحتى النظرية التي عليها تبني الدولة الإسلامية كانت نظرية سنية نظروا من خلافها لخلافتهم العمرية! يقول الرفاعي عن السيد الصدر أنه ((بني فكرته في تأسيس الدولة الإسلامية او أيديولوجية تلك الدولة على اية الشورى..... ثم حصل له تبدل في هذا الموضوع))^(٢)

(١) أمالی طالب الرفاعي - رشید الخیون - ص ١١٣ .

(٢) أمالی طالب الرفاعي - رشید الخیون - ص ١٦٠ .

إنشاء الدولة في عصر الغيبة وظهور الأحزاب الإسلامية

ف بهذه السهولة تم الحكم بضرورة إنشاء الدولة في عصر الغيبة، وتم التنظير لها، ثم جرى التأني وتغيير النظرية! ليبقى إنشاء حكم سياسي ديني قائماً ولكن المشكلة في البحث عن الدليل الشرعي! وهو مثل تحضير العربة قبل الحصان! فبدل أن يكون أصل جواز إقامة الدولة مقيداً ومحدد بالدليل السمعي الواضح، صار التأسيس ثم التنظير!

ولما كان الامر خطيراً والتصدي صغير العمر والتجربة فسر عان ما شك السيد الصدر بأصل النظرية اذ يقول: ((ذهب إلى سامراء لزيارة الإمامين فصار عندي شك أي اهتزت فكرة مشروعية قيام دولة إسلامية في عصر الغيبة))^(١) ونحن الآن في نهاية الخمسينيات ولم يقل بعد السيد الخميني بولاية الفقيه! إلا ترون سهولة تأثر المجتهد والفقیه بشتى الظروف التي يتأثر بها أي رجل بالمجتمع، والخطير هنا ان التنظير يأتي لدولة تقوم بنظام إسلامي وهو ما لم يقل به شيعي سابقاً، فحتى التجربة الصفوية مع الشيخ الكركي (على جرأتها!) لم تكن على هذا النموذج.

ولكن رجوع السيد الصدر رحمه الله عن نظرية الشورى لم يؤثر في تبني الحزب لها! إذ نجد البيان السياسي للحزب يقول ((ان مبدأ الشورى والإنتخاب

(١) أمالی طالب الرفاعی - رشید الخیون - ص ١٦٠ .

الحر المباشر هو حجر الزاوية في بناء النظام السياسي الذي نراه^(١)! وهو التأثير الذي تركه حزبا التحرير والإخوان في صلب النظرية السياسية لحزب الدعوة الى اليوم!.

والذي يحلل نشأة حزب الدعوة يرى إن الهدف من وجودهم هو الوصول للحكم لا غير، فالمراحل الأربع التي تبنّوها هي:

المرحلة التغييرية - المرحلة السياسية - مرحلة تسلّم السلطة - مرحلة الحكم والرقابة

وكان السلطة في الإسلام هدف حيوي لا بد منه! وهو عين المفهوم المادي الذي يعني الجفاف المعنوي والذي تشرّب في قلوب المتمميين للأحزاب السنّية، فهم - في عمق الماضي وعلى طريق المستقبل - يرون ان الوصول الى السلطة هدف بحد ذاته يستحق بذل ألاف النفوس وإتلاف الأموال ومخالفـة النصوص في سبيله، كان هذا هو المبدأ عند من اغتصبـ الخلافة من أصحابها بعد رسول الله عليه وآلـه الصلاة والسلام واستمرـ الأمر الى يومـنا هذا، بينما منصبـ الإمامـة عند اهلـ الـبيـت ﷺ هو مقـامـ إلهـي يربطـ السمـاءـ بالأـرـضـ، والجانـبـ السـيـاسـيـ الحـاـكـمـ منـ مقـامـ هـرـمـ السـلـطـةـ هوـ جـزـءـ مـنـهـ ، فهوـ عـكـسـ ماـ يـذـهـبـ اليـهـ الـظـالـمـونـ وأـفـرـاخـهـمـ الـيـوـمـ منـ أـحـزـابـ تـسـتـلـهـمـ طـرـيقـةـ الغـاصـبـينـ لـلـخـلـافـةـ وـتـحـاـولـ إـرـجـاعـهـمـ الـوـاقـعـ الـيـوـمـ.

(١) البيان والبرنامج السياسي لحزب الدعوة الإسلامية - شعبان ١٤١٢ هـ / آذار ١٩٩٢ م.

والمسألة في كثير من ابعادها بالنسبة للشباب الشيعة المنخرط في أحزاب سنية لا يعدو كونهم شباب طموح يريد ان يجد متنفسا لما يظن انها طاقات تنتظر العمل وتحقيق الغاية، انظر ما قاله الملحق العسكري العراقي للسيد الرفاعي : ((نحن الشباب عندنا طموح هل فكرتم بنا؟ ان تتحققوا شيئا من مطامحنا؟ وهذا الحزب (حزب البعث) حق لي طموحي وانا ملحق عسكري كما ترى))^(١) وهذا الرجل صريح جدا حتى يعترف بأن الأمر ليس قضية مبادئ بل قضية طموح دنيوي ! وهذا ما يكتنف أي تجربة بشرية يطبقها أناس بلا معصوم، فالمؤسسين لحزب الدعوة وهم في خضم التخطيط لإنشاء دولة إسلامية كانوا يتناحرن بسبب أمور دنيوية تافهة !

ولو تتبعنا الانشقاقات التي حصلت وبوقت مبكر جدا في حزب الدعوة لوجدنا ان الامر دنيوي في كثير من ابعاده ! وتحضرني هنا كلمة تنسب لها تير محمد عندما سأله عن راييه في الاخوان المسلمين؟ فقال: هم يقرأون القرآن بطريقة تقرّبك من السلطة !!

يقول الرفاعي عن اول انشقاق حصل بين المعممين و((المفاريع))!!:

((قلت للدخليل: ان ابن السيتي يستنكف ولم يأت لزياري سأذهب الى النجف وسيرى ابن السيتي ماذا سأفعل ابن انت المفاريع تأخذون مواقف منا نحن المعممين. لماذا؟ اليك نحن من اوصلكم الى هذه الدرجات تصعدون على

(١) أمالى طالب الرفاعي - رشيد الخيّون - ص ٢٠٨

اكتافنا ثم ترمون بنا))^(١)

فانتبه وابحث عن (المباديء) في هذه المعمعة!! لذلك فلا تستغرب عن الخلاف الحاصل بين قيادة حزب الدعوة وبين المجلس الفقهي الذي أراد الاشراف على عمل لجان التنظيم عن طريق وضع مشرفين دينيين، فرفضت قيادة حزب الدعوة ذلك وقال احدهم ((إذن نحن قيادة لمن؟!))^(٢)

وهذا هو لبّ الأمر في الحقيقة! فالأمر أمر قيادة من النخبة، وقادئ نخبوي ، وشعب مسكيّن عليه ان ينزف الدماء بسخاء لأن هناك من يريد ان يحكمه^(٣)* ويتسّلّط عليه!

ولما حصل الانشقاق بين العُمَّامين والافندية ثم اصطلحوا، أراد احدهم التوثيق للقضية وعن أسباب الانشقاق فقال له الرفاعي ((لم يُرِد بالانشقاق وجه الله))^(٤)!

فالرفاعي يعترف على نفسه بأنّه خاصّمهم لكونهم استصغروا منزلته! كونهم أفنديّة وهو معهم فخاصّمهم! وهو يعترف بأنّ المسألة: صعود على الاكتاف!

وذكريات حزب الدعوة تصلح كنموذج لكشف حجم التأثير الشخصي على

(١) أمالى طالب الرفاعي - رشيد الخيّون - ص ١٦٣ .

(٢) حزب الدعوة حقائق ووثائق - صلاح الخرسان - ص ٤١٤ .

(٣) * لتقف على بشاعة التفكير الدينيّي لهذه الجماعة وعدم مبالاتها بشرعية عملها بقدر اهتمامها باستمرار العمل والبقاء في مناصبها لاحظ ما كتبه المؤرخ صلاح الخرسان حول الخلاف بين المجلس الفقهي وبين قيادة حزب الدعوة ص ٤٠٧ وما بعدها.

(٤) أمالى طالب الرفاعي - رشيد الخيّون - ص ١٧٢ .

الفقيه في أمور وفتاوي خطيرة جدا!! فكل مرجع له أولاد واصهار وحواشي يتلون محاصرته والإحاطة به، ونواياهم شتى! يقول الرفاعي ((حينها شرعت بشيء آخر وهو ان مهدي الحكيم كان يخشى من موقف السيد محمد رضا الحكيم وهو اخوه غير الشقيق الأكبر سنا منه وله نفوذ في المرجعية والده اكثرا من مهدي وله ميول قومية آنذاك ويخشى أيضا من قريبه ابن عمته محمد علي الحكيم وله نفوذ أيضا في المرجعية وهو زوج ابنة المراجع ووالد المراجع الحالي السيد محمد سعيد الحكيم))^(١)

فالسيد محسن الحكيم وبحسب اعتراف الرفاعي كان يخضع لتأثيرات متعددة وبعضهم كان يعتقد مباديء عنصرية!

وعن مرجع آخر ظلّله اليساريون باختراق مرجعيته عن طريق أبنائه ليساند الشيوعيين بشكل لا شعوري!! يقول الرفاعي عن موقف السلبي الذي اتخذه المرجع الحمامي من النشاط السياسي لحزب الدعوة ((إذا سألت عن السيد حسين الحمامي - وكان مرجعا في وقته - فإن موقفه مضاد لهذا النشاط او الاتجاه بشكل عام لأن الشيوعيين قد أثروا او استغلوا موقف أولاده وهم السادة عبد الكريم و محمد علي ومحسن وكانت الحال انه اين يتوجه السيد محسن الحكيم يتوجه أولاد السيد الحمامي اتجاهها مضادا له والا مر كان معروفا وعايشته بنفسه ومن أسباب ذلك هو الصراع على المرجعية على ما اعتقد))^(٢)

(١) أمالى طالب الرفاعي - رشيد الخيون - ص ١١٥ .

(٢) أمالى طالب الرفاعي - رشيد الخيون - ص ١٢٦ .

فالصراع على المرجعية لا دين له! وهو صراع على دنيا لا اكثُر، ولو أريد به وجه الله لكان مراعاة المصلحة العليا للمؤمنين وأوضاعهم تُحْتَمُ على المراجع المتصارعة عدم الإضرار بالوضع العام للمجتمع الإسلامي.

وقد كان البعض يطوق المرجعيات لتوجيهها في خدمة مشاريعها الحزبية، فالسيد الحمامي والمنخرط في المنافسة على الرئاسة الدينية مع السيد محسن الحكيم لذلك ((استغل العاملون في الحزب الشيوعي بالنجف ذلك الصراع إلى درجة ان الطيب السيد خليل جميل المتظم في الحزب الشيوعي كان يقوم في خدمة السيد الحمامي وطباطبه وكان طبيبا مشهورا في النجف... إلى جانب ذلك كان هناك موامنه (معممين) ضمن حاشية المرجع الحمامي اثروا في مواقفه))^(١)

هذا مع ان الحمامي كان له موقف سلبي من انقلاب ١٤ تموز، لكنهم اثروا عليه وغيروا مواقفه بالاتجاه المعاكس ((مع ان السيد الحمامي لم يبرق برقية تأييد بشورة ١٤ تموز مثلما ابرق الآخرون))^(٢)، وبعد هذا هل يعقل ان يوصي المعصوم باتباع فقهاء تحكمهم آراءهم الشخصية وخصوصياتهم وعواوئلهم؟!!

وبخديعة وبدفع من البعيدين انجرّ هؤلاء الشباب المغرر بهم لتحریض المرجعية على النظام السياسي الأقل ضرراً، وعلى نار هادئة طبخ البعيدين طموحاتهم وباستعمال المرجعية كرمح في الصراع مع اليساريين الى ان انتهى الامر بانقلاب دموي ظل الشيعة يعانون منه الى اليوم يقول الرفاعي:

(١) أمالى طالب الرفاعي - رشيد الخيّون - ص ١٢٧.

(٢) أمالى طالب الرفاعي - رشيد الخيّون - ص ١٢٧.

((نحن قتلنا عبد الكريم قاسم.....وليس البعثيين...بمعنى الْبَنَا عليه وقتل))^(١)

ويقول بمرارة: ((لقد ساقنا البعثيون والقوميون الى معاذة عبد الكريم قاسم، ساقونا ببغض الشيوخين والقضايا الشخصية كانت داخلة بقوة في عواطفنا وتوجهاتنا))^(٢)

فالبعثيون اخترقوا ودفعوا بالمتدينين السياسيين الى انصاج العداء مع السلطة لكي يسهل اسقاطها ومن ثم وبعد الوصول للسلطة يتولون امر هؤلاء الإسلاميين!

ولكون البناء كان على غير أساس لا ديني ولا تربوي وبقيادة بشرية تعوزها عناصر النضج العادي فضلا عن النضج على مستوى تمثيل دور القدوة المستوحى من المعصوم رأينا مؤسسي حزب الدعوة أنفسهم يقولون: ((لو كان الصدر حيا لتعامل معه حزب الدعوة مثل تعاملهم مع الحائري أي تطبيق قرار الحذف على ما سمعت))^(٣) فإما ان يتبع الفقيه هؤلاء الصبية في أمزجتهم وإما يُحذف ويطرد من الحزب!

وبعد تجربة سياسية مريرة أودت بعشرات ألوف البشر وأدخلت المجتمع في تيه الاضطراب والفوضى والتوجيع والتشريد وادّت للنفرة من الدين يقول

(١) أمالى طالب الرفاعى - رشيد الخيّون - ص ١٢٠ .

(٢) أمالى طالب الرفاعى - رشيد الخيّون - ص ١٤٥ .

(٣) أمالى طالب الرفاعى - رشيد الخيّون - ص ١٧٥ .

احد مؤسسي هذا اللون اللقيط من الثقافة ((أرى نجم الإسلاميين بالعراق قد اخذ بالأفول وربما أمريكا ساعدت في ذلك وبسبب شخصيات (عتاولة) من الفاسدين كأنها السيد محمد باقر الصدر استشهاد كي يصبح الجعفري رئيسا للوزراء ثم المالكي يأخذ حصته منها وينتهي كل شيء، لقد خدم صدام حسين الموجودين في حزب الدعوة بقتل محمد باقر الصدر، فإذا لم يقتل الصدر آنذاك لقاموا هم بقتله))^(١)

بعدما استعمل البعثيون الإسلاميين للوصول إلى مبتغاهم، استعملهم الامريكان لإسقاطهم هم ومبادئهم وأسقطوا معهم ما كان يعتبره الناس (إسلاماً واعياً) ومرجعية (رشيدة)!

وهذا ما حصل! وهذا ما حذر منه المعموم ﷺ ((مثل من خرج من أهل البيت قبل قيام القائم مثل فرخ طار فوق من وكره، فتلعبت به الصبيان))^(٢) فهكذا امر تُتلف به الأموال والانفس لا يكون بتأسيس من غير دليل، والدليل على خلافه، ومن يؤسسه شباب طموح، متحمّس للدنيا، وزيتها، فلا دولة إلّا بمعصوم، وعندما يخالفون هذه القاعدة يحصل ما رأينا في العراق بعد عقود من القتل والتشريد بسبب التصدي لأنظمة الظلمة، وعندما وصل الإسلامي للسلطة فشل وبشكل ذريع في تطبيق أدنى المبادئ الإسلامية التي كان ينادي بها منذ عقود!

(١) أمالی طالب الرفاعی - رشید المخیون - ص ١٧٩.

(٢) الغيبة - محمد بن إبراهيم النعmani - ص ٢٠٦.

فمراجعات دينية يقوم أساس تصنيفها للناس على حجم تحميسمهم او حملهم للأخmas لمكاتبها كيف تقوم دولة وتحكم بشرع المقصوم؟!! يقول الرفاعي في أحدي تصرحياته الخطيرة ((أخبرت مرة من المرات السيد مرتضى العسكري وهو أحد وكلاء السيد محسن المرزين ومن ذوي الشأن عنده عن حاجتي فأنا من الفقراء ليس لي مصدر مادي وقلت له: هنا الا حظ أنا سا لا يقايسون بي اقل من درجتي كثيرا لكنهم أصحاب مكانة لدى المرجع.... فقال لي: سيد طالب لا تروح بعيدا ان خمسائة دينار تأتي بها الى المرجع من الحقوق تصبح لك عنده منزلة كأنه اهتدى بك مائة نفر))^(١)

لذلك فالثورة الإيرانية وبعد عقدين على قيامها صار القائمون عليها يخشون انقلاب الناس عليها من الداخل اكثر من خصوم الخارج، فالسيد طالب الرفاعي والذي أراد قتلها بعض الإيرانيين في سوريا وغيرها عندما سمعوا انه صلى على جنازة الشاه عام ١٩٨٠ م طلب منه صحفى ان يجري معه لقاء عام ٢٠٠٦ م فقيل له إنك قد تسبب لنفسك المشاكل في بلادك لأن هذا الرجل صلى على جثمان الشاه بهلوى عند وفاته فقال هذا الصحفى ((ان الإيرانيين لو علمنا الان بمدينة قم أنه هو الذي صلى على الشاه لمزقوا ثيابه وأخذوها قطعا للتبرك به بعدما حصل لهم في الثورة الإيرانية))^(٢)

وهو كلام قد يختلفون عليه كثيرا في ايران، لكن الواقع يصدقه!

(١) أمالى طالب الرفاعي - رشيد الخيّون - ص ٢٧١.

(٢) أمالى طالب الرفاعي - رشيد الخيّون - ص ٣٩٠.

وهذا الذي حصل للثورة الإيرانية وما حصل لمشروع حزب الدعوة كان محتماً أن يحصل لكون الامر ليس بقيادة معصوم، روي عن أبي جعفر(عليه السلام) قال:

دولتنا آخر الدول، ولن يبقى أهل بيته لهم دولة إلا ملکوا قبلنا لئلا يقولوا إذا رأوا سيرتنا: إذا ملکنا سرنا مثل سيرة هؤلاء، وهو قول الله عز وجل:

(والعاقبة للمتقين) ^(١)

الخط الزمني الذي سلكه التغير في طريقة ومنهجية التفقه عند الشيعة الاثني عشرية:

عصر حضور المعصوم بشكله المباشر (١٣ ق. هـ إلى ٢٦٠ هـ)
عصر حضور المعصوم بشكله غير المباشر (عبر السفراء) من (٢٦٠ هـ إلى ٣٢٩ هـ)

في عام ٣٣٤ هـ دخل الشيعة البوهيميون بغداد وكانت منطقة حكمهم تشمل فارس وخراسان وال العراق وهي مناطق تواجد الشيعة وحوازتهم الدينية، وصار التمازج بين الشيعة وغيرهم ظاهراً في المدارس الدينية وغيرها درساً وتدرисاً من الطرفين بلا نكير وهو ما هيأ الأذهان وعلى مدى قرن ونيف من الزمان إلى عصر جديد بعد دخول السلاجقة بغداد.

استمرار عصر التفقه على القرآن والحديث فقط إلى عام ٣٨١ هـ ووفاة الشيخ الصدوق.

(١) الغيبة - محمد بن الحسن الطوسي - ص ٤٧٣

بدأ تغلغل بعض جهالات العامة إلى طريقة أهل البيت عليهم السلام وذلك عبر الفقيهين ابن أبي عقيل العُماني^(١) وهو معاصر الكليني ، وابن الجندت ٣٨١ هـ) انتقال مركز الثقل الفقهي الشيعي من قم إلى بغداد بوجود الشيخ المفيد المتوفى عام ٤١٣ هـ

التعاطف بين فقهاء الشيعة والمعتزلة في القرنين الرابع والخامس كان ملحوظاً (كما هو في كلمات الشريف المرتضى والشيخ الطوسي) وكون الشيخ الطوسي عاميًّا المذهب في شبابه^(٢) جعل الانتقال إلى عصر جديد فيه مزج بين طريقتهم عليهم السلام وطرائق العامة في التفهه ايسراً بكثير خصوصاً مع مكانته الرفيعة بين الشيعة والتي نالها في بغداد.

دخول السلاجقة بغداد عام ٤٤٧ هـ وإحراق بيوت بعض الشيعة ومنهم بيت الشيخ الطوسي ومكتبه، وهروله إلى النجف ولاده مركز النجف الديني. ابتداء من عام ٤٤٩ هـ أخذ الشيخ الطوسي يمارس حرفيته في تدوين العلوم وفق ما يراه ناصراً لذهب الشيعي بلا ضغوط من البقية الباقيه على المنهج القديم

(١) يقول الشيخ عباس القمي ((وهو أول من هذب الفقه واستعمل النظر وفتى البحث عن الأصول والفروع في ابتداء الغيبة الكبرى)) الكنى والألقاب - ج ١ - ص ١٨٨ .

(٢) ((ولد شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي في خراسان في شهر شعبان سنة ٣٨٥ هـ إلى بغداد عاصمة العلم في العراق، فتلمذ خمس سنوات على الشيخ محمد بن النعيم البغدادي التلعكري، وبعد وفاة محمد بن محمد بن النعيم المفيد في سنة ٤١٣ هـ تلمذ الطوسي على الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي المتوفى سنة ٤٣٦ هـ)) مقدمة كتاب الاقتصاد / حسن سعيد الظهري.

الذى أوصى به المعصومون والسفراء والشيخ الكليني في بغداد فتراه يقول في مقدمة كتابه المبسوط ((و كنت على قديم الوقت و حديثه متшوق النفس إلى عمل كتاب يشتمل على ذلك تتوق نفسي إليه فيقطعني عن ذلك القواطع و تشغلي الشواغل، وتضعفني نيتى أيضا ((فيه قلة رغبة هذه الطايفة فيه، وترك عنائهم به لأنهم ألقوا الأخبار وما رواه من صريح الألفاظ حتى أن مسألة لو غير لفظها وعبر عن معناها بغير اللفظ المعتمد لهم لعجبوا منها وقصر فهمهم عنها)) وهذه شهادة على عمل فقهاء الشيعة في بغداد وغيرها كان بالرواية فقط إلى هذا العصر .

يقول باحث معاصر ((وقد أغرق الساحة الشيعية بأراء الفقه السنوي ومناقشتها على نطاق شمل الفقه من أوله إلى آخره))^(١).

بعد وفاة الشيخ الطوسي عام ٤٦٠ هـ واصل ابنه طريقة والده ورسخ الطريقة الجديدة والمؤلفات الجديدة ولم يؤثر عنه شيء جديد. انتقل مركز البحث الفقهي الشيعي إلى الحلة على يد الشيخ ابن إدريس الحلبي المتوفى ٥٧٨ هـ وهو أول من انتقد الشيخ الطوسي ^(٢)* على إشاعة طريقة العامة في الشيعة^(٣).

(١) السنة في الفكر الإمامي الشيعي - حيدر حب الله - ص ٢٢٨ .

(٢) * كتاب الشيخ الطوسي في الحديث (تهذيب الأحكام) وهو يصفه بـ(الكتاب الكبير) وقد شرع المؤلف بكتابه هذا الكتاب منذ سنة ٤١٠ هـ في بغداد حيث كان عمره آنذاك ٢٥ عاماً، لكنه ترك هذا اللون من التأليفات عند انتقاله إلى النجف وهذا ما يعزز المقالة التي تقول أنه كان إخبارياً في بغداد وترك منهجه إلى منهج الأصوليين عندما ترك بغداد وحل في النجف.

(٣) روضات الجنات - محمد باقر الخوانساري - ص ٥٧٤ .

واصل المحقق الحلي (نجم الدين جعفر) المتوفى ٦٧٦ هـ السير على طريق الشيخ الطوسي متزعمًا المدرسة الحلية وهو أستاذ العالمة الحلي.

خلفه العالمة الحلي (الحسن بن يوسف ابن المطهر الحلي) المتوفى ٧٢٦ هـ وعلى يده حصلت القطيعة مع منهج المحدثين القديم فالعلامة الحلي رحمه الله درس في بيئه عامية وعلي يد أساتذة من المخالفين منهم الشيخ نجم الدين علي بن عمر الكاتب القزويني و الشيخ برهان الدين النسفي الحنفي والشيخ تقى الدين عبد الله بن جعفر بن علي بن الصباغ الحنفي الكوفي^(١)، وعلى يده (على الأرجح) دخل التربيع في تقسيم الحديث إلى الشيعة.

كان للذكاء الواقاد عند العالمة، إضافة لشقله العلمي عند الشيعة بسبب الانتصار على فقهاء المخالفين في المحاورة الشهيرة في بلاط الحاكم المغولي (أوليجaito محمد خدابنده) المتوفى ٧١٦ هـ، وتشيّع هذا الحاكم فيما بعد بسبب المحاورة، دوراً في تقبيل كل ما يأتي به العالمة إلى البيئة الشيعية.

في عهد العالمة الحلي صار النشاط محموماً في الامتزاج مع البيئة العامية فألف العالمة الحلي كتاب ((غاية الوصول وإيضاح السبل في شرح مختصر منتهی المسؤول والأمل في علمي الأصول والجدل)) وهو في شرح ((مختصر منتهی المسؤول والأمل في علمي الأصول والجدل)) وهو كتاب لابن الحاجب

(١) راجع ترجمة العالمة الحلي في: أعيان الشيعة - محسن الأمين - ج ٥ - ص ٤٠١ / أمل الأمل - الحر العاملی - ج ٢ - ص ٨١ / ریحانة الأدب - محمد علي التبریزی - ج ٤ - ص ١٧٨ / مجالس المؤمنین - نور الله الشوشتري - ج ١ - ص ٥٧١ / لؤلؤة البحرين - يوسف البحرياني - ص ٢٢٣-٢٢٤.

الفقيه العامّي! وهي خطوة جريئة وغير معهودة في الوسط الشيعي، ثم أتبعها بكتاب ((شرح غاية الوصول في الأصول)) وهو شرح لأحد متون الغزالى! بل وكتابه (تذكرة الفقهاء) كان أشهى بكتاب مبسوط في الفقه المقارن كما وصفه بعض الفقهاء.

في الجيل الذي خلف العلّامة كان ابن العلّامة الملقب بـ(فخر المحققين) وتلامذته وابرزهم الشهيد الأول (محمد بن مكي العاملي) والذين تتلمذوا أيضاً على يد تلامذة العلّامة، ومن أبرزهم (قطب الدين الرازى البوهيمى) الفيلسوف الحكيم، فكان ابن العلّامة وقطب الدين رائدي هذا العصر وحملما طريقة العلّامة إلى من بعدهم وهم جيل الشهيد الأول والثانى.

لم يترك الشهيد الأول^(١) الحياة عام ٧٨٦ هـ قتلاً على يد القاضي برهان الدين المكي وعباد بن جماعة بعدما سجناه سنة كاملة في قلعة الشام في العصر المملوكي، حتى طبع عصره بطابعه الذي قدّ فيه أساتذته الذين تعلّموا الطريقة من العلّامة الحلى، ومن الملاحظ أن الشهيد الأول كانت دراسته جلّها على يد أساتذة من العامة فقد نقلوا عن بعض مصنفاته أنه درس على أربعين استاذًا من العامة ومن مشايخه شمس الدين محمد بن يوسف القرشى العاملي^(٢)، لذلك ألف مشابهة لهم - كما ينقل - علم القواعد الفقهية اسمه ((القواعد والفوائد في

(١) ينقل بعضهم: إن أول من قال بإرجاع الخمس للفقيه هو الشهيد الأول ٧٨٦ هـ في الدروس (ج ١ ص ٢٦٢).

(٢) راجع في تفاصيل ذلك: أعيان الشيعة - محسن الأمين - ج ١٠ - ص ٥٩ وص ٦٢ وغيره من المصادر.

الفقه والأصول والערבية))^(١)*! ويكفي لمعرفة مدى التأثير الذي تركه الشهيد الأول على المنهج المدرسي للشيعة أن كتابه (اللمعة الدمشقية) لا زال محور الدراسات المتوسطة في الحوزات الشيعية في النجف وغيرها إلى اليوم.

أما الشهيد الثاني (ت ٩٦٥ هـ) فقد قرأ على تسعه عشر شيخاً من العامّة^(٢) وقد جلب منهم علم الحديث (على طريقة العامّة) فألف (البداية في علم الدراء) ثم شرّحه، وقرأ الشهيد الثاني أيضاً صحيح مسلم وصحيح البخاري عند الشيخ شمس الدين بن طولون في دمشق!

وقد يكون لتأثير الإحساس بالأمان الذي يعطيه الدرس عند العامي الحاكم دافعاً في الاستمرار عليه، ولكن ضريبته كانت كبيرة!.

بعدهم جاء الشيخ احمد الأردبيلي المتوفى ٩٩٣ هـ فكتب حاشية على (مختصر الأصول للعنصري)، ومن ثم كتب الشيخ البهائي حاشية على (شرح العنصري على مختصر الأصول) ومن ثم لسلطان العلماء المتوفى ١١٠١ هـ حاشية على الكتاب نفسه، وكذلك الأغا حسين الخوانساري المتوفى ١١٠١ هـ، وطبعهم الأغا جمال الخوانساري ١١٢٥ هـ، ثم جاء الوحيد البهبهاني فكتب حاشية على (حاشية الميرزا جان على مختصر العنصري) وحاشية على (حاشية الميرزا جان على مختصر الأصول للحاجب)^(٣) فأصبح هذا العصر والذي استمر من زمن

(١) * للتفصيل في هذا الموضوع ، راجع موقع (نصوص معاصرة): <http://nosos.net>

(٢) ذكرهم محسن الأمين في أعيان الشيعة - ج ٧ - ص ١٥٤ وغيره.

(٣) راجع التفاصيل: الذريعة - آغا بزرگ الطهراني - ج ١٦ - ص ٢٤ وج ١٣ ص ٣٧٥ / وكشف

العلامة الحلي إلى عصر البهبهاني عصر الوصول الى القمة في التفاعل مع العامة
أشخاصاً ومناهج، وهو عصر اللاعودة إلى الماضي والمنهج المعمومي القائم
على القرآن والحديث!.

ومن بعد عصر البهبهاني انحسرت المؤلفات الأصولية - التي لا تعدوا إلا
شروحات وحواشٍ لكتب العامة - وقد يكون لانتفاضة الأخباريين على الواقع
السائد منذ عصر العلامة ومحاولتهم الرجوع في الطريقة الدراسية إلى عصر
الشيوخين - الكليني والصدوق - دوراً في انحسار هذا اللون من التأليف
بسبب تعييرهم للأصوليين بأنهم يتبعون المخالفين حتى في تأليفهم وليس في
العلوم الآلية وغيرها، وببدأ العصر الذي يسمونه (عصر النضوج العلمي في
الأصول)، وصار في عرف الحوزات أن يكون لكل فقيه أصولاً مستقلة عن غيره
يُعرف من خلاها أنه مجتهد وليس مقلداً لغيره، ولا زال هذا العصر إلى اليوم
بأدوار متعددة.

الخلاصة:

الأمر باختصار: إننا نسينا أن (الرشد في خلافهم) وان (لو كان خيرا ما سبقونا اليه) وصرنا نتتَّبع العادة شيئاً فشيئاً في كل علومهم وقواعدهم التي يخترعونها، فنسخها منهم! ورافق ذلك أن العصور التي مررت بها الأمة الشيعية لا يخلو عصر منها من وجود رجال مؤثرين تأثيراً استثنائياً شخصياً على المناهج الدراسية وعلى واقع الحوزات الدينية فكان ما يفعلونه سنة تتخذ من بعدهم وتواصل ذلك بلا عودة إلى الوراء، ولو لا ما حصل من اختلاف وتنافر واصطدام بين الفقهاء المحدثين والفقهاء الأصوليين الذي بدأ حوالي القرن العاشر الهجري وحمد حوالي الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري وما رافق ذلك من أحداث يندى لها الجبين مثل إفقاء فقهاء الأصوليين بقتل السيد عبد النبي الأخباري^(١) وذبحه مع ابنته في الكاظمية^(٢)، وكانت طريقة المحدثين موجودة منتشرة إلى اليوم، ولكن القسوة في التعامل مع الفكر الشيعي المخالف حتى بالمحذفين إلى الانزواء والتقية في أطراف الأرض! ومن الفارقات الغريبة أنه وفي الوقت الذي يُقتل به الأخباري أو يُمنع من نشر فكره الأصيل ويضائق بكل السبل كان الخط الشيعي الرسمي (الأصولي في هذا الوقت) يقرب المخالفين ويتواصل معهم بحججة التقية وغيره ويصل الأمر إلى الإفتاء بالجهاد

(١) راجع كتاب (العقبات العنبرية في طبقات الجعفرية) للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء حفيد الشيخ موسى كاشف الغطاء الذي أفتى بقتل الميرزا الأخباري.

(٢) لعلها المرة الأولى التي يفتني بها فقيه شيعي بقتل فقيه شيعي في التاريخ فالفتاوی السابقة كانت تصدر من فقهاء الأمويين أو فقهاء العباسيين أو العثمانيين أو المالكية!

معهم ضد البريطانيين عام ١٩١٤ م !

إننا يجب أن نتفقّه على منهج النبي واهل بيته عليهم الصلاة والسلام وهو الاعتماد على الثقلين فقط، وبالآيات ووسائل وقواعد أوصى بها المعصومون عليهم السلام، وهي الطريقة التي اتّبعها فقهاء الشيعة في عصر الحضور وعصر الغيبة الصغرى وما بعدها إلى عصر الشيخ الصدوق (المتوفى ٣٨١ هـ) وهو المنهج النقي بلا خلاف، وبعدها وابتداء من زمن الشيخ المفيد المتوفى عام (٤١٣ هـ) وإلى عام انتقال الشيخ الطوسي إلى النجف عام (٤٤٨ هـ) فالواجب هنا الحذر من المناهج التي بدأت تقترب من مناهج العامة، ثم وابتداء من عام (٤٤٨ هـ) وتأسيس حوزة النجف الدينية والى عصرنا هذا (إجمالاً) هو عصر امتصاص الفكر الشيعي بالمخالف بشكل صريح في حوزاتنا الى يومنا هذا، وقد نعذر هؤلاء الفقهاء ظاهراً لكون بعضهم - كأي بشر آخر - تختلط عليه الأمور فلا يفرق بين الأسباب والدواعي والغايات! فيفسد المرء أكثر مما يصلح.

والواجب ترك التفقّه على هذه الطرائق التي لا أساس لها في قرآن ولا سُنّة، فمن أسس لهذا لم يخطر بخلده أن الأمر (شكلاً ومضموناً) سيصل إلى ما وصل إليه، خصوصاً منذ عصر البهبهاني المتوفى ١٢٠٥ هـ وخلفيته الشيخ مرتضى الأنصاري ١٢٨١ هـ وقبلهما قليلاً إلى اليوم، فبدأت تظهر مصطلحات وتقالييد صارت حاكمة في الحوزات بلا مستند شرعي ولا سابق لها حتى على صعيد الآراء! منها (المرجع) و(المرجعية) و(الرجوع الأعلى) و(ضرورة تقليد المجتهد الأعلم) و(الأمام) و(نائب الإمام المعصوم) و(ولي الفقيه) واسبّعوا الدروس

وسوّدوا الصفحات في حدود وشروط وحقوق كل من هذه المناصب، فهم وبعد اختراع كل منصب يفتشون في الروايات عن إشارة هنا، أو تلميح هناك وهكذا!

والملفت للنظر أن لكل مقام من هذه المقامات حقوقاً لصاحبها على المكلفين، ولكنك لا تجد للمكلفين حقوقاً عليه!! على الأقل فهو لا يكتبها في الرسالة العملية! فهي مخصصة لتعليم الناس الطاعة له فقط، لا لتوعيتها بحقوقها عليه بالتوازي مع ذلك!

وكل هذه المناصب لا قيمة لها بلا قوة مادية تستدتها ظهر القول بضرورة تسليم الخمس والزكاة إلى المرجع لكونه نائب الإمام المعصوم وهو أبصر من غيره في موارد صرفها، وهنا تكسر الأقلام وتتسكب العبرات عن مشاكل الخمس وأين تتبع هذه الأموال ولماذا يبقى الشيعة بالملاليين في أوضاع بائسة في العراق وبافي البلدان بينما يتمتع الكثير من المراجع وأبناءهم وأصهارهم وحواشيهم بالأموال، وهذا لا يمنع أن البعض من المتصدّين للمرجعية متورّعون - شخصاً لا منهجاً - عن التصرف المحرام، لكن ضرورة توسيع المرجعية، ومصارفها تجعل من الصعوبة السيطرة على مصارف الأموال، كل هذا عندهم له المجوز الشرعي وهو: أن المرجع الفلافي أعلم الموجودين، وهذا يجعله أكثرهم هداية للشيعة وب بواسطته تم قيادتهم إلى بر الأمان وبالتالي فلا مانع من الصرف في وجوه متعددة - قد لا يكون الفقراء من ضمنها! - هو يرى أن مرضاة الإمام الغائب في هذه الصرفيات!!

واخطر ما يمكن أن يتصور هو التنامي المطرد بالمباني الأصولية وما يتفرع عنها من مبانٍ وفتاوٍ فقهية، وما يتبعها من مبانٍ تفسيرية تضخّم مكانة نائب الإمام حتى وصلنا إلى ما يقوله أحد الفقهاء الأصوليين من أن أهل البيت عليهم السلام عندما يفسرون الآيات النازلة مثل:

(وكونوا مع الصادقين) (فاسألو أهل الذكر) وما جرى مجرّاً هما من الآيات الشريفة فهم لا يطبقونها من باب انهم المصدق الوحيد لها! بل من باب أنهم المصدق^(١)! لذا فهي جارية في الفقهاء بعد غيبة المعصوم بلا فرق، فمقام الولاية الذي كان للمعصومين ثابت للفقيه أيضاً.

ولنا أن نسأل صاحب هذا (الرأي): لنترك كل النصوص الواردة التي فسرت (الصادقين) بأنهم الأئمة المعصومون، فهل يمكن أن تعطينا الحد الذي يتوقف عنده وعليه تعريف (الصادقين)؟

هو سيجيّب طبعاً من هنا وهناك وبالعمومات وغيرها! ولكن (نظريته) ستأخذ طريقها إلى طلبته وسيطورو عليها، وبعد جيل سيضعفون كل رواية تحصر او تفسر الأمر بهم، ثم يضيفون الصفة لهم فقط! كما فعلوا بمصطلح (أهل الذكر) الذي عمموه للفقيه! ومصطلح (العالم) الذي قال فيه بعضهم إن الأصل فيه انه للفقيه وأنه يكون للمعصوم بالقرينة!!

وهذه (الآراء) تؤسس لمشاركتهم في خصائصهم عليهم السلام التي نصّ عليها

(١) راجع درس السيد كمال الحيدري (مدخلية الزمان والمكان في موضوعات الأحكام) ٤٧٥ وما بعده.

القرآن والسنّة، وبالتالي فهي مناهج ليست علويّة بالحقيقة بل عليها أن تجد لها مكانا خارج ديننا الحمدي العلوي، بل زيادة على ذلك هي تقوم بمسخ هوية الإسلام الحمدي العلوي وجعله عربة مقطورة تتبع اتجاهات التفسير العاميّة التي خرجت من سقيفةبني ساعدة ولا زالت هائمة على وجهها إلى يومنها هذا تبحث عن اطمئنان وسكينة، ولن تجده إلا بالرجوع إلى مظلة الثقلين!

الفِصْلُ الْأَرْبَعُونُ

أدلة وقرائن صحة المنهج الحديثي
من طريقة الأصوليين أنفسهم

أدلة وقرائن صحة المنهج الحديثي من طريقة الأصوليين أنفسهم:

- ١- إن القدر المتيقن اتباعه من مصادر التشريع هما القرآن والسنة وأمّا ما زاده الأصوليون (وهو الإجماع والعقل) فغير ثابت، فنبقى على القدر المتيقن وهو الكتاب والسنة.
- ٢- إن الأصوليين المعاصرين يحيزون اتباع المحدثين في منهجهم وطريقتهم، والعكس ليس ب صحيح، وبالتالي فاتّباع المنهج الحديثي يبرئ الذمة على طريقة المحدثين والأصوليين سوية، بينما الأمر ليس كذلك بالنسبة لمتّبع الطريقة الأصولية فهو على منهج المحدثين يتّبع طريقا لا يجوز سلوكه.
- ٣- إن ظواهر القرآن وصريح السنة بما لا حجّة لاحد على احد إلا معصوم على غير معصوم، وهذا الطريق لو اتبّعه المكلّف لكان فيه نجاته وهو منهج المحدثين، ويوافقهم في ذلك الأصوليون ويزيدون عليه، بينما اتبع المنهج الأصولي في إجازة حجّية المجتهد على الناس هي زيادة غير جائزة عند المحدثين، فاللازم التحرز من زيادات الأصوليين.

٤- إن استصحاب الوضع الفقهي الشيعي يضطرنا إلى البقاء على المنهج الحديثي وترك أي منهج آخر مستجداً، فكون الشيعة في زمان الأئمة والسفراء وبعدها بقليل على منهج المحدثين شيء يقيني الصحة والعمل، بينما تغير الطريقة إلى منهج الأصوليين مشكوك في صحته - على الأقل! (وإلا فقد عرفت بطلانه) فالاستصحاب الأصولي يضطرنا إلى الرجوع لمنهج المحدثين.

٥- إن مصادر المحدثين (مثل الكافي والفقيه والتهذيبين والوسائل والوافي) حجة (إجمالاً) على غيرهم ومنها يأخذون دينهم ، أما مصادر غيرهم فلا، وبالتالي فقاعدة(دع ما يرribك إلى ما لا يرribك) التي نقلها الأصوليون عن العامة تلزمهم هنا، تختتم علينا ترك المصادر الأخرى التي ليس فيها حجّة.

٦- إن رجال المحدثين متفق على عدالتهم أو وثاقتهم أما غيرهم فلا فالشيخ الكليني والشيخ الصدوق والحر العاملي والفيض الكاشاني والسيد نعمة الله الجزائري هم أناس متفق على وثاقتهم وكوئهم لا ينقولون إلا عن المعصوم، وبالتالي فالتوقف عند منهج المحدثين واتباع الأدلة التي ينقلها أصحابه خير من الدخول في الشبهة.

٧- إن كبار محدثي المنهج الحديثي إما أنهم كانوا على مرأى من السفراء (فالشيخ الكليني) أو أنهم راسلواهم (كوالد الشيخ الصدوق) أو انهم ولدوا بداعي المعصوم (فالشيخ الصدوق)، وهذا ظاهر بين ويولد الرجحان بل والاطمئنان بسلامة مسلكهم ، أما غيرهم فلا، بل لا تستبعد أن مراسلة الإمام عليه السلام للشيخ

المفید - لو صحت - فهی عتاب لسلک معین عند الفقهاء في التفہم من بیان

طريقۃ المعصوم ﷺ.

٨- إن منهج الحديث قائم على اليقين ومنهج غيرهم على الظن، ولا حجّة في العمل بالظن، يقول تعالى:

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحُقْقَ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ يومنس (٣٦).

ولا نقصد هنا ان الكتاب والسنۃ محکمین بالدلالة دائماً ولكن نقصد بأن كلما استند الى القرآن والسنۃ بالطريقة التي اراد منها المعصوم ان نفعلها فهو يقیني لانا يقیننا مطالبون بذلك حتى وان اختلف الفقيه مع غيره من المحدثین بل ومع نفسه في زمان آخر وخالف فتواه الأولى، فالمهم ان يكون متیقن الطريقة لا مجتهداً طان بالطريقة التي استنبط اصلها ووضعها ودلیلیتها! وكل ظن في الاخبار متوجه لمن يأخذ من غير الكتاب والسنۃ من أدلة ظنیة تنتج أحکاماً ظنیة.

٩- إن منهج الحديث قد يكون هو المقصود بحديث ((يا علي واعلم أن أعجب الناس إيمانا وأعظمهم يقینا قوم يكونون في آخر الزمان لم يلحقوا النبي، وحجب عنهم الحجّة، فآمنوا بسواد على بیاض)) (١).

ف((السواد على بیاض)) هي الكتابة بالخط الأسود على الورق الأبيض،

(١) کمال الدین وقام النعمة - محمد بن علي بن الحسين الصدوق - ص ٢٨٨.

فهؤلاء القوم الموصوف إيمانهم بالعجب ويقينهم بالعظيم وصفوا بهذه الصفات عالية الشأن لإيمانهم بما ورد عن النبي والأئمة عليهم الصلاة والسلام مكتوباً في الكتب، وهذا هو شأن أتباع منهج الحديث، وبها أن فقهاء الأصول في هذا الزمان يكثرون من الكلام حول انه عصر الظهور أو إرهاصاته وأننا في آخر الزمان فهذا يستلزم ذم من لم يوصف بوصف المقصوم من بيان طريقتهم التي عليها المحدثون.

١٠- إن قلة أتباع منهج الحديث قرينة على صحة مذهبهم بعد اعتراف المنهج الأصولي أن منهجهم ليس باطلًا، والقلة العددية - على الحق - قرينة على الصحة وسلامة الطريق، من الكثيرة على الحق - لو كانوا ما يدعونه حقاً - وهذا مبدأ قرآنٍ وستيٌّ:

يقول تعالى ﴿لَوْ أَنَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ...﴾ النساء ٦٦

ويقول تعالى عن نوح ﴿وَمَنْ أَمَنَ وَمَا أَمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ سورة هود (٤٠)

ويقول تعالى ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِي الشَّكُورُ﴾ سورة سباء (١٣)

فإسلام اتباع منهج الحديث غريبٌ كما وصفه ويقول ﴿بَدْأَ إِسْلَامَ غَرِيبًا وَسِعَوْدَ غَرِيبًا فَطَوَبَ لِلْغَرَبَاءِ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ثُمَّ يَكُونُ مَاذَا؟ قَالَ ثُمَّ يَرْجِعُ الْحَقَّ إِلَى أَهْلِهِ﴾^(١).

(١) عيون أخبار الرضا - محمد بن علي بن الحسين الصدوق - ج ٢ - ص ٢١٨.

ويقول المعصوم ﷺ ((قد أفلح المؤمنون المسلمين، إن المسلمين هم النجاء، فالمؤمن غريب فطوبى للغرباء.)).^(١)

وفي لفظ آخر: ((يا كامل: إن المسلمين هم النجاء، يا كامل: إن الناس أشباه الغنم إلا قليل من المؤمنين، والمؤمنون قليل!)).^(٢)

بل إن النجاة لهؤلاء الغرباء القليل النائمين عن (الفتن والزعamas والتتصدي والتمهيد) الذي يتصارع حوله الكثير في الساحة اليوم !! يقول ﷺ ((وذلك زمان لا ينجو فيه إلا كل مؤمن تُؤْمِنَةٌ))^(٣)* إن شهد لم يُعرف وإن غاب لم يُفتقد. أولئك مصابيح المدى، وأعلام السرى. ليسوا بالمسايح ولا المذاييع البذر أولئك يفتح الله لهم أبواب رحمته. ويكشف عنهم ضراء نقمته)^(٤)

ونقل ابن الأثير عنه ﷺ قوله ((خير أهل ذلك الزمان المؤمن النُّؤْمَة))^(٥)
فهل ترى صفة (الغريب) و(النائم) عن الفتنة في غير المؤمن المسلم المتظر
لإمامه؟

(١) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - ج ١ - ص ٣٩١.

(٢) الأصول ستة عشر - أصل عاصم الحناط - ص ٥٢.

(٣) * قال علي بن زيد البيهقي ((النُّؤْمَة: أي خامل الذكر غامض في الناس، الَّذِي لا يُعرَفُ الشَّرُّ وَلَا أَهْلُه)) معارج نهج البلاغة - جمع الشريف الرضا ص ١٩٩ / ونقل محمد باقر المجلسي عن ابن عباس عن علي عليه السلام ((المؤمن النُّؤْمَة: الذي يسكت في الفتنة فلا يبدو منه شيء)) بحار الأنوار - محمد باقر المجلسي ج ٢ ص ٧٣.

(٤) نهج البلاغة - جمع الشريف الرضا - ج ١ - ص ١٩٨.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر - مجد الدين ابن الأثير الجزري - ج ٥ - ص ١٣١.

لذا فهم ﷺ رسموا لنا خارطة طريق تقلل الدماء المراقة في زمان
غيبتهم ﷺ فتراه يقول:

((كفوأ ألسنتكم، والزموا بيوتكم، فإنه لا يصييكم أمر تخصون به أبداً،
ويصيي العامنة ولا تزال الزيدية وقاء لكم أبداً))^(١)

ويقول ﷺ ((، كونوا أهلاً لبيوتكم، فإن الغبرة على من أثارها، وأنهم لا
يريدونكم بجائزه إلا أن لهم الله بشاغل إلا من تعرض لهم))^(٢)

وفي الرواية عن أبي بكر الحضرمي، قال: ((دخلت أنا وأبنا على أبي عبد
الله ﷺ وذلك حين ظهرت الرایات السود بخراسان، فقلنا: ما ترى؟

فقال: اجلسوا في بيوتكم فإذا رأيتمنا قد اجتمعنا على رجل فانهدوا إلينا
بالسلاح))^(٣)

ف أصحاب الأئمة ﷺ كانوا يسمعون عن الرایات السود وكونها من
علماء دولة الموصومين ﷺ فلما رأوا ظهورها جاءوا اليهم ليستفسروا عن
كونها هي أم غيرها فسمعوا الكلام الذي لا يختلف عليه اثنان: ((اجلسوا في
بيوتكم فإذا رأيتمنا قد اجتمعنا على رجل فانهدوا إلينا بالسلاح))

لذا، فالذي يطبق قوله ﷺ ((أجلسوا في بيوتكم)) و((الزموا بيوتكم)) و((لا

(١) الغيبة - محمد بن ابراهيم النعmani - ص ٢٠٣.

(٢) الغيبة - محمد بن ابراهيم النعmani - ص ٢٠٣.

(٣) الغيبة - محمد بن ابراهيم النعmani - ص ٢٠٣.

تحرّك يدا ولا رجلا حتى)) وقوله ﷺ ((اسكن ما سكن الليل والنهار...))
وقوله ﷺ ((كن حلسا من أحلاس بيتك)) وقوله ﷺ ((اسكن ما سكنت السماء
والأرض)) فالنتيجة: لا تحرّك عسكري ضد الظالمين ولا قيام لدولة حتى
ظهور الإمام عَجَّلَ اللَّهُ فرْجَهُ فَهُوَ صَاحِبُ الدُّولَةِ. هذا هو شعار المؤمنون النُّوْمَةُ
الغرباء القليلون في الناس، والذين هم كما قال عنهم الحديث ((أولئك مصابيح
الهدى، وأعلام السرى. ليسوا بالمساييع ولا المذاييع البذر أولئك يفتح الله لهم
أبواب رحمته. ويكشف عنهم ضراء نقمته)) فكن من أولئك تهتدي. وإن لم
تأخذ بما قاله الأنبياء ﷺ فقد تكون من عناهم تعالى بقوله:

﴿بَلْ قَالُوا: إِنَّا وَجَدْنَا أَبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهَتَّدُونَ﴾ (٢٢)
﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرِيَّةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتَرَفُوهَا: إِنَّا وَجَدْنَا^{آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ (٢٣)}

قال: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِآهَدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ أَبَاءَكُمْ؟﴾
قالوا: ﴿إِنَّا بِمَا أَرْسَلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ (٢٤)
﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (٢٥) (سورة الزخرف)

ومضة:

غاية الدين هو أن يكون الإنسان عبداً لله

فيجب أن يعرف معنى كونه عبداً!

وللسيد على العبد أمران أساسيان:

الأول: أن يعرف ماذا يريد منه سيده

الثاني: أن يلتزم بما يريد سيده

والسيد هو الله تعالى، والله سبحانه وتعالى اختار أن يوصل إلى عباده ما يريدهم
منهم عن طريق الكتاب والعترة.. فقط لا غير، فيجب على العبد أن يلتزم بهذين
الطريقين، لا ينقص منها ولا يزيد عليهما.

الكتاب فيه قسمين محكم ومتشابه.

المحكم: تأويله في تنزيله، أي أنه مفهوم لكل عاقل لا يختلف في فهمه اثنان.

المتشابه: ما كان له أكثر من وجه في فهمه، أو ما كان يتعدّر فهمه، فيؤخذ
فهمه وتأويله من العترة فقط لا غير.

وأما العترة المطهّرة: فيجب على العبد:

معرفتهم

والتسليم اليهم

والرد إليهم في ما اختلف فيه العترة نأخذ عنهم ما روي عنهم في مصادرنا
المعروفة من أقوالهم ..

وأخذ عنهم سيرتهم ..

وسيرة أصحابهم المقرّة من قبلهم عليهم السلام مما فيه حجة بأنهم رضوا منهم هذه
السيرة ..

فكثير من الأمور العقائدية والفقهية والأخلاقية نأخذها من أقوالهم عليهم السلام ..
وكثير من تكاليفنا السياسية وسلوكياتنا الدينية، نأخذها من سيرة
الأئمة عليهم السلام وسيرة أصحابهم المقرّة من قبلهم عليهم السلام ..

يجب علينا المحافظة على الصورة الدينية التي رسمها وأقرّها
المعصومون عليهم السلام. فهذه الصورة هي ما أصلح لها بـ (معالم الدين).

أقوال المعصومين عليهم السلام تنقسم (كما القرآن) إلى محكم ومتشبه:

المحكم: ما كان تأويله واضحًا لا يختلف فيه اثنان

والمتشبه ما اختلف فهمه على المكلفين أو تعسر فهمه ..

فطريقه التفاوض والسؤال من الأخوة الثابتين على طريقة المعصومين عليهم السلام ..

والروايات قد تختلف أو تتعارض فيما بينها، فطريقها الترجيحات التي
وردت عنهم عليهم السلام، ومنها العرض على محكم الكتاب فيما كان مخالفًا لكتاب الله
يترك ..

ومنها أخذ المجمع عليه وترك الشاذ النادر

ومنها ترك ما وافق العامة والأخذ بما خالفهم

ومنها أخذ ما فيه الاحتياط وترك ما عداه

ومنها التخيير، وهو أوسعها

والروايات قد يكون منها ما ليس له وجه في قبوله من قبل العبد، فهنا العبد

غير ملزم بقبول تلك الروايات، ولكن لا يكذبها بل يرد علمها اليهم عليهم السلام ..

الروايات لا تكذب إلّا في حالتين ..

الحالة الأولى أن تقوم البينة التامة على أنها مكذوبة ..

الحالة الثانية أن تكون الرواية مخالفة لحكم الكتاب مخالفة يقينية لا مظنونة

أو مشكوكه ..

قد تُعرض علينا مسألة لا نجد لها حكمًا من كتاب أو سنة :

فطريقها:

أولاً: البحث وسؤال الأخوة المتمسّكين بطريقة المعصومين عليهم السلام ..

ثانياً: إن لم يوجد حكمًا خاصاً بالمسألة، فهناك قواعد أو أحكاماً عامة أو

клиات، وهي ما تسمى بالأصول، صدرت عنهم عليهم السلام، فإن كانت المسألة

داخلة في واحد من الأصول أو الأحكام الكلية، فبها، وإلا ، فطريقها:

التوقف في الحكم، أي عدم إعطاء حكم.

والاحتياط في العمل، أي ترك العمل.

فإن اضطر اضطرارا شرعاً للعمل بهذه المسألة فلا إثم عليه.

المسائل تنقسم إلى دينية ودنوية:

فالدينية هي معالم الدين، والأصل فيها: أن ما لم يثبت عنهم بِالْحَسْنَةِ الْمُكَفَّلَةِ من هذه المسائل فهو باطل، وليس في هذا القسم أصول أو أحكام كليلة نستنبط منها أمورا لم تكن من قبل في زمانهم بِالْحَسْنَةِ الْمُكَفَّلَةِ، فيجب أن تثبت كل مسألة لوحدها..

وأما الدنوية، فالأصل فيها أنها مباحة إلا أن يأتي فيها شيء فتركه، أو ترد عليها الشبهة بالحرام، فتركه..

الشيخ الكليني والشيخ الصدوق، فقيهان، ورعان، خيران، ثقتنان، أغنانا الله بهما من خلال كتابيهما (الكافي والفقي) عن الخوض والبحث والترجيح والاستدلال عن أكثر المسائل..

ولا يعني هذا أن لا نأخذ من غيرهما، ولكن نرجح ما رجحه، ونبحث عند غيرهما عملاً ليس عندهما..

مكانة كتابي الكافي والفقيه:

الأصل في الروايات الواردة في كتابي (الكافي) و(الفقيه) هو ان روایاتهما صحيحة، والاستثناء هو الترك والتوقف في أحوال خاصة في بعض الروايات، فكتاب (الكافي) هو الكتاب الجامع الأكبر للأصول الحديثية التي كتبها أصحاب المتصوّمين عليهم السلام، وقد بذل في سبيل جمعه وترتيبه وتصحيح روایاته وتهذيبها ما يقرب من عشرين سنة من عمره المبارك، ولما كان الكليني قد توفي في العام ٣٢٨ أو العام ٣٢٩ للهجرة - أي في نفس السنة التي توفي بها السفير الرابع رضوان الله عليه - ولما كان الشيخ الكليني قد قال في نهاية مقدمته ((وأرجو أن يسهل الله عز وجل إمضاء ما قدمنا من النية، إن تأخر الأجل صنفنا كتاباً أوسع وأكمل منه، نوفيه حقوقه كلها إن شاء الله تعالى)) وقد وفى الشيخ الكليني فألف كتاب (رسائل الأئمة) وهو مفقود حالياً للأسف، وهذا يثبت أن كتاب الكافي كان قد جُمع في الفترة التي تناхم نهاية القرن الثالث الهجري، وهي فترة تشهد وجود بعض أصحاب الإمام العسكري عليه السلام او من رآهم وروى عنهم بشكل مباشر أو غير مباشر، ولو اختلفنا على كل ذلك فلن نختلف على أن الشيخ الكليني - وهو عين الشيعة في ذلك الوقت - قد عاصر السفراء وخصوصاً الثالث والرابع، بل هو قدجاورهم في بغداد في نهاية عمره وهذا يشير إلى ان كتابه في ظل وجود السفراء قد كان مقبولاً عند السفراء وبالتالي عند الإمام المهدي عجل الله فرجه، لكون السفراء وكجزء من واجبهم كانوا يتصدرون لكل حركة انحراف في زمانهم وعلى أيديهم ظهرت تواقيع اللعن بجملة من انحرفوا

عن الجادة القوية، لذلك قال جمع من الأصوليين القدماء بصحبة جملة روایات الكافی، ينقل المحدث النوری عن الشیخ علی بن طاوس ((والشیخ محمد بن یعقوب کان حیا فی زمان وکلائے المھدی صلوات اللہ علیه: عثمان بن سعید العمری، وولده أبي جعفر محمد، وأبی القاسم بن روح، وعلی بن محمد السیمری رحمةم اللہ، وتوفی محمد بن یعقوب قبل وفاة علی بن محمد السیمری، لأن علی بن محمد السیمری توفی فی شعبان سنة تسع وعشرين وثلاثمائة، والکلینی توفی ببغداد سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة فتصانیف الکلینی وروایاته فی زمان الوکلائے المذکورین فی وقت یجد طریقاً إلی تحقیق منقولاته وتصدیق مصنفاتہ .). ونقله المحدث الحر إلی قوله « فی زمان الوکلائے المذکورین » ولم ینقل تتمة کلامه الذي هو أوفی دلالة على ما هو بصدق إثباته .))^(۱)

قال المحدث النوری بعد نقل کلام السيد ابن طاوس ((نتیجة ما ذکرہ من المقدمات عرض الكتاب على أحدھم وإمضاؤه وحكمه بصححته، وهو عین إمضاء الإمام ع، وهذا وإن كان أمراً غير قطعي يصيّب وينحطّ، ولا يجوز التشبيث به في المقام، إلا أن التأمل في مقدماته يورث الظن القوي والاطمئنان التام أو الوثوق بما ذکرہ، فإنه رحمة الله كان وجه الطائفۃ وعيینهم ومرجعهم كما صرحا به، في بلد إقامة النواب، وكان غرضه من التأليف، العمل به في جميع ما يتعلق بأمور الدين، لاستدعائهم وسؤالهم عنه ذلك، كما صرّح به في أول الكتاب، وكان بمحضره في بغداد، يسألون عن الحجۃ ع بتوسط أحد من

النواب عن صحة بعض الاخبار، وجواز العمل به، وفي مكاتيب محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري إليه من ذلك جملة وافرة وغيرها، فمن بعيد أنه رحمة الله في طول مدة تأليفه وهي عشرة سنون لم يعلمهم بذلك، ولم يعرضه عليهم مع ما كان فيما بينهم من المخالطة والمعاشرة بحسب العادة وكانت الشيعة يسألون من الأبواب حوايج وأموراً دنيوية تعسرت عليهم يريدون قضائهما وإصلاحها، وهذا أبو غالب الزراري استنسخ قسماً كبيراً من أبواب الكافي ورواه عن مؤلفه بالقراءة عليه أو بالإجازة، فمن بعيد أن لا يعرضه على الأبواب مع أنه رفع مشكلة زوجته فوافاه الجواب.

وكان عرض الكتاب على النواب مرسوماً، روى الشيخ في غيبته أنه لما عمل السلماغاني كتاب التكليف، قال الشيخ أبو القاسم بن روح: اطلبوا إلى لأنظره، فجاؤوا به فقرأه من أوله إلى آخره، فقال ما فيه شيء إلا وقد روي عن الأئمة إلا في موضعين أو ثلاثة، فإنه كذب عليهم في روایتها لعنه الله.

وقد سئل الشيخ عن كتب ابن أبي العزاقر بعد ما ذُمَّ وخرجت فيه اللعنة فقيل: كيف نعمل بكتبه وبيوتنا منها ملأى؟ فقال: أقول فيها ما قاله أبو محمد الحسن بن علي صلوات الله عليهما وقد سئل عن كتببني فضال، فقالوا: كيف نعمل بكتبهم وبيوتنا منها ملأى؟ فقال صلوات الله عليه: «خذلوا ما رواوا وذرلوا مارأوا».

فمن البعيد غاية البعد أن أحداً منهم (النواب) لم يطلب من الكليني هذا الكتاب الذي عمل لكافحة الشيعة، أو لم يره عنده ولم ينظر إليه، وقد عكف عليه وجوه الشيعة وعيون الطائفية، وبالجملة فالناظر إلى جميع ذلك لعله يطمئن إلى ما أشار إليه السيد الأجل، وتوهم أنه لو عرض على الإمام عليه السلام، أو على أحد من نوابه لداع واشتهر، منقوص بالكتب المعروضة على آباءه الكرام صلوات الله عليهم، فإنه لم ينقل إلينا كل واحد منها إلا بطريق أو بطريقين))^(١)

وهذا الكلام قد نصره الشيخ المجلسي بشكل غير مباشر إذ يقول: ((أما جزم بعض المجازفين بكون جميع الكافي معروضاً على القائم عليه السلام، لكونه في بلد السفراء فلا يخفى ما فيه، نعم عدم انكار القائم وآباءه صلوات الله عليه وعليهم عليه وعلى أمثاله في تأليفاتهم ورواياتهم مما يورث الظن المتاخم للعلم بكونهم عليهم السلام راضين بفعلهم ومحوزين للعمل بأخبارهم))^(٢)

وهذا ما لم يستطع الشيخ السبحاني ردّه - على تشدده في الأخذ والرد في هذه الموارد! - إذ يقول ((وأما ما ذكره العلامة المجلسي من حصول الظن المتاخم للعلم بكونه عليه السلام راض بفعله فهذا مما لا شك فيه، كيف ولو لا الكافي وأضرابه لما بقي الدين، ولضاعت السنة، ولكنه لا يقتضي أن يؤخذ بكل رواياته من دون تحقيق في الأسناد)).^(٣)

(١) نقله المحدث النوري: مستدرك الوسائل: ج ٣ - ص ٥٣٢ .

(٢) مرآة العقول - محمد باقر المجلسي - ج ١ - ص ٢٢ .

(٣) كليات في علم الرجال - جعفر السبحاني - ص ٣٧١ .

وهذه شهادة واضحة في صحة الكتاب إجمالاً، وأما قول السبحاني في طرف حديثه ((ولكنه لا يقتضي أن يؤخذ بكل روایاته من دون تحقيق في الاسناد)) فهذه وجهة نظر لا دليل عليها!

هذا مع ملاحظة ان الشيخ المجلسي لم يكن أخبارياً، بل هو في طريق ثالث بين الطريقين (كما ينقل)، وطريقة شرحه للكافي تشهد بذلك، وأما الشيخ السبحاني فهو من كبار الأصوليين في زماننا، بل لو قرات ما كتبه السيد محمد صادق الصدر:

((أن الشيعة وإن كانت مجتمعة على اعتبار الكتب الاربعة وقاتلتها بصحة كل ما فيها من روایات....))^(١)

فانتبه لقوله ((وقاتلتها بصحة كل ما فيها من روایات))!

وهذه هي النظرة العامة لفقهاء الشيعة طوال قرون عديدة منذ ابتداء الغيبة الكبرى في الثلث الأول من القرن الرابع إلى منتصف القرن السابع، إذ عندها حصل ما حصل من نشوء وجهة نظر عند العلامة الحلي بان يتبع العامة في بعض علومهم ومنها (علم الرجال) فجرى ما جرى من تنوع لحديث الكافي والفقیه والتهذیبین الى الاقسام الاربعة المعروفة، يقول الشيخ الحر العاملی:

((.... ما تقدم من شهادة الشيخ، والصدوق، والکلینی، وغيرهم من علمائنا بصحة هذه الكتب والأحادیث، وبكونها منقولۃ من الأصول والكتب المعتمدة

ونحن نقطع قطعا لا شك في أنهم لم يكذبوا، وانعقاد الاجماع على ذلك إلى زمان

(العلامة))^(١)

وتصحيح روایات الكافي في الجملة وبعدها عن أبحاث الأسناد في شأنها هو مختار عدد كبير من أعلام الأصوليين، يقول السيد الخوئي (رحمه الله) عن أستاذه شيخ الأصوليين الشيخ النائيني:

((وسمعت شيخنا الأستاذ الشيخ محمد حسين النائيني - قدس سره - في مجلس بحثه يقول: (إن المناقشة في إسناد روایات الكافي حرف العاجز))^(٢)

فهي حرف عاجز!! لأنه يشتغل بها لا شغل فيه! ومراده أن الشيخ الكليني ومن خلال عصره وشخصيته وتوافر الأصول في زمانه جمع ما هو صحيح من روایات متواترة بذاتها او محتفظة بقرائن تفيد القطع بصدورها عن الأئمة عليهم السلام، وهو - أي الكليني - لم يلتفت الى قضية الأسناد إذ لا أهمية له بعد نقل المتون صحيحة، ولكن منهجه لا علاقة له بها استجد من بعد ذلك بعدة قرون من ضرورة التكلم في الأسناد!.

ولو تركنا كل شهادات فقهاء الشيعة من محدثين وأصوليين وقرأنا ما تركه هذان العلمان (الكليني والصادق) الذين اتفقت الشيعة على إجلالهما لوجدناهما يصحّحان كل ما نقلاه في كتابيهما لكونهما قطعا بصحة ما وقع بين أيديهما من

(١) وسائل الشيعة - الحرم العاملی - ج ٣٠ - ص ٢٥٧ .

(٢) معجم رجال الحديث - أبو القاسم الخوئي - ج ١ ص ٨١ .

أصول مكتوبة من الأئمة عليهم السلام، والتشكيك بعملها هذا يؤدي للطعن بشكل مباشر بشخصيتها، ومن يفصل بين كتابيّها وشهادتيّها ويُعمل البحث في الأسناد بهذا الشكل المعروف الرائق، وبين شخصيّها وكونها ثقتيْن فهو مقلّد لا يعلم عما يتكلّم!

وليت شعري! ولا ينقضي عجبي كيف ينصح المرجع بالاعتماد على رسالته العملية ويصدرها بقوله ((ان العمل بهذه الرسالة العملية مجزٌ ومبرٍ لذمة)) ويتحمل مسؤولية ذلك ويضمن صحة ما في رسالته وكونها موافقة للشرع ولما يريد الله سبحانه وتعالى! بل ويزري على من يعترض على تلکم العبارة - والحال هذه انه توصل لهذه الفتاوى بعد استعماله لعلوم بشرية حصل عليها وفيها الاشكال والاعتراض واللبس - بينما لا مانع من التشكيك بثلثي كتاب الكافي وهو الكتاب الذي ألفه صاحبه في وجود السفراء الأربعه وعلى مرمى توقيع من المقصوم؟!! بل ويعترفون بأنه خالٍ تقريباً من أي مخالفة للقرآن في روایاته! يقول السيد الخوئي ((الروایات المخالفة للكتاب.... ان الكتب الاربعة خالية من هذه الروایات الا الشاذ النادر، قد يوجد))^(١)

فالسيد الخوئي لم يجد في الكتب الأربعه - وهي تضمّ ما يقرب من أربع وأربعين الف روایة - لم يجد فيها ما يخالف الكتاب! إلا الشاذ النادر ((قد يوجد)) ويعني هذا انه لم يجد هكذا روایة لكنه لا يستبعد وجود شاذٌ نادر!

(١) <https://www.youtube.com/watch?v=GW6YkSJpEE> / مقطع بصوت السيد الخوئي من درس البحث الخارج على هذا الرابط.

وأما صحة روایات کتاب ((فقیه من لا يحضره الفقیه)) فيکفى الاتفاق على ان صاحبہ ولد ببرکة الإمام المهدی ﷺ، وكون ولادته تاختت بدایة الغيبة الكبری وکون الأصول - أصول الأخبار - مشتهرة بین فقهاء الشیعہ وهو في قمّ، عش آل محمد، لذا فعندهما طلب منه تأليف کتاب مختصر في الفقه أجاب الى ذلك وقال في مقدمة الكتاب ((ولم أقصد فيه قصد المصنفین في إيراد جميع ما رواوه، بل قصدت إلى إيراد ما أفتی به وأحکم بصحته وأعتقد فيه أنه حجة فيما بيني وبين ربی - تقدس ذکرہ وتعالى قدرته - وجميع ما فيه مستخرج من کتب مشهورة، عليها المعلول وإليها المرجع...))

وجلالۃ الرجل وورعه ویوجود الكتب والأصول المشتهرة التي عليها العمل منذ أيام المعصومین علیهم السلام يجعل الأصل في روایات هذا الكتاب هي الصحة إلا إذا دل الدليل على التوقف حیاها أو تقديم غيرها بالآليات التي تركها لنا المعصوم .

فأیها أحّق بالاعتماد عليه والاطمئنان اليه؟! رسائل عملية شهد صاحبها بصحة مافيها وهو في زمان وجود الرواۃ عن المعصوم وكتبهم المعروفة المشتهرة أم على رسائل عملية أَلْفَت بعد قرون متطاولة وبالآليات جاءت عن العامة اختلفو فيها، ولا يزلون!

خاتمة:-

يقول تعالى:

﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنْ أَتَبْعَتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الدِّيْنِ جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٌّ وَلَا نَصِيرٌ﴾ (سورة البقرة ١٢٠)

فالذى يرشد اليه الله هو الهدى ، وغير ((هدى الله)) فهو أهواء الناس ، وهذا (الهدى الإلهي) يكون من الله فقط، يقول تعالى:

﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ - مِنِّي هُدَىٰ - فَمَنْ تَبَعَ هُدَىِيَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (سورة البقرة ٣٨)

ويقول تعالى:

﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ - مِنِّي هُدَىٰ - فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَىِيَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (١٢٣)

وهدى الله يكون عن طريق الأنبياء والرسل والوصياء أو بما شاء، إذا شاء سبحانه، وليس للإنسان - بعد مجيء هدى الله - سوى الاتّباع، يقول المقصوم: ((وإنما الناس رجالن: متبّع شرعة، ومبتدع بدعة ليس معه من الله سبحانه برهان سنّة ولا ضياء حجة))^(١)

فمن ليس له من الله برهان وضياء بحجة على سنّة فهو على بدعة!

وما ليس من الله لا يمكن ان يهدي البشر، وحجّة الله باقية ما بقي الدهر

فَقُلْ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ هَدَى كُمْ أَجْمَعِينَ ﴿الانعام ١٤٩﴾ (ولقد شاء الله ان تكون حجّته باللغة بوجود وصيّ معصوم في زماننا، وسواء كان هذا المعصوم ظاهراً مشهوراً او غائباً مستوراً فلا يمكن ان يكون لنا رأي في دين الله إطلاقاً، جاء في تفسير الآية القرآنية:

﴿وَمَنْ أَصْلَلَ مِنَّا أَتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللّٰهِ﴾ (سورة القصص ٥٠) قال:

يقول المعصوم:

يعنى من اخذ دينه رأيه بغير إمام من أئمة الهدى))^(١)

فكل ما لم يأت بواحي من الله فهو هوى، ولا يمكن ان يكون غير ذلك، حتى لو غيرنا الألفاظ ! وبوجود الهدى الإلهي وباتّاباعه يكون حتى الظلم والإساءة بالتطبيق مغفورة، والعكس صحيح، فلو اخذنا (هدى) من أنفسنا، لا يمكن أن نكسب رضا الله تعالى، فهو سبحانه تعالى يقول:

((الأذدين كل رعية في الاسلام اطاعت إماما جائرا ليس من الله وان كانت الرعية في أعمالها بَرَّة تقية، ولأعفون عن كل رعية في الاسلام اطاعت إماما هاديا من الله، وان كانت الرعية في أعمالها ظالمة مسيئة))^(٢)

فالقول بالدين بغير نصٍّ من مشروع هذا الدين هو دينٌ مقابل الدين، وحتى قبل الرعية هذا الدين (المخترع)، تطلب الامر صناعة مبادئ لتطويعهم،

(١) الأصول ستة عشر - اصل جعفر الحضرمي - ص ٦٣ .

(٢) المحسن- أحمد بن محمد البرقي - ج ١ - ص ٩٤ .

وهذه الصناعة سارت بالتوابع مع استنباط أصول بشرية ليست مخصوصة ثم استنباط احكام منها، مع ان المخصوص يقول:

((علينا إلقاء الأصول وعليكم التفريع.))

((إنما علينا أن نلقى إليكم الأصول، وعليكم أن تفرّعوا .))^(١)

فقدم (علينا) وإنما) لحصر التأصيل بهم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، لا يزاحهم في ذلك أحد، لذلك لم يجد أحد رؤاد المدرسة الدينية الشيعية المعاصرة بدأ من ان يقرّ بإأن ما موجود اليوم من قواعد وأحكام كثير منه وليد الفقهاء وليس المخصوصين إذ يقول:

((وعرفت بعد عقود بأن ٨٠٪ من دينكم مزيف ومن صنعتم، وأئمننا منه براء))^(٢)

وهذا الرجل - وهو من هذه المدرسة التي تتخذ (التقليد المقدس) لرجالتها حجر الزاوية - يُرجع هذا التقليد الى أفكار بعض الفقهاء نتجت بعد عصر من الخلاف مع منهج آخر، يقول السيد محمد حسن الكشميري ((... وفي غضون ذلك لا نغفل ان نذكر بان العمل لم يكن على صورة تقليد حتى نشأت الخلافات بين علماء الشيعة وانشققا الى فريقين فريق يقول بالبقاء على مراجعة أحكام الماضين والعمل بالأخبار وهم الاخباريون وكان على راسه هذه الجماعة

(١) الخبران في: وسائل الشيعة - الحز العجمي - ج ٢٧ ص ٦٢.

(٢) ستون سؤالا - حسن الكشميري - ص ١٢٧.

المرحوم الأمين الاسترادي اما الجماعة الثانية فكان على راس علمائهم المرحوم الوحيد البهبهاني وجرت بينهم مشاحنات وعداوات وقتل العديد من الطرفين في نزاعات قاسية في البحرين والاحساء وفي كربلاء كانت الغلبة بالتالي لفريق الوحيد البهبهاني ونشأ التقليد...))^(١)

ومع ان الامر ليس بهذه الدقة التي نقلها الكشميري لكن كلامه يحمل من الصحة الشيء الكثير، والرجل هنا لم يتكلم بالتفصيل عن ((الغلبة)) التي حازها فريق البهبهاني وكيف صارت وبأية أساليب^{(٢)*!}.

ولكون المرجعية الشيعية اليوم تقوم على أساس النيابة المفترضة عن المقصوم في غيابه، تكلّمت الاخبار المقصومية عن نتيجة هذه النيابة وموافق أصحابها - او بعضهم على الأقل! - مع المقصوم حين ظهوره، إذ سيحصل ما هو طبيعي في سنن البشر، فهذا الإنسان الضعيف الجشع الجهول لن يتخلّ عن موقعه الذي يوفر له السلطة الدينية التي تجعله - بأعين الناس - الحلقة الواصلة بين السماء والأرض! وبعد ذلك توفر له المال والجاه والرئاسة والأمر والنهي!

لذا لا نستغرب ما جاء من الروايات التي تشير الى ان الامام المهدى سيداً بقتل كذابي وفقهاء الشيعة قبل غيرهم!

(١) ستون سؤالاً - حسن الكشميري - ص ١١٧.

(٢) * راجع كتاب: (العقبات العنبرية في الطبقات الجعفرية) للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء لمعرفة التفاصيل وكيف تم القضاء على منهج المحدثين في كربلاء وبغداد بالقتل والتشريد والتنفي! ويفخر فيه بأجداده الذين تولوا زمامرة الأصوليين في تلك الفترة وكيف شرّدوا الاخباريين ونفوهם عن المراقد المقدّسة! وكأنهم من السند والديلم!.

فعن المفضل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لو قام قائمنا بدأ
بكذب الشيعة فقتلهم.^(١)

وكذابو الشيعة ليس لهم أناس بسطاء لدفهم خصلة الكذب الرديئة! ولكنهم
كذابون على مستوى عالٍ! فهم ((وكلهم يتأول عليه كتاب الله يحتاج عليه به))
^(٢)، فالذين لهم القدرة على التأول في كتاب الله والاحتجاج به ليس الناس
البسيطاء بل هم القراء وهم بمصطلح اليوم الفقهاء! ولا تنس باننا نتكلم عن
زمان، فيه ((لا يبقى من القرآن إلا رسمه ومن الإسلام إلا اسمه، يسمون به
وهم أبعد الناس منه، مساجدهم عامرة وهي خراب من الهوى، فقهاء ذلك
الزمان شر فقهاء تحت ظل السماء منهم خرجت الفتنة وإليهم تعود)).^(٣)

وعن أمير المؤمنين عليه السلام ((يا مالك أبن ضمرة كيف أنت إذا اختلفت الشيعة
هكذا وشبك أصابعه وأدخل بعضها في بعض فقلت يا أمير المؤمنين عليه السلام ما
عند ذلك من خير قال عليه السلام الخير كله عند ذلك يقوم قائمنا فيقدم سبعين رجلاً
يذبحون على الله ورسوله فيقتلهم ثم يجمع الله الناس على أمر واحد)^(٤))

وانتبه لقوله عليه السلام (ثم يجمع الله الناس على أمر واحد) وهي قد تكون إشارة
إلى ان هؤلاء (السبعين)^(٥)* هم مصدر الاختلاف بين الشيعة، وهم اصل الفتنة!

(١) دراسات في علم الدرایة - علي اکبر غفاری - ص ١٥٥ .

(٢) الغيبة - محمد بن إبراهيم النعmani - ص ٣٠٧ .

(٣) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - ج ٨ - ص ٣٠٨ .

(٤) الغيبة - محمد بن إبراهيم النعmani - النعmani - ص ٢١٤ .

(٥) * والعدد هنا قد يكون للكثره، أي لكترا هؤلاء الكذابين الذين يفتلون الناس ويفرقونهم.

لذلك فانت تجد ان الإمام القائم ﷺ إذا فرغ منهم ومن حربهم في الكوفة فإنّه ((يهدم بها أربعة مساجد...))^(١)! وما ذلك إلّا لكونها اتخذت كمراكز للفتنة ! باسم الدين وباسم الموصومين!

وهذه نتيجة طبيعية لطبيعة سير الامور في المجتمع الفاسد، الذي مليء
ظلمًا وجوراً، فليس هناك شريحة اجتماعية تبقى إلّا ويلحقها الفساد، فالسياسة
والفقهاء والتجارب والعسكر وغيرهم كلهم يشملهم الفساد، والقائل بغير ذلك
يخالف بديهيات التجارب البشرية بل ويخالف حكم القرآن والسنة، فقوله تعالى:

﴿لَتَرْكُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ (الانشقاق ١٨)

وقوله عليه وآلـه الصلاة والسلام ((والذـي نـفسي بـيده لـتركـن سـنـن مـن
كان قـبـلكـم، حـذـو النـعـل بـالـنـعـل، وـالـقـدـة بـالـقـدـة، حـتـى لـا تـخـطـئـون طـرـيقـهـم، وـلـا
تـخـطـئـكـم سـنـة بـنـي إـسـرـائـيل))^(٢)

لذلك أخبر الموصومون عن حجم التحرير الذي سيصيب هذا الدين في
غيبة صاحب العصر والزمان فقالوا عليه السلام:

((أَمَا إِنْكُمْ لَنْ تَرُوا مَا تَحْبُونَ وَمَا تَأْمُلُونَ - يَا مَعْشِرَ الْشِّعْعَةِ - حَتَّىٰ يَتَفَلَّ
بَعْضُكُمْ فِي وُجُوهٍ بَعْضٌ، وَهُنَّىٰ يَسْمَىٰ بَعْضُكُمْ بَعْضًا كَذَابِينَ، وَهُنَّىٰ لَا يَبْقَى

(١) روضة الاعظين - الفتال النسابوري - ص ٢٦٤.

(٢) تفسير البرهان - السيد هاشم البحري - ج ٢ - ص ٢٦٧.

منكم على هذا الأمر إلا كالكحل في العين، أو كالملح في الطعام، وهو أقل الزاد.
 وسأضرب لكم في ذلك مثلاً: وهو كمثل رجل كان له طعام قد ذراه وغربه
 ونقاوه وجعله في بيت وأغلق عليه الباب ما شاء الله، ثم فتح الباب عنه فإذا
 السوس قد وقع فيه، ثم أخرجه ونقاوه وذرarah، ثم جعله في البيت وأغلق عليه
 الباب ما شاء الله، ثم فتح الباب عنه فإذا السوس قد وقع فيه، وأخرجه ونقاوه
 وذرarah، ثم جعله في البيت وأغلق عليه الباب، ثم أخرجه بعد حين فوجده قد
 وقع فيه السوس، ففعل به كما فعل مراراً حتى بقيت منه رزمه كرزمة الأندر
 الذي لا يضره السوس شيئاً، وكذلك أنتم تحصّنون الفتنة حتى لا يبقى إلا
 عصابة لا تضرها الفتنة شيئاً))^(١)

وعن أبي بصير، قال:

((سمعت أبا جعفر محمد بن علي عليهما السلام يقول: والله لتميزن، والله لتمحصن،
 والله لتغربلن كما يغربل الرؤان من القمح))^(٢)

وعن الربيع بن محمد المслиي قال: قال لي أبو عبد الله: والله لتكسرن كسر
 الزجاج، وإن الزجاج يعاد فيعود كما كان، والله لتكسرن كسر الفخار وإن
 الفخار لا يعود كما كان، والله لتمحصن والله لتغربلن كما يغربل الرؤان من
 القمح.)^(٣)

(١) الغيبة - محمد بن إبراهيم النعmani - ص ٣٣.

(٢) الغيبة - محمد بن إبراهيم النعmani - ص ٢١٣.

(٣) بحار الأنوار - محمد باقر المجلسي - ج ٥٢ - ص ١٠١.

وعن معمر بن خلاد قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: ﴿الْمَ (١) أَحَسِبَ
النَّاسُ أَنْ يُتَرَكُوا أَنْ يَقُولُوا أَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢)﴾ (سورة العنكبوت).

ثم قال لي: ما الفتنة؟

فقلت: جعلت فداك الذي عندنا أن الفتنة في الدين.

ثم قال: يُفتَنُونَ كَمَا يُفْتَنُ الْذَّهَبُ، ثم قال: يُخَلِّصُونَ كَمَا يُخَلِّصُ الْذَّهَبَ.^(١)

وروى الشيخ النعماي عن سليمان بن صالح رفعه إلى أبي جعفر الباقر عليه السلام

قال:

قال لي: ((إنه لا بد من أن تكون فتنه يسقط فيها كل بطانة ووليجة حتى
يسقط فيها من يشق الشعرة بشعريتين حتى لا يبقى إلا نحن وشيعتنا)).^(٢)

واخبروا انه في غضون هذا التمحيق والفتنة والتنقية وسقوط الكبار من
الذين أحدهم ((يشق الشعر بشعرتين))! من الذين جاء فيهم ((إذا خرج القائم
خرج من هذا الأمر من كان يُرى أنه من أهله ودخل فيه شبه عبدة الشمس
والقمر))^(٣)

وسيكونبقاء جماعة هم الأقل، والأندر، وكالكحل في العين وهم الثابتون
على أمرهم وهم الذين لم يبدلوا ولم يغيروا كما قالوا عليهم السلام:

(١) بحار الأنوار - محمد باقر المجلسي - ج ٥٢ - ص ١١٥.

(٢) بحار الأنوار - محمد باقر المجلسي - ج ٥٢ - ص ١١٦.

(٣) الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماي - ص ١٧٢.

((لللّقائِم مَنَا غَيْبَةً أَمْدَهَا طَوِيلَ كَأْنِي بِالشِّعْيَةِ يَجُولُونَ جُولَانَ النَّعْمَ فِي غَيْبِتِهِ،
يَطْلُبُونَ الْمَرْعَى فَلَا يَجِدُونَهُ، أَلَا فَمَنْ ثَبَتَ مِنْهُمْ عَلَى دِينِهِ وَلَمْ يَقْسُّ قَلْبُهُ لِطُولِ أَمْدِ
غَيْبَةِ إِمامِهِ فَهُوَ مَعِيٌّ فِي درْجَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ...)).^(١)

لَذَا فَلَا غَرَابَةٌ مِنْهُمْ قَتَاهُمُ الْإِلَمَامُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ كَمَا اخْبَرَ الْمَعْصُومُونَ كَمَا قُتِلَ
الْيَهُودُ عِيسَى الْمَسِيحُ وَهُمْ كَانُوا يَنْتَظِرُونَهُ وَكَمَا قَاتَلَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى النَّبِيَّ ﷺ
وَهُمْ كَانُوا بِانتِظَارِهِ^{(٢)*}!

لَذَا فَقُولُهُ تَعَالَى ﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الْطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾

(سورة الجن ١٦)

يقول الإمام الباقي:

((يعني لو استقاموا على ولایة علي بن أبي طالب أمير المؤمنين والأوصياء
من ولده ﷺ وقبلوا طاعتهم في أمرهم ونهيهم (لآسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا) يقول:
لأشربنا قلوبهم الإيمان))^(٣)

وعن الإمام الرضا عليه السلام:

(١) كتاب الدين و تمام النعمة - محمد بن علي بن الحسين الصدوق - ص ٣٠٣.

(٢) * من طريف ما وقع لصاحب السطور إنَّه سأله أحد فقهاء النجف الأشرف الأشرف حول روايات قتال
الفقهاء للإمام في النجف الأشرف فقال له هذا الفقيه: وهل تنتظر أن يباعيكم كلهم؟! بالتأكيد سيكون هناك
من لا يباعيكم فيكون قتال بينهما.

ولكن وبعد أحداث البلاد العربية عام ٢٠١١ م ظهر كراس لهذا الفقيه حول علامات الظهور وفيه يحمل
أخبار قتال الفقهاء للإمام على انهم فقهاء المخالفين وليس الشيعة!!.

(٣) تفسير البرهان - السيد هاشم البحرياني - ج ٥ - ص ٥٠٨.

يا ابن أبي محمود:

إذا اخذ الناس يمينا وشمالا فالزم طريقتنا، فإنه من لزمنا، لزمنا، ومن فارقنا،
فارقنا، فإن ذكرنا أهل البيت شفاء من الواقع والأسقام ووسواس الريب،
وإن محبتنا رضا رب والأخذ بأمرنا وطريقتنا معنا غدا في حظيرة القدس^(١).

للاطلاع المعمق على المنهج العلوى الأصيل (منهج المحدثين ورواة الأخبار):

- ١ . كتاب الفوائد المدنية / محمد أمين الاسترابادى.
- ٢ . الأصول الأصيلة / الفيض الكاشانى.
- ٣ . الفصول المهمة في أصول الأئمة / الحر العاملي.
- ٤ . الفوائد الطوسيّة.
- ٥ . مقدمات كتاب الحدائق الناضرة / للشيخ يوسف البحرياني.
- ٦ . مصادر الأنوار للسيد الميرزا محمد الأخباري.
- ٧ . سبيكة اللجين في الفرق بين الفريقين.
- ٨ . هداية الأبرار / المحقق الكركي.
- ٩ . مشارق الشموس الدرّية في أحقيّة مذهب الأخباريّة / السيد عدنان العلوى.

في الفقه:

- ١ . الكافي الشريف / الكليني
- ٢ . من لا يحضره الفقيه / الشيخ الصدوق
- ٣ . فقه الرضا عليه السلام
- ٤ . النهاية / الشيخ الطوسي
- ٥ . بداية الهدایة / الحر العاملي
- ٦ . مفاتيح الشرائع / الفيض الكاشاني
- ٧ . العمل الصادق من مسائل الحدائق / المحقق الشيخ يوسف البحري
- ٨ . سداد العباد ورشاد العباد / العلامة الشيخ حسين البحري

الملحق:

في تحليل جميل ومنصف لما جرى في تلك السنوات (العجاف) من أمور سبّبت تغيير الطريقة الشيعية التي تلقّوها عن الموصومين، يقول الشيخ حسين محمد آل عصفور البحرياني في كتيبه (المحاسن النفسانية):

((الظاهر في ذلك هو أن الله تعالى لم يقبض نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى أكمل دينه وأتم نعمته كما قال الله تعالى:

﴿إِلَيْوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَأَتَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيْنًا﴾ (المائدة ٣). ومن هنا جاء في الخطب والأدعية المأثورة في ذلك اليوم عند الله ذلك القول قالوا (صلوات الله عليهم): الحمد لله على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضا رب.

فلم يدع شيئاً تحتاج إليه الأمة إلا بينه بإنزاله في كتابه وبياناته في سُنَّة نبيه، حتى أرش الخدش والجلدة ونصف الجلد، فما استغنى عن البرهان أتى به مجرداً عنه، وما احتاج إلى الحجّة والبيان أتى بها معه على أتم وجه وأبلغه بما كان معه من بُيُّنة وبرهان وخطابة وجداول والتي هي أحسن إلى غير ذلك مما تقتضيه الحكمة الأحادية والعناية الصمديّة بأن جعل لكل طائفة منهم ما يناسب عقولهم الجليلة والمميّزة، ليهلك من هلك عن بُيُّنة، ويحيي من حيي عن بُيُّنة، ولئلا تحتاج أمته إلى سالف الشرائع إلى شيء من القضايا والوقائع، فقال تعالى ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (آلأنعام ٣٨)، وقال فيه: ﴿تَبَيَّنَا لِكُلِّ

شَيْءٌ ﴿النَّحْلُ ٨٩﴾، وَقَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ﴿الْأَنْعَامُ ٥٨﴾. وَكَمْ فِي آيَاتِ الْكِتَابِ مِنْ مُثْلِ هَذَا الْخُطَابِ. وَفِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ فِي كَلَامِ لَهُ ذِمَّةٌ فِيهِ أَهْلُ الْفَتِيَا:

أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ دِينًا نَاقصًا فَاسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَى إِتْمَامِهِ أَمْ كَانُوا شُرَكَاءَ لَهُ فَلَهُمْ أَنْ يَقُولُوا وَعَلَيْهِ أَنْ يَرْضِيَ، أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ دِينًا تَامًا فَقَصَرَ الرَّسُولُ عَنْ تَبْلِيغِهِ وَأَدَائِهِ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ ﴿الْأَنْعَامُ ٣٨﴾ وَقَدْ اسْتَفَاضَ فِي رِوَايَاتِ الْفَرِيقَيْنِ بِلْ تَوَاتِرٍ فِي أَحَادِيثِ الْمَذْهَبَيْنِ عَنْهُ ﷺ: إِنِّي مُخْلِفٌ فِيْكُمْ الْثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ وَعَتْرَقِي أَهْلَ بَيْتِيِّ.

وَفِي بَصَائِرِ الْدَّرَجَاتِ بِسْنَدِ صَحِيحٍ عَنْ أَبِي الْحَسْنِ ﷺ قَالَ:

إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَقْبِضْ نَبِيًّا حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ جَمِيعَ دِينِهِ فِي حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ، فَجَاءَكُمْ مِنْ تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ وَتَسْتَغْنُونَ بِهِ وَبِأَهْلِهِ بَعْدَ مُوتِهِ، وَأَنَّهُ عِنْدَ أَهْلِ بَيْتِهِ حَتَّى أَرْشِيَ الْكَفَّاً^(١).

وَفِي الْكِتَابِ الْمَذْكُورِ، وَالْكَافِيِّ، بِإِسْنَادِهِمَا عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يَدْعُ شَيْئًا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْأُمَّةُ إِلَّا أَنْزَلَهُ فِي كِتَابِهِ، وَبَيْنَهُ لِرَسُولِهِ، وَجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ حَدًّا، وَجَعَلَ عَلَيْهِ دَلِيلًا، وَجَعَلَ عَلَى مَنْ تَعْدِي عَلَى ذَلِكَ الْحَدَّ حَدًّا^(٢).

(١) بَصَائِرِ الْدَّرَجَاتِ - مُحَمَّدُ بْنُ حَسَنِ الصَّفَارِ - صِ ١٦٧ .

(٢) الْكَافِيِّ - مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الْكَلِيْنِيِّ - جِ ١ - صِ ٥٩ .

وبإسنادهما عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما من شيء إلا وفيه كتاب أو سنة^(١).

وبإسنادهما عن سماحة عن الحسن بن موسى قال: كل شيء في كتاب الله وسنة نبيه أو يقولون فيه، فقال: بل كل شيء في كتاب الله وسنة نبيه^(٢).

وفي كتاب البصائر بإسناده عن أبي الحسن عليه السلام قال: قلت: أصلحك الله أتى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بما يكتفون به؟ فقال: نعم، وما يحتاجون إليه إلى يوم القيمة، فقلت: أوضاع من ذلك شيء؟ فقال: لا^(٣).

وفي الكافي بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له طويل: فجاءهم بنسخة ما في الصحف الأولى، تصديق الذي بين يديه، وتفصيل الحلال من ريب الحرام، وذلك القرآن فاستنبطوه، ولن ينطق لكم، أخبرتكم عنه أن فيه علم ما مضى، وعلم ما يأتي إلى يوم القيمة، وحكم ما بينكم، وبيان ما أصبحتم فيه تختلفون^(٤).

وفي كتاب الأمالى للصدوق بإسناده إلى الرضا عليه السلام أنه قال في كلام له: إن الله لم يقبح نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى أكمل فيه الدين وبين فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام وجميع ما تحتاج إليه الناس كاملاً فقال عز من قائل ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (الأنعام ٣٨)، وأنزل في حجة الوداع وهي في

(١) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - ج ١ - ص ٦٠.

(٢) بصائر الدرجات - محمد بن حسن الصفار - ص ٣٢١.

(٣) بصائر الدرجات - محمد بن حسن الصفار ص ٣٢٢.

(٤) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - ج ١ - ص ٦١.

آخر عمره (صلى الله عليه وآله وسلم): ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة ٣) (وأمر الإمامة في تمام الدين ولم يمض (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى بين لأمته معلم دينهم وأوضح لهم سبileه، وتركهم على قصد الحق، وأقام علياً علماء وإماماً، وما ترك شيئاً تحتاج له الأمة إلا بينه، فمن زعم أن الله لم يكمل دينه فقد رد كتاب الله عز وجل، فهو كافر^(١).

وفي كتاب البصائر الدرجات، يرفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام أبي الله أن يجري الأشياء إلا بالأسباب، وجعل لكل سبب شرعاً، وجعل لكل مفتاح علماء، وجعل لكل علم باباً ناطقاً، من عرفة عرف الله، ومن أنكره أنكر الله، ذلك رسول الله ونحن^(٢).

وفيه في الصحيح عن محمد بن مسلم فقال: سأله عن ميراث العلم ما بلغ الجماع من العلم، أم يفسر كل شيء من هذه الأمور التي تتكلم فيه الناس من الطلاق والفرائض؟ فقال: إن علياً عليه السلام كتب العلم كله والفرائض، فلو ظهر أمرنا لم يكن من شيء إلا وفيه سنة يمضيها^(٣).

وفيه أيضاً في الصحيح عن أسامة قال:

كنت عند أبي عبد الله عليه السلام وعنده رجل من المغيرة، فقال: ما من شيء يحتاج

(١) الأمازي - محمد بن علي بن الحسين الصدوق - ص ٧٧٤.

(٢) بصائر الدرجات - محمد بن حسن الصفار - ص ٢٦.

(٣) بصائر الدرجات - محمد بن حسن الصفار - ص ٥٢٦.

إِلَّا وَقَدْ خَرَجَتْ فِيهِ السُّنَّةُ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمَا احْتَاجَ
عَلَيْنَا بِهَا احْتِاجٌ. فَقَالَ الْمُغَرِّبُ: «أَتَحْتَاجُ إِلَيْكُمْ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ
وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي».. حَتَّى فَرَغَ مِنَ الْآيَةِ فَلَوْلَا يَكُملُ سُنَّتَهُ وَفَرَائِصَهُ وَمَا
يَحْتَاجُ إِلَيْهِ النَّاسُ مَا احْتَاجَ إِلَيْهِ».^(١)

وَالْأَخْبَارُ فِي هَذَا الْمَعْنَى لَا تَأْتِي عَلَيْهَا أَقْلَامُ الْبَيَانِ، وَهِيَ شَاهِدَةٌ عَلَى أَنَّ الطَّرِيقَ
فِي أَخْذِ الْأَحْكَامِ مَقْصُورَةٌ عَلَى الْكِتَابِ وَسَنَةِ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)
وَأَنَّهُ لَيْسَ حُكْمًا عَلَى الْخُصُوصِ إِلَّا وَجَاءَتْ بِهِ سَنَةٌ وَنَصٌّ فِي هَذِهِ النَّصُوصِ،
وَكَانَتْ هَذِهِ الطَّرِيقَ هِيَ الْمَعْكُوفُ عَلَيْهَا فِي الصُّدُرِ الْأُولَى، وَعَلَيْهَا يَبْنِي
الْإِسْتِبْطَاطُ الشَّرِعيُّ، وَعَلَيْهَا فِيمَا بَيْنَهُمُ الْمَعْوَلُ، وَقَدْ اعْتَرَفَ بِعَضُّ عُلَمَاءِ الْعَامَةِ
بِذَلِكَ مَعَ إِخْلَادِهِ إِلَى الرَّأْيِ وَالْقِيَاسِ وَعَدْمِ مَبَالَاتِهِ بِالدُّخُولِ فِي الشُّبُهِ وَمَوَاضِعِ
الْالْتِبَاسِ. وَكَانَ الْبَاعِثُ عَلَى الْانْحرافِ عَنْ تِلْكَ الْجَادَةِ الْقَوِيمَةِ وَالْطَّرِيقَةِ
الْمُسْتَقِيمَةِ أَنَّهُ بَعْدَمَا قُبِضَ نَبِيُّهُ وَتَوَلَّ الْأُمْرُ غَيْرَ أَهْلِهِ فَكَانَ الْخَلِيفَةُ مِنْهُمْ...^(٢)*
اقْتِصَادُ الْحَالِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَرَبِّمَا سُئِلَ مِنْ حَضْرِ الْصَّحَابَةِ إِنَّ لَمْ يَجِدْ
نَصًاً حُكْمًا كَمَا يَرِي مِنَ الْمَصْلَحةِ كَمَا هُوَ شَأنُ الْمُلُوكِ وَالْأَمْرَاءِ فِي الْقَضَائِيَّاتِ الْكُلِّيَّةِ
وَالْجُزِئِيَّةِ يَرَاعُونَ مَا يَتَنَظَّمُ بِهِ أَمْرُ الدُّولَةِ وَيَصْلَحُ حَالَ الرُّعْيَةِ سُوءً وَافْقَدُ الشَّرْعَ
أَوْ خَالِفَهُ، وَلَا يَبْلُوْنَ هَنَالِكَ بِالْمُبَايِنَةِ لِنَبِيِّهِمْ وَالْمُخَالَفَةِ، وَكَانُوا يَسْمُّونَ مَا لَا
يُسْتَنِدُ إِلَى النَّصِّ: اجْتِهادًا ، وَالْعَاملُ بِهِ: مَجْتَهِدًا يَعْمَلُ بِالْقِيَاسِ وَالْإِسْتِحْسَانِ

(١) بصائر الدرجات - محمد بن حسن الصفار - ص ٥٨٣.

(٢) * يُظَهِرُ أَنَّ هَنَاكَ خَلَلٌ فِي الْعِبَارَةِ وَاللهُ أَعْلَمُ.

والمصالح المرسلة، ويرى تخصيص عموم النص بالرأي، والإستنبط من أصول تقتضي خلاف ما يقتضيه النص، وكان يأمر أمراءه بالكيد والخيلة، ويؤدب قوماً ويغفو عن آخرين استحقوا العقوبة بحسب ما يراه من المصلحة. انتهى.

ثم دام الأمر على ذلك في الخلفاء المتلصّصين بعده إلى أن انتهت النوبة إلى أمير المؤمنين ﷺ من رب العالمين فهدم بعض قواعدهم المبدعة في الدين، وبقي كثير لم يقدر على إزالته لكثرة المخالفين، حتى ظهرت الدولة الأموية، فأججوا نيران البدع الشنيعة، وأظهروا الباطل والأحوال الفظيعة، فزادوا على تلك القواعد وهلّم جرّاً، فشادوا ما أسس أولئك، وزادوا في الطنبور نغمة أخرى فارتبت الأمر على الناس، ولا برحوا مشتملين على هذا اللباس حتى انتهت الرياسة إلى أرجاسبني العباس، أهل القيّان والمزامر والكاس. وأكثر الفقهاء من العامة في أيامهم، فرفعوا مكانهم، وأمرروا الناس بالأخذ بفتياهم، وكان أشدّ الفقهاء إليهم أشدّهم عداوة لآل الرسول، وأظهرهم لهم خلافاً في الفروع والأصول، كمالك وأبي حنيفة، والشافعي وابن حنبل ومن حدا حدودهم في تلك المذاهب السخيفة. وكان في زمانهم من الفقهاء من هو أعلم، ولكن اشتهر هؤلاء لأنهم لآل محمد أبغض وأظلم، ولما فيه من التلبيس الذي حملهم عليه إبليس، فاظهروا الزهد والبعد عن الملوك طلباً لدنيا لا تنال إلا بتركها ظاهراً، ومرأة لهم في السلوك، فهالت اليهم قلوب العامة، ودانت لهم عقول من هم في الضلالة كالأنعام، وروجت أسواقهم الكاسدة أقوام وأي أقوام، فستروا ما أبدعوا في الدين بإصلاح مموج، وتأنيل غير مُبين، فهالت اليهم الحكام وقلدوهم

أمر الحلال والحرام، وولّوهم المدارس والمناصب وما هو بحالهم من القضاء والفتيا مناسب، فكثرت عليهم القضايا والمسائل، وضاق عليهم فسيح البراهين والدلائل، فعدلوا إلى العمل بالإجماع، والقياس والرأي والاستحسان، وما يليق بحال الناس، وغير ذلك من القواعد العقلية والسفسطائية، وما حضر لهم من القوانين الشيطانية، فأسسوا تلك الطرق، فأضافوا إليها ما يمكن النظر بها والاعتماد عليها من مسائل الكلام والمنطق والعربة، وعلوم لم يأتِ مستندها عن الفرقة المعصومية، ورتبوا ذلك فيما بينهم بعلم الأصول، وجعلوا أقوى مباحثه: الاجتهداد، بعد أن خصّوا مسائله بالفقهيّات، والقادر على استنباط ذلك المجهول من ذلك المعلوم وان خالف ما جاء عن الرسول. وهناك اخذ كثيرهم جادة طريق التصويب، فحكم بأن كل مجتهد مصيبة والقليل من ذلك الجليل وان خالفوه في ذلك القيل، لكن قالوا إن للمصيبة أجرين، وللمخطئ واحد في البين، ورووا حديثاً قد صاغوه من الكذب والمرين، وزعموا أن الصحابة كان طريقهم الاجتهداد وناهيك بها من طريقة، وكانوا يعرفون ذلك فيما بينهم بأهل السليقة، ولما تماADI الزمان وكثير المجتهدون ظهر التعصب، وغار الإنفاق بالجحور، واشتد الاعتساف، وتفرّقت الآراء، وكثير الاختلاف، راموا هنالك حسم مادة هذه الفتنة، وإطفاء ناثرة ما لحقهم من المحنّة، فاجمعوا هناك على قصر العمل على المذاهب الأربع، وببدعية ما سواها من المذاهب المتوزعة، فاحلوا إراقة دم من سلك غيرها من المذاهب، وإباحة مال من تعلق بأذىال غيرها في شيء من المطالب، فهذه طريقة المخدولين من النواصي.

وأما الفرقـة المـحـقـة: فـهـمـ في الصـدـرـ الـأـوـلـ لمـ يـقـولـواـ فيـ أـصـوـلـ الـدـيـنـ وـلـاـ فـرـوـعـهـ
الـأـبـاـجـاءـ عـنـ أـئـمـتـهـمـ الـأـبـارـ، كـمـ دـلـلـ عـلـيـهـ ماـ قـدـمـنـاـ مـنـ الـكـتـابـ وـالـأـخـبـارـ، وـكـانـ
فـيـهـمـ جـمـاعـةـ مـنـ الـعـلـمـاءـ الـمـدـقـقـينـ، وـالـفـضـلـاءـ الـمـحـقـقـينـ، مـثـلـ الـهـاشـمـيـّـينـ، وـمـؤـمـنـ
الـطـاقـ، وـالـطـيـارـ، فـأـيـدـواـ مـاـ جـاءـ عـنـ أـئـمـتـهـمـ الـأـبـارـ فيـ أـصـوـلـ الـدـيـنـ بـالـبـرـاهـيـنـ
الـقـطـعـيـةـ الـعـقـلـيـةـ، وـالـحـجـجـ الـواـضـحةـ. وـكـانـ ذـلـكـ عـنـ أـمـرـ أـئـمـتـهـمـ فيـ مـقـامـ
الـاحـتـاجـ، وـالـقـطـعـ لـشـبـهـ أـهـلـ الـزـيـغـ وـالـلـجـاجـ، وـأـمـاـ فيـ مـسـائـلـ الـفـرـوـعـ، فـسـلـكـواـ
طـرـيـقـ التـسـلـيمـ لـأـرـبـابـهـاـ، وـأـتـواـ الـبـيـوتـ مـنـ أـبـوـابـهـاـ، مـنـ غـيرـ بـحـثـ عـنـ عـلـلـهـاـ
وـأـسـبـابـهـاـ، وـكـانـواـ فيـ اـغـلـبـ أـحـوـاهـمـ يـتـائـىـ لـهـمـ الـلـقـاءـ بـالـإـمـامـ فـيـأـخـذـونـ عـنـهـ فـيـ
كـلـ مـسـأـلـةـ حـكـمـهـاـ مـنـ الـأـحـكـامـ، لـعـدـمـ اـنـتـشـارـهـمـ فـيـ الـبـلـادـ وـالـآـفـاقـ، وـلـاـنـحـصـارـ
الـشـيـعـةـ زـمـنـ أـمـيـرـ الـمـؤـمـنـيـنـ ﷺـ فـيـ أـطـرـافـ الـحـجازـ وـالـعـرـاقـ، فـدـامـ الـأـمـرـ إـلـىـ زـمـنـ
الـصـادـقـ ﷺـ فـأـدـرـكـ الـعـنـيـاـةـ مـنـ الـمـلـكـ الـخـالـقـ أـقـوـاـمـاـ مـنـ الـعـجـمـ، فـاهـتـدـواـ إـلـىـ
الـطـرـيـقـ الـأـقـومـ، وـكـانـ أـكـثـرـهـمـ مـنـ أـهـلـ قـمـ الـمـشـهـورـةـ، وـكـانـ بـخـواـصـ شـيـعـهـمـ
مـعـمـورـةـ، فـمـاـ زـالـواـ فـيـ هـذـهـ الـأـمـاـكـنـ الـعـظـامـ وـكـانـ النـادـرـ مـنـهـمـ قـدـ انـقـلـبـ إـلـىـ بـلـادـ
الـشـامـ، وـلـكـنـ سـكـنـ فـيـ زـاوـيـةـ الـتـقـيـةـ خـوـفـاـ مـنـ الـدـوـلـةـ الـأـمـوـيـةـ وـالـعـبـاسـيـةـ. هـذـاـ هوـ
الـسـرـ فـيـ كـوـنـ أـصـحـابـ الـأـئـمـةـ فـيـ الـحـجازـ وـالـعـرـاقـ كـثـيـرـةـ الـحـجـمـ، فـلـاـ زـالـواـ (ـصـلـوـاتـ
الـلـهـ عـلـيـهـمـ) يـحـدـثـوـنـهـمـ بـمـاـ يـحـتـاجـونـ إـلـيـهـ مـنـ الـمـسـائـلـ وـالـأـحـكـامـ، وـيـوـقـفـوـنـهـمـ عـلـىـ
كـلـ فـرـعـ مـنـ فـرـوـعـ الـحـلـالـ وـالـحـرـامـ، وـيـسـلـكـوـنـ بـهـمـ مـسـالـكـ الـطـرـيـقـ الـنـورـاءـ إـلـىـ أـنـ
وـقـعـتـ الصـغـرـىـ وـالـرـزـيـةـ الـكـبـرـىـ، فـحـيـلـ بـيـنـهـمـ وـبـيـنـ الـنـقـلـ وـالـلـقـاءـ الـآـخـرـ الـقـلـيلـ
فـخـرـجـتـ لـهـمـ تـوـقـيـعـاتـ عـلـىـ يـدـ السـفـراءـ فـيـ الـقـلـيلـ وـالـجـلـيلـ، وـأـمـرـتـ الشـيـعـةـ

بالرجوع إليهم والطاعة والانقياد، ولما يلقونه خوفاً من الخفاء والإضاعة، وقد اجتمعوا لهم من الكتب والأصول المشتّة على المعقول والمنقول ما شاء الله، فكانت مرجعهم في أحكامهم، ومستمسكهم في حلالهم وحرامهم، لاشتهاها على تلك القواعد المعتمدة والفروع المذهبة الممهدة، واحتواها على قواعد الجمع بين الأخبار عند اختلافها لأسباب كانت هناك جارية بين أسلافها.

وأعظم تلك الأسباب: التقى، التي هي أوسع أبواب المحامل والتاويات المقصومية، وكانوا يسمون الحامل لتلك القواعد في الأصول الشرعية وما احتوت عليها تلك الكتب من أحوال الشيعة: فقيهاً وعالماً ومحدثاً وراوياً، ولم يكن للاجتهاد ذكر ولا أثر ولا خبر، بل كانوا يذمون الأخذ به، وينزلونه من مرتبة الفتوى، ويحكمون عليه بأنه لم يستمسك بالعروة الوثقى، ويخلعونه من مرتبة أهل الصلاح والسداد، ومن هنا خلت عن ذكره أخبار أئمتنا الأمجاد، فألفت جماعة كتباً في ذم أصحابه، وبالغ جماعة في إطفاء نائرته وردم أبوابه.

ألا ترى إلى أبي إسحاق ابن نوبخت كيف ألف مقالة في إبطاله، والرد على من دان بمذهبه وأقواله، وهو من أكابر الأمامية ودام الأمر هناك على ذلك، إلى أن وقعت الغيبة الكبرى، وتراءكت ظلم الحيرة النكراء، فهناك ارتفع معظم التقى، بإعراض الخلفاء عن الشيعة بالكلية حيث لم يكن لهم إمام ظاهر، فيخافون على ملوكهم منه الإجتراء، وانضم إلى ذلك أقوام من ملوك الشيعة، فانتهت الدولة إليهم، فأقاموا أود تلك الشيعة كما جرى لأمراءبني حمدان وأآل بويه من الرؤساء والأعيان، فظهر دين الأمامية في نواحي الحجاز والعراق

غاية الظهور لأنهم هنالك من وقوع الضرر بهم، فنشأ فيهم علماء في المعمول والمنقول وفضلاء حرّروا مسائل الفروع والأصول، مثل العلامة السديد الشيخ المفید وشيخ الطائفة والسيد المرتضى وغيرهم من فاز بأقداح التوفيق والرِّضا، فنظروا في كتب العامة، وبحثوا معهم في المسائل عامة، وحيث أن مدار أولئك المخدولين على الاعتبارات العقلية من الاجتهاد والتخيّل والرأي والقياسات الوهمية، والظواهر الظنّية، وكانوا يسمون الملكة القادرة على ذلك (بالاجتهاد) وصاحبها (مجتهد البلاد) واستمرت الشيعة على البحث معهم لعدم تلك القواعد، والمجاراة معهم في تلك الفروع والزواائد، فسمّوا تلك الأبحاث والنقض عليهم (اجتهاداً) في مقابلتهم. والغرض من ذلك إطفاء نائرتهم، وهم مع ذلك لا يتجاوزون تلك الطريقة القديمة، ولم يتنكبو جادة الصدر الأول المستقيمة، فإن عُثر لهم على استدلال في فرع من الفروع بغير نصّ الإمام، فذلك على سبيل الإلزام في مقام الاحتجاج والاختصار، بل قد صرّحوا (قدس الله أرواحهم) في مؤلفاتهم، وأعلنوا في صفحاتهم بعدم جواز تعلق المفتى بأهداب الاجتهاد، وأعلنوا بتخطئه من سلك تلك الطريقة من أرباب السداد، فلا زالت تلك الطريقة جارية فيهم من أعيانهم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، إلى أن مضى من هجرته (صلى الله عليه وآله وسلم) خمساً وسبعين عاماً. ومن صرّح بذلك: أبو المكارم ابن زهرة، في أصول (كتاب الغنية) نقل عن بعض العامة أنه قد بسط لسان التشنيع على الإمامية بأنهم لا معرفة لهم بشيء من القواعد الأصولية بل اعتمادهم على نقل الأخبار المعصومية فكلامكم في الأصول عبث لا فائدة فيه بالكلية،

فأجاب (قدس الله سره): بأنّا معاشر الشيعة لم نعمل إلا بأصول الشريعة التي هي الأحاديث، وإنما كلامنا في الأصول لأمرين:

أحدهما: لتفهيم ما في كلام الأئمة عليهم السلام من معنى الأمر والنهي وغير ذلك مما يتعلق باللغة.

والثاني: إن الأحكام الشرعية ثابتة عندنا من طريق النقل، ونريد أن نؤيدتها بطريق العقل. فهذه هي العلة في إطلاق المجتهد على العالم الإمامي في تلك الأعصار، ومع ذلك لم يكونوا يذكرونها في مقام المدح والجلالة بل يُمدحون بالوثاقة والعلم، وكثرة الرواية والعدالة ونحو ذلك مما في فهرست الشيخ وكتاب الكشي والنجاشي وغيرها من كتب الرجال، ولا زال الأمة على هذا حتى تماهى الزمان، ولم يسمح بعد الشیخین والمرتضی في العلم والعمل لهم بأقران، وذلك في أواخر الستمائة من الهجرة. فهناك لم يبق للإمامية في أواخرها كثرة ولا شهرة، ولأنقراض دولة آل بويه والحمدان، واستيلاء آل عثمان^(١)* على ذلك المكان، حتى ظهر الناصب العباسي، وكان الميل إلى الشيعة فانكشف هناك جماعة من حملة الشريعة يقاربون القدماء في العمل والفضل فشاع هناك أمرهم، وكان في بغداد مستقرّهم، إذ هي كانت مجمع الفضلاء من العامة، إذ الدولة دولتهم. فالمدارس مملوءة بدرسهم، ومتصدر التدريس منهم، والكتب الشائعة بينهم كتبهم، فلم يكن لأصحابنا بدُّ من مخالطتهم، فمالت طباعهم للنظر إلى ما

(١) * يعني بـ((آل عثمان)): السلاجقة.

في مؤلفاتهم، والتدارس لمصنفاتهم لما فيها من الدقة. وقد نظروا الى من تقدمهم من الأمامية كالشيوخين والمرتضى، ربما سلكوا في الاستدلال على بعض المسائل مسالكهم، وذكروا في مقام الاحتجاج مداركهم، وقد عرفت أنه ليس الغرض من ذلك إلا هدم ما قعده من القواعد والمسالك، فظنّ هؤلاء أنه منهم على سبيل الاعتقاد غفلةً من طريقتهم التي كان عليها الاعتماد، فحصل بهذه الغفلة والاختلاط التام لأولئك العوام اعتقاد بعض الأصول، كما هو مشاهد في هذا الزمان، من العكوف على قراءة شرح العصدي لتحصيل القواعد الأصولية، وأنه لا يكون العالم أصولياً حتى يُمعن نظره في تلك العبارات!، ولا يكون حكيمًا حتى يستغل بحاشية القديم والشفاء والإشارات!. فيما زال الأمر كذلك حتى انتهت النوبة الى العلامة الحلي، وكان له بين الشيعة المقام العالى، وكان عليه مدارهم في أحكام الشريعة، فأخلد الى العلوم العامّية الشنيعة، واشتغل بقواعدهم الأصولية، وباحثهم في المسائل الخفية والجلية، وكان ذكي الفهم، شديد الحفظ، واسع الدائرة في العلوم العقلية، فصار طبعه مشغوفاً بالنظر الى مؤلفاتهم الأصولية، فألف في تلك القواعد وصنف وقرّظ مسامع من أخذ عنه وشنف، فهالت نفوسهم إلى تلك الطريقة، بل قد جعل طريقتهم هي الحقيقة حتى أن كتابه الموسوم بـ(قواعد الأحكام الفقهية) ملخص من كتاب (العزيزي) للرافعي من الشافعية، وربما علق عليه بعض العامة حواشى وقيوداً كما وقع للبيضاوي، وقد شاهدته في كثير من نسخها موجوداً، وكل من جاء من العامة بعده تبعه في هذه السجية، وذلك لحصول تلك العلة الباعثة للعلامة على ذلك

السلوك، حتى أنك إذا تأمّلت كتاب (تمهيد القواعد) للشهيد الثاني رأيته قد سلك فيها مسلك (عبد الرحيم الأسنوي الشافعي) في كتابه (الكوكب الدرني)، وكتابه في (علم الدرية)^(١)* قد سلك فيه طريقة (ابن الصلاح) من العامة في درايته، وكذا إذا تأمّلت (زبدة الأصول) لشيخنا البهائي، رأيت مباحثتها ك(مختصر الحاجبي)، وما هذا إلا لما سرى في نفوسهم من الغفلة عن الطريقة الأولى. وما زال الأمر كذلك حتى انتهت التوبية إلى المحقق الشيخ (حسن بن الشهيد الثاني)، فاطلَّع على رسالة المحقق في علم الأصول، وعرف مذهب المتقدمين في أخبار الرسول. واستبان له أنه الصواب، وقال:

إنه الطريق الذي ينبغي أن يُسلك في كل باب، فتكلّم مع والده في تلك المدارك، ومال إلى العمل بالأخبار في أكثر المسالك حتى أنه اعتمد مراسيل الصدوق في كتاب من لا يحضره الفقيه اعتماداً على شهادة مؤلفه الفاضل النبيه، ولكنه لم يجسر على المخالفة كمال الجسور لصيوررة طريقته هذه غريبة الصدور في تلك الأزمنة والدهور، فقارنه جماعة في ذلك كشيخه الأردبيلي، ومعاصره سيد المدارك، وهمما كانا في الدرس كفرسي رهان، وما زال ذلك الأمر شائعاً في تلك الأزمان حتى صفعى اليهم من بعدهم جماعة من الفضلاء الذين تعلقوا

(١) * يقول الحائر (ومن المعلومات التي لا يشك فيها أحد أنه لم يصنف في دراية الحديث من علمائنا قبل الشهيد الثاني) المصدر: مقتبس الأثر (٢ / ٧٣).

والشهيد الثاني هو: زين الدين الجباعي العاملی المتوفی (٩١١ هـ - ٩٦٥ هـ)!. بينما أول من ألف في مصطلح الحديث من أهل السنة والجماعة هو الرامهرمزي المتوفی سنة (٣٦٠ هـ). فالفارق الرئيسي بين المؤلف الشيعي المتأخر والعامي المتقدّم حوالي: ٦٠٠ سنة!!.

بأهداب الأخبار، ونشروا علم الأحاديث في الأصقاع والديار، كمولانا الأمين محمد أمين الإسترابادي، والفضل ملا خليل القزويني، والفضل ملا محسن الكاشاني والشيخ محمد الخروشي، والمحقق الشيخ حسين بن شهاب الدين العاملي وأمثالهم، فصرّحوا بما لوح به غيرهم من الأعاظم، ولم تأخذهم في الله لومة لائم، لأنهم عرفوا الحق فلم يسعهم إلا القبول والتسليم بما جاء عن آل الرسول. وحيث قد حققوا ذينك المسلمين، وانكشف لهم حال الفريقين، فهناك تنكبوا طريقة الاجتهاد بالمرة، وطعنوا هناك فيما يتعلقون به من إجماع أو شهرة، فصغت قلوبهم إلى قواعد الأخبار، وفرشوا حجورهم إلى ما جاء فيها من الأسرار. والذي أظهر لهم ذلك الحق المبين، وأبعدهم عن ساحة أولئك المجتهدين تكرر الأوامر القرآنية، وتواتر الأخبار المعصومية بسلوك الطريقة القديمة، والذم لارتكاب الأهواء الذميمة قال تعالى ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ المائدة (٤٧) وفي أخرى ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ المائدة (٤٥)) وفي أخرى ﴿أَلَمْ يُؤْخِذْ عَلَيْهِمْ مِيشَاقُ﴾ (الأعراف ١٦٩) وقال جل من قائل ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلَالاً قُلْ أَلَّهُ أَدْنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفَرَّوْنَ﴾ سورة يونس (٥٩).

وقال جل من قائل ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا

حَرَامٌ لِتَقْرُبُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ...الآيَة ﴿النَّحْل ١٦﴾

وقال جل شأنه: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّتَّكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيْئَةً وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ النور (١٥)

وقال تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظْنُونَ﴾ الحاثية (٢٤)

والآيات في هذا المعنى كثيرة في الكتاب. وأما أخبار أئمتنا الأنجباب فهمي مستفيضة في هذا الباب. ففي كتاب الأمالى للصدقى، بإسناده إلى إسحاق بن عبد الله عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَيْرُ عَبَادِهِ بِآيَتِينَ مِنْ كِتَابِهِ: أَنْ لَا يَقُولُوا حَتَّى يَعْلَمُوا، وَأَنْ لَا يَرْوُوا مَا لَمْ يَعْلَمُوا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيقَاتُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ الأعراف (١٦٩) وَقَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ يومن (٣٩).

ورواه العياشى في تفسيره بطريقتين: أحدهما: عن إسحاق بن عبد العزىز عن أبي عبد الله عليه السلام، والأخرى عن أبي التفانج عنه عليه السلام.

وفي الخصال بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال: أنه لا يحصل لك عن خصلتين، فيهما هلك الرجال: أن تدين الله بالباطل، وتفتي الناس بما لا تعلم ^(١).

وفي الأمالى في الصحيح عن عبد الرحمن بن الحجاج عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

قال لي إياك و خصلتين، فيها هلك، إياك أن تفتني الناس برأيك، أو تدين بها لا تعلم^(١).

وفي الكافي بسنده الصحيح في الظاهر إلى اسحق النحر عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث قال: والله لنجبكم أن تقولوا إذا قلنا، وتصمتو إذا صمتنا، ونحن فيما بينكم وبين الله عز وجل، ما جعل الله لأحد خيراً في خلاف أمرنا^(٢).

وبإسناده عن حسان بن علي عن أبي عبد الله عليه السلام: حسبكم أن تقولوا ما نقول، وتصمتوا عمّا نصمت، إنكم قد رأيتم أن الله عز وجل لم يجعل لأحد في خلافنا خيراً^(٣).

وبإسناده إلى المفضل ابن عمر قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: من دان الله بغير سماع عن صادق الزمه الله البتة إلى الفناء، ومن ادعى سماعاً من غير الباب الذي فتحه فهو مشرك، وذلك الباب المأمون على سرّ الله المكنون.^(٤)

وفي كتاب عيون أخبار الرضا بإسناده إلى إبراهيم بن أبي محمود عن الرضا عليه السلام قال أخبرني أبي عن آبائه عن رسول الله قال:

من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق عن الله فقد عبد الله، وإن كان الناطق عن إبليس فقد عبد إبليس... إلى أن قال: يا ابن أبي محمود:

(١) موجود في: الخصال ص ١٥٢.

(٢) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني ج ١ ص ٢٦٥.

(٣) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني ج ٨ ص ٨٨.

(٤) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني ج ١ ص ٣٧٧.

وإذا أخذ الناس يميناً وشمالاً فالزم طريقتنا، فإنه من لزمنا لزمناه، ومن فارقنا فارقناه، فإن أدنى ما يخرج به الرجل من الإيمان أن يقول للحصاة هذه نواة ثم يدين الله بذلك ويرأها من خالفه، يا ابن أبي محمود: ما حدثتك به فقد جمعت لك فيه خير الدنيا والآخرة^(١).

وفي الخصال بإسناده عن أبي سليم بن قيس قال: سمعت أمير المؤمنين ﷺ يقول: احذروا على دينكم ثلاثة: رجل قراء للقرآن حتى إذا رأيت عليه بهجته اخترط سيفه على جاره، ورماه بالشرك. فقلت: يا أمير المؤمنين، أيهما أولى بالشرك؟

قال: الرامي. ورجل استخفته الأكاذيب، كلما أحدث أحدهم كذب مدها بأطول منها. ورجل آتاه الله سلطاناً، فزعم أن طاعته طاعة الله، ومعصيته معصية الله... وساق الحديث إلى أن قال: إنما الطاعة لله ولرسوله ولولاة الأمر، وإنما أمر الله بطاعة الرسول، لأنّه معصوم مطهّر، لا يأمر بمعصية، وإنما أمر بطاعة أولي الأمر لأنّهم معصومون مطهّرون لا يأمرون بمعصية^(٢).

وفي كتاب بصائر الدرجات: عن الفضيل بن يسار قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: كلما لم يخرج من هذا البيت فهو باطل^(٣))

وهو تحليل قريب من الواقع ومن طبائع الأمور لكيفية التغيير البطيء والمتوالٍ والثابت لطريقة الفقهاء عن طريقتهم عليهم السلام.

(١) نقله عنه في الوسائل - ج ٢٧ - ص ١٢٩.

(٢) كتاب سليم بن قيس - ص ٤٠٥.

(٣) المحسن النفسي في أجوبة المسائل الخرسانية - الشيخ حسين ابن الشيخ محمد آل عصفور الدرازى البحرياني.

مُصادر الكتاب

- ١- القرآن الكريم
- ٢- أطيب البيان في تفسير القرآن - عبد الحسين الطيب
- ٣- الأصول الستة عشر - أصل زيد الزراد
- ٤- الأصول الستة عشر - أصل جعفر الحضرمي
- ٥- الإمامة والتبصرة من الحيرة - علي بن الحسين القمي
- ٦-الأُمالي - محمد بن علي بن الحسين الصدوق
- ٧-الاحتجاج - أحمد بن علي الطبرسي
- ٨- الأنوار الساطعة في شرحزيارة الجامعه - عباس الكربلاي
- ٩- الاستفتاءات - علي الخامنائي
- ١٠- الاعتقادات في دين الإمامية - محمد بن علي بن الحسين الصدوق

١١-الإرشاد - محمد بن محمد بن النعمان المفید

١٢-أصول الفقه - محمد رضا المظفر

١٣-إرشاد الفحول الى علم الأصول - محمد بن علي الشوكاني

١٤-الأصول الأصيلة - الفيض الكاشاني

١٥-اقتصادنا - محمد باقر الصدر

١٦-أمل الآمل - الحرم العاملي

١٧-الإحکام في اصول الأحكام - علي بن أبي علي الأمدي

١٨-أمالی طالب الرفاعی - رشید الخیون

١٩-أعيان الشیعة - محسن الأمین

٢٠-الأصول الستة عشر - أصل عاصم الحناط

٢١-الاقتصاد في الاعتقاد - محمد بن الحسن الطوسي

٢٢-بصائر الدرجات - محمد بن حسن الصفار

٢٣-بصائر في نظرية المعرفة - معتصم سید احمد

٢٤-بحوث في علم الأصول - محمود الشاهرودي

٢٥- بحار الأنوار - محمد باقر المجلسي

٢٦- بيان الأئمة - مهدي زين العابدين

٢٧- التفسير المنسوب للإمام العسكري 

٢٨- تفسير البرهان - السيد هاشم البحرياني

٢٩- التهذيب - محمد بن الحسن الطوسي

٣٠- تفسير فرات الكوفي

٣١- التوحيد - الشيخ محمد بن علي بن الحسين الصدوق

٣٢- تفسير العياشي

٣٣- تحف العقول - الحسن بن علي ابن شعبة الحرّاني

٣٤- تصحيح الاعتقاد - محمد بن محمد بن النعمان المفید

٣٥- ترتیب إصلاح المنطق - ابن السکیت الاهوازی

٣٦- تفسیر کنز الدقائق - محمد بن محمد القمی المشهدی

٣٧- ثوابت الفقه ومتغيراته - دراسة في فكر الشهید محمد باقر الصدر - تحسین البدری

٣٨-جامع احاديث الشيعة - حسين البروجردي

٣٩-الحق المبين في كيفية التفقه في الدين - الفيض الكاشاني

٤٠-الحدائق الناضرة في فقه العترة الطاهرة - يوسف البحرياني

٤١-حزب الدعوة حقائق ووثائق - صلاح الخرسان

٤٢-دلائل الإمامة - محمد بن جرير الطبرى

٤٣-الدرر النجفية من الملتقطات اليوسفية - يوسف البحرياني

٤٤-دراسات في ولاية الفقيه - حسين علي منتظرى

٤٥-دروس تمهيدية في القواعد الرجالية

٤٦-دراسات في علم الدرایة - علي اکبر غفاری

٤٧-دعائم الإسلام - القاضي المغربي

٤٨-الذریعة في أصول الفقه - الشریف المرتضی

٤٩-ذکری الشیعہ - محمد بن جمال الدین العاملي

٥٠-الذریعة - آغا بزرگ الطهرانی

٥١-الرسائل - علي بن عبد الحسين الكركي

٥٢- رسائل الشهيد الثاني - زين الدين العاملی

٥٣- روضة الوعاظین - الفتال النيسابوري

٤٥- روضة المتقین - محمد تقی المجلسی

٥٥- روضات الجنات - محمد باقر الخوانساري

٥٦- ریحانة الأدب - محمد علی التبریزی

٥٧- رسالة فقهية في صلاة الجمعة - رسول جعفریان -

٥٨- ستون سؤالاً - محمد حسن الكشمیری

٥٩- سؤالات الآجری لأبی داود - سلیمان بن الأشعث

٦٠- السنة في الفكر الإمامي الشيعي - حیدر حب الله

٦١- شرح نهج البلاغة - ابن أبی الحدید

٦٢- الشیعة - محمد صادق الصدر

٦٣- شرح العروة الوثقى - أبو القاسم الخوئي

٦٤- شرح أصول الكافی - محمد صالح المازندرانی

٦٥- شرح العروة الوثقى - علي الغروي

٦٦-صفات الشيعة - محمد بن علي بن الحسين الصدوق

٦٧-العين - الخليل بن أحمد الفراهيدي

٦٨-العدة في أصول الفقه - محمد بن الحسن الطوسي

٦٩-العقبات العنبرية في طبقات الجعفرية - محمد حسين كاشف الغطاء

٧٠-علل الشرائع - محمد بن علي بن الحسين الصدوق

٧١-الغيبة - محمد بن إبراهيم النعmani

٧٢-الغيبة - محمد بن الحسن الطوسي

٧٣-الفوائد الطوسيّة - الحر العاملي

٧٤-فقيه من لا يحضره الفقيه - محمد بن علي بن الحسين الصدوق

٧٥-فقه القضاء - عبد الكريم الارديلي

٧٦-فقه الإمام جعفر الصادق عليه السلام للشيخ الروحاني

٧٧-الفصول المهمة في أصول الأئمة - الحر العاملي

٧٨-الفردوس الأعلى - محمد حسين كاشف الغطاء

٧٩-فرائد الأصول - مرتضى الانصاري

- ٨٠-الفصول الغروية في الأصول الفقهية - محمد حسين الحائري
- ٨١-قاموس الرجال - محمد تقى التسترى
- ٨٢-القول الرشيد في الاجتهاد والتقليل - شهاب الدين المرعشى النجفى
- ٨٣-كفاية الأثر - علي بن محمد الخراز القمي
- ٨٤-الكافى - محمد بن يعقوب الكليني
- ٨٥-كمال الدين وتمام النعمة - محمد بن علي بن الحسين الصدوق
- ٨٦-كتاب سليم بن قيس - تحقيق محمد باقر الأنصارى
- ٨٧-كشف الحجب والأستار - إعجاز حسين الهندي الكتتوري
- ٨٨-كليات في علم الرجال - جعفر السبحانى
- ٨٩-لؤلؤة البحرين - يوسف البحراني
- ٩٠-المحاسن - أحمد بن محمد البرقى
- ٩١-مصالح البلاغة مستدرک نهج البلاغة - جمع الشريف الرضي
- ٩٢-مختصر بصائر الدرجات - محمد بن حسن الصفار
- ٩٣-المحتضر - حسن بن سليمان الحلبي

٩٤- من محورية اسلام الحديث الى محورية اسلام القرآن - طلال الحسن

٩٥- المعالم الزلفى في شرح العروة الوثقى - عبد النبي النجفي العراقي

٩٦- موسوعة طبقات الفقهاء - جعفر السبحانى

٩٧- معارج الأصول - جعفر بن الحسن الخل

٩٨- المعالم الجديدة للأصول - محمد باقر الصدر

٩٩- الميزان في تفسير القرآن - محمد حسين الطباطبائى

١٠٠- منهاج البراعة - قطب الدين الرواوندى

١٠١- مختصر مفيد - مرتضى العاملى

١٠٢- مستدرك الوسائل - حسين النورى الطبرسى

١٠٣- معاني الأخبار - محمد بن علي بن الحسين الصدوق

١٠٤- ميزان الحكمة - محمد الريشهري

١٠٥- مُنية المرید - زین الدین بن علی العاملی

١٠٦- مقتبس الأثر - محمد حسين الحائرى

١٠٧- مجمع التورين - الشیخ أبو الحسن المرندی

- ١٠٨- مجازات القرآن - الشريف الرضي
- ١٠٩- معجم مقاييس اللغة - ابن فارس
- ١١٠- المهدّب البارع - ابن فهد الحلي
- ١١١- مباحث الأصول - كاظم الحائرى
- ١١٢- مبحث القطع - كمال الحيدري
- ١١٣- معالم الدين وملاد الممجتهدین - حسن زین الدین العاملي
- ١١٤- منتقى الجمان - الحسن بن زین الدین العاملي
- ١١٥- معالم المدرستین - مرتضی العسكري
- ١١٦- بحث الاجتهاد ومناطق الفراغ التشريعي - محمد مهدي شمس الدين
- ١١٧- مناقب آل أبي طالب - ابن شهر آشوب المازندراني
- ١١٨- منطقة الفراغ التشريعي - الموقع الرسمي - كاظم الخاقاني
- ١١٩- مستدرک سفينة البحار - علي النهازي الشاهرودي
- ١٢٠- مجلة رسالة التقرير عدد ٣٠
- ١٢١- مجمع الزوائد - الهيثمي

١٢٢- مجالس المؤمنين - نور الله الشوشتري

١٢٣- معجم رجال الحديث - أبو القاسم الخوئي

١٢٤- المحاسن النفسانية في أجوبة المسائل الخرسانية / حسين محمد آل عصفور

١٢٥- نهج البلاغة - جمع الشريف الرضي

١٢٦- النوادر - أبو عيسى الأشعري

١٢٧- نظام الحكم في الإسلام - عبد القديم زلّوم

١٢٨- النهاية في غريب الحديث والأثر - ابن الأثير

١٢٩- نهاية الدراسة - محمد حسين الأصفهاني

١٣٠- النور الساطع في الفقه النافع - علي كاشف الغطاء

١٣١- الهدایة الكبرى - الحسين بن حمدان الخطيب

١٣٢- الوافي - الفيض الكاشاني

١٣٣- وسائل الشيعة - الحر العاملي

١٣٤- وسيلة النجاة - أبو الحسن الأصفهاني

١٣٥- الوافي - الفيض الكاشاني

الجُنُكُت

الاهداء	٥
بعض وصايا الأئمة	٦
جاء في رسالة الإمام الصادق <small>عليه السلام</small> إلى الشيعة:	٧
روی عن الإمام الحسن العسكري <small>عليه السلام</small> قوله:	٨

الفصل الأول

المقدمة	١
الفقه والتَّفْقُهُ والفقيه:	١
من هو الفقيه:	٢
وضوح طريقة المعصومين وغموض طريقة الفقهاء:	٢
كيف يكون المؤمن فقيهاً؟	٣
رواية الحديث وعلم المعصوم:	٥
الهلاك يكون في طلب الرئاسة الباطلة:	٧
التقليد الحق	٨

الفَصْلُ الثَّانِي

الفتن والمحن في الغيبة الطويلة.....	١١٥
المجتهد... المرجع... الأعلم: العويس والمحيّر!.....	١٢٢
الإجتهد في التاريخ.... رؤية للسيد محمد باقر الصدر <small>حَفَظَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْحَةً</small>	١٦
الإجتهد... الغموض والخط الأحمر!.....	١٣٤
كيف نعرف الحق في أي جانب؟!	١٤٥
نموذج آخر لفتاوي الرأي:.....	١٥١
التلقيح الصناعي: -.....	١٥١
ولاية الفقيه.... و تقمص الإمامة!.....	١٨٢

الفَصْلُ الثَّالِث

لامح المدرسة البديلة لطريقتهم <small>حَفَظَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْحَةً</small> :.....	٢١٣
المدرسة الأصولية وعلم الأصول:.....	٢١٣
المنهج الأصولي... ابتكار المشاكل والخيرية بها!.....	٢٢٦
الأدوار التاريخية لأصول الفقه:.....	٢٢٩
المائز بين العصر الأول والثاني:.....	٢٣٢
قاعدة الاستصحاب:.....	٢٥٠
علم الرجال عند فقهاء الحوزة:.....	٢٦٢
الأصل الأول: كتاب اختيار الرجال:.....	٢٦٣
الأصل الثاني: الفهرست للشيخ الطوسي:.....	٢٦٨

الأصل الثالث: رجال الشيخ الطوسي:	٢٧١
الأصل الرابع:	٢٧٣
(فهرست أسماء المصنّفين) أو ما أسموه (رجال النجاشي):	٢٧٣
أشكال على التنويع الرباعي للحديث:	٢٧٩
منطقة الفراغ التشريعي:	٣٠٣
أهل الخبرة وفتوى الفقيه... نموذج للاختراعات الفكرية عند فقهاء الحوزة .	٣٢٠
علم الفلسفة:	٣٢٦
شبيهة ابن كمونة... عجز الفلسفه وانتصار الوحي!	٣٣٨
الاختراق الأخطر....التقرير بين المذاهب والإسلام السياسي!	٣٤٩
لماذا ابن أبي عقيل وابن الجنيد الاسكافي بالذات؟!	٣٥٣
السيد البروجردي:	٣٥٧
السيد محمد باقر الصدر...	٣٦٣
إنشاء الدولة في عصر الغيبة وظهور الأحزاب الإسلامية ..	٣٧٤
الخلاصة:	٣٩٠

الفصل الرابع

أدلة وقرائن صحة المنهج الحدسيي ..	٣٩٥
من طريقة الأصوليين انفسهم ..	٣٩٥
أدلة وقرائن صحة المنهج الحدسيي من طريقة الأصوليين انفسهم: ..	٣٩٧
ومضة: ..	٤٠٤
مكانة كتابي الكافي والفقهي: ..	٤٠٨

٤١٦	خاتمة:-
٤٢٨	الملحق:
٤٤٥	مصادر الكتاب
٤٥٥	المحتويات